وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو

الجزء الثالث

كتاب

مفتاح السعادة ومصباح السيادة

في موضوعات العلوم للمولى احمد بن مصطفى
المعروف بطاش كبرى زاده
المتوفى سنة ٩٦٢ هـ
رحمه الله تعالى

الطبعة الاولى

بمطبعة دائرة المعارف العثمانية القائمة بمدينة
حيدر آباد الدكن (الهند) لازالت
شموس افاداتها بازغة
الى يوم الدين
سنة ١٣٥٦ هـ

وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو

الجزء الثالث



كتاب

مفتاح السعادة ومصباح السيادة

في موضوعات العلوم للمولى احمد بن مصطفى
المعروف بطاش كبرى زاده
المتوفى سنة ٩٦٢ ھ
رحمه الله تعالى



الطبعة الاولى

بمطبعة دائرة المعارف العثمانية القائمة بمدينة
حيدر آباد الدكن (الهند) لازالت
شموس افاداتها بازغة
الى يوم الدين
سنة ١٣٥٦ ھ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطرف الثانى من الرسالة

فى العلوم المتعلقة بالتصفية التى هى ثمرة العمل بالعلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ـ ولهذا العلم ايضا ثمرة تسمى علوم المكاشفة لايكشف عنها العبارة غير الاشارة كما قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعرفها الا العلماء بالله فاذا نطقوا ينكره اهل الغرة ـ لا جرم رتبنا هذا الطرف من الرسالة على مقدمة ودوحة لها شعب وثمرة لها طيبة ـ

المقدمة

اعلم ان الانسان مركب من عالمين لأن بدنه الكثيف من عالم الاجسام وروحه اللطيف من عالم الملكوت ولما وجب فى التركيب من المناسبة بين الاجزاء خلق الله سبحانه وتعالى فى البدن الكثيف جسما صنوبريا مسمى بالقلب واودع فيها بخارا لطيفا وصاد بذلك الروح اللطيف وحبسه فى سجن هذا البدن الكثيف لأن ذلك البخار للطافته ناسب الروح العلوى ولنوع جسميتها ناسب البدن الكثيف فصار ذلك البخار طوعا لنزاهته عنه ايضا ربطه الحق به قهرا

(۱) كذا ـ

وهذا

ولهذا قدر مفارقته عنه بهذا العسر الشديد الذى تراه عند مفارقة الروح البدن جزاء لما عصى ربه فى المفرة عما خلقه لاجله ـ ثم ان الروح بعد ما تعلق بالبدن افاض قوى جزئية من محله الاصلى الذى هو القلب الى اطراف البدن حيث افاض الدماغ قوة مدركة والكبد قوة نفسانية الى غير ذلك من القوى الجزئية الحالة فى البدن ـ ثم ان طريق العلم بالروح ويسمى النفس الناطقة اما من طريق القوة المدركة المستمدة من الحواس ويسمي العلم الحصولى ـ او بلا واسطة تلك القوى ويسمى علما حضوريا واسباب العلم الحضورى الفكر والنظر فى المحسوسات واسباب العلم الحضورى تصفية النفس عن الشواغل الدنيوية اذ النفس كالمرآة وقد كدرها الشواغل الحسية فاذاصقلها الانسان عن تلك الشواغل ينتقش فيها المعلومات دفعة بلا حاجة الى التقاطها من طرق الحواس كمرآة مصيقلة حوذى بها شطر النور ـ واما النظر فلا يصقل منها الا قدر ما ينتقش فيها النتائج فلذلك يكون العلم الحضورى اكمل واتم من العلم الحصولى هذا ثم انه كما ان طريق العلم الحصولى النظر، كذلك طريق العلم الحضورى التصفية ، والاول قد مر بما لامزيد عليه واما طريق التصفية فامران اما بقطع النفس عن المألوفات بالرياضات والمجاهدات ويسمى هذا علم الباطن واما بانجذاب النفس الى عالم القدس بعد التصفية بواسطة عشقها الى العالم الروحانى فيفيض لها العلوم الحاصلة فى الروحانيات بالمشاهدة والتحقق ويسمى علم المكاشفة والفرق بين العلمين لايفهم الا بمثال ـ ومثال العلم الحاصل بالتصفية كمرآة صقلت ووصلت اليها النور من كوة تقابلها ومثال الثانى وهو علم المشاهدة كمرآة مصيقلة حوذى بها قرص الشمس ووصل الى ينبوع النور ولما كان العلم الثانى ثمرة للعلم الاول ونتيجة له ذكرنا الاول فى دوحة لها عدة شعب والثانى فى ثمرة لها ـ

الدوحة السابعة

من الرسالة

فى علوم الباطن ولها اربع شعب العبادات والعادات والمهلكات والمنجيات

الشعبة الاولى فى العبادات وتتفرع هذه من عشرة اصول

الاصل الاول العلم وفيه مطالب - (المطلب الاول) فى معرفة فضل العلم والتعلم والتعليم وقد مر شواهد هذه فى صدر الرسالة بما لا مزيد عليه -

(المطلب الثانى) فى معرفة ما يجب على المسلم من العلم - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة - وقال اطلبوا العلم ولو بالصين واختلفوا فى العلم الذى هو فرض عين وادعى كل طائفة ان ما عنده هو ذلك فقال الكلامى الكلام الذى يعرف به ذات الله وصفاته والنبوة والمعاد - وقال الفقيه الفقه الذى يعرف به الحلال والحرام - وقال المفسر والمحدث علم الكتاب والسنة التى يتوصل بهما الى كل العلوم - وقالت المتصوفة علم الحال من تحصيل الاخلاص وترك الآفات اذ بهما يتقرب العبد الى مولاه - وقال بعضهم هو علم الباطن وخصوا الوجوب على اقوام مخصوصين وليس كذلك والصحيح ان المراد به علوم المعاملة دون المكاشفة وهو العلم بالمبانى الخمسة الاسلام كما نطق به الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس فاول الواجب على العاقل البالغ تعلم كلمتى الشهادة ثم وثم وهذا يختلف باختلاف الازمان والاشخاص اذ يجب على من لا يقدر على التفصيل العلم الاجمالى بمضمون هاتين الكلمتين واذا قدر على التفصيل يجب عليه مقدار فهمه والا فلا - وايضا يجب على البالغ تعلم اركان الصلاة ما يصح ويفسد دون الصبي وكذا يجب على الغنى تعلم احوال الزكاة والحج دون الفقير - هذا حال الاعتقاد والعمل - واما الترك فلا يجب على الابكم تعلم حرمة الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم به النظر وعلى هذا القياس وبالجملة الواجب على العبد من العلم هو قدر ما يتجدد عليه من الوقائع من عباداته ومعاملاته وذلك يختلف باختلاف الاشخاص والازمان -

(المطلب الثالث) فى المحمود من العلوم والمذموم منها واعلم ان العلوم اما شرعية تستفاد من الانبياء فقط واما غير شرعية يستبد بادراكها العقلاء وغير الشرعية ان توقف عليه قوام امور الدنيا كالطب لبقاء الابدان وكالحساب لقسمة الوصايا والمعاملات

والمعاملات فهي محمودة بمنزلة الصناعات الجزئية من الفلاحة والحياكة والحجامة والسياسة فهذه من فروض الكفايات فكذا العلوم المذكورة - وان لم يتوقف عليه قوام الدنيا لكن يحسن للانسان تعاطيها فهي فضيلة كالتعمق فى دقائق الحساب والطب - واما ان لم يتوقف عليه شيء من امور الدنيا فان اخل ببعض الامور فهي العلوم المذمومة كالسحر والطلسمات والشعوذة وامثال ذلك من التلبيسات وان لم يخل بذلك فهي العلوم المباحة كالاشعار والتواريخ وما يجرى مجرى ذلك - واما العلوم الشرعية فهي محمودة كلها لكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية وليست كذلك فتقسم الى المحمودة والمذمومة اما المحمودة فاما اصول كالكتاب والسنة والاجماع والقياس واما فروع اما دنيوى كاكثر مسائل الفقه اوأخروى كبعض مسائله ومعرفة احوال القلب من اخلاقها (١) المحمودة والمذمومة واما مقدمات تجرى مجرى الآلات كاللغة والنحو والمعانى وعلم كتابة الخط لانه صار ضروريا فى الغالب لتوقف حفظ العلوم الشرعية عليها واما متممات كعلم القراآت والمخارج فى اللفظ وكعلم التفسير فى المعنى وكمعرفة الناسخ والمنسوخ وغير ذلك من العلوم القرآنية التى سبق تفصيلها - وكذا الحال فى الحديث كعلم أسامى الرجال واحوالهم وغير ذلك - واما العلوم المذمومة فاعلم اولا ان العلم لا يذم من حيث انه علم وانما يذم لأمور اما انه لا يقدر الخائض فيه (على) ادراكه فيكون مذموما فى حقه كاكثر من اشتغل بالعلوم الفلسفية ولم يقدر على تمييز الحق عن خلافه واما لاضراره بغيره كعلم السحر والطلسمات فانهما وسيلة الى اضرار الخلق والوسيلة الى الشر شر - واما لاضراره بصاحبه فى غالب الامر كعلم النجوم فانه من حيث انه حساب للشمس والقمر غير مذموم بل قد ورد فى القرآن (والشمس والقمر بحسبان) وقوله (والقمر قدرناه منازل) بل ذمه من حيث بيان الاحكام وهو مذموم - قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فأمسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابى فأمسكوا - وقال عمر رضى الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى البر والبحر ثم امسكوا - وانما ذم لاحد ثلاثة امور اما انه ربما

---

(١) كذا -

يوهم الخلق ان الكواكب هى المؤثرة فى الحوادث واما لانه ظن وتخمين فالحكم به جهل لا علم وقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلام ثم انمحى وانمحق وما يتفق من الاصابة على الندور فاتفاق كظن الانسان ان المطر ينزل اليوم فيقع واما لانه علم لا ينفع وجهل لا يضر لانه تضييع العمر بلا فائدة - اذا عرفت ان من العلم المحمود والمذموم فاعلم ان من العلوم الشرعية ماهو المحمود صورة والمذموم معنى - منها الفقه وقد كان يطلق الفقه على علم طريق الآخرة و معرفة آفات النفوس ومفاسد الاعمال والاحاطة بحقارة الدنيا وشرف نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب والآن خص بمعرفة الفروع الغريبة والفتاوى العجيبة والاطلاع على عللها وتتبع المقالات المتعلقة بها والاستكثار من المسائل الفرعية حتى تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة سواء تجرد للامور الاخروية اولا - وقد كان فى العصر الاول الاصل معرفة امور الآخرة وامور الدنيا بالتبع لها والآن انعكس الحال فتداخل الذم الى الفقه من هذه الجهة وان (كان) محمودا فى الاصل (ومنها العلم) وقد كان يطلق على العلم بالله تعالى وبآياته وافعاله فى عباده وخلقه وخصصوه اليوم بمن يشتغل بالمناظرة فى المسائل الفقهية وغيرها ويقال نه هو الفحل فى العلم والعالم على الحقيقة ومن لم يكن كذلك يعدونه من الضعفة وان كان عارفا بالله وصفاته والمبدأ والمعاد والتفسير والاخبار (ومنها التوحيد) وقد كان يطلق على ان يرى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الاسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر الا منه جل جلاله والآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بالمناقضات والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسولة واثارة الشبهات وتأليف الالزامات حتى لقب طوائف منهم انفسهم بأهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع ان ابواب الجدل والمماراة كان مما يشتد النكير عليه فى العصر الاول - ومنها الذكر والتذكير وقد كان فى العصر الاول يطلق على التكلم فى علم الآخرة التذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات النفس والاعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر

بآلاء الله سبحانه ونعمائه وتقصير العبد فى شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها وقلة عهدها وخطر الآخرة واهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذى قد ورد الحث عليه فنقل ذلك الآن الى ماترى من حال الوعاظ ومايواظبون عليه من القصص والاشعار والشطح والطامات اما القصص فهو بدعة وقد ورد نهى السلف عن الجلوس الى القصاص لأنهم ان (١) اقتصروا على القصص الواردة فى القرآن لأصابوا لكنهم غيروا وزادوا ونقصوا حتى انهم من سمح نفسه(١) وضع الحكايات المرغبة فى الطاعات ويزعم ان قصده فيه دعوة الخلق الى الحق وهذه من نزعات الشيطان فان فى الصدق مندوحة عن الكذب (واما الاشعار) فاكثرها فى الوعظ مذموم والمستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه ومجالس الوعاظ لاتحوى الاجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات فتحرك الاشعار المشتملة على تواصف العشق ومدح الوصال وبث آلام الهجر ماهى مستكنة فى قلوبهم من نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون على تصور الفساد اللهم الا اذا كانت الاشعار مشتملة على المواعظ والحكم اوكانت الحضار الخواص خاصة فاولئك ينزلون الشعر الوارد فى المخلوق على ما استولى على قلبهم من حب الخالق. (واما الشطح) فاما دعاوى طويلة عريضة فى العشق مع الله والوصال المغنى عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا واما كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة فيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل، وهذا اما ان لا يفهمه القائل ايضا واما لخبط فى عقله وتشويش فى خياله اوتكون مفهومة للقائل ولايقدر على التعبير لقلة ممارسته التعبير عن المعانى بالالفاظ الرشيقة - قال صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفونه ودعوا ما ينكرون أتريدون ان يكذب الله ورسوله - وهذا فيما يفهمه صاحبه فكيف فيما لايفهمه قائله فان كان يفهمه القائل دون السامع فلايحل ذكره (واما الطامات) فمنها ماذكرناه من الشطح وامر آخر وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهر المفهوم الى امور باطنة لايسبق

---

(١) كذا -

منها الى الافهام حقيقة يعتمد عليها كدأب الباطنية فى التأويلات - وهذا ايضا حرام فان الالفاظ اذا صرفت عن ظواهرها بلا نقل من الشرع او دليل من العقل يبطل التعويل على النصوص وبهذا توصل الباطنية الى هدم الشرائع اذ النفوس مائلة الى المستغرب ومستلذة له (ومنها الحكمة) وقد كانت الحكمة تعد خيرا كثيرا كما نطق به التنزيل بقوله (ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا) وقوله صلى الله عليه وسلم كلمة من حكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها والآن نقل الى الطبيب والشاعر والمنجم حتى الذين يدحرجون القرعة على اكف السواد فى شوارع الطرق فانظر هذا النقل من اين الى اين اذا عرفت مثار الالتباس فى العلوم فعليك ان تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف ولا تتدل بحبل الغرور حتى تتشبه بالخلف فاعلم ان من العلم ما هو المذموم قليله وكثيره ولا فائدة فيه دينا ودنيا او ضرره يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم ومنه ما هو المحمود كله كالعلم بالله سبحانه وتعالى وبصفاته وافعاله وسنته فى خلقه فانه بحر لا ساحل له وما خاض فيه الا الانبياء والاولياء والراسخون فى العلم فمفتاحه اولا التعلم والجد ومشاهدة احوال العلماء وآخره المجاهدة والرياضه وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه بانبياء الله واوليائه (واما العلوم) التى لا يحمد منها الا قدر مخصوص فهى العلوم التى هى فروض الكفايات فان لكل علم اقتصارا واقتصادا واستقصاء فان كنت اصلحت نفسك فلا عليك الاستقصاء فيها لاصلاح غيرك ويكفيك الاقتصاد بل هو الخير اذ لا يفى الاعمار بالاستقصاء فى كل العلوم فاستقصاء البعض دون الآخر ليس بخير بل الاحسن الاقتصاد فى الكل - وان لم تكن اصلحت نفسك اولا فاياك ان تقصد اصلاح غيرك وتترك نفسك اذ لا اعظم منه خسرانا فعليك ان تشتغل اولا بتطهير نفسك من ظاهر الاثم وباطنه بحيث تجعله ديدنا وعادة منتشرة فيك - ثم اشتغل بفروض الكفايات على التدريج الذى سنذكر لك ذلك فابتدئ بكتاب الله ثم بسنة رسوله ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه

وكذلك فى السنة - ثم اشتغل بالفروع من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم بقدر ما يتسع له وقتك ولا تستغرق عمرك فى واحد منها طالبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وان طلبت الزيادة عليها واتسع لك الوقت فاقتصر من شائع علم اللغة قدر ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن غريبها على غريب القرآن والحديث وتعد التعمق فيه واقتصر من النحو على قدر ما يتوقف عليه معرفة الكتاب والسنة وتعمق فى التفسير قدر ما يعده العلماء وسيطا. ثم اصرف ذهنك على لطائفه واشاراته - وفى الحديث قدر تحصيل ما فى الصحيحين والصحاح الستة قدر ما يحتاج اليه فى الاعمال وحصل نسخة صحيحة منها او منهما على رجل خبير بمتون الحديث ودع حفظ اسامى الرجال ومعرفة عللهم لأن السلف من جامعى الصحاح قد كفينا (١) مؤنتها - فاما الفقه فيكفى فيه حفظ البداية والوقاية والمنظومة للنسفى - واما الكلام فيكفى فيه قدر محافظة عقائد واردة فى الكتاب والسنة وان قدرت مع ذلك على دفع المبتدعة فأحسن وأحسن واما الخلافيات فلا حاجة لك بها على كل حال اذ الغرض منها اقبال الناس ووفور الحرمة والحشمة عند الولاة وهذا من اخس الاغراض وارذلها سيما اذا ادى الى بذل العلم فى باب هؤلاء سيما مع طلب رضاهم فى الاحكام - اللهم عفوا عفوا - واما المنطق فهو داخل فى علم الكلام - واما الفلسفة فما كان منها مخالفا للشرع فاكثره مباحث علم الالهى وبعض من الطبيعى فذلك فى حكم السحر بل اضر منه لانه يؤدى الى الكفر اسرع من السحر وما لم يكن مخالفا للشرع كبعض مسائل الالهى واكثر مسائل الطبيعى وكل مباحث الرياضى فلا منع عنها فهو فى حكم علم الحساب الا ان يخاف ان يستدرج مشتغله الى العبور الى البواقى فيمنع منها البعض دون ذلك - فالذى يجب عليك الاقبال بعلوم (٢) الآخرة وهى قسمان علوم معاملة وعلوم مكاشفة والاول طريق للثانى - اما علوم المعاملة فهى معرفة احوال القلب اما ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والزهد والرضا

(١) كذا والظاهر - كفونا - ح (٢) كذا -

والقناعة والتقوى والاحسان والسخاء وحسن الظن والخلق والمعاشرة والصدق والاخلاص. واما مايذم منها فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب البقاء فى الدنيا والكبر والرئاء والغضب والفخر والخيلاء والتنافس وطول الامل والفرح بالدنيا والانس بأهلها الى غير ذلك ـ واما علوم المكاشفة فمعرفة ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وافعاله وحكمته ومعرفة معنى النبوة والنبى ومعنى الوحى والملائكة والشياطين ومعرفة الجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول فى جواره الى غير ذلك من الاحوال بأن يرتفع الغطاء ويتضح جلية الحق اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لايشك فيه وهذا ممكن فى جوهر الانسان وانما يشغل عنه كدرة اذورات الدنيا فاذا صقل القلب عنها يتجلى له تلك العلوم بلاشك ويتلألأ فيه انوار تلك الحقائق لامحالة وهذه العلوم لاتسطر فى الكتب ولايتحدث بها الا من يعرفها فلاتحقروا عالما آتاه الله علما فان الله عزوجل آتاه اياه وقال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم يعنى علم المكاشفة اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشىء من هذا العلم وهما البدعة والكبر وقيل من كان محبا للدنيا ومصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم واقل عقوبة من ينكره ان لا يرزق منه شيئا وهو علم الصديقين والمقربين ـ

المطلب الرابع فى آداب المعلم والمتعلم ووظائفهما وقد استوفينا هذا الباب فى اول الكتاب فلانشتغل باملال الاصحاب بسلوك طريق الاسهاب ـ

المطلب الخامس فى آفات العلم وبيان علامات علماء الدنيا وعلماء الآخرة ـ

اعلم انه قدورد فى شأن العلماء نصوص واخبار تدل على انهم اشد عذابا يوم القيامة اذا لم يعملوا بعلمهم والذين يقصدون بعلمهم التنعم فى الدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها ولاحاجة الى ذكر تلك الاخبار والآثار لشهرتها عند العلماء ،

وحاصل

وحاصل الجميع ان العالم الذى هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل ثم ان الفائزين المقربين من العلماء لهم علامات بها تمتاز(١) عن علماء الدنيا - فلنذكر منها مع كثرتها اثنتى عشرة علامة - منها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما كالضرتين متى ارضيت احداهما اسخطت الاخرى وككفتى ميزان فى رجحان احداها خفة الاخرى كالمشرق والمغرب يستلزم قرب احدهما البعد من الآخر فان من لم يعلم كدورة الدنيا وامتزاج لذتها بألمها، بل يقال ان امور الدنيا اما عين الم او مقدمة للألم، فهو فاسد العقل غافل عن المشاهدة والتجربة فكيف يكون من العلماء من لاعقل له - وايضا من لايعلم عظم امر الآخرة ودوامها فهو كافر بالنصوص ومن لا ايمان له لايكون عالما - وايضا من غفل عن مضادة الدنيا والآخرة وان الجمع بينهما نفخ بلاضرم فهو جاهل بالشرائع كلها بل هو كافر بما بين دفتى المصاحف كلها فكيف يعد من زمرة العلماء - ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الدنيا على الآخرة فهو اسير الشيطان وقد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه الدرجة - وقيل -

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

ومنها ان لايخالف قوله فعله بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو اول عامل به ولاينهى الا عن شيء ينتهى هو عنه اولا - قيل -

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما اذ عبت منهم (امورا) انت تأتيها

وقيل

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

والآيات والاخبار والآثار فى هذا الباب اكثر من ان تحصى واشهر من ان تذكر ومنها ان تكون عنايته لتحصيل العلم النافع فى الآخرة المرغب فى الطاعة متجنبا فى العلوم التى يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال - ومنها ان يكون غير مائل الى الترفه فى المطعم والتنعم فى الملبس والتجمل فى الاثاث والمسكن

---

(١) كذا

بل يؤثر الاقتصاد فى جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله سبحانه قربه وارتفع فى علماء الآخرة حزبه والتحقيق ان التزين بالمباح ليس بحرام لكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لاتمكن الابمباشرة اسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها المداهنة ومراعاة الخلق ومراياتهم وامور اخر محظورة فالحزم اجتناب ذلك ـ ومنها ان يكون منقبضا عن السلاطين لايدخل اليهم البتة ما دام يجد عن الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز عن مخالطتهم وإن جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدى السلاطين والمخالط لهم لا ينفك عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدرى نعمة الله تعالى اويسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا اويتكلف فى كلامه بمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح اويطمع فى ان ينال من دنياهم وذلك هوالسحت ـ وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح لعدة شرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط ـ (ومنها) ان لايكون مسارعا للفتوى بل يكون متوقفا متحرزا ماوجد الى الخلاص سبيلا فان وجد عمايعلمه تحقيقا افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادرى وان سئل عما يظنه باجتهاد اوتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره وان كان فى غيره غنية هذا هوالحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم ـ (ومنها) انيكون اكثراهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء فى انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تمر المراقبة فى دقائق علم القلوب والجلوس مع الله عزوجل فى الخلوة مع حضورالقلب بصافى الفكر والانقطاع اليه عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف وكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما يحار فيه عقول ذوى الالباب (ومنها) ان يكون شديد العناية بتقوية

اليقين

اليقين الذى هو رأس مال الدين - واعلم ان اليقين عند المتكلمين هو رجحان احد طرفى الحكم رجحانا لا يقبل التشكيك وهو الذى لا يتصور الايمان بدون بلوغه هذه الرتبة وعند الفقهاء والصوفية واكثر العقلاء ان يستولى ذلك الادراك على النفس ويغلب على القلب وهذا انفعالى للقلب عن هذا الادراك ونفوذه فى القلب مثل تأثير الحناء فى اليد وانفعال اليد منه مثلا يقال ان هذا الرجل لا يوقن بالموت لما انه يغفل عنه ويسهو عن العمل بمقتضاه ويقال هذا الرجل له قوة اليقين بالموت يعنى انه مستغرق الهم فى استعداده مع ان كليهما متساويان فى القطع بموته وربما يعبر عن هذا المعنى بالاذعان وعن الاول بالادراك - والتحقيق فيه انك قد عرفت فيما ذكرناه من التحقيق ان فى الانسان قوة جزئية محلها الدماغ من شأنها الادراك بالنظر وفيه قوة كلية محلها القلب الاول فاليقين بالمعنى الثانى حاصل فيه وهما مشتركان فى معنى التصديق الجازم الثابت المطابق للواقع الا ان الحاصل فى القوة الجزئية لتوقفه على التفات النفس الى ذلك ربما يسهى عنه ويغفل فلا يعمل بمقتضاه بخلاف الثانى فانه الحاصل فى النفس لا فى الآية (١) فلا يحتاج الى التفات النفس الى ذلك مثل احتياجه فى الاول لانه علم حضورى لا يغيب عن النفس فلا يغفل عنه اصلا او لاملابسة الكدورات فالادراكان المذكوران متحدان والتغاير بحسب المحل - ومن نظر الى اتحادهما حقيقة يقول الايمان لا يزيد ولا ينقص ومن نظر الى مغايرتهما بحسب المحل يقول بزيادته ونقصه اذ لا يخفى ان الايمان الحاصل بطريق العلم الحضورى اقوى من الحاصل بطريق العلم الحصولى فاحفظ هذه الغاية لانك قلما تجدها فيما عهدت من الكتب ولذلك ترى اكثر المؤمنين لاقتصارهم بالايمان على الطريق الاول يغفلون عن كثير من احكامه - واما الذين يكملونه على الطريق الثانى ترى فيهم الحياء والخوف والذل والاستكانة والخضوع وغير ذلك من الاوصاف المتشعبة من الايمان (ومنها) ان يكون العالم حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على احواله ويكون نظره مذكرا لله تعالى والآخرة وتكون صورته دليلا على علمه فهم الذين سيماهم على وجوههم من اثر السجود

(١) كذا -

(ومنها) ان يكون اكثر بحثه فيما يفسد من الاعمال وفيما يشوش القلوب ويشوش الوساوس ويثير الشره ولا يكون ممن يتبعون غرائب التعريفات فى الحكومات والاقضية ويتعنون فى وضع صور ينقضى الدهر لا تقع او تقع لغيره لانه اذا وقعت وفى العالمين بها كثرة يكفون مؤنته وما ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للقبول او التقرب من الخلق على القرب من الله تعالى وشرها فى ان يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله تعالى ان لا ينتفع من الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العالمين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين - و(منها) ان يكون اعتماده فى علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما الذى يقلد عليه (١) هو صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما امر به وقاله وانما يقلد الصحابة من حيث ان فعلهم يدل على سماع منه صلى الله عليه وسلم - ثم اذا قلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فينبغى ان يحرص على فهم اسراره ولا يكون وعاء للعلم لا عالما ومن كشف عن قلبه الغطاء صار متبوعا لمن يجيء بعده فلا ينبغى ان يقلد المجتهد الآخر فاذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضى فالاعتماد على التصانيف ابعد لانها محدثة بعد الصحابة وصدور التابعين وانما حدثت بعد مائة وعشرين سنة من الهجرة واما السلف فقد امتنعوا عن تصنيف الكتب بل كتب الاحاديث حتى ان ابابكر كره كتب المصاحف فى مصحف واحد كما عرفت تفصيله وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك تصنيفه الموطأ وقال ابتدع مالم يفعله الصحابة وقيل اول كتاب صنف فى الاسلام كتاب ابن جريج فى الآثار - حروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعانى باليمن جمع فيه سنن شتى منثورة مبوبة ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفيان الثورى ثم فى القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض فى الجدال والخوض فى ابطال المقالات

---

(١) كذا -

ثم

ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ فأخذ علم اليقين فى الاندراس ذلك الزمان حتى صار يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكائد الشيطان واعرض عن ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما واصبح علم الآخرة مطويا (ومنها) ان يكون شديد التوقى من محدثات الامور وان اتفق عليه الجمهور ولينظر هل كان احوال الصحابة واعمالهم التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولى الاوقاف واموال الايتام ومخالطة السلاطين ام الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الاثم وجليله الى غير ذلك واكثر معروفات هذه الاعصار منكرات عصر الصحابة كتزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الاموال العظيمة فى دقائق عماراتها والفرش الرفيعة فيها وقد كان فرش البوارى فى المسجد من بدع الحجاج وكانوا لايجعلون بينهم وبين التراب حاجزا (ومن ذلك) التلحين فى الاذان والقرآن (ومن ذلك) التعسف فى النظافة والوسوسة فى الطهارة مع التساهل فى حل الاطعمة وتحريمها الى غير ذلك فاذا سمعت هذه الاوصاف فكن من اهل الانصاف بأن تنصف بها اوتقر بتقصيرك فيها واياك واياك ان تكون الثالث الشقى فتصير من البطالين حتى تلحق بزمرة الهالكين فنعوذ بالله من خدع الشيطان وبها هلك الجمهور ونسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن لايغره الحياة الدنيا ولايغره بالله الغرور.

المطلب السادس فى العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

اعلم ان شرف العقل معلوم بالضرورة ولا سيما قد ذكرنا شرف العلم والعقل منبعه ومطلعه واساسه ويجرى منه مجرى الشجر من الثمر والنور من الشمس والرؤية من العين فما يدل على شرف العلم دليل على شرف العقل بالضرورة وكيف لايشرف وهو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة اوكيف يستراب فيه واعظم البهائم بدنا واشدهم ضراوة واقواهم (١) سطوة اذا رأى الانسان احتشم وهابه لشعوره بما يختص به من العقل الذى تسهل به الحيل وكذلك ترى كثيرا

(١) كذا.

من الاتراك واجلاف العوام من الاتراك مع قرب رتبتهم من البهائم يوقرون مشايخهم بالطبع - ثم اعلم ان العقل يطلق على معان احدها الوصف الذى يفارق الانسان به سائر البهائم وبه استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهذا ما قيل فى حده انه غريزة يتهيأ بها درك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لادراك الاشياء (وثانيها) انه بعض العلوم الضرورية بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهى العلوم التى تخرج الى الوجود فى ذات الطفل المميز وهو ايضا صحيح لأن هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهرا اذيقال صارالصبى عاقلاوهوبهذا المعنى واما من اثبت هذا ونفى المعنى الاول اعنى الغريزةالمذكورة فقداخطأ (وثالثها) علوم تستفاد من التجارب لهذه الاحوال فان من هذبته التجارب يقال له فى العرف عاقل ويقابله غبى غمر جاهل (ورابعها) ان تنتهى قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها وهى الغاية القصوى للقوة الغريزية المذكورة والمعنيان الأولان بالطبع للانسان والاخيران بالاكتساب - ثم اعلم ان التفاوت يتطرق الى هذه الاقسام سوى الثانى منها لان الضرورى لا تفاوت فيه واما الرابع فلا يخفى تفاوت الناس فيه وذلك بالتفاوت فى الشهوة اذيغلب بعض الشهوة فى البعض فلايقدر على تركه ويضعف فى الآخر فيتركه وقد يتفاوت فى شخص واحد فان الشاب لا يقدر على ترك الزنا بخلاف الشيخ غالبا - واما بالتفاوت فى العلم بغائلة الشهوة كالعامى والعالم فى معرفة ضرر المعصية - واما الثالث فان الناس متفاوتون فى علوم التجارب اذقد يتفاوت الانسان فى الغريزة والتجارب ثمرتها وقديتفاوت فى الممارسة فيتفاوت التجارب - واما الاول اعنى تفاوت الغرائز فلاسبيل الى جحدها لأن من جوزأن عقل النبى صلى الله عليه وسلم مثل عقل السوادية واجلاف البوادى فقد خلع ربقة الانسانية عن عنقه ولولاهذا التفاوت لما اختلف الناس فى فهم العلوم ولما اقتسموا الى بليد لايفهم الابعد تعب طويل والى ذكى يفهم بأدنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق العلوم

يكاد

يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار) وذلك مثل الانبياء عليهم السلام اذ يتضح لهم فى باطنهم امور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى - واما ماتسمع من المتصوفة من ذم العقل والمعقول فذلك اطلاق خامس وهو معنى المجادلة والمناظرة بالمناقضة والالزامات كما هو مدار صنعة الكلام لا انهم يذمون نور البصيرة التى هى اساس العلوم الشرعية وان ذمت هى فما الذى يحمد الا انهم لم يقولوا انكم اطلقتم العقل على معنى مذموم لشيوعه عند الناس فى هذا المعنى لا جرم ذموا العقل والمعقول لكن بهذا المعنى المذموم لا بمعنى كل الاطلاقات والله اعلم -

(الاصل الثانى) فى قواعد العقائد وهى اصل الاصول ومبنى الاسلام ومقدمة جميع الاحكام ومبناها تصحيح كلمتى الشهادة وتفصيلها ويرجع الى معرفة المبدأ والمعاد - ولما كان تفصيلها خارجا عن طوق هذا الكتاب وصارت كتب السلف مشحونة بها ضربنا عن ذلك صفحا والله الموفق - واجمال هذا الكلام ان هذا الركن من الاسلام على اربعة اركان كل ركن عشرة اصول -

(الركن الاول) معرفة الله عزوجل ومداره على عشرة اصول وهى العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة -

(الركن الثانى) فى صفاته وهى ايضا عشرة اصول وهى العلم بكونه حيا عالما قادراً مريدا سميعا بصيرا متكلما متنزها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام والعلم والارادة -

(الركن الثالث) فى افعال الله تعالى ومداره ايضا على عشرة اصول وهى ان افعاله مخلوقة له تعالى وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله تعالى وانه متفضل بالخلق وانه له تعالى تكليف ما لا يطاق وله ايلام (١) البرى ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا بالشرع وان بعثة الانبياء جائزة وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة لا واجب مؤيدة بالمعجزات -

---

(١) كذا -

(الركن الرابع) فى السمعيات ومداره ايضا على عشرة اصول وهى اثبات الحشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة ـ واذا عرفت هذا الاجمال فاطلب تفاصيلها من كتب القوم والغرض بيان عقيدة اهل السنة وانهم بأى عقيدة يمتازون عما عداهم من اهل البدع والاهواء نسأل كمال اليقين والثبات فى الدين لنا ولكافة المسلمين والله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده ـ

الاصل الثالث علم اسرار الطهارة ـ قال الله تعالى (والله يحب المتطهرين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، الطهور نصف الايمان ، واعلم ان الطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث والفضلات ـ والثانية تطهير الجوارح عن الآثام ـ والثالثة تطهير القلب عن ذمائم الاخلاق ـ والرابعة تطهير السرعما سوى الله تعالى وهى طهارة الانبياء والصديقين ـ والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها اذ المقصود فى السر أن ينكشف له جلال الله وعظمته ولن يحل ذلك فيه الا بان يرتحل عنه ما سوى الله تعالى وكذا المقصود فى القلب التحلى بالاخلاق المحمودة ولن يتيسر ذلك الا بالتخلى عن الاخلاق الذمية وكذا المقصود من الجوارح تزينها بالطاعات ولايتيسر ذلك الابتطهيرها عن الآثام . وكذا الحال فى الظاهر فكل من هذه المراتب لايمكن الابتطهير ما قبلها فاصل الكل طهارة السر ولكن تتوقف على طهارة مقدماتها الى ان ينتهى الى طهارة الظاهر ولاتظنن ان هذا ينال بالمنى او ينال بالهوينا والذى يهمنا الآن معرفة احوال طهارة الظاهر وهى اقسام (طهارة) عن الخبث وقد استقصى الكلام فى ذلك فى كتب الفروع (وطهارة) عن الحدث من الوضوء والغسل والتيمم ـ اما الوضوء فقد استوفى الفقهاء فرائضه وسننه وآدابه ولنذكر ههنا بعضا من آدابه وهو انه اذا خرج من الغائط اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه خارجا من الغائط الا توضأ ويبتدئ بالسواك وينوى تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله فى الصلاة وكان صلى الله عليه وسلم يستاك فى الليلة مرارا وكان يقول

عليكم

عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب - وعن على رضى الله عنه السواك يزيد فى الحفظ ويذهب البلغم - ثم يجلس للوضوء ويقول بسم الله الرحمن الرحيم ويقول اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يقول عند غسل يديه اللهم انى اسألك اليمن والبركة واعوذ بك من الشؤم والهلكة - ثم ينوى رفع الحدث او استباحة الصلاة ويقول عند المضمضة اللهم أعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك - ويقول عند الاستنشاق اللهم اوجدنى رائحة الجنة وانت عنى راض وعند الاستنثار اللهم انى اعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار - ويقول عند غسل الوجه اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهى يوم تسود وجوه اعدائك - ويقول عند غسل اليد اليمنى اللهم اعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا - ويقول عند غسل الشمال اللهم انى اعوذ بك ان تعطينى كتابى بشمالى او من وراء ظهرى - ويقول عند مسح الرأس اللهم غشنى برحمتك وانزل على من بركاتك واظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك - ويقول عند مسح الاذنين اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعنى منادى الجنة مع الابرار - ويقول عند مسح الرقبة اللهم فك رقبتى من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال - ويقول عند غسل الرجل اليمنى اللهم ثبت قدمى على الصراط يوم تزل الاقدام فى النار - ويقول عند غسل اليسرى انى اعوذ بك ان تزل قدمى عن الصراط يوم تزل اقدام المنافقين - فاذا فرغ عن الوضوء رفع رأسه الى السماء وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوء وظلمت نفسى استغفرك واتوب اليك فاغفر لى وتب على انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين واجعلنى صبورا شكورا واجعلنى اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا - يقال من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك يوم القيامة -

ومهما فرغ من وضوئه واقبل على الصلاة ينبغى ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو مطمح نظر الخلق فينبغى ان يستحيى من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موقع نظر الرب سبحانه وليس تطهيره الا بالتوبة والخلو عن الاخلاق الذميمة ـ الا ترى ان من قصد مناجاة ملك زين ثيابه مهما امكن وطهره عن الالواث ومع ذلك نجس وجهه الذى محل نظر الملك هل يكون جديرا للتعرض بالبوار عند السلطان ومتصفا بسخافة العقل عند الاخوان ـ

فاما كيفية الغسل والتيمم فمذكورة فى كتب الفروع ولنذكرها هنا آداب التنظف عن الاوساخ والفضلات الظاهرة التى اهملها الفقهاء فى كتب الفروع وهى نوعان عارضى وطبيعى ـ اما الاول فثمانية (الاول) يستحب غسل الرأس وترجيله وتدهينه ازالة للشعث ـ (والثانى) يزيل ما فى معاطف الاذن والصماخ من الدرن والاوساخ لكن ينظفه برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة الدلك ربما يضر بالسمع (والثالث) (والرابع) وكذا ما فى الانف وما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان ويزيله بالسواك (والخامس) ما يجتمع فى اللحية من الوسخ والقمل ويزيله بالغسل والتسريح بالمشط ولكن ينبغى ان يكون قصده ان لا تزدريه العوام ولا تستصغره اعينهم لا التزين الذى هو المكروه للرجال وانك ترى رجالا من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة واذلال المخالفين لا التزين وهذا امر باطن سوف ينكشف يوم تبلى السرائر فنعوذ بالله من الخزى يوم العرض الاكبر (والسادس) وسخ البراجم وهى معاطف ظهور الانامل (السابع) تنظيف الرواجب وهى رؤوس الانامل وماتحت الاظفار من الوسخ كل هذه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيفها فوقت للناس قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة اربعين يوما (والثامن) الدرن فى جميع البدن ويزيله بالحمام وقد دخلت الصحابة حمامات الشام حتى قال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن أبى الدرداء وأبى ايوب الانصارى وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب بالحياء فهذا تعرض

لآفته

لآفته ولذلك لخصلته (١) فلابأس بطلب فا ئدته عند الامن من آفته ولكن يجب عليه وظائف من الواجبات والسنن اما الواجبات ان يصون فرجه عن نظر الغير وعن مسه لازالة الوسخ وغيره خصوصا ما بين السرة والعانة ومافوق الركبة اذ العوام لايتحاشون عن كشفها بناء على انها ليست بعورة غليظة بل التحريم لكونه من حماها فلا يتساهل فى امرها- ومنها ان يغض بصره عن عورة غيره ويمنعهم عن كشفها لأن النهى عن المنكرات واجب ولمثل هذه الآفات صار الحزم ترك الحمام فى هذه الاوقات ولهذا يستحب تخلية الحمام لمن قدر عليها وان لم يقدر واوجبت الضرورة الدخول فليستر عورته بازار وايستر عينيه بازار آخر ليحفظ عينيه عن عورة غيره واما النساء فالافضل منعهن عن الحمام اذا وجد فى البيت مستحم وكذا اذا لم يوجد ولم تقع ضرورة واذا وقعت ضرورة ككونهن مريضة اونفساء فليتزرن بمئزر سابغ وليتحفظن مهما امكن لهن - فاما السنن فتحسين النية بان لايدخلها للتزين والهوى بل للتنظف لاجل الصلاة ويعطى الحمامى الاجرة قبل الدخول وهو الافضل لرفع الجهالة من احد العوضين وتطييب لنفسه واما العوض الآخر فيستعمل من الماء قدرالحاجة ومقدار الحاجة مايعينها العرف ويقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ويدخل وقت الخلوة ويجوزأن يتكلف التخلية للضرورة وان لم يمكن فليدخل مع الاحتياط التام اذا وقعت ضرورة والا فالاحتياط فى الترك - (ومنها) ان لايسلم عند الدخول ولايجيب السلام بل يقول عافاك الله وان اجاب غيره يسكت ولابأس بان يصافح فى الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام ثم لا يكثر الكلام فى الحمام و لا يقرأ القرآن الاسرا ولا بأس بالاستعاذة من الشيطان جهرا - ويكره الدخول بين العشائين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين - ولا بأس بان يدلكه غيره وينبغى ان يتذكر فى الحمام حرجهنم وظلمته ويتعظ بذلك ومهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة ومن منافعه الطيبة ، وما قيل ان الحمام بعد

---

(١) كذا -

النورة امان من الجذام وقيل النورة فى كل شهر مرة تطفىء الحرارة وتنقى اللون وتزيد فى الجماع وقيل بولة فى الحمام قائما فى الشتاء انفع من شربة دواء وقيل نومة فى الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام امان من النقرس - ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذلك شربه - واما التنظف عن الفضلات الطبيعية فثمانية ايضا (الاول) حلق الرأس ولا بأس به للتنظف ولا بأس بتركه لمن يدهن ويرجل، واما القزعة فى المفرق فممنوع لانها من دأب اهل الشطارة وكذلك يمنع ارسال الذوائب لغير الاشراف لانه من شعارهم فيكون تلبيسا (والثانى) قص الشوارب والاحاديث فيه كثيرة واما حلقها فلم يرد وقيل انه مكروه - وبدعة - ولابأس بترك سباله لبعده عن الفم (والثالث) نتف الابط فى كل اربعين يوما وذلك سهل على من تعود ذلك ابتداء واما من لم يتعود وتألم بذلك فيكفيه الحلق اذا لمقصود النظافة وذلك يحصل به (الرابع) حلق العانة اواستعمال النورة ولايتأخرعن اربعين يوما (الخامس) قلم الاظفار ويستحب ذلك لبشاعة صورتها وازالة مايجتمع فيها من الاوساخ وقد امر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكر ما يرى تحت اظفارهم من الاوساخ (السادس والسابع) قطع السرة فى اول الولادة وقته (١) ان يثغر الولد مخالفة لليهود فانهم يختنون فى اليوم السابع من الولادة ولأنه ابعد عن الخطر وقد ورد فى الحديث ختان النساء مكرمة (والثامن) ما طال من اللحية قال الفقهاء اخذ مازاد على القبضة لابأس به قدفعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبى وابن سيرين والنخعى - قال بعضهم تركها واعفاؤها احب واختاره الحسن وقتادة وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحى والمختار التوسط بأن لا ينتهى الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب وهذا افراط فى القص وان لا يطول طولا مفرطا يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنبز اليه ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل وقال الشاعر -

هلوفة يحملها مائق مقلوب هرون بها لائق

---

(١) كذا - وقد سقط ذكر الختان -

والهلوفة

والهلوفة بكسر الهاء وتشديد اللام المفتوحة وواو ساكنة ثم فاء مفتوحة اللحية الطويلة - وما اشتهر بين الطلاب من القاف بدل الفاء فغلط والماثق هو الاحمق ومقلوب هرون نوده - واعلم ان اللحية فيها عشر خصال مكروهة بعضها اشد من بعض (احدها) خضابها بالسواد فهو منهي عنه واول من خضب بالسواد فرعون وعن النبي صلى الله عليه وسلم الخضاب بالسواد خضاب الكفار - وفي رواية خضاب اهل النار - وغير ذلك من الاحاديث - تزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه واطلقوا على انه كان خضب لحيته فرد عمر نكاحه واوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك - الا ان يخضب لاجل الغزو فحينئذ يجوز إن صحت النية ولم يكن فيه هوى ولا شهوة وقد فعله بعض العلماء للغزو (ثانيها) تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار علو السن توصلا الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ واظهارا لكثرة العلم وترفعا عن الشباب وكل هذا منهي عنه للكذب والزور مع اظهار الحمق في اظهار العلم لان كثرة العلم لاتحصل بطول السن ولاتنقص بالشباب بل العلم غريزة تقوى بالشباب وكان عمر يقدم ابن عباس على مشيخة الصحابة ويسأله دونهم وكان ابن عباس يقول ما آتى الله سبحانه عبدا علما الاشابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله تعالى (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) وقوله عزوجل (انهم فتية آمنوا بربهم) وقوله تعالى (وآتيناه الحكم صبيا) وكان انس يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء - فقيل له يا ابا حمزة وقد اسن فقال لم يشنه الله عزوجل بالشيب - وقيل أوشين هو فقال كلكم يكرهه - ويقال ان يحيى بن اكثم ولى القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه كم سن القاضي ايده الله واراد أن يرميه بصغر السن فقال سن عتاب بن أسيد حين ولى امارة مكة وقضاءها فاخجمه - قال مالك قرأت في بعض الكتب لايغرنكم اللحى فان التيس له لحية - وقال على بن الحسين من سبق اليه العلم قبلك فهو امامك فيه وان كان اصغر سنا منك (الثالث) الخضاب بالحمرة والصفرة جائز للغزو والجهاد وايضا ورد في الحديث الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين -

وكان السلف يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة فمن لبس نفسه بالتشبه بالصالحين فهو مذموم كما انه مذموم للتزين وبغض الشيب (الرابع) نتف بياضها استنكافا من الشيب وهونور المؤمن وهذا منهى عنه كالخضاب بالسواد فى العلة (الخامس) نتفها فى اول الشباب تشبيها بالمرد فهو من المنكرات الكبار ونتف بعضها بحكم العبث والهوس مكروه ومشوه للخلقة - وكان ... ينتف فكيه فرد عمر شهادته - وكذا رد ابن أبى ليلى قاضى المدينة - سيما واللحية زينة الرجال - يقال ان لله تعالى ملائكة يقسمون والذى زين بنى آدم باللحى وفيها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع فى المجالس والاحتشام عن التعرض لعرضه - قال اصحاب الاحنف وددنا ان نشترى للاحنف لحية بعشرين الفا - وقال شريح القاضى وددت ان لى لحية بعشرة آلاف درهم - وكان الاحنف وشريح من السادات الطلس وهو جمع الاطلس وهو من لا شعر فى وجهه وهم اربعة والباقيان هما عبد الله بن الزبير وقيس بن سعد بن عبادة (السادس) تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزيين للنساء والتصنع وهذا مكروه (السابع) الزيادة فى اللحية وهوأن يزيد فى شعر العارضين من الصدغ وهو شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى اوينتهى الى نصف الخط وذلك يباين هيئة اهل الصلاح (الثامن) تسريحها لاجل الناس - قال بشر فى اللحية شركان تسريحها لاجل الناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد (التاسع والعاشر) النظر الى سوادها وبياضها بعين التعجب وذلك مذموم فى جميع اجزاء البدن بل فى جميع الاخلاق والافعال وسيأتى تفصيل ذلك بعون الله تعالى -

الاصل الرابع فى علم اسرار الصلاة وفيها مطالب

المطلب الاول واعلم ان للصلاة مراتب واطوارلا تنكشف تفاصيلها الا بمثال وهوأن الانسان لايكون انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن وهو الحياة والروح وباعضاء طاهرة يتوقف عليها الحياة كالقلب والكبد والدماغ وباعضاء لايتوقف

عليها الحياة ولايفوت بدونها مقاصد الحياة كالعين واليدوالرجل واللسان وباعضاء لايتوقف عليها الحياة ولايفوت بدونها مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وباعضاء لا يتوقف عليها ما ذكركلها ولكن يفوت بها كمال الحسن كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحيه والاهداب وتناسب خلقة الاعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض فى اللون فهذه درجات خمس يمكن اعتبارها فى العبادات ـ فروحها وحياتها الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص وسنبينها (والدرجة الثانية) كالركوع والسجود والقيام والقراءة والقعدة الاخيرة اذيفوت وجود الصلاة بفواتها (والدرجة الثالثة) كالسنن من التكبيرة ورفع اليدين والتشهد الاول وقراءة الفاتحة وغيرها مما لاتفوت الصلاة بفواتها لكن تكون خداجا ناقصا (والدرجة الرابعة) هى الآداب المعتبرة فى الصلاة (والدرجة الخامسة) هى لطائف تلك الآداب ـ واعلم ان الصلاة تحفة وقربة لك تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلطان اليه فاذا احسنت الوصيفة فى خلقتها وجمالها وآدابها الظاهرة واخلاقها الباطنة يتقبلها السلطان عند عرض حاجة صاحبها فيعوضه بما يليق بشأن السلطان من الكرامات السنية والعزوالجاه وكذلك الصلاة اذاتقرب الى الله تعالى تامة فى معناها وصورتها وفرائضها وسننها يتقبلها الحق سبحانه وتعالى يوم العرض الاكبر فيجازيها بما لاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر والا تردعليك وتصيرهى خصما عليك وتقول ضيعتنى ضيعك الله فمنتهى نظر الفقيه من الصلاة نظر الطبيب فى الانسان فان الطبيب فى صدد حفظ صحته وابقاء حياته وان كان مشوه الخلقة مذموم الخلق كذلك الفقيه ينظر فى احوال الصلاة مقدار ما لا تكون الصلاة صلاة اذا لم يراع شرائط الفقه ـ وانما الذى ينظراليه اصحاب القلوب نظرمن يهدى العبيد الى السلطان حيث ينظر الى درجات يكمل بها رتبة الانسانية صورة ومعنى ـ كذلك العارف ينظر الى الصلاة مقدار ما يكون مقبولا عند الملك الديان وسببا للفوز من الرضوان ـ ولما عرفت فى الكتب الفقهية مرتبة نظر الفقيه فلنبين

هاهنا الاحوال المعتبرة فى الصلاة عندالعارف بالله تعالى وصفاته -

المطلب الثانى

الشروط الباطنة من اعمال القلب - منها علم الخشوع وحضورالقلب - قال الله تعالى (اقم الصلوة لذكرى) والغفلة ضد الذكر - وقوله تعالى (حتى تعلموا ما تقولون) وسكر الغفلة يشاركه فى هذا المعنى - وقوله صلى‌الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع - ويفهم منه الحصر - وقوله من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الابعدا - وصلاة الغافل لاتمنع منها - وقوله كم من قائم حظه من الصلاة التعب والنصب - وقوله ليس للعبد من صلاته الا ماعقل وايضا الشرع دل على ان المصلى مناج ربه ، ومن المعلوم ان الغفلة تنافى المناجاة اذا عرفت هذا فاعلم ان طريق دفع الغفلة هوأن الصلاة ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود (اما الذكر والقراءة) فالمقصود منهما الحمد والثناء والتضرع والدعاء ولابد أن تخاطب به الحق تعالى والالم يكن ذكر وقراءة - وخطابه تعالى لا يمكن بالمشافهة فهو بالقلب - فالغفلة تنافى المقصود من الذكر والقراءة - وايضا الصلاة شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الايمان فيه ولا نفع لمجرد حركة اللسان فيما ذكر وذلك ظاهر فلابد من حضور القلب (واما الركوع والسجود) فالمقصود بهما التعظيم ولوجاز التعظيم بمجرد حركة البدن لم يبق فرق بين تعظيم الخلق والخالق ولم تكن الصلاة من الامور التى يمتحن بها المسلمون وتجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ومن عرف سر الصلاة علم ان الغفلة تضادها وان حضور القلب روح الصلاة فان اقل مايبقى به رمق الصلاة الحضور عند التكبيرة فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح فى اجزاء الصلاة - واما امر الفتوى فلما كان لعامة الناس بحيث لا يخص البعض دون البعض كما قال صلى الله عليه وسلم فى حق الفتوى حكمى على الجماعة حكمى على الواحد ، ولما عجز الكل عن حضور القلب فى جميع اجزاء الصلاة واشترطوا الحضور ولو فى لحظة ولما صار الاولى بذلك

التكبيرة الافتتاح لان احكام الاساس احكام للبناء من غير عكس اشترطوا الحضور عندها - واما القيام والقعود فان القيام تنبيه على اقامة القلب على نعت من الحضور فالغفلة رد للقلب عن الاقامة فكما ان الالتفات بالجسد يورث الكراهة كذلك الالتفات بالقلب بل ذلك أشد كراهة بل لاتكون صلاة عند التحقيق وان لم يعده الفقهاء من المفسدات وذلك لبحثهم عن افعال البدن دون افعال القلب والا فلو سئلوا عن ذلك لأجابوا بما ذكرناه - اللهم الا من لايعرف من الفقه لاظاهره ورسمه - وكذا القعود فكما ينبغى ان يكون البدن على وجه الادب قعود الناس عند السلاطين كذلك يكون قلبك عنده على ان تشكر الله تعالى على توفيته لهذا العمل الصالح واتمام هذه الطاعة وان يخاف منه تعالى انه فرغ من فعل هل وقع له محل فى حضرته ام رد وضرب به وجه صاحبه وان يتذكر فى قلبه انه مودع لصلاته وربما لايعيش لمثلها - اذا عرفت هذا فلنذكر سبب حضور القلب وثمراته واعلم ان حضور القلب هو خلو القلب عن غير من يناجيه وسببه الهمة فان القلب تابع للهم شاء صاحبه ام أبى ولا حيلة فى صرفه عن الدنيا وحصر همه فى الصلاة الاملاحظة ان الغرض الاصلى من الحياة الايمان بالمبدأ والمعاد ومعرفة ان الدنيا احقر من ان يتلهى بها وان الآخرة خير وابقى - وهذا الغرض لايحصل الابالصلاة فالملاحظة المذكورة وسيلة الى جعل الصلاة اكبر هم المصلى وهذا الهم يثمر حضور القلب (واما ثمرات حضور القلب) فمنها التفهم وهو اشتمال القلب على ملاحظة المعنى من اللفظ فكم من رجل يحضر قلبه مع اللفظ دون المعنى فكم من معنى لطيف يفهمه المصلى فى اثناء الصلاة ولم يكن يفهمه قبل ذلك وهذه هى الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر لامن يقرأ وهو غافل عن معنى ما قرأه وسببه بعد حضور القلب الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة بالنزوع عن اسباب تجذب الخواطر الى الشواغل الدنيوية ، فمن احب شيئا اكثر ذكره ولذلك من احب غير الله لا تصفوله صلاة عن الخواطر (ومنها التعظيم) وهذا أمر وراء ماذكرناه اذكم من رجل حاضر القلب اذا خاطب عبده لايكون معظما

له فهو حالة للقلب يتولد من معرفتين احدها معرفة جلال الله تعالى وعظمته وثانيهما - معرفة حقارة النفس وكونها مسخرا لربها فيتولد منهما الاستكانة والانكسار والخشوع المعبر عنه بالتعظيم (ومنها الهيبة) وهى أمر زائد على التعظيم منشأها خوف يصدر عن الاجلال لامطلق الخوف فان من خاف من السبع لايجله ولايهابه وهذه تتولد من معرفة كونه تعالى غنيا عن العالمين بحيث لواهلك الاولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة مع نفوذ قدرته وغلبة سطوته - ومن طالع مايجرى على الانبياء والاولياء من المصائب والبلاء مع قدرته على عافيتهم يعرف جلال الله تعالى وقهره فيحصل من هذه المعرفة الهيبة (ومنها علم الرجاء) وهذا زائد على الهيبة اذ كم من واحد يهاب ملكا ولايرجوه والعبد ينبغى له ان يرجو ثواب الله تعالى بصلاته كما انه يخاف بتقصيره عقاب الله فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه فى وعده الجنة للمصلى فمن اليقين بلطفه وصدق وعده يتولد الرجاء ويمحى ايمانه بين الخوف والرجاء الذى لامهرب عن التوسط بينهما (ومنها علم الحياء) فهو زائد على الكل اذ يمكن تصور التعظيم والخوف والرجاء لمن لا يتوهم التقصير والذنب وسببه استشعاره التقصير فى العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظم حق الله عزوجل سيما اذا عرف عيوب نفسه وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخيلتها وميلها الى الحظ العاجل مع العلم بعظيم جلال الله وبأنه مطلع على السريرة وخطرات القلب وان دقت وخفيت - وهذه المعارف اذاحصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء واذا عرفت ان هذه الثمرات اصلها حضور القلب وان سببه دفع الخواطر وكان ذلك من صعاب الامور للسالكين فلا علينا ان نذكرههنا بعضا من علاج دفع الخواطر -

واعلم ان الخواطر إما حسى اوخيالى فالاول ما يشغله من طرق الحواس الظاهرة واكثرها منها السمع والبصر - اما السمع فكأن تشغل المصلى اصوات الطيور اذا صلى فى حائط اوسمع من ينشد شعرا اويقص شيئا - واما البصر فكأن يشغله

ماله

ما له وقع فى قلبه وهو بمر أى فى صلاته اويشغله شىء له بريق ولمعان او علم كما ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخميصة التى اتاه بها أبوجهم وعليها علم وقال اذهبوا بها الى أبى جهم فانها الهتنى آنفا عن صلاتى وأتونى بانبجانية أبى جهم - ونظائر هذه الاسباب ان يغض بصره الاعن موضع سجدته اولا يترك فى البيت ما يشغله اويصلى فى بيت مظلم وكان بعض العلماء يقرب من حائط عند صلاته حتى لايتسع مسافة بصره ولهذا يحترز من الصلاة على الشوارع وفى المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة والاولى للمبتدئ اختيار البيت المظلم لحفظ بصره اوالصغير لجمع همه واما الاقوياء فيحضرون المساجد ويقدرون على غض البصر حتى لايعرفون من على يمينهم وشمالهم - واما الاسباب الخيالية فاصعبها علاجا واشدها على القلب فان من تشعبت به الهموم فى اودية الدنيا لم ينحصر فكره فى فن واحد بل لا يزال يطير من امر الى آخر وغض البصر لا يغنيه فعلاجه صرف النفس الى فهم مايقرأه فى الصلاة ويشغلها به عن غيره ويستعين على ذلك بان يذكر قبل التحريمة امر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدى الله عزوجل وهول المطلع وان يتذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم صلوا صلاة مودع بان يفرض فى نفسه انه آخر صلاة يصليها وانه آخر عمل يختم به على اعماله - ودفع الخواطر من أصعب الامور وشبهوها بالذباب لانه كلما ذب آب ولهذا سمى ذبابا كذلك الخواطر كلما اردت دفعها تهجم عليك من كل جانب يعرفها من يزاول علاجها الا ان اصل ذلك كله حب الدنيا الذى هو رأس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل فساد - ومن انطوى باطنه على حب الدنيا فلا يطمعن فى ان تصفو له لذة المناجاة فى الصلاة ومن فرح بالدنيا فلا يفرح بالله عزوجل وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه وهذا هو الدار (١) المر - ولهذا استبشعه الطباع وبقيت العلة مزمنة والداء عضالا حتى يئس بعض من القاصرين عن دفعها حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلى ركعتين لايحدثون انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا واذا كان حالهم كذلك فلا مطمع فيه

---

(١) كذا ولعله - الدواء -

لأمثالنا ولیته سلم من الصلاة شطرها او ثلثها لیکون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سیئا ولکن علو الهمة من الایمان فعلیك ان لا تترك المجاهدة وتدخل نفسك فی زمرة الرجال ـ وللحروب رجال وللثرید رجال ـ

المطلب الثالث

فی بیان کیفیة احضار القلب عند کل رکن وکل شرط شرط

اما الشرائط (فمنها الاذان) فاذا سمعت النداء فاحضر فی قلبك هول النداء یوم القیامة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعین الیه هم الذین ینادون باللطف یوم العرض الاکبر ـ فاذا وجدت فی قلبك عند النداء الفرح والاستبشار فلك البشری بالنور یوم الفصل (ومنها الطهارة) فانك اذا أمرت بتطهیر ظرفك الابعد وهو المکان وظرفك الاقرب وهو الثیاب وقشرك وهو بدنك فما ظنك بلبك وهو موضع نظر معبودك فبادر بالتطهیر بالتوبة والندم علی ما فرط وتصمیم العزم علی الترك فی المستقبل فهذا تطهیر باطنك (ومنها ستر العورة) فاذا وجب ستر مقابح بدنك عن الخلق فکیف ستر مقابح قلبك عن الخالق وهو موضع نظره فاذا لم یستر ذلك عن الله تعالی ساتر فعلیك بمحوها عن قلبك بالندم والحیاء والخوف فتذل به نفسك وتستکن تحت الخجلة فتقوم بین یدیه قیام العبد المسیء الآبق عند مولاه (ومنها الاستقبال) فهو فی الظاهر صرف وجهك عن سائر الجهات الی جهة بیت الله فاذا کان هذا مطلوبا منك فتری ان صرف القلب من سائر الامور الی امر الله عزوجل لیس مأمورا؟ هیهات هیهات فلامطلوب منك الا مطابقة وجه قلبك وجه قالبك فکما لا یتوجه الوجه الی جهة البیت الا بصرفه عن سائر الجهات کذلك لاینصرف القلب الی الله عزوجل الابالتفریغ عما سواه (ومنها الاعتدال) وهو مثول بین یدی الله عزوجل بالقلب والبدن فلیکن رأسك مطرقا مطأطئا مستکینا ذاکرا خطر القیام بین یدی الله عزوجل فی هول المطلع عند العرض والسؤال بل انك قائم بین یدیه فی الحال وان کنت تعجز عن معرفة کنه جلاله فقدر ان رجلا صالحا من اهلك او ممن ترغب فی ان یعرفك بالصلاح

فعند

فعند ذلك كيف تخشع جوارحك خيفة ان ينسيك ذلك العبد العاجز الى قلة الخشوع فاذا انصفت نفسك بهذا واعترفت فقل لها انك تدعى معرفة الله وحبه فلاتستحيى منه ان تخشى عبدا من عباده والله احق ان تخشاه (ومنها النية) فاعزم على اجابة الله عز وجل فى امتثال امره رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقرب منه متقلدا للمنة باذنه لك فى المناجاة مع انك فى اين من جنابه وعظم فى نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجى وكيف تناجى وبماذا تناجى بحيث يليق ان يعرق جبينك من الخجل وترتعدفرائصك من الوجل ويصفو وجهك من خوف الزلل -(ومنها التكبير)فاذ انطق بهلسانك فينبغى ان لايكذبه قلبك كما اذا كنت اطوع لهواك منك لله عزوجل فيوشك ان يكون التكبير كلاما مجردا وما اعظم هذا الخطر لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكبرياء الله عزوجل وعفوه -(ومنها دعاء الاستفتاح) فاذا قلت(إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض) فان اردت وجهك الظاهر فقداثبت لله جهة وان اردت وجه قلبك وانت عن الله ساه وغافل يكون كذبا فأى شىء تطمع فى صلاة اولها كذب واختلاق واياك واياك عن ذلك فاجتهد فى ان تصرف وجه القلب فيما سواه اليه وان كان فى حال ذلك كلام -(ومنها القراءة) فالناس فيها اما رجل يتحرك لسانه وقلبه عن لسانه ذاهل واما رجل يتبع لسانه قلبه ويكون لسانه ترجمان قلبه فيفهم منه كأنه يسمعه من غيره وهذه درجة أصحاب اليمين واما رجل سبق قلبه الى المعانى ويخدم لسانه قلبه ويكون لسانه ترجمان قلبه وفرق بين ان يكون لسانه ترجمان قلبه وبين ان يكون معلم قلبه وهذه درجة المقربين -(ومنها الركوع والسجود) فينبغى ان تجتهد عند ذلك فى ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتقصد تواضعا بهما سيما عند السجود فانه على درجة الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لاتجعل حائلا بينه وبين الارض فافعل فانه ادل على الذل واجلب للخضوع فعند ذلك يظهر لك خلقت من التراب ورددت الى اصله فاكره بالتكرار فان المرة الواحدة ضعيفة الاثر فعند ذلك فليصدق رجاؤك فى رحمة ربك فانها تتسارع

الى الضعف و الذل لا الى التكبر و البطر - (ومنها التشهد) فاجلس فيه متأدبا و تأمل معنى التشهد بتمامها واجعل مفهوم ذلك حالالك كأنك تتحقق به - ثم ادع بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة واقصد عند التسليم السلام على الملائكة الحاضرين وعلى من فى يمينك اويسارك من جماعة المؤمنين فاذا اتممت الصلاة فاشكر الله تعالى على التوفيق بمثل هذه النعمة الجزيلة واخطر ببالك انك مودع لصلوتك هذه - وربما لاتعيش لمثلها - قال النبي صلى الله عليه وسلم صل صلوة مودع - ثم كن بين خصلتين خصلة الوجل والحياء من التقصير فى الصلاة وان تكون ممقوتا بذنب ظاهر وباطن فترد صلاتك فى وجهك وخصلة الرجاء فى أن يقبلها بفضله وكرمه - واما صلاة الغافلين فانها على خطر الا ان يتغمد الله برحمته فالرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله تعالى ان يغمرنا برحمته ويتغمدنا بمغفرته اذ لاوسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته ثم اذا امكن له الصلاة على ماوصفناه يكون سببا لحصول انوار فى القلب ينفتح بها علوم المكاشفة فالمكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما يكاشفونها فى الصلاة لاسيما فى السجود واذ لا قرب من الرب اكثر منه - قال عزوجل (واسجد واقترب) وتختلف تلك المكاشفة بالقوة والضعف والقلة والكثرة والجلاء والخفاء على قصد صفاء المصلى عن الكدورات البشرية حتى ينكشف لبعضهم اعيان الاشياء ولبعضهم مثالها كصورة الجيفة للدنيا وصورة الكلب الجاثم عليها - وايضا تختلف باعتبار صرف الهمة فمن واحد ينكشف له من صفات الله وجلاله ومن آخر من افعاله ومن آخر من دقائق علوم المعاملة ويكون ليقين تلك المعانى فى كل وقت اسباب خفية لا تحصى فلما كانت المكاشفة بقدر صقالة القلب ولم يتحقق ذلك فى الاكثر حرموا عنها ومع ذلك لم يكتفوا بنقيصة الحرمان بل وقعوا فى حب الانكار لما ان الطباع مجبولة على انكار غير الحاضر لكن اياك اياك ان تنكر امثال ذلك فان منح الله تعالى خارجة عن اطوار الطباع والعقول والله تعالى هو المسؤول لنيل المأمول -

المطلب الرابع

فى علم وظائف الامامة

(اولها) ان لا يتقدم على قوم يكرهونه وان اختلفوا فالامر الى الاكثر الا ان يكون الاقل اهل الخير، وايضا التقدم على من هو افقه واقرأ منه الا اذا امتنع هو فاذا حصل له شرائط الامامة يكره له المدافعة وقد قيل ان قوما تدافعوا الامامة بعد الاقامة فخسف بهم وما روى عن مدافعة الصحابة لايثار من هو اولى منه اوخوفهم على انفسهم الشهرة وخطر أن الائمة ضمناء وربما يشتغل قلب من لم يتعود ذلك حياء من المتقدمين سيما فى الجهر بالقراءة فيفوته الاخلاص والخضوع (وثانيها) اختيار الامامة على الاذان اذا خير بينهما وقيل بل يختار الاذان ولكن الجمع مكروه والاختلاف بالنظر الى تعارض الاخبار فى فضائل كل منهما (وثالثها) ان يراعى الامام الاوقات فيصلى فى اوائلها ففضل اوائلها على اواخرها كفضل الآخرة على الدنيا حتى رجحوها على الانتظار لكثرة الجماعة حتى روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخر عن صلاة الفجر فى سفر لأجل الطهارة فقدم الصحابة عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه حتى فاتته ركعة فقام يقضيها حتى قال احسنتم هكذا فافعلوا وقد تأخر فى صلاة الظهر فقدموا ابا بكر رضى الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم فى الصلاة فقام الى جانبه، ولا ينتظر الامام المؤذن ولا غيره وانما ينتظر المؤذن الامام (ورابعها) ان يؤم مخلصا ومؤديا امانة الله تعالى فى جميع شرائطه واركانه ومن الاخلاص ان لا يأخذ عليها اجرا وكذا المؤذن لكن هذا إن اخذ الاجر من المقتدين وان اخذ رزقا من المسجد قد وقف على من يقوم فى هذا الموضع إما من السلطان اومن غيره فلا يحكم بحرمته ولكنه يكره ولكن يكون الاجر فى مقابلة مداومته على حضور الموضع ومراقبته مصالح المسجد فى اقامة الجماعة لا على نفس الصلاة والفتوى اليوم على الجواز والكراهة عند المتورعين والعاملين بالعزيمة (وخامستها) الطهارة باطنا عن الفسوق والكبائر والاصرار على الصغائر والقوم كالوفد وهو شفيعهم فهو اولى بهذه فان تذكر حدثا فى اثناء صلاته

فلا ينبغي ان يستحيي بل يستخلف من يقرب منه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة (وسادستها) ان لا يكبر حتى يسوى الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان رأى خللا امر بالتسوية - وكان السلف يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب والمؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان ليتفرغ الناس ويستعدوا ، وفي الخبر ليتمهل المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر مايفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره لانه نهى عن مدافعة الاخبثين وامر بتقديم العشاء على العشاء (وسابعتها) ان يخفف الركوع والسجود ولايزيد في التسبيحات على ثلاث هذا اذا كثر الجمع واما اذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا بأس بالتسعة ، ولا يزيد في دعاء التشهد على المأثور ولا يخص في الدعاء نفسه بل يأتي بصيغة الجمع وينوى بالتسليمتين القوم والملائكة وان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن واذا وثب يقبل بوجهه على الناس ولايقوم المأموم قبل انفتال الامام - واما باقي الاداب والشرائط فمذكورة في كتب الفقه فليطلب منها فانا لم نلتزم الا ذكر ما اهمله الفقهاء -

المطلب الخامس

في فضل الجمعة وآدابها وسننها

والأحاديث والآثار في فضلها كثيرة مشهورة ومال الكل الى ان هذا اليوم عظم الله تعالى وسبحانه به الاسلام وخصص به المسلمين حتى حرم الاشتغال بعد النداء بكل صارف عن السعي الى الجمعة - وفي الحديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه - وفي لفظ آخر فقد نبذ الاسلام على ظهره - ثم انها تشارك سائر الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط (احدها) الوقت حتى لو وقعت التسليمة خارج وقت الظهر فاتت الجمعة فعليه ان يتمها ظهرا وفي المسبوق خلاف (وثانيها) المكان فلا يصح الا في المصر وقد عرفته في علم الفقه ويشترط اذن السلطان (وثالثها) يشترط الجماعة الا في سائر الصلوات وعند بعضهم اربعون ذكورا مكلفين احرارا مقيمين فان نقص واحد ولو في الخطبة

والصلاة

والصلاة تبطل (ورابعها) اتحاد الجماعة فلو صلى اربعون متفرقين ماتصح (وخامسها) ان لاتصح جمعتان فان فعلوا فالصحيح هو الا قدم تحريمة الا ان تقع ضرورة - (وسادسها) الخطبتان وقيل تصح بقوله الحمد لله وقيل لابد من خطبتين طويلتين يجلس بينهما و قيل هما فريضتان والقيام فيهما فريضة وكذا الجلسة بينهما - وفى الخطبة الاولى اربع فرائض التحميد واوله الحمدلله، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والوصية بتقوى الله سبحانه، وقراءة آية من القرآن، وكذا فرائض الثانية الا انه يجب الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبة واجب على الاربعين - واما السنن فان زالت الشمس وأذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لاينقطع الابافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم بوجهه يردون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام الامام مقبلا بوجهه على الناس لايلتفت ويشغل يديه بقائمة السيف او العنزة كى لايعبث بهما ويضع احداهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولايستعمل غريب اللغة ولايتمطط ولايتغنى وتكون قصيرة بليغة جامعة - وتستحب قراءة الآية فى الثانية ايضا ولايسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب احسن ولايشمت العاطس ايضا- هذه شروط الصحة- واما شروط الوجوب فقد علم فى الفقه - واما آدابها فهى عشرة (الاول) ان يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر لأنها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة فى يوم الجمعة ويغسل ثيابه ويختار البيض ويعد الطيب ويفرغ قلبه من الاشغال المانعة من البكور الى الجمعة وينوى فى هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا لامفردا فانه مكروه بل مع ضم الخميس والسبت وليشتغل باحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة وقيل ويجامع اهله فى هذه الليلة واستحبوا اخذا من حديث من بكر وابتكر وغسل واغتسل وقالوا معناه حمل اهله على الغسل - ويروى بالتخفيف اى غسل ثيابه وبهذه الآداب يدخل فى زمرة الغانمين ويخرج

من زمرة الغافلين كما قال بعض السلف أوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الامس وأخسهم نصيبا من اصبح فيقول ايش اليوم - وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة فى المسجد الجامع لأجلها (والثانى) اذا اصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر فان كان لايبكر فاقربه الى الرواح احب ليكون اقرب عهدا بالنظافة وهذا الغسل مستحب استحبابا مؤكدا وعند البعض سنة وعند آخرين واجب ومن اغتسل ثم احدث لم يبطل غسله والاحب ان يحترز (الثالث) الزينة وهى مستحبة فى هذا اليوم وهى بالكسوة والنظافة والطيب اما الكسوة فاحبها البيض من الثياب ولايلبس ما فيه شهرة ولا السواد وليس فى لبس السواد فضيلة فضلا عن كونها سنة بل قيل انها بدعة محدثة والعامة مستحبة فى هـذا اليوم سيما من وقت السعى الى الجمعة الى تمام الصلاة - واما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وما يشابه هذه ، قال ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه داء وادخل فيه شفاء - فان كان قددخل الحمام فى الخميس اوالاربعاء فقد حصل المقصود وليتطيب فى هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب به الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والرائحة الى مشام الحاضرين فى جواره واحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه، روى ذلك فى الاثر قال الشافعى من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله(الرابع) البكور الى الجامع وفضله عظيم ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين وثلاثة ويكون سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف فيه قاصدا للمبادرة الى جواب نداء الله والمسارعة الى مغفرته ورضوانه والفضل لمن راح الى الجمعه فى الساعة الاولى ثم الثانية الى ان نخرج الامام وحينئذ طويت الصحف ورفعت الاقدام والاخبار فى هذا الباب كثيرة(الخامس) فى هيئة الدخول ينبغى ان لايتخطى الرقاب ولايمر بين ايديهم والبكور يسهل عليه ذلك اللهم الا ان يجلسوا عند باب الجامع وفى قدام الجامع موضع خال فانه لاحرمة لهم كذا روى عن الحسن وعنه ايضا اذا لم يكن فى المسجد الا من يصلى فينبغى ان لايسلم لأنه تكليف

جواب

جواب فى غير محله (السادس) ان لايمر بين يدى الناس وليجلس هو الى قرب من اسطوانة او حائط حتى لايمر بين يديه فان ذلك لايقطع الصلاة ولكنه منهى عنه وان لم يجد حائطا او اسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر الذراع ليكون ذلك علامة لحده ـ (السابع) ان يطلب الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه فى الخبر من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان له كفارة ما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة ايام ـ وفى لفظ آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى الا ان فى طلب الصف الاول شرائط ثلاثة احدها ان لايرى هناك من الامام وتوابعه منكرا يعجز عن تغييره والا فالتأخر له اسلم واجمع للهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة منهم بشر بن الحارث وقيل له فى التأخر قال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد ـ وثانيها ان لا يكون عند المنبر مقصورة منقطع من المسجد للسلاطين واما المقصورة فقد كره بعضهم الصلاة فيها الا ان الاقرب ان الكراهة لأجل التخصيص والمنع والا فلا كراهة ـ وثالثها ان المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد المتصل الذى فى فناء المنبر لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع ويكره الصلاة فى الاسواق والرحاب الخارجة من المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب ـ (الثامن) ان يقطع الصلاة والكلام عند خروج الامام بأن يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة ـ وان كان بعيدا قيل يجوز أن يتكلم فى العلم وغيره لكن الاولى السكوت اذ الصلاة اذا حرمت فى ذلك الوقت فحرمة الكلام فيه اولى ـ (التاسع) ان يراعى فى قدوة الجمعة ما ذكرناه فى غيره فاذا فرغ من صلاة الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد والمعوذتين سبعا سبعا فقد روى عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ـ ويستحب ان يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك ، يقال من داوم على هذا الدعاء اغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب

ثم يصلى بعد الجمعة ست ركعات وفى رواية اربعا وفى رواية ركعتين والكل صحيح فى احوال مختلفة والاكمل الافضل ـ

(العاشر) ان يلازم المسجد حتى يصلى العصر فان وقف الى المغرب فهو افضل وكان للاول ثواب الحج وللثانى ثواب العمرة فان لم يأمن من التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه اويخاف الخوض فيما لايعنى فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا الله عزوجل مفكرا فى آلائه شاكرا على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغى ان يتكلم فى الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا فانه منهى عنه ـ

بيان آداب نهار الجمعة وهى سبعة

(الاول) حضور مجالس العلم بكرة اوبعد الصلاة وبعد العصر ولا يخلو المريد فى جميع يوم الجمعة عن الخيرات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو فى خير وان وجد عالما يذكر بايام الله عزوجل ويفقه فى دين الله يجلس اليه واستماع العلم النافع فى الآخرة افضل من النافلة ـ فقد روى أبو ذر أن حضور مجلس العلم افضل من الف ركعة وكذا يزجر القصاص ويخرجهم من المسجد لانه لاخير فيهم وانه بدعة وقد كثر نكير الصحابة فى حق القصاص (الثانى) ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ـ وفى الخبر المشهور إن فى الجمعة ساعة لايوافقهاعبد مسلم يسأل الله عزوجل فيها شيئا الا اعطاه ـ وفى خبر آخر لايصادفها عبد يصلى ـ واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عندالزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر وأخذ فى الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل آخر وقت العصر وقيل قبل غروب الشمس ويروى هذا عن فاطمة رضى الله عنها ترويها عن ابيها صلى الله عليه وسلم ـ وقال بعض العلماء هى مبهمة فى جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعى على مراقبتها وقيل انها تنتقل فى ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر ـ قال الغزالى وهذا هوالاشبه وله سر لايليق بعلم المعاملة ذكره ـ واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم ان لربكم فى ايام دهركم نفحات

ألافتعرضوا

ألا فتعرضوا لها - فينبغي ان يكون العبد فى جميع نهاره متعرضا له باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات

(الثالث) يستحب ان يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم ويقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي - ولو اتى بالمشهور فى التشهد لكان مصليا ايضا وينبغي ان يضيف اليها الاستغفار فان ذلك مستحب ايضا فى ذلك اليوم -

(الرابع) ان يكثر من قراءة القرآن خاصة سورة الكهف، عن ابن عباس وأبى هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطى نورا من حيث يقرأها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفى من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال - ويستحب ان يختم القرآن فى يوم الجمعة ان قدر وليكن ختمه القرآن فى ركعتى الفجر (اذا) قرأ بالليل وفى ركعتى المغرب وبين الاذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العباد يستحبون ان يقرؤا يوم الجمعة قل هو الله احد الف مرة يقال ان من قرأها فى عشر ركعات او عشرين فهو افضل من ختمة وكانوا يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم الف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وان قرأ المسبحات الست فى يوم الجمعه اوليلتها فحسن - وليس يروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سورا باعيانها الا فى يوم الجمعة ولياليها وكان يقرأ فى صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد، وفى العشاء الآخرة سورة الجمعة وسورة المنافقين وكان يقرأهما فى ركعتى الجمعة وكان يقرأ فى صبح الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل اتى على الانسان -

(الخامس الصلاة) يستحب ان يصلى اذا دخل المسجد قبل ان يجلس اربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله احد مائتى مرة فى كل ركعة خمسين مرة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ولا يدع

ركعتى التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف ويصليها بعد تصلية(١) الامام الى جانبيه اذ حينئذ يشرع فى مدح السلاطين ولايجب استماعه - ويستحب فى هذا اليوم ان يصلى اربع ركعات باربع سور سورة الانعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولايدع قراءة هذه الاربع سور من ليلة الجمعة ففيه فضل كثير ومن لايحسن قرأ مايحسن فهو له بمنزلة ختمة ويكثر من سورة الاخلاص - ويستحب ان يصلى فى هذا اليوم صلاة التسبيح وستعرفها وكان ابن عباس يصليها بعد الزوال والاحسن فى يوم الجمعة ان يشتغل بالصلاة الى الزوال وبعد الجمعة باستماع العلم الى العصر ثم بالتسبيح والاستغفار الى المغرب -

(السادس) الصدقة وهى تضاعف فى هذا اليوم الا ان يتصدق على من سأل والامام يخطب لانه مكروه - وكره بعض العلماء التصدق على السائل اذا تخطى رقاب الناس الا ان يسأل قائما او قاعدا فى مكان - قال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما ثم يقول اللهم انى اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذى لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله شيئا الا اعطاه - قال بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم اسألك ان تغفرلى وترحمنى وان تعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له -

(السابع) ان يجعل هذا اليوم للآخرة فيكف فيه عن جميع اشغال الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا يبتدئ فيه السفر - فقد روى ان من سافر فى ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه - والسفر فيه بعد طلوع الفجر حرام الا اذا كانت الرفقة تفوت - وكره بعض السلف شراء الماء فى المسجد من السقاء لشربه اوليسبله حتى لا يكون مبتاعا فى المسجد فان لم يكن منه بد قالوا يعطى الثمن خارج المسجد وبالجملة يزيد فى هذا اليوم فى اوراده وانواع خيراته فان الله سبحانه اذا احب عبدا استعمله

(١) كذا -

فى الاوقات الفاضلة (١) بسئ الاعمال ليكون اوجع فى عقابه واشد لمقته وحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ـ ويستحب فى يوم الجمعة دعوات مخصوصة وردت بها الآثار وستعرف فى باب الدعوات ان شاء الله تعالى ـ

المطلب السادس

فى علم النوافل من الصلوات

فاعلم ان ماعدا الفرائض من الصلوات اما سنن اومستحبات اوتطوع والاول ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وواظب عليه والثانى ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه والثالث مالم يرد فى عينه اثر ولكنه تطوع به العبد فى مناجاة ربه مع ورود الشرع بفضل الصلاة مطلقا وتسمى هذه الثلاثة نافلة مقابلة للفرض وقد يعرض لبعض السنن فضيلة الآخر (٢) فان سنن الجماعات افضل من سنن الانفراد وافضل سنن الجماعة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء ـ وافضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم الرواتب الاخر ـ واعلم ان النوافل اربعة اقسام ما يتعلق باسباب وما يتعلق باوقاته ـ وهذا اما ان يتكرر فى اليوم والليلة اوفى الاسبوع اوفى السنة وهذه اربعة اقسام ـ

(القسم الاول) ثمانية خمسة منها رواتب الصلوات الخمس وثلاثة وراءها وهى صلاة الضحى وما بين العشائين والتهجد ـ اما رواتب الصلوات الخمس فقد عرفت فى علم الفقه واما صلاة الضحى فاكثر مانقل فيها ثمانى ركعات هذا رواية ام هانئ وفى رواية عائشة اربعا ويزيد ماشاء الله لم تحد الزيادة وروى ست ركعات وقيل اقلها ركعتان واعلاها اثنتى عشرة ركعة ـ هكذا ذكر السهروردى فى العوارف ووقتها اذا اشرقت الشمس وارتفعت وكانت فى ربع السماء من جانب الشرق وهذا نظير وقت العصر فى الربع الغربى ـ واما صلاة ما بين العشائين فهى سنة مؤكدة ولها فضل عظيم ويقال لها صلاة الاوابين وعددها ست ركعات ـ واما صلاة التهجد ووقتها الثلث الاخير من الليل الى طلوع الفجر وينبغى ان لا ينام بينها وبين طلوع الفجر وتقليل هذه الصلاة بلا نوم بعدها افضل من

---

(١) ههنا سقط ـ ح ـ (٢) كذا ـ

تطويلها مع النوم عقيبها ـ واختلف فى عدد ركعاتها واقلها ركعتان الى اثنتى عشرة ركعة واما فضائلها فخارجة عن حد الاحصاء ـ

(القسم الثانى هى صلاة ايام الاسبوع ولياليه-١)(يوم الاحد) يصلى فيه اربع ركعات وفى رواية خص وقتها بما بعد الظهر يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة آمن الرسول مرة وفى رواية يقرأ فى الاولى تنزيل السجدة وفى الثانية تبارك ثم تشهد وسلم ثم يصلى الاخريين ويقرأ فى كل منهما سورة الجمعة وكل هذه السور بعد الفاتحة واما فضائلها اعطاه الله ثواب نبى وحجة وعمرة وبكل حرف مدينة فى الجنة من مسك اذفر وكتب له بكل ركعة الف صلاة واعطى له بعد د كل نصرانى ونصرانية حسنات وكان حقا على الله ان يقضى حاجته ـ

(يوم الاثنين) يصلى ركعتين عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل منهما بعد الفاتحة آية الكرسى والاخلاص والمعوذتين مرة مرة وبعد السلام يستغفر الله عشر مرات ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله له كل ذنوبه ، رواه جابر ـ وفى رواية انس اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة آية الكرسى مرة فاذا فرغ قرأ الاخلاص اثنتى عشرة مرة واستغفر الله اثنتى عشرة مرة ـ وفضائلها دخول الجنة مع كرامات من الحلل والتيجان وتشييع الملائكة له مع كل منهم هدية له .

(يوم الثلاثاء) يصلى فيه عند انتصاف النهار عشر ركعات وفى رواية عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة آية الكرسى مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات رواه انس ـ واما فضائلها لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما وان مات فى هذه المدة مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة ـ

(يوم الاربعاء) اثنتى عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة

---

(١) عامة الصلوات المذكورة فى هذا القسم توجد فى كتب الفضائل كالاحياء وغيره وقد حكم عليها ائمة الحديث بان احاديثها كذب او واهية فلا يغتربها انظر اللآلىء المصنوعة - ج - ١ ص ٢٥ وما بعدها ـ

آية

آية الكرسي مرة والاخلاص ثلاثا والمعوذتين ثلاثا، رواه معاذ وفضائلها دفع الله عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته وشدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي ونادى به ملك عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ـ

(يوم الخميس) ركعتين بين الظهر والعصر يقرأ في الاولى بعد الفاتحة آية الكرسي مائة مرة، وفي الثانية بعد الفاتحة قل هو الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة رواه ابن عباس وفضائلها اعطاه الله ثواب صوم رجب وشعبان ورمضان وثواب الحج وكتب له بعدد كل من آمن بالله وتوكل عليه حسنة

(يوم الجمعة) اذا ارتفعت الشمس قدر رمح او اكثر يصلي بعد اسباغ الوضوء سبحة الضحى ركعتين من صلاها ايمانا واحتسابا كتب الله تعالى له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ـ ومن صلى اربع ركعات رفع الله عزوجل له في الجنة اربعمائة درجة ومن صلى ثماني ركعات رفع الله له في الجنة ثماني مائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله سبحانه له الفا ومائتي حسنة ومحا عنه الفا ومائتي سيئة ورفع له في الجنة الفا ومائتي درجة، رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا ـ وفي رواية ابن عمر مرفوعا من صلى يوم الجمعة قبل صلاة الجمعة قرأ في كل ركعة الحمد لله ـ قل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ـ

(يوم السبت) يصلي اربع ركعات يقرأ في كل منها فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلاث مرات وبعد الفراغ آية الكرسي، رواه ابو هريرة مرفوعا وفضائلها كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام لياليها واعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله تعالى مع النبيين والشهداء ـ

اما الليالي فليلة الاحد يصلي عشرين ركعة في كل ركعة الفاتحة مرة والاخلاص خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة ثم استغفر الله مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه

مائة مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ الى الله ثم قال اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان آدم صفوة الله وفطرته ـ وابراهيم خليل الله ـ وموسى كليم الله ـ وعيسى روح الله ـ ومحمد حبيب الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا وبعثه الله يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين رواه انس ـ

ليلة الاثنين يصلي اربع ركعات يقرأ فى الاولى الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفى الثانية الحمد لله وقل هو الله احد عشرين مرة وفى الثالثة ثلاثين وفى الرابعة اربعين كلاهما بعد الحمد لله ثم سلم وقرأ قل هو الله خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله حاجته كان حقا على الله عز وجل ان يعطيه سؤاله فيما سأل وتسمى هذه صلاة الحاجة رواه انس ـ

ليلة الثلاثاء يصلي ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم آية الكرسي خمس عشرة مرة ويستغفر الله سبحانه خمس عشرة مرة ـ

ليلة الاربعاء يصلي ركعتين يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة قل اعوذ برب الفلق عشر مرات وفى الثانية بعد الفاتحة قل اعوذ برب الناس عشر مرات ـ ومن صلاها نزل له من كل سماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيامة ـ وفى رواية فاطمة رضى الله تعالى عنها ست ركعات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك الى آخر الآية وبعد صلاته يقول سبعين مرة جزى الله محمدا عنا ماهو أهله غفر الله له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار ـ وفى رواية عثمان ابن مظعون عشر ركعات وقرأ فى كل منها الحمد لله وآمن الرسول الى آخر السورة مرة والاخلاص ثلاث مرات من صلاها فكأنما خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وان كانت مثل زبد البحر وورق الشجر وعدد النجوم والامواج وزبد البحار

والخلق والخلائق وغفر الله له ذنوب السر والعلانية وادخله الجنة فى اول زمرة من زمرة المتقين والفائزين والمقربين دون حساب وعذاب ولاعرض وسؤال وباهى الله به الملائكة وسماه العتيق من النار - فقال عثمان بن مظعون يارسول الله ان هذا ثواب عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان والذى بعثنى بالحق ان الله ليعطى لمن صلى هذه الصلاة اجر من صدق اثنى عشر نبيا واجر من جاهد فى الله حق جهاده الف سنة وبنى الله له فى الجنة دار السلام الف قصر مع ماله عند الله من المزيد -

ليلة الخميس يصلى ركعتين مابين المغرب والعشاء يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسى خمس مرات وقل هو الله احد والمعوذتين خمس مرات فاذا خرج من صلاته استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد ادى حقهما وان كان عاقا لهما واعطاه الله تعالى خيرما يعطى الصديقين والشهداء رواه ابو هريرة -

ليلة الجمعة يصلى بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد احدى عشرة مرة فكأنما عبد الله اثنتى عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها رواه جابر - وفى رواية انس يصلى صلاة العشاء الآخرة فى جماعة ويصلى ركعتى السنة ثم يصلى بعدها عشر ركعات قرأ فى كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة - فمن فعل هذه فكأنما احيا ليلة القدر - وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة على فى الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة -
ليلة السبت يصلى بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة من صلاها بنى له قصر فى الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله تعالى يغفر له - رواه انس -

القسم الثالث ماتكرر بتكرر السنين وهى اربعة الاول صلاة العيدين وهى سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين وينبغى ان يراعى فيها سبعة امور -

الاول التكبير - والثانى يغتسل و يتزين و يتطيب يوم العيد ، والثالث يخرج من طريق ويرجع من آخر - الرابع الخروج الى الصحراء الا فى المطر فى الآفاق والا بمكة وببيت المقدس ويجوز للضعفاء ان يتخلفوا بالمساجد وان كان يوم صحو - الخامس رعاية الوقت ويستحب تعجيل صلاة الاضحى للذبح وتأخير الفطر للصدقة - السادس يقرأ فى الركعة الاولى سورة ق بعد الفاتحة وفى الثانية اقتربت بعد الفاتحة ايضا - السابع ان يضحى بكبش ومن اردأن يضحى فلا يقلم اظفاره فى عشر ذى الحجة - قال سفيان الثورى يستحب ان يصلى بعد عيد الفطر اثنتى عشرة ركعة وبعد عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة -

الثانى التراويح عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهى سنة مؤكدة وان كانت دون العيدين والسنة ان يصليها مع الجماعة وتفصيل هذه فى كتب الفقه -

الثالث صلاة رجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مامن احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلى فيما بين العشاء والعتمة اثنتى عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة القدر ثلاث مرات والاخلاص اثنتى عشرة مرة فاذا فرغ صلى على محمد سبعين مرة يقول اللهم صل على محمد النبى الامى وعلى آله ثم يسجد ويقول فى سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك انت العلى الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل ماقال فى السجدة الاولى ثم يسأل حاجته فانها تقضى - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلى احد هذه الصلاة الاغفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل وورق الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيامة فى سبعمائة من اهل بيته ممن قد استوجب النار - هذه الصلاة مستحبة وطعن فيها بعض المتأخرين وادعوا أن الحديث الوارد فيها موضوع وقيل خبر آحاد الا انه لمواظبة اهل القدس بل سائر المسلمين فى الامصار لايسمحون بتركها - ولهذا احببت ايرادها(١) -

---

(١) انظر كتاب الباعث على انكار البدع والحوادث لابى شامة - ح -

الرابع صلاة شعبان فى الليلة الخامسة عشر منه يصلى مائة ركعة بخمسين تسليمة يقرأ فى كل ركعة بعد فاتحة الكتاب قل هو الله احد عشر مرات وان شاء صلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد مائة مرة - كان السلف يصلونها ويسمونها صلاة الخير وربما صلاها جماعة - روى عن الحسن رضى الله عنه انه قال حدثنى ثلاثون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه الصلاة فى هذه الليلة نظر الله اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة (١) -

القسم الرابع

مايتعلق بأسباب عارضة وهى تسعة

الاولى صلاة الخسوف وهذه مذكورة فى كتب الفروع

الثانية - صلاة الاستسقاء وهى مثل صلاة العيد بلا فرق الا انه يخرج فيها بثياب بذلة واستكانة متواضعين بعد ما صاموا ثلاثة ايام وتقديم صدقة وتوبة عن المعاصى والخروج من المظالم ثم يخرج اليوم الرابع بالصبيان والعجائز وعند البعض يخرج الدواب لمشاركتهم فى الحاجة - وفى الحديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا - وعند البعض لايمنع اهل الذمة اذا خرجوا متميزين والمختار عندنا منعهم -

والثالثة - صلاة الجنازة وتفصيلها وتفصيل صلاة الاستسقاء مذكور فى كتب

الرابعة - تحية المسجد وهى ركعتان فصاعدا سنة مؤكدة حتى انهم جوزوها فى الاوقات المكروهة وعند الخطبة ولو اشتغل بفرض او قضاء تأدت به التحية وحصل الفضل والمقصود عدم خلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره الدخول بلا وضوء فان دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات يقال انها

(١) انظر اللآلى المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة ج ٢ ص ٣٠ - ٣١ - ح

عدل ركعتين فى الفضل ـ

الخامسة ـ ركعتان بعد الوضوء مستحبتان اذ الوضوء معرض الآفات فالمبادرة الى استيفاء المقصود به اولى ـ

السادسة ـ ركعتان عند دخول المنزل والخروج منه يدفعان مدخل السوء ومخرج السوء ـ وكذلك عند ابتداء السفر فى المنزل وعند الرجوع منه فى المسجد كل ذلك ماثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين يصلى ركعتين اذا أكل اكلة اوشرب شربة وفى كل امر يحدثه كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة وكانوا يقدمون فى عقد النكاح والنصيحة والمشورة الحمد لله والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وكذا عند شراء دار جديدة والخروج من منزل والدخول فانه نوع سفر خفيف وكذا عند الاحرام ـ

السابعة ـ صلاة الاستخارة فمن هم بأمر وكان لايدرى عاقبته ولايعرف ان الخير فى فعله اوتركه فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلى ركعتين يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفى الثانية قل هو الله احد بعد الفاتحة فاذا فرغ دعا وقال اللهم إنى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك فانك تقدر ولااقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لى فى دينى ودنياى وعاقبة امرى وعاجله وآجله فقدره لى ثم يسره لى وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاصرفنى عنه واصرفه عنى وقدر لى الخير اين ما كان ثم رضنى به انك على كل شيء قدير ـ رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن ـ وقال صلى الله عليه وسلم اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم يسم الامر ويدعو بما ذكرناه ـ

الثامنة ـ صلاة الحاجة فمن ضاق عليه امره ومست حاجته فى صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه ـ فقد روى عن وهيب بن الورد أنه قال ان من الدعاء الذى لايرد أن يصلى العبد اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة بام القرآن وآية الكرسى

وقل

وقل هو الله احد فاذا فرغ يخر ساجدا ثم قال سبحان الذى لبس العز وقال به سبحان الذى احصى كل شيء بعلمه - سبحان الذى لا ينبغي التسبيح الا له - سبحان ذى المن والفضل - سبحان ذى العز والكرم - سبحان ذى الطول ، اسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد - ثم يسأل حاجته التى لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله تعالى - قال وهيب بلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونوها على معصية الله -

التاسعة - صلاة التسبيح وهذه ان لم تختص بوقت ولا سبب الا ان المستحب ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة اوالشهر ولهذا اوردتها هاهنا - روى عكرمة عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك الا احبوك بشيء اذا انت فعلته غفر الله سبحانه ذنبك اوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطأه ، وعمده ، سره وعلانيته تصل اربع ركعات تقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة فاذا فرغت من القراءة فى اول ركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد السجدة الثانية فتقولها عشرا ثم تقوم فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون ركعة تفعل ذلك فى اربع ركعات وان استطعت ان تصليها فى كل يوم فافعل فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة فان لم تفعل ففى كل شهر مرة فان لم تفعل ففى السنة مرة - وفى رواية اخرى انه يقول فى اول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم تسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشر بعدها والباقى كما سبق عشرا عشرا ولا تسبيح بعد السجدة الاخيرة قاعدا وهو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع من الروايتين ثلاثمائة تسبيحة فان صلاها نهارا فتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فتسليمتين احسن اذ ورد أن صلاة الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح قوله

ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لكان احسن - فقد ورد في ذلك بعض الروايات ولايستحب شيء من هذه النوافل في الاوقات المكروهة الا تحية المسجد دون غيرها واما في مذهبنا فلايجوز الا الفوائت وسجدة التلاوة وصلاة الجنازة وركعتي الطواف والذي اسده ثم اعاد والله اعلم بالصواب -

الاصل الخامس

(في علم اسرار الزكاة وفيه مطالب - ١)

(المطلب الاول) في مراعاة شروطه الظاهرة وهي خمسة الاول النية وهي ان ينوي بقلبه زكاة الفرض اونوى التوكيل باداء الفرض - الثاني البدار عقيب الحول ويجوز تعجيله قبل الحول - الثالث ان يخرج المنصوص عليه ولا يبدله بقيمته وهوالاحوط وان جاز ذلك في الاصح - الرابع ان لاينقل الى بلد آخر الا الى قريبه والى احوج من اهل بلده - الخامس ان لايخص بصنف واحد من الاصناف الاربعة ولايتكلف بجميع الاصناف وتفاصيل هذه الشروط خارج عن طوقنا مع استيفائها في الكتب الفقهية -

(المطلب الثاني) في بيان الآداب الباطنة للزكاة وهي ثماني وظائف (الاولى) ان يفهم ان الغرض من الزكاة الامتحان بان لايكون لها محبوب سوى الواحد الحق ولها مراتب احدها الذين نزلوا عن جميع اموالهم كما فعله الصديق رضي الله عنه - وثانيها الذين يدخرون على قدر الحاجة وصرف الحاجة (٢) في وجوه البر - وثالثها الذين يقتصرون على اداء الواجب وهذه اقل الرتب - الثانية التطهير من صفة البخل التي هي من المهلكات - الثالثة شكر النعمة المالية (الوظيفة الثانية) التعجيل وقت الاداء اظهارا للرغبة في الامتثال وايصال المسرة الى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان ان يعوق من الخيرات لان في التأخير آفات -

(الوظيفة الثالثة) الاسرار فان ذلك ابعد من السمعة والرئاء (الوظيفة الرابعة) ان يقصد اقتداء الناس عند الاظهار لأن تأخير السائل خيفة من الرئاء غير صحيح بل ينبغي ان يتصدق ويتحفظ عن الرئاء بقدر الامكان اللهم الا ان يتأذى الفقير

---

(١) سقط من الاصل (٢) كذا -

بهتك

بهتك سره فعند ذلك يستحسن الاخفاء ـ

(الوظيفة الخامسة) ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى كما قال تعالى(لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) ـ قيل المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها ـ وقيل المن ان يستخدمه بالعطاء ، والاذى ان يعيره بالفقر ـ وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى ان يوبخه وينتهره بالمسكنة ـ واعلم ان المن والاذى ينشآن من رؤية المعطى نفسه محسنا وانه ظن باطل لما عرفت من ان الغرض منه اظهار حب الله وتطهير نفسه عن رذيلة البخل وشكر لنعمة المال طلبا للمزيد ـ فظهر منه انه لا معاملة بينه وبين الفقير الا فضل الفقير عليه بقبول اوساخ ماله وتسببه لأداء فرضه وتحصيله الثواب الجزيل ـ ومن علم فضل الفقر على الغنى وان صلحاء الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام وانه مسخر له يكتسب المال لأجله وهو ينتفع به بلا حساب ولا عذاب فى طريق كسبه كيف يطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير فى المجالس وهذا معنى المن وكيف يعيره ويخشن الكلام ويقطب الوجه ويهتك السر بالاظها وفنون الاستخفاف وهذا معنى الاذى ـ وهذا المن والاذى وان كانا امرين باطنيين الا ان لهما علامة ظاهرة وهو أن الفقير لو جنى عليه بعد التصدق ويفرض هذه الجناية قبله ثم ينظر هل كان استنكاره على مافعله بعد التصدق زائدا على استنكاره على مافعله قبل التصدق فان كان زائدا ففى باطنه المن ثم الاذى يلازمه عادة ولا اقل من الجواز فيمن جاز منه المن (١) ـ واما علاج هاتين الرذيلتين اما باطنا فملاحظة الامور المذكورة واما ظاهرا فالتذلل للفقير والمنة له بان يقبل صدقته حتى كان بعضهم يضع الصدقة بين يدى الفقير ويمثل قائما ويسأله قبولها ـ وكان بعضهم يبسط يده ليأخذ الفقير منه لتكون يد الفقير هى العليا ـ وكانوا لا يتوقعون منه الدعاء لأنه شبه المكافأة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله فالمذكور اولا هو العلم وثانيا هو العمل والقلب ينصبغ بالاعمال الحسنة ولا يعالج القلب الا بمعجون العلم والعمل ـ

(الوظيفة السادسة) ان يستصغر العطية والا داخل العجب وهو من المهلكات

---

(١) كذا ـ

ويحبط الاعمال وهو غير المن والاذى اذى بناء المساجد والربط العجب دونها والدواء للاستعظام والعجب اما العلم فانه يستحيي من حيث انه بذل من الكثير بالقليل وقنع بأخس درجات البذل - وايضا المال لله وله المنة اذا اعطاه اياه ووفقه لبذله وايضا انه يرجو فى الآخرة الثواب وهو عوضه اضعاف ما اعطاه فكيف يستعظم بما ينتظر ثوابه - واما العمل فهو ان يستحيي من ان لم يبذل كله لله وهو الاحب عنده والمال كله لله وهو استعمل البخل وترك ما احبه صاحب المال -

(الوظيفة السابعة) ان ينتقى من ماله اجوده واحبه اليه واطيبه واحله ويستحيي من ان يؤثر نفسه واهله وعبيده على الله تعالى والمال له تعالى وايضا انه يبقى اطيبه لمن يرثه من بعده ولا يقدم ذلك لنفسه وليس له من ماله الا ما أكل فأفناه وما لبس فأبلاه وما تصدق فأبقاه -

(الوظيفة الثامنة) ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة من الاتقياء وهؤلاء ستة اصناف ، الاول الاتقياء المتجردون لتجارة الآخرة والمعرضون عن الدنيا فتكون شريكا لهم فى طاعتهم باعانتك اياهم - الثانى العلماء خاصة فان فى ذلك اعانة لعلم وهو اشرف العبادات ، مهما صحت فيه النية ، الثالث ان يكون صادقا فى تقواه وعلمه بالتوحيد من جملة توحيده ان يحمد الله تعالى عند أخذه ويشكره ورأى النعمة منه ولم ينظر الى واسطة لأنها مقهور مسخر بتسخير الله تعالى - ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفى بسره - الرابع من يكون مستترا ومخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى اويكون من اهل المروءة اوممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش فى جلباب التجمل - قال الله تعالى (يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا) - وينبغى ان يفحص هؤلاء فى كل محلة عن اهل الدين فثواب صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسؤال - الخامس ان يكون معيلا او محبوسا بمرض اوبسبب من الاسباب - قال الله تعالى (للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله) اى حبسوا فى طريق الآخرة امالعيلة

اوضيق

اوضيق معيشة او اصلاح قلب لا يستطيعون ضربا فى الارض لأنهم مقصوصو الجناح مقيد الاطراف بهذه الاسباب - السادس ان يكون من الاقارب وذوى الارحام فيكون صدقة وصلة رحم وفى صلة الرحم من الثواب مالا يخفى -

المطلب الثالث

علم آداب قابض الصدقة

ولايستحق الا حر لا عبد والا مسلم لا كافر ولايعطى الى هاشمى ولا مطلبى لان الله تعالى صانهما عن اوساخ الناس وابدل منهما خمس الغنائم فان المصارف ثمانية منهم الفقراء وهم الذين ليس لهم مال ولا قدرة على الكسب ، ومنهم المساكين وهم الذين لايفى دخلهم بخرجهم - ومنهم العاملون وهم الساعون لحفظ اموال المسلمين كالعريف والكاتب والمستوفى والحافظ ولايدخل فيهم السلطان والقاضى ، ومنهم المؤلفة قلوبهم وهم سقطوا بعزة الاسلام اليوم ، ومنهم المكاتبون ، ومنهم الغارمون فى طاعة او مباح ، ومنهم الغزاة الذين ليس لهم مرسوم فى ديوان المرتزقة ، ومنهم ابن السبيل وهم الفقراء الذين لهم مال فى بلادهم (واما وظائف القابض) خمسة -

الاول ان يفهم ان المال لاجل المعاونة على عبادته تعالى فالاغنياء يتعبون فى كسبه وحفظه وركبوا متن الخطر وصار المال عليهم محنة وفتنة وبلية والفقراء انتفعوا بالمال ولم يقاسوا شدائدهم وهذا منتهى النعمة فليأخذوه رزقا من الله وعونا على طاعته ولينو تقديمه على الطاعة ومن صرفه الى المعصية كان كافرا للنعمة مستحقا للمقت والبعد من الله تعالى -

الثانى ان يشكر المعطى فيدعوله ويثنى عليه لكن لكونه واسطة لا يمنع رؤية النعمة من الله - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكره الله تعالى ، فوظيفة المعطى الاستصغار ووظيفة القابض الاستعظام وعلى كل منهما القيام بحقه -

الثالث ان ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حله تورع عنه كاموال الاتراك

والجنود وعمال السلطان الا اذاضاق عليه الامروكان ما يسلم اليه يعرف له مالكا معينا فله ان يأخذ بقدر الحاجة ـ

الرابع ان يتوقى مواقع الريبة والاشتباه فيما يقدرما يأخذه فلايأخذ الا القدر المباح مثلايأخذ بقدر دينه ان كان مديونا وان كان مسافرا بقدر الزاد وكراء الدابة الى مقصده وان كان فى منزله اثاث يستغنى عنه اوعن نفاسته وجودته فليحترز عن قبوله فان الورع فى ذلك ، ومنهم من لم يجوز اخذما زاد على قوت يومه وهذه مبالغة ، ومنهم من لم يجوز مازاد على شهر وهواقرب للتقوى ، ومنهم من لم يجوز ما زاد على قوت سنة وهذا اقصى ما يرخص فيه مستدلا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخرلعياله قوت سنة وذلك لان السنة اذا تكررت تكررت اسباب الدخل والاقرب الى الاعتدال الكفاية الى السنة ومازاد على ذلك ففيه خطر فيما دونه تضييق ـ

الخامس ان يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلايأخذه منه لانه لايستحق مع شركائه الاالثمن وانتقص من الثمن بمقدار مايصرف الى اثنين من صنفه ، وهذا السؤال واجب والناس فيه مستأهلون لا اذا غلب على ظنه عدم النقص عن قدرالواجب ـ

المطلب الرابع

فى صدقة التطوع وفضلها وآداب اخذها واعطائها ولاحاجة الى ذكر فضائلها لشهرتها وكثرة الآيات والاخبار فى ذلك ـ أما اخفاء الصدقة ففيها معان ـ

الاول انه ابقى للستر على الآخذ واصون لستر مروءته وصار وا ممن يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ـ

الثانى انه اسلم لقلوب الناس والسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه و يظنون انه مستغن عنه وانه آخذ على زيادة قدرالحاجة ففى الاخفاء صيانتهم عن هذه الجرائم ـ

الثالث اعانة المعطى على اسرار العمل لان فى السر فضلا على الجهر والاعانة على اتمام

اتمام المعروف معروف ـ

الرابع ان فى اظهار الاخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن ان يذل نفسه ـ الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة ـ قال صلى الله عليه وسلم من اهدى اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها ـ

واما الاظهار والتحدث ففيه اربعة معان ، الاول الاخلاص والصدق والسلامة من تلبيس الحال والمراياة ـ

الثانى ـ اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبرىء من الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس عن اعين الخلق ـ

الثالث ـ ان العارف لا نظر له الا الى الله تعالى فلا حاجة الى الاخفاء والسر والعلانية عنده سواء والا لنقص فى توحيده ـ

الرابع ، ان الاظهار لاقامة الشكر ـ واذا عرفت هذا الاختلاف فاعلم ان الحق لايجزم بفضيلة الاخفاء او الاظهار مطلقا بل يختلف الحكم بحسب اختلاف الاحوال وايسرها الاخذ فى الملاء والرد فى السر الا ان يستوى عنده السر والعلانية وهذا هو الكبريت الاحمر ـ

المطلب الخامس

كان ابراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون الأخذ من الصدقة افضل فان فى أخذ الزكاة مزاحمة المساكين وربما لا يؤجد فيه سبب الاستحقاق كما فى الكتاب ـ واما الآخرون فقالوا يأخذ الزكاة لكونه اعانة على الواجب ولو ترك المساكين أخذ الزكاة لأثموا ولانه لا منة فيها وانما هى حق الله تعالى رزقا لعباده الصالحين ولانه أخذ بالحاجة والحاجة معلومة وأخذ الصدقة أخذ بالدين فان الغالب اعطاء الصدقة لاهل الديانة ولان موافقة المساكين ادخل فى التواضع ـ والصدقة قدتعطى فى معرض الهدية ولايتميز عنها والقول الحق فى هذا انه مختلف باحوال الشخص والنية فان كان شبهة فى اتصافه بصفة الاستحقاق فليترك الزكاة وان كان مستحقا وكان له ضرورة يجوز أخذها فاذا خير بين الزكاة والصدقة فان

كان صاحب الصدقة يتركها لولم يأخذ هو ياخذ الصدقة ففيه تكثير للخير و توسيع على المساكين اذا الزكاة تحصل لهم خاصة وان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن فى أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير - وأخذ الزكاة على كل حال اشد فى كسر النفس واذلالها فى اغلب احوالها -

الاصل السادس

فى علم اسرار الصوم وفيه مطالب

المطلب الاول

فى الواجبات الظاهرة وهى خمسة

الاول مراقبة اول شهر رمضان برؤية الهلال اوبتكيل شعبان - الثانى النية والافضل ان ينوى كل ليلة - الثالث الامساك عن المفطرات الثلاث عهد (١) ذكر الصومه - الرابع الامساك عن الاستمناء - الخامس الامساك عن اخراج القىء بالاستقاء -

المطلب الثانى

فى لوازم الافطار وهى اربعة القضاء والكفارة والفدية والامساك بقية النهار تشبها بالصائم وتفاصيل هذه فى علم الفقه -

المطلب الثالث

فى السنن وهى ستة تأخير السحور وتعجيل الافطار على التمر والماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجود فى شهر رمضان ومدارسة القران والاعتكاف فى المسجد لاسيما فى العشر الاخير فهى عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى الفراش وشد المئزر وداب ودأب معه اهله اى ادا موا النصب فى العبادة اذ فيها ليلة القدر والاغلب انه فى اوتارها واشبه الاوتار احدى وثلاث وسبع والتتابع فى هذا الاعتكاف اولى -

---

(١) كذا -

المطلب الرابع

فى اسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم ان الصوم اما صوم العموم وهو كف الفرج والبطن عن قضاء الشهوة وصوم الخصوص وهو كف الجوارح عن الآثام وصوم خصوص الخصوص وهو كف القلب عما سوى الله تعالى الا دنيا تراد للدين ، اما صوم العموم فقد عرفت شرائطه فى علم الفقه ، واما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين لا يتم الا بستة امور الاول، غض البصر عن المحارم والمكاره ومايلهى عن ذكر الله - الثانى حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت اوشغله بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان - الثالث كف السمع عن الاصغاء الى مكروه لأن كل ماحرم الله قوله حرم الاصغاء اليه - الرابع كف بقية الجوارح عن المكاره وكف البطن عن الشبهات ولا معنى للصوم الذى هو الامساك عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحلال - الخامس ان لايستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلىء فما من وعاء ابغض الى الله تعالى من بطن ملىء من حلال فكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند افطاره مافاته ضحوة نهاره وربما يزيد من انواع الطعام حتى استمرت العادات بان يدخروا لرمضان جميع الاقوات ما لا يؤكل فى سائر الاوقات - واعلم ان مقصود الصوم كسر الشهوة بالخوى ليتقوى بذلك على التقوى فاذا هاجت شهوة النفس بالجوع طول النهار ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التى هى وسائل الشيطان - وذلك لايحصل الابأن يأكل اكلة فى كل ليلة فى غير رمضان بل من الادب ان لاينام فى النهار كثيرا حتى يحس بجوعه وعطشه فيصفو عند ذلك قلبه ويخف على اوراده وتهجده فعسى الشيطان لايحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السماء بل المراد بليلة القدر هى الليلة ينكشف فيها عن شىء من الملكوت

ومن جعل بين قلبه وصدره مخلاة من الطعام فهو من ملكوت السماء محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله وذلك هو الامر كله ومبدأ الكل تقليل الطعام ـ السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذليس يدرى هل يقبل صومه فهو من المقربين او يرد فهو من الممقوتين ـ فان قلت الصوم هو ترك المفطرات الثلاث كما ذكره الفقهاء فمن اين اخذت هذه الشروط قلت الفقهاء يبحثون عن الافعال الظاهرة للمكلفين واما الافعال الباطنة فخارجة عن نظرهم ـ ولو سئل فقيه عن حرمة الغيبة مثلا يحكم بحرمته بل هو اشد من الافطار فى نهار رمضان عمدا ومع ذلك يقول ان الغيبة غير مفطرة ـ وذلك لخروجها عن نظره لا لانها غير مفطرة حقيقة ولو كان مجرد الامساك عن المفطرات الظاهرة كافيا فاى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ـ واعلم ان لكل عبادة ظاهرا و باطنا وقشرا ولبا ولقشوره درجات ولكل درجة طبقات فاولئك الخيرة الآن فى ان تقنع بالقشر عن اللباب او يتحيز الى غمار ارباب الالباب ـ

المطلب الخامس

فى التطوع بالصيام

وذلك يتجدد اما فى كل سنة اوفى كل شهر اوفى كل جمعة ـ اما السنة بعد ايام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء وعشر ذى الحجة وعشر المحرم ـ ولا يجوز استقبال رمضان بيوم او بيومين الا ان يوافق وردا او يجوز وصل شعبان كله برمضان والاشهر الفاضلة ذوالحجة والمحرم ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذوالقعدة وذوالحجة ومحرم ورجب ثلاثة سرد وواحد ها فرد وافضلها ذوالحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والايام المعدودات وذو القعدة من الاشهر الحرم واشهر الحج وشوال من اشهر الحج ليس من الاشهر الحرم والمحرم ورجب ليسا من اشهر الحج ـ واما ما يتكرر فى الشهر فاوله واوسطه وآخره والايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ـ واما فى الاسبوع فالاثنين والخميس والجمعة ـ واما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة فمن كرهه

نظر

نظر الى الاخبار الواردة فى كراهته وسبب كراهته ، واما صوم العيدين وايام التشريق والصوم فيها حرام اوتركه العمل بالرخصة التى فعلها النبى صلى الله عليه وسلم الا ان الصحيح ان من رأى صلاح نفسه فيه فليفعل سوى الايام المنهية كما فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم اجمعين - والافضل صيام داود وهو ان يصوم يوما فيصبر ويفطر يوما فيشكر - وذلك اشد على النفس واقوى فى قهرها وقد ورد فى فضل ذلك اخبار والافضل ان يراعى السالك احوال قلبه ويفطر فى وقت الحاجة الى الافطار ويصوم عند الحاجة الى الصوم اذا الغرض من الكل اصلاح القلب لاغير -

الاصل السابع

فى علم اسرار الحج وفيه مطالب

المطلب الاول

فى فضيلتها وفضيلة البيت ومكة وهذه الفضائل مذكورة فى كتب الاحاديث والآثار والاخبار فلا نطول الكتاب بذكرها -

المطلب الثانى

فى فضل الاقامة بمكة وكراهتها

اما فضيلتها فاشهر من ان تذكر - واما كراهيتها فلما كره المحتاطون المقام بها لمعان احدها خوف التبرم من جهة الغربة اوحرها اومعاشها اوالانس بها حتى تسقط مهابة البيت من عينه ولهذا كان عمر رضى الله عنه يصرف الحاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ، وثانيها تهييج الشوق الى بلده حتى تنبعث داعية العود والمفارقة ، وثالثها الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك محظور وبالحرى ان يورث مقت الله لشرف الموضع - وعن ابن عباس لان اذنب سبعين ذنبا بركبة احب الى من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة وركبة منزل بين مكة والطائف - ولا تظنن ان كراهية الاقامة تنافى فى

شرف الموضع بل ذلك لعجز الناس عن القيام بحقه وكيف لا وانها احب بلاد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان النظر الى البيت عبادة وان الحسنات تضاعف فيها —

المطلب الثالث

فى فضيلة الاقامة بالمدينة

وهذه ايضا اشهر من ان تذكر ومامر فى الاقامة بمكة جارها هنا ايضا وبالجملة الغرض الاعظم للسالك اصلاح دينه وقلبه واذا صالح حاله فى بلد فليلزم الاقامة بها ولا يسافر الا لعلم او اصلاح حال ولا يترك وطنه ايضا الا لما ذكر وليختر من البلاد ما هو اقرب للخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر للعبادة والمعاش وفى الخبر من رزق من شيء فليلزمه — وفيه ايضا البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى — وعن سفيان الثورى انه قال لا ادرى اى البلاد اسكن قيل له خراسان قال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة فقيل له الشام قال يشار اليك بالاصابع اراد الشهرة فقيل فالعراق قال بلد الجبابرة قيل له مكة قال يذيب الكيس والبدن —

المطلب الرابع

فى وجوب الحج وصحته واركانه وواجباته ومحظوراته

ولما كانت هذه المسائل مستوفاة فى الكتب الفقهية اكتفينا بها —

المطلب الخامس

فى ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع وهى عشر جمل —

الجملة الاولى فى السنن من اول الخروج الى الاحرام وهى ثمانية

الاولى فى المال ينبغى ان يبتدئ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته الى وقت الرجوع فيرد ما عنده من الودائع ويستصحب مالا من حلال طيب ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل قدر ما يواسى به

الضعفاء

الضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه وليشتر لنفسه دابة قوية على الحمل لاتضعف او يكتريها فان اكترى فليظهر للمكارى كل ما يريد ان يحمله من كثير وقليل ويحصل رضاه فيه ـ

الثانية فى الرفيق فينبغى ان يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره واذ افارق اخوانه يودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل فى ادعيتهم البركة ـ والسنة فى الوداع ان يقول استودع الله دينكم واما نا تكم وخواتيم اعمالكم ـ وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول لمن اراد السفر فى حفظ الله وكنفه وزودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك الى الخير اينما توجهت ـ

الثالثة فى الخروج من المنزل ينبغى اذا هم بالخروج ان يصلى ركعتين يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفى الثانية سورة الاخلاص واذا فرغ من رفع يديه دعا الله تعالى عن اخلاص صاف ونية صادقة وقل اللهم انت الصاحب فى السفر وانت الخليفة فى الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم انا نسألك فى مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم انا نسألك ان تطوى لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا فى سفرنا هذا سلامة الدين والبدن والمال وان تبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذبك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا وايا هم فى جوارك ولا تسلبنا وايا هم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك ـ

الرابعة اذا حصل الى باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم رب اعوذ بك ان اضل اواضل اوازل اوازل اواظلم اواظلم او اجهل اويجهل على اللهم انى لم اخرج اشرا ولا بطرا ولارياء ولاسمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك شوقا الى لقائك ـ فاذا مشيت فقل اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت ـ

اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني به ومالا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك - اللهم زودني التقوى واغفر ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه -

الخامسة في الركوب ، واذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون) اللهم اني وجهت وجهي اليك وفوضت أمري اليك وتوكلت في جميع اموري اليك انت حسبي ونعم الوكيل - فان استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات وقال (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله) اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور ·

السادسة في النزول - والسنة ان لاينزل حتى يحمى النهار ويكون اكثر مسيره في الليل ومهما اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسألك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اللهم اصرف عني شر شرارهم - فاذا نزل المنزل صلى ركعتين ثم قال اعوذ بكلمات الله التامات التي لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذاجن عليه الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر مافيك وشر مادب عليك اعوذبالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم -

السابعة في الحراسة - ينبغي ان لاينفرد عن القافلة لئلا يغتال اوينقطع ويحتاط بالليل ويفترش ذراعه ان نام في اول الليل وينصبه وجعل رأسه في كفه ان نام في آخرها كذا نام رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسفاره وذلك لئلا ينام فيفوته الفجر - ويستحب في الليل ان يتناوب الرفيقان في الحراسة فهو السنة · فان قصده سبع او عدو فليقرأ آية الكرسي و شهد الله وسورة الاخلاص

المعوذتين

والمعوذتين وليقل بسم الله ماشاء الله لاقوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتى بالخيرات الا الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى يسمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله (لاغلبن انا ورسلى ان الله عزيز ذو انتقام) تحصنت بالله العلى العظيم واستعنت بالحى الذى لايموت اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام واكنفنا بركنك الذى لايرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برحمة ورأفة انك انت ارحم الراحمين ـ

الثامنة ـ اذا علا شرفا يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف ولك الحمد على كل حال واذا هبط سبح مهما خاف الوحشة فى سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جلات السموات بالعزة والجبروت ـ

الجملة الثانية فى آداب احرام من الميقات الى دخول مكة وهى خمسة

الاول ان يغتسل عند الاحرام وينوى غسل الاحرام وينظف بتسريح رأسه ولحيته وقلم اظفاره وسائر ما مر فى باب الطهارة من انواع النظافة ـ

الثانى ـ يحرم ويرتدى ويتأزر بثوبين ابيضين والبياض احب الثياب الى الله عزوجل ويتطيب فى بدنه وثيابه وان بقى بجرمه بعد الاحرام ـ

الثالث ان ينوى الاحرام بالحج والعمرة قرانا او افرادا كما اراد اذا انبعث به راحلته او اذا ابتدأ السير ان كان راجلا ويكفى مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة ان يقترن بالنية التلبية بان يقول لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك ـ وان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء اليك والعمل لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ـ

الرابع ـ اذا انعقد احرامه بالتلبية يستحب له ان يقول اللهم انى اريد الحج فيسره لى واعنى على اداء فرضه وتقبله منى اللهم انى نويت اداء فريضتك فى الحج فاجعلنى من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلنى من وفدك الذين

رضيت وارتضيت وقبلت اللهم فيسر لى اداء ما نويت من الحج اللهم قد احرم لك شعرى ولحمى ودمى وعصبى ومخى وعظامى وحرمت على النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة المذكورة فى كتب الفروع •

الخامس ـ يستحب له تجديد التلبية عند ازدحام الرفاق واجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر فانه لا ينادى اصم ولا غائبا ولا بأس برفع الصوت والتلبية فى مسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات فان هذه المساجد مظنة المناسك واما غيرها فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع الصوت ـ

الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة الى الطواف هى ستة

الاول ـ الاغتسال بذى طوى لدخول مكة والاغتسال المسنون فى الحج تسعة فى الاحرام من الميقات لدخول مكة لطواف القدوم للوقوف بعرفة للوقوف بمزدلفة وثلاثة اغتسال للجمرات الثلاث ولا غسل لرمى جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ـ

الثانى ان يقول عند الدخول فى اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمى وبشرى ودمى على النار وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلنى من اوليائك واهل طاعتك ـ

الثالث ان يدخل مكة من الجانب الابطح وهى ثنية كدا بفتح الكاف ويخرج من ثنية كدا بالضم وهى الثنية السفلى والاولى العليا ـ

الرابع اذا دخل مكة وانتهى الى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزده من حجه برا وكرامة اللهم افتح لى ابواب رحمتك وادخلنى جنتك واعذنى من الشيطان الرجيم ـ

الخامس - فليدخل المسجد الحرام من باب بنى شيبة وليقل اللهم بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم - فإذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع انبيائك ورسلك - وليرفع يديه وليقل اللهم انى اسألك فى مقامى هذا فى اول مناسكى ان تقبل توبتى وتتجاوز عن خطيئتى وتضع عنى وزرى الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وامنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم انى عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك اسألك مسألة المضطر الخائف عقوبتك الراجى رحمتك الطالب مرضاتك -

السادس - ان يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه بيده اليمنى ويقبله ويقول اللهم امانتى اديتها وميثاقى تعاهدته اشهد لى بالوفاء ، فان لم يستطع التقبيل فليقف فى مقابلته وليقل ذلك ثم لا يعرج على شىء دون الطواف وهو طواف القدوم الا الصلاة المكتوبة اذا حضرت الجماعة -

الجملة الرابعة - فى الطواف اما القدوم اولغيره وآدابه ستة -

الاول - شروط الصلاة من الطهارة وستر العورة لأنه صلاة الا انه يباح فيه الكلام وليضطبع اولا وهو أن يضع وسط ازاره تحت ابطه الايمن ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخى طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التى سنذكرها -

والثانى - بعد الاضطباع يجعل البيت عن يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه فى ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا منه ثم يبتدئ الطواف -

الثالث - يقول فى ابتداء الطواف قبل مجاوزة الحجر بسم الله والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف واول مايجاوز الحجر ينتهى الى باب البيت فيقول اللهم ان البيت بيتك

والحرم حرمك والامن امنك وهذا مقام العائذ بك من النار - وعند ذكر المقام يشير بعينيه الى مقام ابراهيم الخليل عليه السلام ويقول اللهم بيتك عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين اعذنى من الشيطان الرجيم وحرم لحمى ودمى من النار وآمنى من اهوال يوم القيامة واكفنى مؤنة الدنيا والآخرة، ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ الركن العراقى فعنده يقول اللهم انى اعوذبك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر فى الاهل والمال والولد واذا بلغ الميزاب فليقل اللهم اظلنى تحت عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك اللهم اسقنى بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لاظمأ بعدها ابدا - واذا بلغ الركن الشامى فليقل اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور ياعزيز ياغفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الأعز الاكرم، فاذا بلغ الركن اليمانى فليقل اللهم انى اعوذبك من الكفر واعوذبك من الفقر واعوذبك من عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذبك من الخزى فى الدنيا والآخرة - وليقل بين الركن اليمانى والحجر الاسود ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وعذاب القبر - واذا بلغ الحجر الاسود فليقل اللهم اغفرلى برحمتك اعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر - وعند ذلك قد تم له شوط واحد فيطوف به كذلك سبعة اشواط ويدعو بهذه الادعية فى كل شوط -

الرابع - ان يرمل فى الثلاث الاول من الاشواط ويمشى فى البواقى وتفصيله فى كتب الفقه -

الخامس - اذا تم الطواف فليأت الملتزم وهو ما بين الحجر والباب وموضع استجابة الدعاء وليلتصق بالبيت وليتعلق بالاستار وليضع خده الايمن وليقل اللهم يا رب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم وأعذنى من كل سوء وقنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيما آتيتنى اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلنى من اكرم وفدك عليك - وليحمد الله

وليحمد الله كثيرا فى هذا الموضع وليصل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء وليدع بحوائجه الخاصة ويستغفر الله من كل ذنب - وكان بعض السلف يقول لمواليه تنحوا عنى حتى اقر لربى بذنوبى -

السادس- اذا فرغ مما ذكر فليصل خلف المقام ركعتين يقرأ فى الاولى قل يا ايها الكافرون وفى الثانية سورة الاخلاص وليقل بعدهما اللهم يسرلى اليسرى وجنبنى العسرى واغفرلى فى الآخرة والاولى اللهم اعصمنى بألطافك حتى لااعصيك وأعنى على طاعتك بتوفيقك وجنبنى معاصيك واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين- اللهم حببنى الى ملائكتك ورسلك وعبادك الصالحين اللهم وكما هديتنى للاسلام فثبتنى بالطافك وولايتك عليه واستعملنى بطاعتك وطاعة رسولك وأجرنى من مضلات الفتن - ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف -

(الجملة الخامسة) فى السعى - وهو سبع مرات يبتدئ بالصفا فليقبل اولا على البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر الحمدلله على ماهدانا الحمدلله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لااله الاالله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لااله الا الله ولانعبد الااياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله مخلصين له الدين الحمدلله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون - اللهم إنى اسألك ايمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وأسألك العفو والعافية والمعافاة فى الدين والدنيا والآخرة - ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويدعو الله تعالى بما شاء من حاجته ثم ينزل ويبتدئ السعى ويقول رب اغفر وارحم واعف وتكرم وتجاوز عما تعلم انك انت الأعز الاكرم (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة

وقنا عذاب النار) فاذا سعى وانتهى الى المروة صعدها واقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء -

الجملة السادسة فى الوقوف - يخرج من مكة الى منى ملبيا فاذا انتهى الى منى قال اللهم ان هذه منى فامنن على فيها بما مننت على اوليائك واهل طاعتك - وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا نسك فيه فاذا اصبح سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط واقربها من رضوانك وابعدها من سخطك اللهم اليك غدوت واليك اعتمدت ووجهك اردت فاجعلنى ممن تباهى به اليوم من هو خير منى وافضل - ثم يأتى عرفات ويفعل هناك ماهو مسطور فى الكتب لكن اعظم اركان الوقوف الدعاء اذ فى مثل تلك البقعة فى مثل ذلك اليوم فى مثل ذلك الجمع ترجى اجابة الدعاء والدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم عرفة اولى ما يدعو به وهو هذا، لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، اللهم اجعل فى قلبي نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى امرى - وليقل اللهم رب لك الحمد كما نقول وخير ما نقول لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى واليك مآبى واليك متابى اللهم انى اعوذبك من وساوس الصدور وشتات الامر وعذاب القبر، اللهم انى اعوذ بك من شر ما يلج فى الليل وشر ما يلج فى النهار ومن شر ما هبت به الرياح وشر بوائق الدهر اللهم انى اعوذبك من تحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدنى بالهدى واغفرلى فى الآخرة والاولى يا خير مقصود واشرف منزول عليه واكرم مسؤل ما لديه أعطنى العشية افضل ما تعطى احدا من خلقك وحجاج بيتك يا ارحم الراحمين، اللهم يا رفيع الدرجات ومنزل البركات وفاطر الارضين والسموات ضجت اليك الاصوات بضروب اللغات يسألونك الحاجات وحاجتى اليك ان تذكرنى فى دار البلى اذانسينى اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى واعلانى ولا يخفى عليك شيء من أمرى انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف

المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك خده ورغم لك انفه ، اللهم لا تجعلني بدعائك شقيا وكن بى رءوفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين الهى من مدح اليك نفسه فانى لائم لنفسي، الهى اخرست المعاصى لسانى فما وسيلة من عمل ولا شفيع الا الامل، الهى انى اعلم ان ذنوبى لم تبق لى عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك اكرم الاكرمين، الهى ان لم اكن اهلا ان ابلغ رحمتك فان رحمتك اهل ان تبلغنى، رحمتك وسعت كل شيء وانا شيء ، الهى ان ذنوبى وان كانت عظاما فهى صغار فى جنب عفوك فاغفرها يا كريم، الهى انت انت وانا انا ، انا العواد بالذنوب وانت العواد الى المغفرة الهى ان كنت لاترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون، الهى تجنبت طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك على واكرم عفوك عنى فبوجوب حجتك على وانقطاع حجتى وفقرى اليك وغناك عنى الا غفرت لى يا ارحم الرحمين ياخير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام اتوسل اليك فاغفرلى جميع ذنوبى واصرفنى من موقفى هذا مقضى الحوائج وهب لى ما سألت وحقق رجائى فيما تمنيت ، الهى دعوتك بالدعاء الذى علمتنيه فلا تحرمنى الرجاء الذى عرفتنيه، الهى ما انت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك بذله مستكين بجرمه متضرع اليك من عمله تائب اليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك فى العفوعنه طالب اليك فى كل حوائجه راج لك فى موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجأ كل حى وولى كل مؤمن من احسن فبرحمتك يفوز ومن اساء فبخطيئته يهلك ، اللهم اليك خرجنا وبفنائك انخنا واياك املنا وعندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك اشفقنا ولبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فيه (١) خالق يخشى ويا من ليس له وزير يؤتى ولاحاجب يرشى يا من لايزداد على السؤال الا تكرما وجودا وعلى

---

(١) كذا .

كثرة الحوائج الا تفضلا واحسانا انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن اضيافك فاجعل قرانا منك الجنة، اللهم لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثواب ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل داع اليك زلفة ولكل متوسل اليك عفو وقدوفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشاهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلاتخيب رجاءنا، الهنا تتابعت النعم حتى اطمأنت الانفس بتتابع نعمك واظهرت الصبر حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف اولياؤك بالتقصير عن حقك واظهرت الآيات حتى افصحت السموات والارضون بأدلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا اساء عبادك حلمت واذا احسنوا تفضلت وقبلت واذا عصوا سترت واذا اذنبوا غفرت واذا دعونا اجبت واذا نادينا سمعت واذا اقبلنا اليك قربت واذا ولينا عنك دعوت الهى انك قلت فى كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفرلهم ما قد سلف) فارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالوحدانية مخبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا منك انقص من حظ من دخل فى الاسلام، الهنا انك احببت التقرب اليك بعتق ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل فأعتقنا وانك امرتنا ان نتصدق على فقرائنا وانت احق بالطول فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا وانت احق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفرلنا وارحمنا انت مولانا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وقنا برحمتك عذاب النار ـ وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول يا من لايشغله شان عن شان ولا يشغله سمع عن سمع ولاتشتبه عليه الاصوات يامن لاتغلطه المسائل ولاتختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولايضجره مسألة السائلين اذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك ـ وليدع بما بداله وليستغفر لنفسه ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلح فى الدعاء وليعظم المسألة فان الله سبحانه لايتعاظمه

شيء

شيء - قال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجمع من اجلي - وقال بكر المزني قال رجل لما نظرت الى اهل عرفات ظننت انهم قد غفر لهم لولا انى كنت فيهم -

السابعة في بقية اعمال الحج - فاذا بلغ المزدلفة يغتسل بها لانها من الحرم ثم يقول اللهم هذه مزدلفة جمعت ألسنة مختلفة تسألك حوائج مؤتنفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته - ثم يبيت بها تلك الليلة واحياؤها سنة لمن قدر عليها واذا انتصف الليل فليتأهب للرحيل وليتزود منها سبعين حصاة ولا باس بالزيادة عليها اذ ربما يسقط بعضه وليكن الحصى خفا فاتحتوى عليها اطراف البراجم ثم يسير بعد صلاة الفجر واذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة يقف ويدعو بها بهذا الى الاسفار اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام مع الركن والمقام بلغ روح محمد صلى الله عليه وسلم منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام ياذا الجلال والاكرام - ثم يرمي الجمرات في المواضع الثلاثة ويقول مع كل حصاة منها الله اكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك - ولا يقف في هذا اليوم للدعاء ويقطع التكبير الاعقيب الصلوات من ظهر يوم النحر الى صبح آخر ايام التشريق وصفة التكبير الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لاشريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده لا اله الا الله والله اكبر - ثم يقول عند ذبح الهدى بسم الله والله اكبر اللهم منك وبك ولك تقبل منى ماتقبلت من ابراهيم خليلك ثم ليحلق وليقل اللهم اثبت بكل شعرة حسنة وامح عني بكل شعرة سيئة وارفع لي عندك بها درجة ثم يحل له كل شيء الاالنساء والصيد ثم يفيض الى مكة ويطوف طواف الزيارة ثم يحل له كل شيء - وهذا الطواف كما سبق والامام يخطب في هذا اليوم بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم - ففي الحج اربع خطب خطبة السابع، يوم عرفة، يوم النحر، يوم النفر الاول، وكلها بعد الزوال وافراد

---

(١) كذا -

الاخطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة - ثم يبيت بمنى وهي ليلة القر لقرار الناس لانهم لا ينفرون وفى صبح الثانى من يوم العيد يغتسل للرمى فيرمى الجمرة الاولى سبع حصيات ثم اذا تعداها انحرف عن الجادة قليلا ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يرمى الجمرة الثانية ويقف كما فى الاولى ثم الثالثة ولا يقف عندها ثم يبيت تلك الليلة بمنى وهى ليلة النفر الاول - فاذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من ايام التشريق رمى احدى وعشرين حصاة كاليوم الذى قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى والعود الى مكة لكن ان لم يخرج الى الليل يلزمه المبيت بمنى حتى يرمى يوم النفر الثانى احدى وعشرين حصاة كما سبق - والتفصيل فى كتب الفقه -

الجملة الثامنة فى صفة العمرة

من اراد ذلك فلينو عند الاحرام ويلبى ويقصد مسجد عائشة ويصلى ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود الى مكة وهو يلبى الى ان يدخل المسجد الحرام ثم يطوف ويسعى كما وصفناه فى الحج ثم يحلق رأسه فيتم عمرته واذا يدخل البيت فليدخله حافيا موقرا وليصل بين العمودين وهو الافضل - قال بعضهم وقد سئل عن دخول البيت والله ما ارى هاتين القدمين اهلا للطواف حول بيته فكيف اراهما اهلا لأن اطأ بهما بيت ربى وقد علمت حيث مشتا والى اين مشتا - وليكثر شرب ماء زمزم وليستق الماء بيده ان امكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقنا الاخلاص واليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة - قال صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب لداء يشفى(١) ما قصد به

الجملة التاسعة فى طواف الوداع

وهذا ايضا كما سبق لكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ صلى ركعتين خلف المقام ويشرب من ماء زمزم ثم يأتى الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن امتك حملتنى على ما سخرت لى من

(١) كذا -

خلقك

خلقك حتى سيرتني فى بلادك وبلغتني بنعمتك حتى اعنتني على قضاء مناسكك فان كنت رضيت عني فازددعني رضا والا فمن الآن قبل تباعدي عن بيتك هذا اوان انصرافي ان اردت غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك، اللهم اصحبني العافية فى بدني والعصمة فى ديني واحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما ابقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة انك على كل شيء قدير، اللهم لاتجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وان جعلته آخر عهدي فعوضني منه الجنة والأحب ان لا تصرف بصرك عن البيت حتى تغيب عنه -

(الجملة العاشرة) فى زيارة المدينة وآدابها - واما فضلها فاكثر من ان يحصى فمن قصدها فليكثر فى طريقه الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا وقع بصره على جدارها فليقل اللهم هذا حرم رسولك صلى الله عليه وسلم فاجعله لي وقاية من النار وأمنا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس افضل ثيابه وانظفها وليدخل متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله (رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) ثم ليقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر بحذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي فى قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يغير المسجد - ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بان يستدبر القبلة ويستقبل القبر على نحو اربعة اذرع من السارية التي فى زاوية جدار القبر وليجعل القنديل على رأسه وليس من السنة مس الجدار وتقبيله بل الوقوف من بعد اقرب الى الاحترام فيقول السلام عليك يارسول الله، السلام عليك يانبي الله، السلام عليك يا امين الله، السلام عليك ياحبيب الله، السلام عليك ياصفوة الله. السلام عليك ياخيرة الله، السلام عليك يا احمد، السلام عليك يامحمد، السلام عليك يا اباالقاسم، السلام عليك ياماحي، السلام عليك يا عاقب، السلام عليك يا بشير، السلام عليك يا نذير، السلام عليك ياطهر، السلام عليك ياطاهر، السلام عليك يا اكرم ولد آدم

السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا خاتم النبيين، السلام عليك يارسول رب العالمين، السلام عليك يا قائد الخير، السلام عليك يا فاتح البر، السلام عليك يا نبى الرحمة، السلام عليك يا سيد الامة، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين، السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين، السلام عليك وعلى ازواجك الطاهرات امهات المؤمنين، جزاك الله عنا افضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن امته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون وصلى عليك فى الاولين والآخرين افضل واكمل واعلى واجل واطيب واطهر ما صلى على احد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة اشهد ان لا اله الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وامينه وصفيه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة وأديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك اليقين، فصلى الله عليك وعلى اهل بيتك الطيبين وكرم وشرف وعظم - وان كان احد اوصى بتبليغ السلام فليقل السلام عليك من فلان وفلانة ثم ليتأخر قدر ذراع وليسلم على ابى بكر الصديق لان رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر عند منكب ابى بكر رضى الله عنهما ثم يتأخر قليلا قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر وليقل السلام عليكما ياوزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين فى امته بعده بأمور الدين تتبعان فى ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ماجزى وزيرى نبى عن دينه - ثم ليرجع ويقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم وليستقبل القبلة وليحمد الله ويمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم انك قلت وقولك الحق (ولو انهم اذظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) اللهم انا قد سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا نبيك مستشفعين به اليك فى ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطا

بخطايانا و تقصيرنا فتب اللهم علينا و شفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والانصار واغفر لاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ولا من حرمك يا ارحم الراحمين - ثم ليأت الروضة ويصلي فيها ويكثر من الدعاء ما استطاع وليدع عند المنبر - ويستحب ان يضع يده على الرمانة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة - ويستحب ان يزور يوم الخميس قبور الشهداء بأحد فيصلي الغداة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ويعود الى المسجد الصلاة الظهر فلا يفوته فريضة جماعة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم -

ويستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان وقبر الحسن بن علي بن ابي طالب وفيه ايضا قبر علي بن الحسن ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها وعنهم ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كله بالبقيع - ويستحب ان يأتي في كل سبت مسجد قباء ويصلي فيه ويأتي بئر اريس التي تفل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ريقه فيتوضأ منها ويشرب من مائها - ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا سائر المساجد والمشاهد وهي ثلاثون موضعا يعرفها اهل المدينة - وكذا يقصد طلبا للشفاء سبعة آبار التي توضأ واغتسل منها وشرب من مائها رسول الله صلى الله عليه وسلم -

واعلم ان الاقامة بالمدينة ان امكن فلها فضل عظيم - وفي الحديث لا يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وغير ذلك من الاحاديث - وان لم يمكن الاقامة وعزم على الخروج فالمستحب ان يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع القبر ويسأل الله ان يرزق اليه العودة ويسأل السلامة في سفره ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان زيدت المقصورة في المسجد

فاذا خرج يقدم رجله اليسرى ثم يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وتجعله آخر العهد بنبيك وحط اوزارى بزيارته واصحبنى فى سفرى ويسر رجوعى الى اهلى واجعلنى من السالمين يا ارحم الراحمين، اوليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتتبع المساجد التى بين المدينة ومكة ويصلى فيها وهى عشرون موضعا فاذا رجع الى بلده السنة ان يكبر على كل شرف ثلاثا ويقول لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آئبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده - وفى رواية وكل شيء هالك الاوجهه له الحكم واليه ترجعون واذا اشرف على مدينته فليحرك دابته وليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم يرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا يطرق اهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد اولا فيصلى فيه ركعتين ثم يدخل بيته ويقول عند دخوله توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا - ثم اذا استقر فى منزله لا ينسى ما انعم الله عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم ولا ينبغى ان يكفر هذه النعمة ويعود الى الغفلة واللهو والخوض فى المعاصى لأن علامة الحج المبرور أن يعود زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت -

المطلب السادس

فى الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة وهى عشرة

احداها ان تكون النفقة حلالا بلا تجارة تشغل القلب وتفرق الهم بل يكون همه مجرد رضا الله تعالى وذكره وتعظيم شعائره ومن جملة الحج لغيره وقد تورع عنه ارباب القلوب الاان يكون قصده الاقامة بمكة ولم يكن له ما يبلغه فيتوصل بالدنيا الى الدين لاعكسه فيكون قصده زيارة البيت واسقاط الغرض عن اخيه المسلم ولست اقول الاجرة حرام اومكروه بل اقول الاولى ان لايفعل لئلا يعطى الدين بالدنيا ولو أخذه لاجل التوسل بالدنيا الى الدين كما سبق فلا بأس به -

ثانيتها ـ ان لايعاون اعداء الله بتسليم المكوس الى العمال الظلمة المترصدين فى الطرق بل يتلطف فى حيلة الخلاص لأن فى ذلك ذلا وصغارا على المسلمين ببذل جزية ولا يحل العون عليه ولا الرضا به وان اوله بانا مضطرون فى ذلك فقل له فاين اضطرار فى الخروج عن البيت وترك زى الفقراء حتى تطالب بها ـ

ثالثتها ـ التوسع فى الزاد وطيب النفس بالانفاق من غير تقتير بان يمنع ما وجب عن نفسه اوعن قوت ما عليه مؤنته شرعا اومروءة ـ ولا اسراف بان يترفه بأطايب النعم وانواع الاطعمة على عادة المترفهين ـ واما كثرة الخير فقد قيل لا سرف فى الخير ولاخير فى السرف والدرهم الواحد فى طريق الحج بسبعمائة ـ

ورابعتها ـ ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن فيصون لسانه من اللغو والخنا والفحش ويحفظ الاوامر ويترك النواهى ويلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله تعالى ويعاملهم بحسن الخلق وهو احتمال الاذى لامجرد كف الاذى وسمى السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال ـ

وخامستها ـ المشى ان قدر وله بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم كذا ورد الاثر عن ابن عباس وسئل ما حسنات الحرام قال الحسنة بمائة الف وان اضاف اليه الاحرام من دويرة اهله فقد قيل انه من تمام الحج كما قال تعالى (واتموا الحج والعمرة لله) وقيل الركوب افضل لما فيه من الانفاق والمؤنة وابعد عن الضجر واذى الغير واقرب الى سلامته وتمام حجه والتحقيق ان الاول لمن قدر عليه والثانى لمن ضعف عنه وضجر فلا مخالفة بين القولين ـ

وسادستها ـ ان يتجنب عن المحامل فانه من زى المترفهين قيل وقد احدثها الحجاج وكان العلماء فى وقته يكرهونها ـ

وسابعتها ـ ان يكون اشعث اغبر غير مائل الى التفاخر والتكاثر وفى الحديث انما الحاج الشعث الغبر يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتى قد جاؤنى شعثا غبرا من كل فج عميق ويروى ان اهل اليمن على هذه الهيئة ولهذا قيل لهم زين الحجيج وينبغى ان يجتنب الحمرة فى زيه والشهرة كيف ما كانت على العموم ـ

وثامنتها، ان يرفق بالدابة فلايحملها مالاتطيق كالمحمل ومنها النوم عليها والوقوف عليها وقوفا طويلا ومن السنة نزوله عن الدابة بكرة وعشية يروحها ويوقع السرور فى قلب المكارى وقد ورد فى الخبران فى كل كبدحرى اجرا وكان السلف يشترطون مع المكارى عدم النزول ويوفون الاجر ثم ينزلون ليكون ذلك من حسنات انفسهم ـ

وتاسعتها ـ ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويختار سمين النعم ويأكل منه فى التطوع دون الواجب والقليل الجيد خير من كثير الدون ـ

وعاشرتها ـ طيب النفس بما انفقه من نفقة وهدى وما اصابه من الخسران والمصيبة فى المال والبدن فانها من دلائل قبول حجه ومن امارة القبول تبديل اخوانه البطالين اخوانا صالحين ومجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة ـ

المطلب السابع

فى الاعمال الباطنة وطريق الاخلاص فيها وذلك فى عدة امور

الاول ـ الفهم فاعلم انه لا وصول الى الله تعالى الا بالتنزه عن الشهوات واللذات والتجرد الى الله تعالى فى جميع الحالات ولهذا انفرد الرهبان من الملل السالفة عن الخلق فى قلل الجبال فتركوا اللذات الحاضرة واستوحشوا عن الخلق للانس بالله تعالى فاثنى الله عليهم فى كتابه فقال (ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لايستكبرون) فلما اندرس ذلك واقبل الناس على الشهوات وفتروا عن العبادة بعث الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لهداية طريق الآخرة فمنع الناس الرهبانية فى دينه فقال ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعنى الحج ـ وسئل عن السائحين فقال هم الصائمون ـ وهذا من عناية الله تعالى بهذه الامة بحيث اعطى لهم فى الناس ما حصلوه فى الجبال وجعل لهم الحج رهبانية بتشريف بيته العتيق بان اضافه الى نفسه مع تنزهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ثم جعل ما حوله حرما وحرم صيده وقطع شجره وجعل عرفات كالميدان لفناء حرمه فقصده عباده من كل اوب سحيق غبرا متواضعين لرب البيت مستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة

لعزته

لعزته حتى تعبدهم بامور لا يفهمون معناها كترددات السعي ورمي الجمار تحقيقا لمقام العبودية وابتلاء لعباده ليمتاز المطيع عمن اتبع نفسه هواها وعمل بمقتضى الطباع واعتقدها امورا فارغة عن الحكمة وليس كذلك بل لها حكم واسرار تغفل عنها العقول ولهذا صار ابلغ انواع التعبدات -

الثاني - انه ينبعث من الفهم المذكور الشوق بان الابصار الفانية قصرت عن النظر الى وجه الله الكريم وصار ذلك فى دار القرار جعل النظر الى بيته فى الدنيا سببا الى استحقاق لقاء رب البيت فى الآخرة بمقتضى وعده الكريم فيشتاق المحب الى اسباب اللقاء -

الثالث - العزم بان يصحح عزيمته باخلاصه واجتناب كل ما فيه رئاء وسمعة وليحذر عن ان يقصد قرب البيت ويبعد عن رضا ربه -

الرابع - ان تقطع (١) وليس معناه ترك الوطن والاهل والاولاد والاموال بل رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصى فان كل عظيمة علاقة تنادى عليه اين تقصد وانت مضيع امره فى منزلك -

الخامس - ان تقطع قلبك عن الالتفات الى ما وراءك كما قطعت وجهك عن النظر الى ماوراءك فتوجه اليه بقلبك كتوجهك بقالبك والا فليس لك منه الا النصب والعناء والتعب والشقاء وليذكر عند قطعه العلائق الظاهرة والباطنة توجهه الى سفر الآخرة وليكتب وصية لأهله واولاده اذ المسافر لعلى خطر الاما وقى الله تعالى -

السادس - يطلب الزاد والراحلة من موضع حلال وليذكر أن المسافر يطلب من الزاد مالا يتغير فى اول منزل بل لا يتغير على طول السفر فكذلك سفر الآخرة لايصلح له زاد الا التقوى وماعداه يتخلف عند موته وكربه وليذكر عند حضور الراحلة الشكر لله تعالى على ان سخرها له تحمل عنه الاذى وترفع عنه المشقة فليتذكر عنده مركب الآخرة فينبغى ان يصلحه فوق ما يهتم لراحلة السفر -

السابع - شراء ثوبى الاحرام من مال حلال فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه اذليس

---

(١) كذا -

فى ثوب الاحرام مخيط فكذا فى الاكفان ـ

الثامن ـ الخروج من البلد وليتذكر عنده الخروج من القبر والتوجه الى الحشر ولايدرى كيف حاله ايغتال فى الطريق ام يصل الى مقصده سالما كذلك فى الآخرة لايعرف مآل امره ـ

التاسع ـ فليتذكر عند دخول البادية الوقوف فى المحشر وان ما فى البادية من الحيات والسباع نظير ما فى الحشر من الاهوال والمخاوف ـ واما الاحرام والتلبية التى هى اجابة نداء الله عزوجل فى قوله (واذن فى الناس بالحج) نظير نداء الخلق بالنفخ فى الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم فى عرصات القيامة ـ

العاشر يتذكر عند دخوله مكة الانتهاء الى حرمه وامنه مع خوفه من ان لايكون من اهل القرب ولكن ينبغى ان يغلب رجاؤه اذ الكرم عميم وليتذكر عند وقوع البصر على البيت وحضور عظمته فى قلبه مشاهدة رب البيت وعظمته ـ وليرج ان يرزقه النظر الى وجهه الكريم فى العقبى كما رزقه النظر الى بيته العظيم فى الدنيا وليتذكر عند ذلك دخول الجنة آمنين وليسأل ذلك من الله تعالى ـ

الحادى عشر ـ فليتذكر عند الطواف التشبه بالملائكة الحافين حول العرش الطائفين حوله ولتعرف ان المقصود الاعظم طواف قلبك بذكر رب البيت فلا تبتدئ الامنه ولاتختم الابه كما ان الطواف يبتدئ بالبيت ويختم به واعلم ان اصل الطواف فى عالم الملكوت وهو تطواف القلب بحضرة الربوبية وان مثاله فى عالم الملك هو البيت فكما ان القلب يطوف بالبيت كذلك القلب يطوف بربه اذ الموازنة بين عالم الملك والملكوت معلومة لمن فتح الله له هذا الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور فى السماء بازاء الكعبة وان طواف الملائكة كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم والذى يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذى يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رواه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله عزوجل ـ

الثانى عشر - فاعتقد عند الاستلام انك مبايع لله تعالى على طاعته فصمم عند ذلك على قيامك بالوفاء ببيعتك فمن غدر فى المبايعة استحق المقت الاترى الى ما ورد فى الحديث ان الحجر الاسود يمين الله فى الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه وليذكر عند التعلق باستار الكعبة تعلق المذنب بثياب من اذنب اليه المتضرع اليه المظهر انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الأمن فى المستقبل ويرجو التحصن عن النار فى كل جزء يلاقى البيت -

الثالث عشر - ليتذكر عند السعى تردد العبد لفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلاص فى الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة وليذكر ايضا تردده بين كفتى الميزان مرددا بين العذاب والغفران -

الرابع عشر - وليتذكر بالوقوف بعرفات اجتماع الناس يوم الحشر فى العرصات مع الانبياء والاولياء ، طمع كل امة فى شفاعة هؤلاء وترددهم فى الرد والقبول بلوغ كل منهم ما هو المأمول الا ان الموقف لما لم ينفك من الاوتاد والابدال وطبقات الصالحين وارباب القلوب سيما عند اجتماع القلوب بالضراعة والابتهال وارتفعت ايديهم الى جنابه وامتدت اعناقهم نحو بابه وشخصت ابصارهم نحو السماء فلا تظنن ان يخيب الدعوات يخيب آمالهم(١) ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان لن يغفر الله له اذ لا طريق فى استدرار رحمة الله عز وجل مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب فى وقت واحد على صعيد واحد -

الخامس عشر - ليقصد برمى الجمار اظهار العبودية والانتهاض لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس بل يقصد التشبه با براهيم النبى صلوات الله عليه حين عرض ابليس فى ذلك الموضع ليدخل على حجته بشبهة او يفتنه بمعصية فأمر الله تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله وان خطر لك ان ذلك رمى لاجل الشيطان واما انا فلا فائدة لى فى رميها فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان يصدك بهذا عن امتثال

مش الاصل - امالهم -

امر الرحمن ويلقى فى قلبك ان هذا يضا هى اللعب فاطرد هذا عن نفسك بالجد فى الرمى ترغم بذلك انف الشيطان فهو فى الصورة رمى الجمار وفى الحقيقة ارغام انف الشيطان بامتثال امر الله تعالى وترك حظ النفس -

السادس عشر - ان تعرف ان الهدى تقرب الى الله تعالى بامتثال امره وارج عند ذبحه ان يعتق بكل جزء منه جزء من اجزاء بدنك بذلك من النار بمقتضى وعده الكريم فكلما كان الهدى اعظم واكبر كان الفداء من النار اعم واعظم -

السابع عشر - اذا وقع بصرك على حيطان المدينة فاذكر فضيلة هذه البلدة وانها دار هجرة خير البشر صلى الله عليه وسلم وفيها تربته المطهرة وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده وضع قدمك فى تلك البلدة على السكينة والوقار اذ طالما تشرف بقدم النبي صلى الله عليه وسلم فى العشى والابكار وارج من الله تعالى ان يمنحك رؤيته فى دار القرار كما يسر لك رؤية هذه الديار التي فيها قبره الشريف وقبرا صحابه الكبار واذكر عند دخول مسجده انه اول عرصة اقيمت فيها فرائض الله تعالى وجمعت افضل خلق الله حيا وميتا وعظم املك فى ان يرحمك الله عز وجل بسبب دخولك اياها فادخل خاشعا ومعظما وما اجدر هذا المكان تعظيما يقدر عليه انسان -

الثامن عشر - اذا زار رسول الله صلى الله عليه وسلم فليعلم ان زيارته ميتا كزيارته حيا واذا رأيته حيا فكيف تعظمه فاقدر ذلك القدر وراعه فى حق زيارة قبره ولا تدن منه كل الدنو ولا تقبله بل قف من بعيد ماثلا بين يديه كما كنت تفعل لو زرته فى حياته - واعلم انه صلى الله عليه وسلم عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة فى خيالك موضوعا فى اللحد بازائك واحضر عظم تربته فى قلبك - واذا اتيت منبره توهم صعوده وطلعته البهية قائما على المنبر وقد احدق به المهاجرون والانصار وهو يحثهم فى خطبته على طاعة الله تعالى واسأل الله ان لا يفرق بينك وبينه فى القيامة -

التاسع عشر - اذا فرغت من هذه الاعمال فأخطر بالبال انك بين خطر رد الاعمال وبشارة قبولها وتحزن وتخوف على عدم معرفتك بانك من زمرة المحبوبين اورد

حجنك

حجتك والحقت بالمطرودين ـ

العشرون ـ ان تمتحن قلبك بعد قدومك وطنك انك ان ازددت تجافيا من دار الغرور الى دار انس بالله تعالى اوزدت القرار من دار الذلة والخسار ووازن اعمالك فان كان من قبيل الشق الاول دل على القبول والا فيوشك ان يكون حظك من هذه الاعمال التعب والعناء والنصب والشقاء نعوذ بالله من الحرمان من ان تنسلك فى حزب الشيطان فعليك بمحاسبة نفسك فى كل غدوة وعشية وتدارك أمرك من قبل ان تدخل فى الذين حيل بينهم وبين ما يشتهون اذ عند ذلك تعظم الحسرة والخسار ـ ولايمكن التدارك بالتوبة والاستغفار نبهنا الله تعالى وايا كم قبل حلول المنية ولا يحرمنا بحرمة نبيه عن هذه الامنية صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذرياته واحبابه وسلم تسليما ـ

الاصل الثامن

فى علم فضيلة الاذكار والتلاوة والاوراد ـ وفيه مقدمة ومطالب

المقدمة

اعلم ان من المقدمات المقررة عند الخواص بل العوام ان السعادة فى لقاء الله الملك العلام ولاسبيل اليه الا بالحب له والمعرفة وهما لايحصلان الابدوام الفكر فى صفاته وافعاله وان كل جمال وكمال شعبة من جناب جلاله وحضرة جماله ثم ان النفس لما ابتليت بمصاحبة هذا البدن ليعينها فى بلوغ مطالبه ولما احتاج البدن الى حسن تدبير النفس اياه وتربيته ولن يسخر اللطيف الكثيف بالاختيار حتى يقاسى رعايته وتربيته اودع الله سبحانه وتعالى بينهما رابطة الحب لتكون تلك الرابطة واسطة تلك الرعاية ـ ثم ان النفس الجاهلة بسبب شوقها الى البدن ربما تميل الى شهواته ومقتضياته فتنسى ما خلقت لاجله من معرفة مبدئه وتدبير معاده فلابد لازالة هذا الميل عنها من اختيار التدريج وذلك التدريج بالذكر ثم الفكر ثم الشوق ثم العزم ثم قطع العوائق ثم السلوك الى المطلب ولما كان اصل الكل الذكر المنتج للفكر وذلك لايحصل بالقدر اليسير منه لما نازعته الشهوات البدنية لاجرم

كان الواجب على الانسان الذكر المستغرق للاوقات حتى ينتهى الى الفكر وينزع النفس عن الشهوات ولما كان استغراق الكل متعذرا واستغراق الاكثر متعسرا لوجوب المصالح الضرورية للبدن وجواز الملاذ المباحة لاجرم لابد من قانون ينتهى الذكر بذلك القدر الى الفكر فمن غلب اوقات ذكره فهو ممن يترجح كفة حسناته ـ واما من ساوى بينهما فامره الى الله مع ان سعة الرحمة تعظم الرجاء فى امره ـ واما المستغرق جميع اوقاته فهؤلاء هم المنتهون الفائزون بالجنان من غير حساب ـ وأما المبتدئ فلايمكنه ذلك اذ تدخله السآمة والملال والله تعالى لايمل حتى تملوا فلابد فى حقهم من التلطف والتدريج من فن الى فن لان التفنن يروح النفس ويرغبها فى الزيادة عليه فلابد من بيان اوقات للتلاوة والاذكار آناء الليل واطراف النهار كما قال تعالى (واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) وقال تعالى (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود) وقال (وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) ثم قال فى حق الفائزين (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحارهم يستغفرون) وقال الله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا) الى غير ذلك من الآيات ـ

المطلب الاول

فى علم آداب التلاوة وفضيلتها

لا تخفى على احد سيما من سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتى افضل مما اوتى فقد استصغر ما عظمه الله تعالى ـ وقوله صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن فى اهاب ما مسته النار ـ وكذلك لايخفى ذم تلاوة الغافلين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب تال للقرآن والقرآن يلعنه ـ فلابد من ذكر آداب ينجو بها من نقيصة الغفلة ورذيلة التقصير ثم ان الآداب لها ظاهر وباطن والآداب الظاهرة عشرة ـ

الاول فى حال القارئ ـ وهو أن يكون على وضوء ويقرأ على السكون والوقار

اما

اما قائما اوجالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولامتكئ ويجلس جلوسه عند الاستاذ وافضل احوال القراءة فى الصلاة قائما ويكون فى المسجد، ثم غير متوضئ، ثم المضطجع وان لم يخل عن الفضيلة ولكن ان قرأ مضطجعا ينبغى ان يضم رجليه -

الثانى - فى المقدار وله مراتب منهم من يختم فى اليوم والليلة مرة اومرتين وانتهى بعضهم الى ثلاث ومنهم من يختم فى ثلاث وهذا الوسط وهو الافضل - ومنهم من يختم فى اسبوع وقد فعله كثير من الصحابة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبى بن كعب رضى الله عنهم - ومنهم من يختم فى كل شهر - والختم فى اليوم والليلة مرة اومرتين اومرات مكروه وفى الشهر مرة مبالغة فى الاقتصار والاحب بينهما الا ان الحق ان القارئ ان كان من العباد يختم فى الاسبوع مرة اومرتين وان كان من ارباب القلوب اوممن اشتغل بنشر العلم ففى الاسبوع مرة وان كان نافذ الفكر فى معانى القرآن ففى الشهر مرة لكثرة حاجته الى ترديد الآيات وتكريرها -

الثالث - فى القسمة من قسم القرآن على سبعة يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وفى الليلة الثانية بالانعام الى هود وفى الثالثة بيوسف الى مريم وفى الرابعة بطه الى طسم وفى الخامسة بالعنكبوت الى ص وفى السادسة بتنزيل الى الرحمن وفى السابعة وهى ليلة الخميس يختم - وقيل فى السبعة الاحزاب الاول ثلاث سور والثانى خمس والثالث سبع والرابع تسع والخامس احدى عشرة والسادس ثلاث عشرة والسابع المفصل من ق وهذه تجزئة الصحابة - وما سوى هذه من الاخماس والعواشر محدث -

الرابع - الكتابة يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولابأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فان ذلك تزيين وصد من الخطأ واللحن - واماما نقل من الكراهة فيها وفى امثالها لخوفهم عن أن يؤدى فتح هذا الباب الى احداث زيادات يطرق بها التغيير الى القرآن - اما الذى نحن عليها فلم يبلغ الى تلك الدرجة مع فائدة

الاعراب والصون عن اللحن والخطأ فهذه بدعة حسنة -

الخامس - البكاء قال النبى صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وطريق التباكى ان يلقى فى قلبه الحزن ومنه ينشأ البكاء - قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا - وطريق التحازن ان يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والوثائق والعهود ثم يتأمل تقصيره فيحزن ويبكى لامحالة فان لم يحزن بهذه فليبك عـلى فقد الحزن والبكاء فان ذلك من اعظم المصائب -

السادس - الترتيل وقد عرفت ان الغرض من الذكر الفكر والترتيل معين عليه وبذلك نعتت ام سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيما اذا كان القارئ اعجميا لايفهم المعنى فانه يستحب له الترتيل والتؤدة لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام -

السابع - رعاية حق الآيات مثل ان يسجد فى مواضعها ولو سمع من غيره ويسجد على طهارة ويشترط لها شرائط سجدة الصلاة من الطهارة واستقبال القبلة وستر العورة -

الثامن - ان يتعوذ قبل القراءة ويقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ويقرأ سورة قل اعوذ برب الناس وسورة الفاتحة وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله العظيم وبلغ رسوله، اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه والحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحى القيوم واذا مر بآية تسبيح سبح وكبر وان مر بآية استغفار استغفر ودعا وان مر بآية سؤال سأل وان مر بآية تخويف استعاذ يفعل ذلك بلسانه اوبقلبه فيقول سبحان الله اعوذ بالله، اللهم ارزقنا، اللهم ارحمنا - واذا فرغ يدعو بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ختم القرآن وهو اللهم ارحمنى بالقرآن العظيم واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل واطراف النهار واجعله حجة لى يا ارحم الراحمين -

التاسع

التاسع- وأدنى الجهر فى حق الصلاة وترتب الثواب اسماع النفس ومرتبة اسماع الغير مستحب وقد تعارضت الاخبار فى حق الجهر والاسرار الا ان الجمع بينهما ان الاسرار افضل لمن يخاف فيه الرئاء والتصنع واما فيمن هو بخلافه فالجهر افضل الا ان يشوش وقت مصل آخر لأن فيه فوائد كثيرة ليس فى الاسرار لانه خير متعدد يوقظ القلب ويجمع الهم الى الفكر ويجمع اليه سمعه ويطرد النوم منه ومن غيره ويزيد فى نشاطه ويقلل من كسله وقد يبعث نوم الكسلان الى القراءة فمهما حضر شيء من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمع اثنان او اكثر يضاعف الأجر بقدره -

العاشر- تحسين القراءة من غير تمطيط يغير النظم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم - وقال ما اذن الله لشيء اذنه لحسن الصوت يتغنى بالقرآن - وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن وغير ذلك -

المطلب الثانى

فى الآداب الباطنة وهى ايضا عشرة

الاول- فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله تعالى ولطفه حيث انزله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه مع كونه صفة قديمة قائمة بذاته - ولو استتار كنه جمال كلامه فى كسوة الحروف والالفاظ لما ثبت لسماعه عرش ولاثرى كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حتى صار دكا لولا تثبيت الله تعالى موسى لما اطاق سماع كلامه ومثاوا لذلك بتأديب الحيوانات باصوات دالة على كلمات لايفهم الحيوان الابكسوة اصوات تمكنها تميزها من النفير والصفير فالكلام عالى المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم فى الحق والباطل- وهو القاضى العدل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولاطاقة للباطل ان يقوم قدام الحكمة كالظل مع الشمس فهو ملك محجوب غائب وجهه ظاهر أمره وشمس ظاهرة الاضواء وعنصرها مكنون -

الثانى- تعظيم المتكلم بان يتفكر أن ظاهر الجلد كما انه محروس عن البشرة لم يتطهر

عن الاحداث والاخباث كذلك معناه محجوب بحكم عزه وجلاله عن باطن القلب ما لم يتطهر عن الحوادث والاكوان او يتنور بنور التعظيم والتوقير فيعظم الجلد بتعظيم الكلام عن يد غير متطهر والكلام بتعظيم متكلمه عن لسان غير متطهر عن الكذب والغيبة والبهتان - والمتكلم بالتفكر فى صفاته وافعاله بتطهير القلب عن تلوث الحدثان وكدورات الملوان -

الثالث - حضور القلب وترك حديث النفس وهذه الصفة تتولد عن التعظيم فان المعظم لاحد يستأنس بكلامه ويحضر اليه قلبه ويجمع اليه همه - وكان بعض السلف اذالم يحضر قلبه عند قراءة سورة اعادها -

الرابع - التدبر وهو وراء احضار القلب فانه قدلا يتفكر فى غير القرآن وقد يقتصر على سماع القرآن وهو لا يتدبره والمقصود من القرآن التدبر ولذلك سن فيه الترتيل فاذا لم يتمكن من التدبر فليردد - وعن أبى ذر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة فقام بآية يرددها (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) وقام سعيد بن جبير بهذه الآية يرددها (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) وعن أبى سليمان الدارانى انى لأتلو الآية فاقيم فيها اربع ليال اوخمس ليال ولولا انى اقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها - وعن بعض السلف انه بقى فى سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها - وقال بعض العارفين لى فى كل جمعة ختمة وفى كل شهر ختمة ولى فى ختمة ثلاثون سنة ما فرغت منها -

الخامس - التفهم وهو أن يستوضح من كل آية مايليق بها اذ القرآن مشتمل على ذكر صفات الله تعالى وافعاله واحوال انبيائه واوامره وزواجره والجنة والنار فتحت هذه معان مدفونة لا يصل اليها الا الموفقون - ولذلك قال على رضى الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب - وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد فى القرآن ما يريد ويعرف النقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد - فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه فاما الاستقصاء فلا مطمع فيه -

السادس - التخلى عن موانع الفهم لأسباب وحجب سدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القرآن - منها تحقيق مخارج الحروف واعظم ضحكة الشيطان القراء الذين اطاعوا تلبيس الشيطان الذين يخيل اليهم الشيطان ان الحروف لم تخرج من مخارجها فيصرفهم عن تكشف المعانى بل الحزم فى ذلك قدر الاقتصار - ومنها التقليد لمذهب مسموع له ويتعصب له فيحرم من غيره ولو كان حقا وان لمع برق الحق على بعد وبدا له حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد اسلافك الذين كانوا على الحق - وقول الصوفية العلم حجاب ارادوا به هذا النوع من العلم لا العلم الحقيقى المؤيد بالبرهان والعيان مثلا من غلب عليه مذهب التجسيم ولا حظ معنى القدوس انه منزه عن كل ما يجوز لمخلوقاته يكرعليه الشيطان ويصده عن ذلك بالتقليد قبل ان يستقر فى قلبه - ومنها ان يتراكم على مرآة قلبه صدأ المعاصى والشهوات فلا تنكشف له اسرار الكتاب ولذلك قال تعالى (انما يتذكر اولوا الالباب) وقال تعالى (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) ومنها ان يقلد تفسيرا ظاهرا يروى عن قتادة ومجاهد ويعتقد أن ما وراءه تفسير بالرأى - وهذا ايضا من اعظم الحجب اذ القرآن لا تنقضى عجائبه وستعرف التفسير بالرأى ان شاء الله تعالى -

السابع - التخصص - وذلك ان يقدر أن المقصود بكل خطاب فى القرآن من الامر والنهى والوعد والوعيد وان القصد من القصص والاخبار ليس الا الاعتبار وكيف لا والقرآن لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لأجله ولأجل امته عامة -

الثامن - التأثر بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الخوف والحزن والرجاء وغير ذلك ومن لم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان وهذه قليل الجدوى وتلاوة القرآن حق تلاوته انه يشترك فيه اللسان والعقل والقلب - فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعانى وحظ القلب الاتعاظ والتأثر

والانزجار والائتمار فاللسان والعقل ترجمان والقلب يتعظ فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط كقوله تعالى (وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) يتضاءل خضوعا من خيفته حتى كأنه يموت - ومنهم من مات عند سماع آية الوعيد ومنهم من خر مغشيا عليه وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله تعالى واسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته - وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله تعالى كذكرهم لله سبحانه ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر فى باطنه حياء من قبح مقالتهم - وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها ، وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا -

التاسع - الترقى الى ان يسمع الكلام من الله عز وجل فدرجات القراءة ثلاثة ادناها ان يقدر العبد نفسه كأنه ماثل بين يدى مولاه وهو مستمع منه فيقرأه بالتملق والتضرع والابتهال - واوسطها ان يشهد بقلبه كأن ربه يخاطبه بألطافه ويناجيه بانعامه فمقامه عند هذا الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم وهذه درجة اصحاب اليمين - واعلاها ان يرى فى كلام (١) المتكلم وفى الكلمات الصفات ويكون مقصور الهم على المتكلم كأنه مستغرق بمشاهدته عن غيره وهذه درجة المقربين وفى مثل هذه الحالة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة -

العاشر - التبرى من حوله وقوته وأن يشاهد نفسه بعين الرضا والالتفات اليها بالتزكية فاذا تلا آيات الوعد يشهد بذلك للمؤمنين ولا يرى نفسه اهلا لها بل يتشوق ان يلحقه الله بهم واذا تلا آيات المقت وذم العصاة شهد نفسه هناك وقدر نفسه المخاطب خوفا واشفاقا ، ثم رؤيته نفسه بصورة التقصير يكون سبب قربه الى ان يجاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله تعالى فى قراءته فحينئذ انكشف له الملك والملكوت ، وحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها عيانا وعلى هذا الحال آيات الخوف اذ حينئذ كوشفت له النار عيانا -

(١) كذا لعله والكلام -

المطالب

المطلب الثالث

فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل لعلك بالبال ان ما ذكرت من المعانى يرجع الى التفسير بالرأى وانه مما انكر عليه الشرع حتى شنع العلماء على اهل التصوف فى تأويل كلمات القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى انه كفر صريح -

فاعلم انه لايجوز التهاون بالتفسير الظاهر اولا ولا مطمع فى الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر وهذا امر اتفاقى وانما الخلاف فى ان وراءه معان اخر يفهمها من اعطى فهمه ام لا والحق جواز ذلك عقلا ونقلا - اما نقلا فقوله صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا - وقال على رضى الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب - وقوله ايضا الا ان يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن - ومعلوم ان تلك البطون والحد لم تنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ايضا ان وقر سبعين بعيرا فى الفاتحة لم يمكن بالنقل وكذا ما يؤتى الله عبدا فهما خارج عن النقل فظهر أن فى القرآن معان كثيرة وراء النقل ومثال هذه الاخبار والآثار كثيرة - واما عقلا فهو ان النهى عن التفسير بالرأى اما لحمله على معتقده الباطل وهواه واما بأن يعتقد على ذلك جهلا اويعتقد على خلافه لكن يلبس على خصمه - واما ان يفسره على ظاهر العربية من غير نقل وسماع فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن خلص فهمه عن هذه الآفات لايشغله الوعيد المذكور ثم من يؤيد فهمه بنور الكشف والشهود فذلك ما اشار اليه ابن عباس من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن ولعلك سمعت فيما سبق مايفتح عليك الاشكال المذكورة والله ولى التوفيق فى كل الامور ولعل العمر لوانفق فى استكشاف اسرار القرآن وما يرتبط بمقدماتها ولواحقها لانقطع العمر قبل استيفائها وما من كلمة فى القرآن الاوتحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين فى العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم

وصفاء قلوبهم وتوفير دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد فى الترقى الى درجة منه واما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما لنفد البحر قبل ان تنفد اسرار القرآن ـ

المطلب الرابع

فى علم الاذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة والاستغفار وفيه انواع ـ

النوع الاول فضيلة الاذكار قال تعالى (فاذكرونى اذكركم)

وقال (واذكروا الله ذكرا كثيرا) وقال (ولذكر الله اكبر) وقال النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملأه واذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الى هرولت اليه اى اسرعت اجابته وقال سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الاظله وذكر من جملتهم رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ـ

النوع الثانى ـ فضيلة التسبيح والتحميد قال صلى الله عليه وسلم من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين (وحمد ثلاثا وثلاثين) وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلااله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه وسلم من قال فى يوم مائة مرة سبحان الله وبحمده حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر ـ روى ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تولت عنى الدنيا وقلت ذات يدى فقال صلى الله عليه وسلم فأين انت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة مابين طلوع الفجر الى ان تصلى الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله تعالى من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة لك ثوابه ـ وقال ما على الارض رجل يقول لااله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله

والحمد لله ولاحول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر. وقال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم - وقال يا عبد الله بن قيس اويا ابا موسى اولا أدلك على كنز من كنوز الجنة قل بلى قال قل لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم - وقال من قال حين يصبح رضيت بالله رباوبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان حقا على الله تعالى ان يرضيه يوم القيامة - قال مجاهد اذاخرج الرجل من بيته وقال بسم الله قال الملك هديت فاذا قال توكلت على الله قل الملك كفيت فاذا قال لاحول ولاقوة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق الشياطين فيقولون لاسبيل لكم عليه قد هدى وكفى ووقى -

النوع الثالث - فضيلة التهليل - قال صلى الله عليه وسلم افضل ماقلت انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لاشريك له - وقال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فى كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكان له حرز من الشيطان يومه حتى يمسى ولم يأت احد بافضل مماجاء به الا احد عمل اكثر من ذلك - وقال ما من عبد توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله، الافتحت له أبواب الجنة يدخل من ايها شاء - وقال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولااله الاالله والله اكبر ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم، ثم قال اللهم اغفرلى اودعا استجيب له وان توضأ وصلى قبلت صلاته -

النوع الرابع - فضيلة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم - قال تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وروى انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال صلى الله عليه وسلم جاءنى جبريل فقال اما ترضى يا محمد انه لا يصلى عليك احد من امتك الاصليت

عليه عشرا ولايسلم عليك احد من امتك الاصليت عليه عشرا - وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملائكة ماصلى على فليقلل عبد من ذلك او ليكثر - وقال صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بى اكثرهم على صلاة - وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على من امتى كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات - وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب وقال من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة، حلت له شفاعتى - وقال صلى الله عليه وسلم ليس احد يسلم على الارد الله على روحى حتى ارد عليه - وقيل يا رسول الله كيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وارواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد - (١)

النوع الخامس - فضيلة الاستغفار - قال الله عز وجل (والذين اذا فعلوا فاحشة اوظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) وقال الله تعالى (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) وقال صلى الله عليه وسلم من اكثر الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وكان صلى الله عليه وسلم يكثر الاستغفار يقول (سبحانك) اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى انك انت التواب الرحيم - وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يأوى الى فراشه أستغفر الله العظيم الذى لااله الا هوالحى القيوم أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هوالحى القيوم - ثلاث مرات غفر الله ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر اورمل عالج اوعدد ورق الشجر اوعدد ايام الدنيا - وقال فى حديث آخر من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الاستغفار اللهم اغفرلى خطيئتى وجهلى واسرافى فى امرى وما انت اعلم به منى اللهم اغفرلى جدى وهزلى وخطائى وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفرلى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به منى انت المقدم

(١) كذا -

وانت

وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير - وقال من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفرلي انه لايغفر الذنوب الا انت غفرت ذنوبه ولوكانت كدب النمل وروي ان افضل الاستغفار اللهم انت ربي وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذبك من شرما صنعت ابوء اليك بنعمتك علي وابوء على نفسي بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفرلي ذنوبي ما قدمت منها وما اخرت انه لايغفر الذنوب جميعا الا انت -

المطلب الخامس

في ادعية مأثورة معزية (١) الى اربابها يدعى بها صباحا ومساء

ومنها دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس بعثني العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى ركعتين قبل صلاة الفجر قال اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها القتي وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر، ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة ، اللهم اني اسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء ، اللهم اني انزل بك حاجتي وان ضعف رأيي وقصر عملي وافتقرت الى رحمتك فأسألك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور وفتنة القبور ، اللهم ماقصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك وخير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسألكه يارب العالمين ، اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولاحول ولاقوة الا بالله العلي

(١) كذا والصواب - معزوة -

العظيم ذى الحبل الشديد والامر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة دار الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رؤف ودود انت تفعل ما تريد سبحان الذى تعطف بالعز، وقال به، سبحان الذى لبس المجد وتكرم به سبحان الذى لا ينبغي التسبيح الا له (سبحان) ذى الفضل والنعم سبحان ذى العزة والكرم سبحان الذى احصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبي ونورا فى قبرى ونورا فى سمعي ونورا فى بصرى ونورا فى لحمي ونورا فى دمي ونورا فى عظامي ونورا من بين يدى ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوق ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا وأجعل لى نورا ـ

ومنها دعاء عائشة ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولى اللهم إنى اسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم وأسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذبك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لى من امر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين ـ

ومنها دعاء فاطمة ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما اوصى به ان تقولى ياحى يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين وأصلح شأني كله ـ

ومنها دعاء أبي بكر الصديق علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى اسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وانجيل عيسى وزبور داود وقرآن محمد صلى الله عليه وسلم وبكل وحى اوحيته وقضاء قضيته اوسائل اعطيته اوغني اقنيته اوفقيرا غنيته اوضال هديته وأسألك باسمك الذى انزلته على موسى واسألك باسمك الذى تثبت به ارزاق العباد وأسألك باسمك

 الذى

الذي وضعته على الارض فاستقرت وأسألك باسمك الذي وضعته على السموات فاستقلت وأسالك بأسمك الذي وضعته على الجبال فرست وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان ترزقنى القرآن والعلم وتخلطه بلحمى ودمى وسمعى وبصرى وتستعمل به جسدى بحولك وقوتك فانه لاحول ولاقوة الابك يا ارحم الراحمن ـ

ومنها دعاء بريدة الاسلمى روى انه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة ألا اعلمك كلمات من اراد به خيرا علمه اياها ثم لا ينسيهن اياه ابدا قال فقلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم انى ضعيف فقونى فى رضاك ضعفى وخذ الى الخير بناصيتى واجعل الاسلام منتهى رضاى اللهم انى ضعيف فقونى وانى ذليل فأعزنى وانى فقير فأغننى ـ

ومنها دعاء قبيصة بن المخارق اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى كلمات ينفعنى الله عز وجل بهـا فقد كبر سنى وعجزت عن اشياء كنت اعملها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لدنياك فاذاصليت الغداة فقل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لاحول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن امنت من الغم والجذام والبرص والفالج ـ واما لآخرتك فقل اللهم اهدنى من عندك وافض على من فضلك وانشر على من رحمتك وأنزل عـلى من بركاتك ـ ثم قال صلى الله عليه وسلم اما انه اذا وافى بهن يوم القيامة لم يدعهن فتح له اربعة ابواب من الجنة ـ

ومنها دعاء ابى الدرداء قيل له قد احترقت دارك وكانت النار فى محلته فقـال ماكان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلاثا فقال ماكان الله ليفعل ذلك ثم اتاه آت فقال ان النار لما دنت من دارك طفئت قال قد علمت فقيل له ماندرى أى قوليك أعجب قال انى سمعت رسول الله صـلى الله عليه وسـلم يقول من قال هؤلاء الكلمات فى ليل اونهار لم يضره شيء وقد قلتهن وهى هذه اللهم انت ربى لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلى

العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما اللهم انى اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت آخذ بنا صيتها ان ربى على صراط مستقيم - وروى عن ابى الدرداء انه قال من قال كل يوم سبع مرات (فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) كفاه الله ما اهمه من أمر آخرته صادقا كان بها اوكاذبا -

ومنها دعاء ابراهيم الخليل عليه السلام كان يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه لى بطاعتك واختمه لى بمغفرتك ورضوانك وارزقنى حسنة تقبلها وزكها وضاعفها لى وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى انك غفور رحيم ودود كريم - قيل من دعا بهذا الدعاء اذا اصبح فقد أدى شكر يومه -

ومنها دعاء عيسى عليه السلام كان يقول اللهم انى اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجوه واصبح الامر بيد غيرى واصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير افقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤبى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا اكبر همى ولا تسلط على من لا يرحمنى -

ومنها دعاء الخضر عليه السلام يقال ان الخضر والياس عليهما السلام اذا التقيا فى كل موسم لم يفترقا الاعن هذه الكلمات بسم الله ماشاء الله لاقوة الا بالله ماشاء الله، كل نعمة فمن الله ماشاء الله الخير كله بيدالله ماشاء الله لايصرف السوء الا الله من قالها ثلاثا اذا اصبح امن من الغرق والحرق والسرق -

ومنها دعاء معروف الكرخى قال محمد بن حسان قال لى معروف الكرخى ألا اعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعا الله عزوجل بهن وجد الله تعالى عند هن قلت اكتبها لى قال لا ولكن اردها عليك كما رددها على بكر بن خنيس (حسبى) الله الحليم القوى لمن بغى على حسبى الله الشديد لمن كادنى بسوء حسبى الله الرحيم عند الموت حسبى الله الرؤف عند المسألة فى القبر حسبى الله الكريم عند الحساب حسبى الله اللطيف عند الميزان حسبى الله القوى عند الصراط حسبى الله لااله الاهو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم -

ومنها

ومنها دعاء عتبة الغلام وقد رئى فى المنام فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادى المضلين وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا من الاحياء المرزوقين مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين ـ

ومنها دعاء آدم عليه السلام قالت عائشة لما اراد الله عزوجل ان يتوب على آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس بمبنى ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفرلى ذنوبى اللهم انى أسألك ايمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبنى الاما كتبته على ورضنى بما قسمته لى ـ فاوحى الله عزوجل اليه انى قد غفرت لك ولن يأتينى احد من ذريتك فيدعونى بمثل الذى دعوتنى به الا غفرت له ذنوبه وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهى راغمة وان كان لايريدها ـ

ومنها دعاء على بن أبى طالب رضى الله عنه رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عزوجل يمجد نفسه كل يوم ويقول انى انا الله رب العالمين انى انا الله لااله الا انا الحى القيوم انى انا الله لااله الا انا العلى العظيم انى انا الله لا اله الا انا لم الد ولم اولد، انى انا الله لا اله الا انا العفو الغفور مبدئ كل شيء والى يعود انى انا الله لا اله الا انا العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن (العزيز) الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير المتعال المقتدر القهار الحكيم الكريم اهل الثناء والمجد اعلم السر واخفى ،القادر الرزاق للخلق والخليقة ـ وذكر قبل كل كلمة انى انا الله لا اله الا انا كما اوردنا فى الاول فمن دعا بهذه الاسماء فليقل انك انت الله لا اله الا انت كذا وكذا ـ فمن دعا بها كتب من الساجدين المخبتين الذين

يجاورون محمدا وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين فى دار الجلال وله ثواب العابدين فى السموات والارضين -

ومنها دعاء ابى المعتمر سليمان التيمى وتسبيحاته روى ان يونس بن عبيد رأى رجلا فى المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال ما افضل ما رأيت من الاعمال قال رأيت تسبيحات ابى المعتمر من الله بمكان وهى هذه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وارضه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى واذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه فى جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فى ما بقى فى كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسم ونفس من ابد الى الابد ابد الدنيا وابد الآخرة واكثر من ذلك لا ينقطع اولاه ولا ينفد اخراه -

ومنها دعاء ابراهيم بن ادهم روى ابراهيم بن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعاء اذا اصبح واذا امسى مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب الشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتبا لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال فى خلقه ما يريد اصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبى مستغفرا ولربوبية الله عزوجل خاضعا ولسوى الله عزوجل فى الالهية جاحدا والى الله سبحانه وتعالى فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله عزوجل منيبا اشهد الله واشهد ملائكته ورسله وحملة عرشه ومن خلقه وما هو خالقه بأنه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وان الجنة حق وان النار حق والحوض والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور على ذلك احيا وعليه اموت وعليه ابعث ان شاء الله اللهم أنت ربى لا رب لى الا انت خلقتنى وانا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك اللهم من شر كل ذى شر اللهم انى

ظلمت نفسی فاغفر لی انه لایغفر الذنوب الا انت واهدنی لأحسن الاخلاق فانه لایهدی لأحسنها الا انت واصرف عنی سیئها فانه لایصرف سیئها الا انت لبیك وسعدیك الخیر کله بیدیك انا لك والیك أستغفرك واتوب الیك آمنت اللهم بما ارسلت من رسول وآمنت اللهم بما انزلت من کتاب وصلی الله علی محمد النبی وعلی آله وسلم تسلیما کثیرا خاتم کلامی ومفتاحه وعلی انبیائه ورسله اجمعین آمین یا رب العالمین اللهم اوردنا حوضه واسقنا بکأسه مشربا رویا سائغا هنیئا لا نظمأ بعده ابدا واحشرنا فی زمرته غیر خزایا ولا ناکثین ولا مرتابین ولامفتونین ولامغضوب علینا ولاضالین اللهم اعصمنی من فتن الدنیا ووفقنی لما تحب وترضی وأصلح لی شأنی کله وثبتنی بالقول الثابت فی الحیاة الدنیا وفی الآخرة ولا تضلنی وان کنت ظالما سبحانك سبحانك یا علی یاعظیم یارب یابر یارحیم یا عزیز یا حنان سبحان من سبحت له السموات بأکنافها وسبحان من سبحت له الجبال باصدائها وسبحان من سبحت له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له الحیتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم فی السماء بابراجها وسبحان من سبحت له الشجر بأصولها ونضارتها وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فیهن ومن علیهن سبحانك سبحانك یاحی یا حلیم سبحانك لا اله الا انت وحدك لاشریك لك تحیی وتمیت وانت حی لا تموت بیدك الخیر وانت علی کل شیء قدیر -

المطلب السادس

فی ادعیة مأثورة عن النبی صلی الله علیه وسلم والآل والاصحاب محذوفة الاسانید مما جمعه ابو طالب المکی وابن خزیمة وابن المنذر علی ماروی الغزالی فی الاحیاء -

واعلم ان من اراد حرث الآخرة لابد له من الذکر کما بیناه ومن افضل الاذکار والدعوات المأثورة عن الاخبار فقل فی مفتتح دعواتك اعقاب صلواتك سبحان ربی العلی الاعلی الوهاب لا اله الا الله وحده لاشریك لهله الملك وله الحمد وهو علی کل شیء قدیر- وقل رضیت بالله ربا وبالاسلام دینا وبمحمد صلی الله علیه وسلم

نبيا ثلاث مرات - وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا اله الا انت اعوذبك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه - وقل اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى واهلى ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى وأقل عثراتى واحفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى واعوذبك ان اغتال من تحتى اللهم لاتؤمنى مكرك ولاتولنى غيرك ولا تنزع عنى سترك ولاتنسنى ذكرك ولاتجعلنى من الغافلين - وقل اللهم انت ربى لا اله الا انت خلقتنى وانا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذبك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى انه لايغفر الذنوب الا انت - وقل اللهم عافنى فى بدنى وعافنى فى سمعى وعافنى فى بصرى لا اله الا انت ثلاث مرات - وقل اللهم إنى أسألك الرضا بالقضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذبك ان اظلم او اظلم او اعتدى او يعتدى على او اكتسب خطيئة اوذنبا لا تغفره اللهم انى اسألك الثبات فى الامر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ماتعلم وأعوذبك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولااعلم وانت علام الغيوب، اغفرلى ماقدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على (كل شيء قدير وعلى كل) غيب شهيد اللهم انى أسألك ايمانا لايرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فى اعلى جنة الخلد اللهم انى أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من احبك وحب كل عمل يقربنى الى حبك وان تتوب على وتغفرلى وترحمنى واذا اردت ان تقوم فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى

والفقر

والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك واعوذبك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهديين اللهم اقسم لنا من خشيتك ماتحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك خوفا وأسكن فى نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك احب الينا مماسواك واجعلنا اخشى لك ممن سواك اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا واوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة وآخره تكرمة الحمد لله الذى تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته الحمد لله الذى سكن كل شيء لهيبته واظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وازواجه وذريته وبارك على محمد وعلى آل محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى رسول الامين وأعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا بما يرضيك عنا ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذبك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك على تب على انك انت التواب الرحيم وبحلمك عنى اعف عنى انك انت الغفار وبعلمك بى اغفر لى انك انت الرحمن وبملكك لى ملكنى نفسى ولاتسلطها على انك انت الملك الجبار سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى انك انت ربى انه لايغفر الذنوب الا انت اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى اللهم ارزقنى رزقا حلالا لا تعاقبنى عليه وقنعنى بما رزقتنى واستعملنى به صالحا تقبله منى أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة يا من لاتضره الذنوب ولاتنقصه المغفرة هب لى ما لايضرك وأعطنى مالاينفعك افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وتوفنى مسلما والحقنى بالصالحين انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة ربنا

عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم، ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، رب اغفر لى ولوالدى وارحمهما كما ربيانى صغيرا، واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات، رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فأنت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل -

انواع الاستعاذة المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم- اللهم انى أعوذبك من البخل واعوذبك من الجبن واعوذبك من ان ارد الى ارذل العمر واعوذ من فتنة الدنيا واعوذبك من عذاب القبر اللهم انى اعوذبك من طمع يهدى الى طبع وطمع من غير طمع ومن طمع حين لا مطمع اللهم انى اعوذبك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن ومن الهرم ومن ان ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات اللهم انا نسألك قلوبا أواهة مخبتة منيبة فى سبيلك اللهم انا نسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار - اللهم انى أعوذبك من التردى واعوذبك من الهم والغرق والهرم واعوذبك من ان اموت فى سبيلك مدبرا واعوذبك من ان اموت فى طلب دنيا اللهم انى اعوذبك من شر ما علمت وما لم اعلم اللهم جنبنى منكرات الاخلاق والاعمال والادواء

والاهواء اللهم انى أعوذبك من جهد البلاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم انى اعوذبك من الكفر والدين والفقر واعوذبك من عذاب جهنم واعوذبك من فتنة الدجال اللهم انى اعوذبك من شر سمعى وبصرى ومن شر لسانى وقلبى وسوء ظنى، اللهم انى اعوذبك من جار السوء فى دار البقاء فان جار البادية يتحول اللهم انى اعوذبك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة واعوذبك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرثاء واعوذبك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيئ الاسقام اللهم انى اعوذبك من زوال نعمتك وتحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم انى اعوذبك من عذاب النار وفتنة النار ومن عذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال واعوذبك من المغرم والمأثم اللهم انى اعوذبك من نفس لاتشبع وقلب لايخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب، اللهم انى اعوذبك من شر العمر ومن ضيق الصدر اللهم انى اعوذبك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء ـ

المطلب السابع

فى الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث

منها دعاء الخروج الى المسجد ـ اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى لسانى نورا واجعل فى سمعى نورا واجعل فى بصرى نورا واجعل خلفى نورا وامامى نورا واجعل من فوق نورا اللهم اعطنى نورا ـ وقل اللهم انى اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رثاء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك ان تنقذنى من النار وان تغفرلى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا انت ـ وان خرجت من المنزل لحاجة فقل ـ بسم الله اعوذبك ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل على بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم التكلان على الله ـ فاذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفر جميع ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك ـ وقد م

رجلك اليمنى فى الدخول فاذا رأيت فى المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك - واذا رأيت من ينشد ضالة فى المسجد فقل لارد عليك - امر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم -

ومنها دعاء بعد ركعتى الصبح - اللهم انى اسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى - الدعاء الى آخره قدمر فيما سبق - ومنها دعاء الركوع - اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك اسلمت وعليك توكلت انت ربى خشع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين - وان احببت فقل سبحان ربى العظيم ثلاثا اوسبوح قدوس رب الملائكة والروح - فاذا رفعت رأسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنالك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ماشئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد كلنالك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولاينفع ذا الجد منك الجد - فاذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك اسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله احسن الخالقين اللهم سجدلك سوادى وخيالى وبك آمن فؤادى ابوء بنعمتك على وابوء بذنبى وهذا ما جنيت على نفسى فاغفرلى انه لايغفر الذنوب الا انت - او تقول سبحان ربى الاعلى ثلاث مرات فاذا فرغت من الصلاة فقل انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام - وتدعو بسائر الادعية التى ذكرناها هذا عند الشافعى - واما عند ابى حنيفة فلا يزيد فى الركوع على ان يقول سبحان ربى العظيم ثلاثا اوخمسا اوسبعا اوتسعا وفى السجود على ان يقول سبحان ربى الاعلى كذلك -

ومنها دعاء كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفرلى انه لايغفر الذنوب الا انت -

ومنها دعاء دخول السوق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى اسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم انى اعوذبك من شرها وشر ما فيها

فيها اللهم انى اعوذبك ان اصيب فيها يمينا فاجرة اوصفقة خاسرة ـ

ومنها دعاء الدين اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك ـ

ومنها دعاء عند لبس الثوب الجديد اللهم كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد اسألك من خيره وخير ماصنع له واعوذبك من شره وشر ماصنع له ـ

ومنها دعاء عندالطير اللهم لايأتى بالحسنات الا انت ولايذهب بالسيآت الا انت ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ـ

ومنها دعاء عند رؤية الهلال اللهم أهله علينا بالامن والسلامة والاسلام ربى وربك الله ـ ويقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك اللهم انى أسألك خير هذا الشهر وخير القدر واعوذبك من شر يوم الحشر ـ ويكبر قبل الدعاء اولا ثلاثا ـ

ومنها دعاء هبوب الريح اللهم انى اسألك خيرهذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذبك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به ـ

ومنها دعاء اذا بلغك وفاة احد انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم كتبه من المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلف على عقبه فى الغابرين اللهم لاتحرمنا اجره ولاتفتنا بعده ـ

ومنها دعاء اذا تصدقت بصدقة ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ـ

ومنها دعاء عند الخسران عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون ـ

ومنها دعاء عندابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا، رب اشرح لى صدرى ويسرلى امرى ـ ومنها دعاء عند النظر الى السماء ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار، تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ـ

ومنها دعاء عند صوت الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته
ومنها دعاء عند رؤية الصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك ولاتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك ـ

ومنها دعاء عند المطر اللهم سقيا هنيئا وصيبا نافعا اللهم اجعله صيب رحمة ولاتجعله

ب عـذاب ـ ومنها دعـاء عند الغضب اللهم اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان الرجيم ـ

ومنها دعاء عند الخوف من قوم اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ومنها دعاء عند الغزاة اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل ومنها دعاء طنين الاذن صل اولا على محمد صلى الله عليه وسلم وقل ذكر الله من ذكرني ـ ومنها دعاء اذا استجيبت دعوتك الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات واذا ابطأت استجابة دعوتك فقل الحمد لله على كل حال ـ ومنها دعاء عند اذان المغرب اللهم هذا استقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك وحضور صلواتك أسالك ان تغفرلي ـ

ومنها دعاء اذا اصابك هم ـ اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك نافذ في قضاؤك اسألك بكل اسم سميت به نفسك اوانزلته في كتابك اواعطيته احدا من خلقك اواستأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال هذا الااذهب الله عزوجل همه وابدله مكانه فرحا فقيل يا رسول الله أفلا نتعلمها فقال صلى الله عليه وسلم بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها ـ

ومنها دعاء اذا وجدت وجعا في جسدك اوجسد غيرك فارق برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى انسان قرحة اوجرحا وضع سبابته في فيه وجعلها على الارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا باذن ربنا ـ واذا وقع في جسدك فضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر ـ

ومنها دعاء اذا اصابك كرب لا اله الا الله العلي الحكيم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الله رب السموات والارض والعرش الكريم ـ

ومنها

و منها دعاء عندالنوم فتوضأ اولا ثم توسد يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله اربعا وثلاثين وسبحه ثلاثا وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين ثم قل اللهم إنى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذبك منك اللهم لااستطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن انت كما اثنيت على نفسك اللهم باسمك احيا واموت اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان اعوذبك من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة ربى آخذبنا صيتها انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنى الدين وأغننى من الفقر اللهم انك خلقت نفسى وانت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها فاحفظها اللهم إنى اسألك العافية، باسمك ربى وضعت جنبى فاغفر لى ذنبى اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك اللهم اسلمت نفسى اليك وفوضت امرى اليك والجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لامنجا ولا ملجأ (منك الا اليك، آمنت) بكتابك الذى انزلت ونبيك الذى ارسلت - ويكون هذا آخر دعائك فقد امر صلى الله عليه وسلم بذلك - وليقل قبل ذلك - اللهم ايقظنى فى احب الساعات اليك واستعملنى باحب الاعمال لديك وتقربنى اليك زلفى وتباعدنى من سخطك بعداأسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفرلى وأدعوك فتستجيب لى -

ومنها دعاء يدعى به عند الصباح اذا استيقظت من نومك الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابراهيم عليه السلام حنيفا مسلما وما كان من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور اللهم انا نسألك ان تبعثنا فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذبك ان نجترح فيه سوءا ونجره الى مسلم فانك قلت وقولك الحق (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى) اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر

حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما شاء الله لاقوة الابالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله ماشاء الله الخير كله بيدالله ماشاء الله لايصرف السوء الاالله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ـ

ومنها دعاء يقوله اذا امسى يقول الدعاء المذكور الاانه يقول امسينا ويقول مع ذلك اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة ربى آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم ـ

ومنها اذا نظرت فى المرآة الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين ـ

ومنها دعاء اذا اشترى خادما اوغلاما او دابة فخذبناصيته وقل اللهم انى اسألك خيره وخير ما جبل عليه واعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه ـ

ومنها دعاء اذا هنأت بالنكاح بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير ـ

ومنها دعاء اذا قضيت الدين فقل للقضى له بارك الله لك فى اهلك ومالك ـ انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جزاء السلف الحمد والاداء فهذه ادعية لايستغنى سالك سبيل الآخرة عن حفظها وما سوى ذلك من ادعية السفر والصلاة والوضوء ذكرنا ذلك كله فى كتاب الطهارة والصلاة والحج ـ

المطلب الثامن

فى ادعية مأثورة رواها الشيخ العلامة تاج الدين عبد الوهاب السبكى نقلتها من نسخة منقولة من نسخة مقولة من نسخة منقولة ثلاثا من خط السبكى المذكور ذكر ذلك فى آخر طبقاته الكبرى روح الله روحه ـ

عن وهب بن منبه ان ابن عباس رضى الله عنهما قال له تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء مستجابا تدعو به عندالكرب قال نعم قال اللهم انى اسألك يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين فان لكل مسألة منك جوابا حاضرا عتيدا ولكل صامت منك علما محيطا باطنا مواعيدك الصادقة واياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة

ان تفعل بی کذا و کذا - فقال ابن عباس هذا دعاء علمته فی المنام ما کنت اری ان احدا یحسنه -

وعن أبی خالد ان العذاب لما هبط علی قوم یونس وجعل یحوم علی رؤسهم مثل قطع اللیل المظلم مشی ذووا العقول منهم الی شیخ من بقیة علمائهم فقالوا انا نزل بنا ماتری فعلمنا دعاء ندعوبه عسی‌الله عزوجل ان یرفع عنا عقوبته فقال قولوا یاحی حین لاحی تحیی الموتی یاحی لا اله الا انت - فکشف الله عزوجل عنهم -

وعن ابن عباس ان علیا رضی‌الله عنهم سأل النبی صلی الله علیه وسلم یعنی شیئا من الدنیا فقال له النبی صلی الله علیه وسلم والذی نفسی بیده والذی بعثنی بالحق نبیا یا علی ما عندی لا قلیل ولا کثیر لکنی اعلمك شیئا اتانی به جبریل علیه السلام فقال یا محمد هذه هدیة من الله عزوجل لم یعطها احدا من الانبیاء قبلك وهی تسعة عشر حرفا لایدعو بها ماهوف ولامکروب ولا محزون ولاسرق ولاحرق ولا عبد خاف سلطانا الافرج الله عنه اربعة منها مکتوبة علی جبهة جبریل علیه السلام واربعة مکتوبة حول العرش واربعة حول الکرسی قال فکیف ادعو بها یانبی الله قال قل یاعماد من لاعماد له یا سند من لاسند له یاذخر من لاذخر له یاحرز من لاحرز له یا غیاث من لا غیاث له یا کریم العفو یا حسن البلاء یا عظیم الرجاء یا عون الضعفاء یا منقذ الغرقی یا منجی الهلکی یا محسن یا مجمل یا منعم یا متفضل انت الذی سجد لك سواد اللیل ونور النهار وضوء القمر وشعاع الشمس ودوی الماء وحفیف الشجر یا الله لاشریك لك یارب یارب - ثم تدعو بحاجتك وبما بك لاتقوم من مقامك حتی یستجاب لك -

عن عبدالله بن ایوب قال لیعقوب بن داود فی الطواف قلت له احب ان تخبرنی کیف کان سبب خروجك من المضیق قال کنت فی المضیق فاتنی آت فی منامی قال لی یا یعقوب کیف تری مکانك فقلت وما سؤالك اما تری ما انا فیه قال قم فأسبغ الوضوء وصل اربع رکعات وقل یا محسن یا مجمل یا منعم یا متفضل یا ذا النوافل والنعم یا عظیم یا ذا العرش العظیم اجعل لی مما انا فیه فرجا ومخرجا -

فانتبهت فحفظت الدعاء فقمت وتوضأت وصليت دعوت به فلما اسفر الصبح جاؤا فاخرجونى -

وعن قدامة بن عتبة العتكى وكان من اصحاب عتبة الغلام قال رأيت عتبة الغلام فى النوم فقلت ياعبدالله ماصنع الله بك - قال دخلت الجنة بتلك الدعوات المكتوبة فى بيتك فلما اصبحت جئت الى بيتى فاذا بخط عتبة فى الحائط يا هادى المضلين ياراحم المذنبين يامقيل عثرات العاثرين -

وعن بعضهم قال اتى الحجاج رجل عزم على قتله فلما دخل تكلم بشيء فخلى سبيله فقيل اى شيء قلت قال قلت يا عزيز يا حميد ياذا العرش المجيد اصرف عنى كل جبار عنيد -

وعن حصين كان سعيد بن المسيب يدعو أعوذ بوجه الله الكريم واسمه العظيم وكلماته التامة من شر السامة والعامة ومن شر ما خلقت يا رب ومن شر ما انت آخذ بناصيتها ومن شر الدنيا وما فيها -

وعن عبدالله بن مسلم بن قتيبة قال حدثنى بعض اصحابنا بهذا الدعاء قال كان الصالحون من التابعين يدعون اذا دخلوا على السلطان فيقون(١) به البطش من السلطان وظلمه وهو بسم الله اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اخسئوا فيها ولا تكلمون اخذت قوتك بقوة الله بينى وبينك ستر الله الذى كانت الانبياء يستترون به من سطوات الجبابرة الفراعنة جبريل عن يمينك وميكائيل عن شمالك ومحمد صلى الله عليه وسلم امامك والله عزوجل مطلع عليك يجيرنى ويمنعنى منك بحوله وقوته -

وعن محمد بن يحيى قال بينما على كرم الله وجهه يطوف بالكعبة اذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة ينادى يامن لايشغله سمع عن سمع يا من لا يغلطه السائلون يا من لايتبرم بالحاح الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك - قال له على رضى الله عنه دعاؤك هذا قال نعم قال وقد سمعته قال نعم قال فادع به فى دبر كل صلاة (٢) الصبح فى مصلاه مائة مرة فليقل بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولاقوة الابالله

(١) كذا (٢) لعل هنا سقطا -

 العلى

العلى العظيم يا قديم يا دائم يا حي يا فرد يا وتر يا احد يا صمد - وكان مقاتل يقول من دعا بهذا الدعاء فلم يستجب فليلعن مقاتلا فى قبره -

وعن جعفر بن محمد ما من نبي الا وخلف فى اهل بيته دعوة مجابة وقد خلف فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوتين مجابتين اما الواحدة فلشدائدنا واما الاخرى فلحوائجنا - اما التى لشدائدنا يا كائن دائما لم يزل يا الهي يا اله آبائي يا حي يا قيوم اجعلني لك مخلصا - واما التى لحوائجنا يامن يكفي من كل شيء ولا يكفي منه شيء يا الله يارب محمد صلى الله عليه وسلم ثم تسأل حاجتك -

وعن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد أن يوعيه الله حفظ القرآن فليكتب هذا الدعاء فى اناء نظيف بعسل ماذى ثم ليغسله بماء المطر قبل ان يمس الارض وليشربه على الريق ثلاثة ايام فانه يحفظه باذن الله تعالى وهو، اللهم انى اسألك مسؤلا لم يسأل مثلك اسألك بحق محمد رسولك ونبيك وابراهيم خليلك وصفيك وموسى كليمك ونجيك وعيسى كلمتك وروحك واسألك بصحف ابراهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى وفرقان محمد واسألك بكل وحي اوحيته وبكل حق قضيته وبكل سائل اعطيته وبكل ضال هديته وغني اقنيته وفقير اغنيته وأسألك بأسمائك التى دعاك بها ادعياؤك وانبياؤك فاستجيب لهم واسألك بكل اسم انزلته فى كتابك واسألك باسمك الذى وضعته على النهار فاستنار وأسألك باسمك الذى وضعته على الليل فاظلم وأسألك باسمك الذى وضعته على الجبال فأرست واسألك باسمك الذى وضعته على الارضين فاستقلت واسألك باسمك الذى استقل به عرشك واسألك باسمك الواحد الاحد الفرد الصمد العزيز الذى ملأ الاركان كلها الطاهر المطهر المبارك المقدس الحي القيوم نور السموات والارض عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال واسألك بكتابك المبارك ان ترزقني حفظ كتابك القرآن وحفظ اصناف العلم وتثبتها فى قلبي وسمعي وبصري وتخلطها بلحمي ودمي وتستعمل بها جسدي فى ليلي ونهاري فانه لاحول ولا قوة الا بك -

عن أبي رجاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتد به حلقة البلاء وكانت

ضيقة يقول تضيقي تنفرجي ثم يرفع يديه فيقول بسم الله الرحمن الرحيم لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اياك نعبد وا ياك نستعين اللهم اكفنا بأس الذين كفروا انك اشد بأسا واشد تنكيلا -

وعن نعيم بن أبى هند قال كنت جالسا عند يزيد بن أبى مسلم امام الحجاج وهو يعذب الناس فذكر رجلا فى السجن فبعث اليه بغيظ وغضب فأتى به وما اشك ان استتفع (١) به فلما قام بين يديه رأيت الرجل يحرك شفتيه بشيء لم اسمع فرفع رأسه فقال خلوا سبيله اوردوه فقمت الى الرجل وذكرت له القصة وقلت له ما الذى قلت - قال قلت هذا الدعاء انى اسألك بقدرتك التى تمسك بها السموات السبع ان يقع بعضهن على بعض ان تكفينيه -

وعن البراء بن عازب قال دخلت على على بن أبى طالب ذات يوم فقلت يا امير المؤمنين سألتك بالله الا ما خصصتنى باعظم ما خصك به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما خص به جبريل عليه السلام بما ارسل به اليه الرحمن عزوجل فقال لولا سألت ما نشرت ذكر ما اريد أن استره حتى اضمن لحدى اذا اردت ان تدعو باسم الله الاعظم فاقرأ من اول الحديد ست آيات وآخر الحشر فاذا فرغت فتكلم فقل يا من هو كذا وكذا افعل بى كذا وكذا فوالله لو دعوت به على شقى لسعد قال البراء فوالله لا ادعوها للدنيا ابدا - قال على رضى الله عنه اصبت كذا اوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرانه اذن لى فى الأمر البارح - روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه سمع وهو يطوف بالكعبة ومعه ولداه الحسن والحسين رضى الله عنهما قائلا فى جوف الليل -

يا من يجيب دعا المضطر فى الظلم ... ياكاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وعين جودك يامولاى لم تنم
هب لى بجودك فضل العفوعن زللى ... يا من اليه رجاء الخلق فى الحرم
ان كان عفوك لا يرجوه ذوخطأ ... فمن يجود على العاصين بالنعم

فقال على لولديه اطلبا لى هذا القائل فأتياه فقالا اجب اميرالمؤمنين فاقبل يجر شقه

---

(١) كذا -

حتى

حتى وقف بين يديه فقال قد سمعت خطابك فما قصتك قال انى من أمرى فى ضيق فان تبت لم تقبل توبتى وان سألت لم يقلنى عثرتى - قال له ولم ذلك قال له لانى كنت رجلا مشهورا بالطرب والعصيان وكان والدى يعظنى ويحذرنى مصارع الجهال ويقول لى ان لله سطوات ونقمات وما هى من الظالمين ببعيد فلما الح فى الموعظة خلف ليدعون على ويأتى مكة مستغيثا الى الله عزوجل ففعل ودعا فلم يتم دعاءه حتى جف شقى الايمن فندمت على ما كان منى اليه وداريته وراضيته الى ان ضمن لى ان يدعو لى حيث دعا على فقدمت اليه ناقة فاركبته فنفرت الناقة ورمت به بين صخرتين فمات هناك - فقال لى امير المؤمنين احقا ان اباك رضى عنك - فقلت اللهم كذلك فقام على رضى الله عنه وصلى ركعات ودعا بدعوات لسرها الى الله عزوجل ثم قال يا مبارك قم فقام ومشى ثم عاد الى الصحة كما كان ثم قال لو لا انك حلفت ان اباك رضى عليك مادعوت لك -

وعن جعفر بن محمد الصادق عجبت لامرئ كيف لا يقول ما شاء الله لاقوة الا بالله والله تعالى يقول (لولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لاقوة الا بالله) وعجبت لمن خاف قوما كيف لايقول حسبى الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) وعجبت لمن مكر به كيف لايقول وافوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد والله تعالى يقول (فوقاه سيئات مامكروا) وعجبت لمن اصابه غم كيف لايقول(لا اله الاانت سبحانك انى كنت من الظالمين) الى قوله(فنجيناه من الغم) قال سفيان بن عيينة انه تعالى لما قال (وكذلك ننجى المؤمنين) كان وعدا لكل مؤمن من قال لااله الاانت سبحانك انى كنت من الظالمين ان ينجيه من الغم والله لايخلف الميعاد -

بخط الشيخ القرطبى قل وانت ساجد اللهم يالطيف يا لطيف بجميع عباده الطف بى بلطفك الخفى الذى ما لطفته باحد الا كفى - ثم يرفع رأسه ويقول فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم -

ومن كلام الشيخ أبي الحسن الشاذلي ان اردت كرامتي فعليك بطاعتي والاعراض عن معصيتي فان زللت بغلبة الشهوة وعظيم القدرة فاعلم قربي منك ونظري اليك واحاطتي بك وقدرتي عليك واستنقذ نفسك مني ومن عظيم قدرتي وقل يا موجود قبل كل موجود وهو الآن على ما هو عليه موجود يا اول يا آخر يا ظاهر يا باطن ضاقت على الارض بما رحبت وضاقت على نفسي ولا منجا منك الا اليك فتب على يا تواب بانك انت التواب الرحيم

ذكر الحافظ ضياء الدين في سيرة الشيخ العابد ابراهيم بن عبد الواحد المقدسي انه قال مارأيت مثل هذا الدعاء اسرع اجابة يا الله يا الله انت الله بلى والله انت الله لا اله الا انت الله الله الله والله لا اله الا الله -

قال الشيخ تاج الدين عبد الوهاب السبكي سمعت الشيخ الامام الوالد وهو الشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي رحمه الله اذا اهتم بأمر قرأ قوله تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) الى قوله (ذو فضل عظيم) تسع عشرة مرة عشرين الامرة وكان الوالد يذكر أن هذا مجرب لداهم الأمر ومعضله -

وجدت في بعض المجاميع مرويا باسناد مجهول الى ابي الحسن محمد بن جعفر قال وجدت ببلاد الهند حجرا منقوشا بالعبرانيـة ببلد سرنديب -

انا الموجود فاطلبني تجدني ... فان تطلب سواي لم تجدني
تجدني اين تطلبني عبيدي ... قريبا منك فاطلبني تجدني
تجدني ماجدا احمدا كريما ... كثير البر فاطلبني تجدني
تجدني مستغاثا بي مغيثا ... انا الجبار فاطلبني تجدني
اذا اللهفان ناداني كظيما ... اقل لبيك فاطلبني تجدني
اذا المضطر قال الا تراني ... نظرت اليه فاطلبني تجدني
انا بالمرء ارحم من اخيه ... ومن ابويه فاطلبني تجدني
فان هو تاب تبت عليه اني ... انا التواب فاطلبني تجدني

أتذ

أتذكر ليلة ناديت سرا ألم اسمعك فاطلبني تجدني
انا الجبار لا شيء كمثلي انا الغفار فاطلبني تجدني
انا الرب الذي يخشون مني جميع الخلق فاطلبني تجدني
وليس يبيحك الفردوس غيري انا الرزاق فاطلبني تجدني
أتعرف غافرا للذنب غيري انا الغفار فاطلبني تجدني
سأغفر للعباد ولا ابالي غدا في الحشر فاطلبني تجدني
واكرم من اريد بغير بخل انا الوهاب فاطلبني تجدني
وارحم من يتوب وكان عندي له الاكرام فاطلبني تجدني
فمن مثلي ولم ترقط مثلي ولست تراه فاطلبني تجدني

ولبعضهم وذكر أنه ماردها من هو في شدة الا وفرجها الله عنه

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استكملت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

ولبعضهم

كم اعقبت نوب الزمان جميلا وكفين خطبا قد أهم جليلا
لا تيأسن من الإله فروحه ان لم يغادك بكرة فأصيلا
وأمل لطائف صنعه فلطالما كشف الهموم وبلغ المأمولا
يارب مكروه تعذر حله ليلا فأصبح عقده محلولا
وملمة اعيا نهارا حلها امست يسهل خطبها تسهيلا

وعن جعفر الخلدي قال ودعت المزين فقلت زودني شيئا فقال ان ضاع منك شيء اواردت ان يجمع الله بينك وبين انسان فقل يا جامع الناس ليوم لاريب فيه اجمع بيني وبين كذا فما دعوت بها شيئا الا استجيب -

وروى ابن أبي الدنيا ان طاوسا قال اني لفي الحجر ذات ليلة اذدخل علي بن الحسين فقلت رجل صالح من اهل بيت الخير لأسمعن الليلة الى دعائه فصلى ثم سجد فاصغيت بسمعي اليه فسمعته يقول في سجوده عبيدك بفنائك فقيرك بفنائك سائلك بفنائك

قال طاوس فحفظتهن فما دعوت بهن فى كرب الا فرج عنى -

وروى ايضا عن الحارث الكعبى ان رجلا جاء الى الحسين بن على يستعين به على علىّ فى حاجة فقال له الحسين ان امير المؤمنين قدخلا فى بيت اذ احزبه امرخلافيه قال فادنى الى الباب حتى اسمع كلام امير المؤمنين قال فسمعته يقول يا كهيعص يا نور يا قدوس يا حى يا الله يا رحمن رددها ثلاثا اغفرلى الذنوب التى تحل لنقم واغفرلى الذنوب التى تغير النعم واغفرلى الذنوب التى تورث الندم واغفرلى الذنوب التى تحبس السقم واغفرلى الذنوب التى تنزل البلاء واغفرلى الذنوب التى تهتك العصم واغفرلى الذنوب التى تعجل الفناء واغفرلى الذنوب التى تديل الاعداء واغفرلى الذنوب التى تردالدعاء واغفرلى الذنوب التى تمسك غيث السماء واغفرلى الذنوب التى تظلم الهواء واغفرلى الذنوب التى تكشف الغطاء -

سمعت بعضهم يذكر أنه رأى بخط من يعتمد اذا غلب المرء فى مواقعه فليقل فى دبر كل صلاة (رب انى مغلوب فانتصر) مائة مرة -

ومن شعر الشيخ أبى اسحاق الشيرازى صاحب التنبيه ويقال انها ابيات مباركة

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا   وقمت اشكو الى مولاى ما أجد
وقلت يا عدتى فى كل نائبة   ومن عليه لكشف الضر اعتمد
وقد مددت يدى والضر مشتمل   اليك يا خيرمن مدت اليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة   فبحر جودك يروى كل من يرد

ولابى القاسم السهيلى وقيل ما رددها ذوحاجة ثلاث مرات ويدعو الااستجيب له

يا من يرى ما فى الضمير و يسمع   انت المعد لكل ما يتوقع
يامن يرجى للشدائد كلها   يا من اليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن فضله فى قول كن   امنن فان الخير عندك اجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة   فبالافتقار اليك فقرى ادفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة   فلئن رددت فأى باب اقرع
ومن الذى ادعوا واهتف باسمه   ان كان فضلك عن فقيرك يمنع

حاشا

حاشا لفضلك ان تقنط عاصيا الفضل اجزل والمواهب اوسع

ولہ ابیات اخر

قال تاج الدين السبكى كنت اسمع الشيخ الامام اراد والده تقى الدين السبكى رحمها الله يردها ويدعو عقيبها ويقول ان الاجابة عقيبها مجربة وانه كان يقول ما سألت الله بها فى شىء الا اعطانيه وهى –

صرفت الى رب الانام مطالبى ووجهت وجهى نحوه ومآربى
الى الملك الاعلى الذى ليس فوقه مليك يرجى سيبه فى المتاعب
الى الصمد البر الذى فاض جوده وعم الورى طرا بجزل المواهب
مجيرى من الخطب المخوف وناصرى مغيثى اذا ضاقت على مذاهبى
مقيل اذا زلت بى النعل عاثرا واسمح غفار واكرم واهب
فما زال يولينى الجميل تلطفا ويدفع عنى فى صدور النوائب
ويرزقنى طفلا وكهلا وقبلها جنينا ويحمينى وبى المكاسب
اذا سدد الاملاك دونى غلقت ونهنه عن غشيانهم زجر حاجب
فزعت الى باب المهيمن طارقا مدلا انادى باسمه غير هائب
فلم الف حجابا ولم اخش منعة ولو كان سؤلى فوق هام الكواكب
كريم يلبى عبده كلما دعا نهارا وليلا فى الدجى والغياهب
يقول له لبيك عبدى داعيا وان كنت خطاء كثير المعايب
فما ضاق عفوى عن جريمة خاطئ وما احد يرجو نداى بخائب
فلا تخش املالا وان كنت مكثرا فعفوى مبذول الى كل طالب
سأسأل ما شئت ان يمينه تسح دفاقا باللهى والرغائب
فحسبى ربى فى الهزاهز ملجأ وحرزا اذا خيفت سهام النوائب

ولابى الفضل يوسف بن محمد التوزرى قصيدة تسمى الفرج بعد الشدة تشتمل على الاسم الاعظم لانها جربت لاستجابة الدعاء وهى –

اشتدى ازمة تنفرجى قد آذن ليلك بالبلج

وظلام الليل له سرج حتى يغشاه أبو السرج
وسحاب الخير له مطر فاذا جاء الابان تجى
وفوائد مولانا جمل لسروح الانفس والمهج
ولها ارج محى ابدا فاقصد محيي ذاك الارج
فلربتما فاض المحيى يبحور الموج من اللجج
والخلق جميعا فى يده فذووسعة وذوو حرج
ونزولهم وطلوعهم فالى دركٍ وعلى درج
ومعايشهم وعواقبهم ليست فى المشى على عوج
حكم نسجت بيد حكمت ثم انتسجت بالمنتسج
فاذا اقتصدت ثم انعرجت فبمقتصد وبمنعرج
شهدت بعجائبها حجج قامت بالامر على حجج
ورضا بقضاء الله حجى فعلى مركوزته فعج
واذا انفتحت ابواب هدى فاعجل لخزائنها ولج
فاذا حاولت نهايتها فاحذر اذ ذاك من العرج
لتكون من السباق اذا ماجئت الى تلك الفرج
فهناك العيش وبهجته فلمبتهج ولمنتهج
فهج الاعمال اذا ركدت فاذا ماهجت اذن تهج
ومعاصى الله سماجتها تزدان لذى الخلق السمج
ولطاعته وصباحتها انوار صباح منبلج
من يخطب حور الخلد بها يظفر بالحور وبالغنج
فكن المرضى لها بتقى ترضاه غدا وتكون نجى
واتل القرآن بقلب ذى حزن وبصوت فيه شج
وقيام الليل مسافتها فاذهب فيها بالفهم وجى
وتأملها ومعانيها تأت الفردوس وتفترج

واشرب تسنيم مفجرها لا ممتزجا وبممتزج
مدح العقل الآتيه هدى وهوى متول عنه هجى
وكتاب الله رياضته لعقول الخلق بمندرج
وخيار الخلق هداتهم وسواهم من همج الهمج
فاذا كنت المقدام فلا تجزع فى الحرب من الرهج
واذا ابصرت منار هدى فاظهر فردا فوق الثبج
واذا اشتاقت نفس وجدت الما بالشوق المعتلج
وثنايا الحسنا ضاحكة وتمام الضحك على الفلج
وعياب الاسرار اجتمعت باماتنها تحت الشرج
فالرفق يدوم لصاحبه والخرق يصير الى المرج
صلوات الله على المهدى الهادى الناس الى النهج
وابى بكر فى سيرته ولسان مقالته اللهج
وابى حفص وكرامته فى قصة سارية الخلج
وأبى عمرو ذى النورين المستحيى المستحيى البهج
وأبى حسن فى العلم اذا وافى بسحابه الخلج

قال تاج الدين السبكى سمعت غير مرة الشيخ الامام يعنى والده ينشد لنفسه هذين البيتين ـ

حتى توصف الامور جميعها اليك فدبرنى بما شئت والطف
وسلمنى اللهم يارب واحمنى وخذ بيدى وامنن وجد ونلطف

هذا ما اورده السبكى من الدعوات فيما يوجد فى آخر كتاب الدعوات(١) حامدا لله تعالى خالق الارض والسموات ومصليا على نبيه محمد شفيع الامة فى العرصات وعلى آله وصحبه المتدرجين الى اعلى الدرجات وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول

---

(١) كذا وقد مضى بلفظ ـ الطبقات وليست هذه الادعية فى طبقات السبكى المطبوع ح - ح

ولا قوة الا بالله العلى العظيم - يقول الفقير المعترف بالتقصير كما كتبت هذه الادعية المنظومة تذكرت حرزا منظوما وضعه الشيخ الزاهد أبوعمران موسى الفاسي رحمه الله وقد رأيت ان اثبت ذلك ههنا لما رأيت ان جمع كل شيء الى شكله ونظيره احسن واولى وسماه صاحب النظم المبارك حرز الاقسام لجميع العلل والاسقام يكتب بالزعفران ويبخر باللبان ويلوى عليه بخيط حرير ابيض وتشده على عضدك وانت طاهر تقى وتعتصم تقضى الحاجات ان شاء الله سبحانه وتعالى تبدأ بالبسملة وفاتحة الكتاب والمعوذتين وما يختار من آى القرآن ثم تكتب الحمد وهو هذا المنظوم المبارك الشافى -

بدأت باسم الله فى اول السطر فاسماؤه حصن منيع من الضر
وصليت فى الثانى على خير خلقه محمد المبعوث بالفتح والنصر
تعوذت بالرحمن فى السر والجهر من الشرك والشيطان مادمت فى دهرى
اذا استفتح القراء فى محكم الذكر فباسمك يا مولاى استفتح المقرى
ونسألك اللهم من فضلك الرضا تحل عقود العسر فى ايسر اليسر
توسلت بالاقسام اسأل راغبا ونرغب للرحمن فى السر والجهر
ونرغب فيما يرغب الخلق ساجدا الى مالك الاملاك فى النفع والضر
باسمائك اللهم انت المنا بديع السموات المدبر للامر
بجملة ما اثنى عليك اولوا النهى من المجد والتعظيم والحمد والشكر
بما لك ربى فى سمواتك العلى من الملك والسلطان والعز والنصر
بما سبحتك الخلق بالألسن التى تخيرت للتسبيح والحمد والشكر
بذكرك عند العارفين بقدره بما قلت فى القرآن بالشفع والوتر
باحصائك الاشياء عدا وخبرة بتكسير امواج البحار وبالقطر
بما فى السموات العلى من مقرب بمن فى تخوم الارض من ملك نذر (١)
بأنك انت الله خالق ما يرى وما لا يرى حتى من الذر فى القفر
سميع بصير عالم متفضل يجازى باحسان ويعفو عن الوزر

(١) كذا -

بجملة

بجملة ما انزلت فى الكتب كلها على الرسل تبيانا لمن كان ذا حجر
بكتبـك بالاقلام بالرسل بالبها بتقديرك الاشياء بالنهى والامر
بفضل صلاة الصبح رب وبالضحى بذكر غروب الشمس بالظهر والعصر
برضوان خزان النعيم بمالك معذب اصحاب الجحيم على الجمر
بجملة من لباك من ظهر آدم من المؤمنين الصالحين اولى الطهر
بما نال وفد الله من نصر ربهم بزوار قبر الهاشمى الى الحشر
بجاه النبيين الذى اصطفيتهم اولو الايدى والابصار والعز والفخر
بآدم اذ كرمته واصطفيته وعلمته العلم الذى كان لايدرى
بشيث بادريس بنوح بصالح بهود بلوط بالخليل الذى يقرى
بحرمة اسمعيل صادق وعده باسحاق لماجاء فى كبر العمر
بيعقوب بالاسباط باليسع الرضا بيوسف اعلى الناس فى ارفع الذكر
بيونس الاصفى بصاحب مدين شعيب بالياس بذى الكفل بالخضر
بأيوب ذى البلوى بداود بابنه سليمان من غل الشياطين للحشر
بمن قد قرأ التوراة عن ظهر قلبه وهل كانت التوراة تقرأ عن الظهر
بأى نبى كان فى اى امة الى اى ماقوم فى اى ماعصر
واذ نحن لم نسمع بـه وبذكره واذ نحن لم نعلم سواه ولم ندر
كذازكريا انه كان مخلصا بيحيى الحصور السيد الطيب النشر
بموسى بهارون بعيسى بن مريم بكل نبى لست منه على خبر
بآخرهم بعثا باولهم مدى محمد المبعوث بالفتح والنصر
بجاه خليل المصطفى وانيسه فنعم انيس الغار كان أبو بكر
بجاه ابن خطاب أبى حفص الرضا بجاه الشهيد المستجاب أبى عمرو
بجاه على ارفع القوم فى الهدى ومن كعلى فى الهداية والنصر
هما السيدان السابقان الى الهدى شهيدان صهراه فيا اشرف الصهر
بحمزة بالعباس عمى نبينا بفخرهما المنسوب فى ارفع الفخر

بفاطمة الزهراء سيدة النسا بسبطي رسول الله فخرا على فخر
بآل رسول الله كلهم معا بمجدهم فوق الفراقد والنسر
بأصحابه بالطاهرات نساؤه بعائشة الموصوفة الذكر بالذكر
بطلحة منهم بالزبير بصحبه سعيد وسعد ذى الفضائل والبر
وتاسعهم ذاك ابن عوف رفيعهم بجاه ابن جراح هو الطيب النشر
بما كان فيهم من خصال رضية كزهد أبي الدردا وصدق ابي ذر
باشياعهم بالتابعين باقتدائهم كلهم الاخيار كالانجم الزهر (١)
بما كان يدعو المصطفى فى جهاده بما كان فى المحراب يتلوه من ذكر
بما كان يدعو اول الليل ربه بما كان يدعو عند منصدع الفجر
بشعبان بالشهر الاصم بقدره بحرمة شهر الصوم بالعيد بالفطر
بحق ظنون الواقفين على منى بحق يقين الناس فى ساعة النفر
بميقات موسى بالثلاثين ليلة باتمامها من بعد ذلك بالعشر
بقدر ليالى العشر وهى فضيلة بايام حج الناس بالعيد بالنحر
بما تهب الداعين فى يوم حجهم بما تهب الداعين فى ليلة القدر
بعرشك بالكرسى ندعوك ربنا بلوحك بالاقلام تجرى بما تجرى
بالانجيل بالتوراة انزلتها على كليمك موسى بالصحائف بالزبر
بحق كتاب انت بينت فضله على ما سواه من كتاب ومن سر
باوله ام الكتاب وختمه اعوذ برب الناس من نفثة السحر
بما فى الم ذلك قلته وبآل عمران المعظمة الذكر
بيا ايها الناس اتقوا ربكم (١) بسورة اوفوا بالعقود وبالنذر
بالانعام بالاعراف بالتوبة التى تلى سورة الانفال كالسطر بالسطر
بالانفال والانفال كانت لأحمد ولله ربى عالم السر والجهر
بيونس اذ تتلى بهود بيوسف بسورة ابراهيم بالرعد بالحجر
بمقدار ما فى النحل من ذكر نعمة مننت بها حقا يقينا لمن يدرى

---

(١) كذا ـ

بسبحان من اسرى بليل بعبده من المسجد الاقصى الى البيت والحجر (١)
بسورة ذكر الكهف ثم بمريم بطه بذكر الانبياء على الاثر
وبالحج ثم المؤمنون باثرها وبالنور والفرقان ياجابر الكسر
بحق طواسين الثلاث فلم يقف سواد على مافى الفواتح من سر
وبالروم ثم العنكبوت وبعدها بلقمان ذى الوعد الصدوق مع الذكر
سألتك بالاحزاب من بعد سجدة باسمائك الحسنى بآلائك الزهر
وفى سبأ والحمد لله فاطر ضياء يضىء القلب كالقمر البدر
بسورة يس المعظم قدره فما هى الا كالقلادة فى النحر
وبالتاليات ثم ص وبعدها بسورة تنزيل الكتاب من الذكر
بسبع الحواميم الكريم محلها فما هى الا كالعرائس فى الخدر
وبالسورة المذكور فيها محمد وانا فتحنا سورة الفتح والنصر
وبالحجرات ثم ق وطورها وبالذاريات الذر حاملة الوقر
وبالنجم والرحمن نسأل راغبا وباقتربت ادعوك ياكاشف الضر
اذا وقعت يشفى بها كل مؤمن ويشفى بآيات الحديد وبالحشر
بسورة ذات الامتحان وفضلها بقد سمع اللهم فاعظم بها اجرى
بسورة ذكر الصف والحرب واللقا ببنيانك المرصوص فى السر والجهر
بسورة يوم الجمعة لازهر التى يحرم فيها الشغل بالبيع والتجر
بسورة اصحاب النفاق ونعتهما اعوذ نفسى من نفاق ومن غدر
بسورة يوم الجمع يوم تغابن به يعلم الخير الخصيص من الشر
بفاتحة التحريم يا ايها النبى فيارب اطلق بالطلاق اخا الأسر
سألتك ياذا الملك بالملك سائلا بنون بما يتلوه من نفخة الحشر
بنوح نقل اوحى الى سأل سائل بمزمل ثم القيامة والدهر
بيا ايها المدثر انهض مبلغا فانك مبعوث نذير من النذر

---

(١) كذا ولعل هو - الى المسجد الاقصى من البيت والحجر - ح -

وفى نبأ والمرسلات قوارع وسورة ذكر النازعات من الذكر
وفى عبس الوعظ البليغ لوانه يصادف قلب المرء اقسى من الحجر (١)
وبانفطرت ادعوك بالشمس كورت وبالسماء انشقت وادعوك بالفجر
بسورة قوم بالمكاييل طففوا فكالوا عباد الله بالبخس والخسر
سألتك ربى بالبروج وطارق يحط بها وزرى ويشدد بها ازرى
قصدتك بالاعلى وبالبلد الذى بها اقسم الرحمن فى محكم الذكر
بغاشية بالشمس بالليل بالضحى بما فى الم نشرح من الشرح للصدر
وبالتين والزيتون نسأل راغبا (اليك) وباقرأ باسم ربك والقدر
بلم يكن القصوى بسورة زلزلت بالهاكم والعاديات وبالعصر
بسورة اهل الفيل والهمز قبلها بقارعة والناس سكرى من الذعر
بسورة ايلاف بسورة كوثر وتبت وبالماعون بالفتح والنصر
بسورة ذكر الكافرين بفضل قل هو الله ربى خالق الخلق والامر
وبالفلق العظمى وبالناس بعدها لحفظها أمن من البأس والضر
له الحمد فى الاولى له الحمد فى الاخرى له الحمد اعلانا له الحمد فى السر
له الملكوت الله جل جلاله يقرون بالتوحيد للواحد الوتر
بمن لم يزل فوق الخلائق واحدا بمن اتقن الاشياء فى حكمة تجرى
بمن يكشف الشكوى بمن يصرف البلوى بمن يعلم النجوى ويعفو عن الوزر
بمن قال يا موسى انا الله فاستمع مطيعا لما يوحى ولا تعص فى امرى
وخذ هذه الالواح اخذا بقوة ولا تنسه يا موسى بن عمران عن ذكرى
برحمتك اللهم وهى محيطة بما لك يا ربى من العفو والغفر
باسمائك اللهم وهى كريمة تنجى بها داعيك فى البر والبحر
تفضل على المرضى من امة احمد بكشفك عنهم ما شكوه من الضر
اناثا وذكرانا كهولا وشبانا فطيما رضيعا فى الذراع وفى الحجر
وفرج به من كل داء وعلة ومن كل ما يشكوه يا كاشف الضر

(١) كذا ولعله من الصخر

من العلل التى خلقت لجسومهم (١) … كمثل انجاع العين والسن والظهر
ومن حمة او حمرة او شقيقة … ومن وجع فى الرأس والجنب والصدر
ومن شر عين الحاسدين وبأسهم … ومن شر ابليس اللعين اخى الشر
ومن شر ما يؤذى ومن شر حاسد … ومن شر وسواس يوسوس فى الصدر
ومن نظرة المعيان فى المال كله … من الكسب والانعام من كل ما يجرى
فيا نظرة المعيان بالله فاذهبى … بحق الذى نتلوه من طيب الذكر
ولا تقربى من علق الحرز حوله … باسماء ربى فى الحديد وفى الحشر
وقد جاء ان العين حق عن النبى … وكم صار من انسان بالعين فى القبر
فيارب نح العين عمن شكا بها … بحق الذى يتلى من الدور الغر
ومن يشتكى فى جسمه بتوجع … فانت الذى تبلى وانت الذى تبرى
وانت الذى اجبت ايوب اذ دعا … فقال الهى مسنى الم الضر
ففرجت عنه الضر منك تفضلا … فاصبح ايوب النبى بلا ضر
فان كان بالطفل الصغير قرينة … تخالطه فى الثدى والمهد والحجر
فانى بما اقسمت من قسم الرضا … نعوذ بربى من قرين ومن غدر
وان عسرت عن الولادة حامل … فيارب يسر بعد عسر الى يسر
وخفف بهذا الحرز عن كل مثقل … من الحاملات الوالدات على طهر
وان كان مصروعا من الجن يشتكى … عليه وقوع الصرع فى منتهى الشهر
فأنقذه ياذا الطول من شر صرعهم … بحق النبى المصطفى خاتم النذر
وان كان سلطان يخاف وعيده … له صولة فى النهى منه وفى الامر
فانى باسم الله حصنت حاملا … كتابى هذا من عدو ومن قهر
وان كان هذا الحرز عند مسافر … له سفر فى البر أو لجة البحر
فلا يخل من حرز الصيانة رحله … من السارق الغازى وفى ليله يسرى
وان كان هذا الحرز فى رحل تاجر … فبارك له فيما يحاول من تجر
بفضل ورزق منك لا بمشقة … فانك ذو الفضل العظيم لمن يدرى

(١) كذا.

بكرسيه بالعرش بالنور بالبها وباللوح والاقلام تجرى بما تجرى
بآياته الحسنى بمكنون سره بطه بيس المعظمة الذكر
بما جاء فى القرآن من كل آية الى المصطفى المبعوث بالفتح والنصر
تنجى بها داعيك من كل آفة ومن كل ما يعدو على العبد والحر
ومن الم الحمى والبرد بعدها يغطى بما يغطى فيؤلم بالضر
فيا حامل الحرز المبارك والدعا نجوت بحمد الله من جملة الشر
فصنه بما صان النبى محمدا وايده بالنصر فى منتهى بدر
اجبنا بما ندعوك ما قد وعدتنا بكشفك بلوائى لهيف و مضطر
وصل على جبريل فى كل مرة وصل على كل الملائكة الطهر
وصلى على المختار ماذر شارق وما لاح نجم فى السماء لمن يدرى

وها هنا انتهت قصيدة حرز الاقسام لجميع العلل والاسقام وعدد ابياتها مائة وخمسة واربعون بيتا ـ

واعلم ان الدعوات المنقولة بين الناس اكثر من ان تحصى لكن لم يعرف لنا صحة اسنادها وصدق روايتها ـ ولنذكر نبذا مما غلب على ظنى صدقه تتميما للفائدة واتماما للمرام وان أدى ذلك الى التطويل فى الكلام والله الموفق ـ

ومن ذلك دعاء الخضر عليه السلام ذكره العلامى فى تفسيره قال روى عن ابن المهاجر قال قدم الخليفة المنصور مكة فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف فى آخر الليل يطوف ويصلى ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فيصلى بالناس فخرج ذات ليلة حتى اسحر فبينا هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم انى اشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فاسرع المنصور فى مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد فارسل اليه فدعاه فأتاه الرسول فقال اجب امير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذى سمعتك تقول من ظهور البغى

والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعى ما امرضنى واقلقنى فنصح للمنصور ووعظ وذكر بما يطول شرحها حتى بكى المنصور بكاء شديدا ونحب وارتفع صوته ثم قال ياليتنى لم اخلق ولم اك شيئا وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فخرج وصلى بهم ثم قال للحرسى عليك بالرجل ان لم تأتنى به لأضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا ان لم يوجد فخرج الحرسى فطلب الرجل فبينا هو يطوف فاذا هو بالرجل يصلى فى بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال ياذا الرجل اما تتقى الله قال بلى قال اما تعرفه قال بلى قال فانطلق معى الى ان يقتلنى ان لم آته بك قال ليس الى ذلك من سبيل قال يقتلنى قال لايقتلك قال فكيف؟ قال تحسن تقرأ قال لافاخرج من مزود كان معه رقا فيه مكتوب شيئا قال خذه فاجعله فى جيبك فان فيه دعاء الفرج قال فما دعاء الفرج قال لايرزقه الا الشهداء قلت رحمك الله قد احسنت الى فان رأيت ان تخبرنى ما هذا الدعاء وما فضله قال من دعا به صباحا ومساء عدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط فى رزقه واعطى امله واعين على عدوه وكتب عندالله صديقا ولايموت الاشهيدا يقول اللهم لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت ارضك كعلمك ما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شىء لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيدك واجعل لى من كل هم امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك عن قبيح عملى اطمعنى ان اسألك مالا استحقه بماقصرت فيه ادعوك آمنا وأسألك مستأنسا وانك لمحسن الى وانى لمسىء الى نفسى فيما بينى وبينك تتودد الى واتبغض اليك ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فجد بفضلك واحسانك على انك انت التواب الرحيم - قال فأخذته فصيرته فى جيبى ثم لم يكن لى هم غير امير المؤمنين فسلمت عليه فرفع رأسه وتبسم ثم قال ويلك تحسن السحر - قلت لاوالله يا امير المؤمنين ثم قصصت عليه امرى

مع الشيخ ثم اخذ الرق وامر بنسخه واعطانى عشرة آلاف درهم وقال نجوت ثم قال أتعرفه؟ قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام -

ومن الادعية الصحيحة الاسناد الى جعفر الصادق دعاء مسمى بدعاء الجيب - روى ابن فخر الدين الرومى جمعه فى عمل الليل والنهار عن العلائى ذكره فى كتاب العدة عند الكرب والشدة عن ابن ابى الدنيا فى كتاب الفرج بعد الشدة عن الفضل بن الربيع قال حج الخليفة المنصور سنة سبع واربعين ومائة فلما قدم المدينة قال لى ابعث الى جعفر بن محمد يعنى الصادق رضى الله عنهما وقال قتلنى الله ان لم اقتله فامسكت عنه رجاء ان ينساه فاغلظ فى الثانية فقلت هو بالباب فقال ائذن له فخرجت اليه فلما دنونا من الباب قام فحرك شفتيه فدخل فسلم فقال لا سلم الله عليك يا عدو الله تلحد فى سلطانى و تبغينى الغوائل فى ملكى قتلنى الله ان لم اقتلك - فقال له يا امير المؤمنين ان سليمان اعطى فشكر وان داود (١) ابتلى فصبر ويوسف ظلم فغفر فنكس طويلا ثم رفع رأسه باللطف وقال الى وعندى يا ابا عبدالله البرى الساحة السليم الناحية القليل الغائلة جزاك الله من رحم خيرا فتناول يده فأجلسه على مفرشه فدعا بالغالية فطيبه بيده بحيث يقطر ثم قال له فى حفظ وكلاءة يا ربيع الحق ابا عبدالله جائزته وكسوته فانصرف. فلحقته بالجوائز السنية فقلت له إنى رأيت قبلك مالم تر ورأيت بعدك ما قد رأيت ورأيتك تحرك شفتيك فما الذى قلت قال انك رجل من اهل البيت ولك محبة وود وهو دعاء احفظه من آبائى عليهم السلام واسمه دعاء الجيب وينبغى لمن يتوقع بلية اوخوفا ان لا يخلو جيبه عنه وهو، اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام واكنفنى بركنك الذى لا يرام وارحمنى بقدرتك على انت ثقتى ورجائى رب كم نعمة انعمت بها على قل لك عندها شكرى وكم من باية ابتليتنى بها قل لك عندها صبرى فيا من قل عند نعمته شكرى فلم يحرمنى ويامن قل عند بلائه صبرى فلم يخذلنى ويا من رآنى على الخطايا فلم يفضحنى ياذا المعروف الذى لا ينقضى ابدا ويا ذا النعم التى لا تحصى عددا، أسألك ان تصلى على محمد وآله كما صليت على ابراهيم انك حميد

(١) كذا ولعله ايوب -

حميد مجيد اللهم انه عبد من عبادك القيت عليه سلطانا من سلطانك فخذ سمعه وبصره وقلبه الى ما فيه صلاح امرى وبك ادرأ فى نحره واعوذبك من شره اللهم اعنى بدينى على دنياى وعلى آخرتى بالتقوى واحفظنى فيما غبت عنه ولاتكلنى الى نفسى فيما حضرته يامن لايضره الذنوب ولاتنقصه المغفرة اغفرلى مالايضرك . وأعطنى ما لاينقصك انك انت الوهاب يا الهى أسألك فرجا قريبا ورزقا واسعا وأسألك العافية من كل بلية وأسألك الشكر على العافية ودوام العافية وأسألك الغنى عن الناس ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم برحمتك يا ارحم الراحمين، قال الربيع فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال موسى فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال ابن يحيى فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال محمد بن هارون فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال القطان فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال أبو الحسين العاقولى فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال الشاشى فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال جعفر الهمذانى فكتبته عنه فها هو فى جيبى قال أبو الحسين العراقى فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال شيخ والدى واستاذه الشيخ محمد الفيروزابادى فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال شيخى واستاذى ووالدى أبو البركات الشيخ فخر الدين الرومى فكتبته عنه فها هو فى جيبى قلت وانا الفقير الحقير تراب قدم الفقراء فكتبته عنه رضوان الله عليهم اجمعين وقد رأيت له اثرا ظاهرا وانتفعت به عدة فعليك ان تنخرط فى هذا السلك بشرط الاعتقاد الصحيح الجازم انتهى ـ واعلم بانى لولا خوف الاطناب لملأت الكتاب من هذا الباب لكنه يكفيك هذا القدر الآن والله المستعان فى كل حين وأوان ـ

المطلب التاسع

فى فضيلة الدعاء وآدابه

قال الله تعالى(واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى) وقال تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) وقال تعالى (وقال ربكم ادعونى استجب لكم) وقال صلى الله عليه وسلم ان الدعاء

هو العبادة ثم قرأ(ادعونى استجب لكم) و قال، الدعاء مخ العبادة ، و قال ليس شيء اكرم على الله من الدعاء و قال ، ان العبد لايخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له ، و قال، سلوا الله تعالى من فضله فانه يحب ان يسأل و افضل العبادة انتظار الفرج ـ

اما آداب الدعاء فهى عشرة

الاول ان يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهر و يوم الجمعة من الاسبوع و وقت السحر من ساعات الليل ـ

الثانى، ان يغتنم الاحوال الشريفة كزحف الصفوف فى سبيل الله اذ عنده تفتح ابواب السماء و عند نزول الغيث وعنداقامة الصلاة المكتوبة واعقاب الصلوات المفروضة وبين الاذان والاقامة وحالة الصوم وحالة السجود وبالحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات اذوقت السحر وقت صفاء القلب ويوم الجمعة ويوم عرفة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله تعالى ـ

الثالث، ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه ويمسح بهما وجهه فى آخر الدعاء و ينبغى ان يضم كفيه ويجعل بطونهما مما يلى وجهه و ينبغى ان لا يرفع بصره الى السماء ـ قال صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او لتخطفن أبصارهم (١) ـ

الرابع، خفض الصوت بين المخافتة والجهر كذا ورد الاثر عن عائشة رضى الله عنها قالت فى قوله تعالى(ولاتجهر بصلوتك ولا تخافت بها) اى بدعائك ـ

الخامس، ان لايتكلف السجع فى الدعاء فان السجع تكلف ولايناسب ذلك فى محل التضرع ـ وقيل معنى قوله تعالى(انه لا يحب المعتدين) التكلف للاسجاع ـ والاولى ان لا يجاوز الدعوات المأثورة لانه اذا جاوزها ربما اعتدى فى دعائه فيسأل الله بمالا يقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن الدعاء ـ و يقال ان العلماء

---

(١) كذا والحديث فى صحيح مسلم بلفظ ـ ينتهين اقوام عن رفعهم ابصارهم عندالدعاء فى الصلاة الى السماء الخ ـ

والا

والابدال لايزيد احدهم فى الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد بذلك آخر سورة البقرة فان الله عزوجل لم يخبر فى موضع من ادعية عباده باكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع فى الدعاء بحسب احدكم ان يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذبك من النار وما قرب اليها من قول وعمل - واعلم ان المنهى عنه هو التكلف للسجع - واما اذا كان غير متكلف وصدر عن طبع فلا نهى عن ذلك - ووقع عن النبى صلى الله عليه وسلم أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد - وبالجملة اصل الدعاء الضراعة والابتهال - فينبغى ان يتحفظ عما ينافيه من الكلفة من السجع وغيره وان لم يخل بها فلابأس -

السادس، التضرع والخشوع والرغبة والرهبة كما هو شأن الدعاء -

السابع، ان يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم اذا دعا اللهم اغفرلى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت فانه لامكره له - وقال اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله لايتعاظمه شيء - وقال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله عزوجل لايستجيب دعاء من قلب غافل -

الثامن، ان يلح فى الدعاء ويكرره ثلاثا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا دعا ثلاثا وينبغى ان لايستبطىء الاجابة فيقول قد دعوت فلم يستجب لى بل يقول الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات اذا تعرف الاجابة ومن ابطأعنه الاجابة يقول الحمدلله على كل حال -

التاسع يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى ولايبدأ بالسؤال وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستفتح بقوله سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب - وقال ابوسليمان الدارانى من اراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يختم بالصلاة عليه فان الله عزوجل يقبل الصلاتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما - كذا ورد فى الخبر ايضا -

العاشر - وهو الادب الباطن والاصل فى الاجابة ان يتوب عن الذنوب ويرد المظالم ويقبل على الله عزوجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب فى الاجابة

المطلب العاشر

فى فائدة الدعاء مع انه لامرد للقضاء

واعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب الخروج النبات من الارض وكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله عزوجل ان لايحمل السلاح وان لا تسقى الارض بعد القاء البذر فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت بل الله تعالى ربط الاسباب بالمسببات ويقال له القضاء الاول الذى هو كلمح البصر وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذى قدر الخير قدره بسبب والذى قدر الشر قدره بسبب وقدر لدفعه سببا ايضا فلاتناقض بين هذه الامور عند من انفتحت بصيرته على ان فى الدعاء فى نفسه فائدة العبادة وثواب الذكر والخير العاجل ولا يخلو اصلا عن طائل والله المجيب وانا السائل اسأل منه الاقتفاء بأعظم الوسائل محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات وعلى آله واصحابه وذريته واحبابه -

الاصل العاشر

فى تقسيم الاوراد وفضيلتها واحكامها

واعلم ان السالك لطريق الآخرة اماعابد اوعالم اومتعلم اووال اومحترف أو موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره ففيه مطالب -

المطلب الاول

فى ترتيب اوراد العابد المتجرد لعبادة الله عزوجل فلنذكر اولا فضيلة الاوراد قال الله تعالى (واذكر اسم ربك بكرة واصيلا - وسبحه ليلا طويلا) وقال تعالى

(وسبح

(وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود) وقال تعالى (اقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات) الى غير ذلك من الآيات واعلم ان فى النهار سبعة اوراد مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ورد، ومنه الى الزوال وردان، ومنه الى العصر وردان، ومنه الى المغرب وردان ـ وفى الليل اربعة اوراد، من المغرب الى نوم الناس وردان وفى النصف الاخير الى الفجر وردان، ثم ورد خامس وهو ورد النوم ـ

والاول ورد الصبح وفضله كثير فى الآيات منه قوله تعالى (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس) وقوله (واذكر اسم ربك بكرة واصيلا) فاذا انتبه من النوم يدعو بدعاء الاستيقاظ وقدمر ويلبس ثوبه وهو فى الدعاء وينوى به ستر عورته امتثالا لامر الله تعالى واستعانة على عباده(١) من غير قصد رئاء ورعونة ثم يباشر الطهارة على مامر ثم يستاك ويتوضأ على مامر ثم يصلى ركعتى الفجر فى منزله ثم يدعو بدعاء ابن عباس اللهم انى اسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى الى آخر الدعاء وقدمر ذكره ثم يخرج ويدعو بدعاء الخروج ويمشى بالسكينة والوقار ويدخل المسجد ويذكر دعاء الدخول ثم يطلب الصف الاول ان وجد فرجة ولا يتخطى الرقاب ولا يزاحم ثم يصلى ركعتى الفجر ان لم يصلها فى البيت ويدعو بما يدعى بعدها وقد سبق وان كان صلاهما صلى ركعتى التحية وجلس منتظرا للجماعة فانه بمنزلة غزوة فى سبيل الله كذا ورد فى الآثار والاحب التغليس عند الشافعية وعند الحنفية الاسفار ـ وينبغى ان لا يترك الجماعة لأنها فرض كفاية عند الشافعية وسنة مؤكدة عندنا ثم يشتغل بعد ركعتى الفجر بالدعاء بالاستغفار والتسبيح الى ان تقام الصلاة فيقول أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم واتوب اليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يصلى الفريضة مع آدابها الظاهرة والباطنة ثم يقعد فى مصلاه الى طلوع الشمس ويشتغل عند ذلك بأربعة انواع ـ احدها الدعاء ويقول اولا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم انت السلام واليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وادخلنا دار

(١) كذا والظاهر ـ عبادته ـ ح ـ

السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم يقول سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لااله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لااله الا الله لا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون - ثم يبتدئ ويدعو بالادعية المذكورة كلا اوبعضا بقدر طاقته ومايراه اوفق لحاله وارق لقلبه واخف على لسانه -

ثانيها - الاذكار المكررة ثلاثا اوسبعا واكثرها مائة اوسبعين واوسطها عشر ويكرر بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر اكثر الا ان القليل مع المداومة افضل واشد تأثيرا في القلب من غير مداومة وتلك الاذكار عشر -

الاولى - لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، الثانية - سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، الثالثة - سبوح قدوس رب الملائكة والروح، الرابعة - سبحان الله العظيم وبحمده -

الخامسة - استغفر الله الذي لا اله الاهو الحي القيوم واسأله التوبة -

السادسة - اللهم لامانع لما اعطيت ولامعطي لما منعت ولاينفع ذا الجد منك الجد -

السابعة - لا اله الا الله الملك الحق المبين، الثامنة - بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم -

التاسعة - اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آل محمد -

العاشرة - اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اللهم اني اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون - فهذه عشر كلمات اذا كرر كل واحدة منها عشر مرات حصل له مائة مرة فهو افضل من ان يكرر ذكر واحدة مائة لأن لكل واحدة منها فضلا على حيالها وللقلب لكل منها نوع تلذذ واستراحة وامن من الملال -

ثالثها - القراءة فالافضل ان يقرأ سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من

قوله آمن الرسول وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الآيتين - ولقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخرها - ولقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق - الى آخرها والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا وخمس آيات من اول الحديد وثلاث آيات من آخر سورة الحشر - وان اراد أن يستكمل الفضل فليقرأ المسبعات العشر وهى سورة الحمد والمعوذتين وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون وآية الكرسى كل واحدة سبع مرات - ويقول سبعا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم سبعا ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعا وتقول اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يامولانا مانحن له اهل انك غفور رحيم سبع مرات رواها كرز بن وبرة عن ابراهيم التيمى انه اهداها اليه الخضر عليه السلام - وقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم - وقال اذا لقيته فسل عن ثوابه فذكر ابراهيم التيمى انه رأى ذات ليلة فى منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى ادخلته الجنة فرأى فى الجنة امورا عظيمة فقال للملائكة لمن هذا فقالوا للذى يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمارها وسقوه من شرابها - قال واتانى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم على وأخذ بيدى فقلت يا رسول الله ان الخضر أخبرنى انه سمع هذا الحديث منك، فقال صلى الله عليه وسلم صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله تعالى فى الارض فقلت يا رسول الله من فعل هذا اوعمله ولم ير مثل الذى رأيت فى منامى فقال والذى بعثنى بالحق انه ليعطى بهذا وان لم يرنى ولم ير الجنة انه ليغفر (له) جميع الكبائر ويرفع الله سبحانه عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال ان لايكتب عليه شيئا من السيئات الى سنة والذى بعثنى بالحق ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا - وكان ابراهيم مكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب ولعله كان بعد هذه الرؤيا -

واعلم انه ان اضاف الى ذلك ما انتهى اليه ورده من القرآن كان احسن وافضل - ورابعها الافكار وذلك اما فى المعاملات بأن يحاسب نفسه بأن يتفكر فى تقصيره وفى دفع الصوارف والعوائق عن الخير وطريق الاخلاص فى النيات، واما فى المكاشفات بان يتفكر فى جلال الله تعالى ونقمته فيزداد خوفا اوفى جماله ونعمته ويزداد شكرا والفكر اشرف العبادات لأن فيه الذكر ومادة المعرفة اذ الفكر مفتاح المعارف ويحصل من المعرفة التعظيم ومنه المحبة - وايضا الذكر وان اورث الانس الذى هو نوع من المحبة (فالمحبة) الحاصلة من الفكر اقوى واثبت واعظم أولا يرى ان العشق لمن يشاهد جماله بالعين اقوى من العشق لمن كرر على السمع وصفه اذليس الخبر كالعيان -

قال الشاعر

ولكن للعيان لطيف معنى به سأل المعاينة الكليم

ولهذا صار يقين العارفين الذين شاهدوا ذلك الجمال والجلال بعين البصيرة الباطنة التى هى اقوى من البصر الظاهر اجل واعظم من يقين العباد المواظبين على ذكر الله بالقلب واللسان اذليس معهم من محاسن الصفات الا امور جميلة (١) لاتشفى العليل ولاتسقى الغليل الا الاقل من القليل الذين قنعوا من اليقين بالدليل -
الورد الثانى وهو الذى من طلوع الشمس الى ضحوة النهار وهى منتصف مابين الطلوع الى الزوال وذلك اعنى ثلاث ساعات من نهار يكون اثنتى عشرة ساعة اذهى ربع النهار وفى هذا الربع وظيفتان -

احداها صلاة الضحى وهى نوعان احدها وقت اشراق الشمس وهو وقت ظهور نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات الارضية المانعة عن اشراق نورها وهذا ركعتان وقد مر ذكرها ويسميان صلاة الاشراق - وثانيها وقت اشتداد حر الشمس اذا رمضت الفصال وهو الضحى الاعلى فيصلى عند ذلك اربعا اوستا اوثمانيا ويسمى ذلك صلاة الاوابين - خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته ألاان صلاة الاوابين اذا رمضت

(١) كذا ولعله - جملية - ح -

الفصال ـ ولذلك يقال اذا اقتصر على واحد من النوعين فهذا الوقت افضل ـ وثانيها ـ الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادة بكرة من عيادة مريض اوتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وقضاء حاجة لمسلم ونحو ذلك ـ فان لم يوجد شيء من امثال هذه عاد الى الوظائف الاربع التي قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر والصلاة تطوعا اذحينئذ تحل الصلاة ـ الورد الثالث من ضحوة النهار الى الزوال فالصلاة في كل ساعة مستحبة اومفروضة من الصبح الى الضحوة ثلاثا ومنها الى الزوال ثلاثا وكذا منه الى العصر ومن العصر الى المغرب فالضحى نظير العصر الا انه لم يفترض لأنه وقت اشغال الناس ومعاشهم فخفف عنهم فوظيفة الوقت المذكور الاقسام الاربعة ويزيد امرين احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش فان كان تاجرا يحضر السوق وسنذكر شرائطه ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه ـ وثانيهما القيلولة وهي سنة ليستعين بها على قيام الليل كما ان التسحر سنة ليستعين به على صيام النهار فان كان لايقوم بالليل لكن كان بحيث لولم ينم لاشتغل بالتحدث مع الناس فالنوم احب اليه وكذا لوكان بحيث لا ينشط بدون النوم للاذكار والوظائف المذكورة فنومه على النيتين المذكورتين يصير قربة ولكن ينبغي ان يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة وحضور المسجد قبل وقت الصلاة وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو افضل اعمال النهار لأنه وقت غفلة الناس واشتغالهم بهموم الدنيا فالخدمة عند اعراض العبيد عن باب مولاهم جديربان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته ولهذا المعنى صار احياء الليل قربة وفضلا ـ

الورد الرابع ـ مابين الزوال الى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته وهو اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا حضر المسجد قبل الزوال فليصبر الى فراغ المؤذن عن جواب اذانه ثم ليقم الى احياء مابين الاذان والاقامة وهذا هو المراد بقوله تعالى (وحين تظهرون) وليصل اربع ركعات لايفصل بينها بتسليم وليطولها اذ فيها تفتح ابواب

السماء وليقرأ فيها سورة البقرة اوسورتين من المئين اواربعا من المثانى فهذه ساعة يستجاب فيها الدعاء ـ واحب رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم يصلى الظهر بجماعة ثم يصلى بعده ركعتين ثم اربعا يقرأ فيها آية الكرسى وآخر البقرة والآيات التى اوردناها فى الورد الاول ـ

الورد الخامس ـ ما بعد ذلك الى العصر فيعتكف ما بينهما فى‌المسجد مشتغلا بالذكر والصلاة وفنون الخير وكان ذلك سنة السلف لأنه وقت غفلة الناس لكن ان كان البيت اسلم لدينه واجمع لهمه فهوا فضل ـ وفى هذا الوقت يكره النوم اذ يكره نومتان بالنهار وهذا الوقت هوالمراد بالآصال فى قوله تعالى (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) واعلم ان اعتدال النوم ثمانى ساعات بالليل والنهار اللذين هما جميعا اربع وعشرون ساعة وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار ولايزيد عليه فحسب ابن آدم ان عاش ستين ان ينقص من عمره عشرين سنة وهو ثلث عمره ولكن لاينقص منه لئلايختل البدن فيضيع طاعته وكماله الا ان يتعود السهر بالتدريج ويتمرن عليه من غير اضطراب ـ وقد شاهدنا ذلك فى بعض العباد مع قوة ابدانهم فى العبادات ـ

الورد السادس ـ بعد دخول وقت العصر وليس فى ذلك صلاة غير اربع ركعات بين الاذان والاقامة ثم يصلى العصر ثم يشتغل بالوظائف الاربع المذكورة وان اشتغل بالتلاوة وبتدبر كان افضل ـ

الورد السابع ـ وقت اصفرار الشمس وهوالمراد بقوله (فسبحان الله‌حين تمسون) فيستحب فيه الدعاء والتسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكر فى الورد الاول مثل ان يقول أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأسأله التوبة، وسبحان الله العظيم وبحمده، ويستغفر ويقول (واستغفروا ربكم انه كان غفارا)(واستغفره انه كان توابا) رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ـ فاغفرلنا وارحمنا وانت خير الغافرين الراحمين ـ ويستحب ان يقرأ قبل الغروب والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس وهو فى الاستغفار كما قال تعالى (واستغفر

لذنبك

لذنبك - وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك - الدعاء كما سبق ثم يجيب المؤذن ثم يشتغل بصلاة المغرب وبذلك انقضت مرحلة من عمره - فحينئذ يحاسب نفسه هل كان شرا من امسه فكان من الملعونين فعند ذلك فليعزم على تلافى ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيآت والليل خلفة النهار فيداوى تفريطه بالليل اوساواه فكان من المغبونين لأن من استوى يوماه فهو مغبون - قال النبى صلى الله عليه وسلم لابورك لى فى يوم لاازداد فيه خيرا فان رأى زيادة فى خيره فليحمد الله عزوجل وليشكره على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وليحضر فى قلبه ان نهار العمر له غروب ولاطلوع بعده فيغلق باب التدارك فيبادر الى الخيرات قبل فواتها -

بيان اوراد الليل وهى خمسة -

الاول الاشتغال باحياء ما بين العشائين الى غيبوبة الشفق وهى المراد فى قوله تعالى(ان ناشئة الليل) وليحذر عن النوم فى ذلك الوقت ويصلى بعد المغرب ركعتين يقرأ فيهما قل ياايها الكافرون وقل هوالله احد من غير تخلل كلام وشغل عقيب صلاة المغرب ثم يصلى اربعا يطيلهن ثم يصلى ما تيسر له الى غيبوبة الشفق فان كان منزله قريبا من المسجد فلابأس ان يصلى هاتين الصلاتين فى بيته اذا لم يكن قصده العكوف فى انتظار العتمة - وان قصد ذلك فهو افضل ان لم يدخله التصنع والرثاء والسمعة -

الورد الثانى من وقت العشاء الى حدنوم الناس وهو بمراعاة امور ثلاثة - الاول ان يصلى بين الاذان والاقامة اربع ركعات ويصلى بعد الفرض ركعتين ثم اربعا ويقرأ فيهما آخر البقرة وآية الكرسى واول الحديد وغيرها - الثانى ان يصلى ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر - والحزم تقديمه على النوم اذربما لايستيقظ ويثقل عليه القيام الا ان يعتاد ذلك فالتأخير افضل وليقرأ فى هذه الصلاة قدر ثلاثمائة من السور التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل سورة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة فان

لم يصل فلا يدع قراءة هذه السورة بعضها قبل النوم - روى ان ما كان يقرأ النبي صلى الله عليه وسلم فى كل ليلة السجدة وتبارك الملك وفى رواية الزمر وبنى اسرائيل - وفى رواية كان يقرأ المسبحات كل ليلة ويقول فيها آية افضل من الف آية - وبعض العلماء يزيدون سبح اسم ربك الاعلى لانه صلى الله عليه وسلم كان يحب هذه السورة وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الوتر سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وسورة الاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات - الثالث الوتر قبل النوم والتأخير افضل لمن وثق بالانتباه ويقول بعد السلام من الوتر سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارضين بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت - الورد الثالث النوم وانه من العبادة ان روعيت آدابه - وورد فى الحديث اذا نام العبد على طهارة وذكر الله عزوجل يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل فى شعاره ملك فان تحرك فى نومه فذكر الله عزوجل دعا له الملك واستغفر له - وفى الخبر اذا نام العبد على طهارة رفعت روحه الى العرش - هذا فى العوام فكيف فى العلماء وارباب القلوب المكاشفين بالاسرار فى النوم - ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح - وآدابه عشرة الاول الطهارة والسواك اذبذلك عرج بروحه الى السماء فتصدق رؤياه والافتصير اضغاث احلام كذا ورد فى الخبر الا ان المراد طهارة الظاهر والباطن جميعا لانها هى المؤثرة فى انكشاف حجب الغيوب - الثانية ان يعد عند رأسه سواكه وطهوره وينوى القيام للعبادة وكلما انتبه استاك كذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وان لم يتيسر له الطهارة يتيمم فان لم يجد فليقعد مستقبل القبلة ويشتغل بالذكر والدعاء والفكر فذلك يقوم مقام قيام الليل - الثالث ان لا يبيت الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يأمن القبض فى النوم - يقال من مات من غير وصية لم يؤذن له فى الكلام فى البرزخ الى يوم القيامة يتزاورون الاموات ويتحدثون فهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية - وذلك مستحب خوفا من الفجاءة

وموت

وموت الفجاءة تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم الرابع ان ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لايحدث نفسه بظلم احد ولا يعزم على معصية ان استيقظ - الخامس ان لا يتنعم بالفرش الناعمة بل يترك ذلك او يقتصد فيه - وكان بعضهم يكرهون الفراش المهيأ للنوم وكان اهل الصفة لايتركون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم واجدر لتواضع نفوسهم الا ان ذلك فى البلاد الباردة يضر بالمزاج - فالاقتصاد فيها ان (لا) يعين للنوم فراشا بل ينام على ما يقعد عليه فى انهار اى شيء كان - السادس ان لاينام مالم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه - وقد كان السلف نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة الا ان يقصد به الاستعانة على قيام الليل وان غلبه النوم عن الصلاة اوالذكر وصار لايدرى مايقول فلينم حتى يدرى مايقول - قال صلى الله عليه وسلم لاتشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده (يغلبه) فلاتبغض اليك عبادة الله عزوجل - السابع ان ينام مستقبل القبلة اما كهيئة المحتضر بان يستلقى على قفاه ورجلاه الى القبلة اوكهيئة المقبور بان ينام على جنب ووجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على الايمن - الثامن الدعاء عند النوم وقد مر ذلك ويستحب ان يقرأ آية الكرسى وآخر البقرة وغيرها (والهكم اله واحد لا اله الاهو الرحمن الرحيم) الى قوله لآيات لقوم يعقلون - يقال ان من قرأ هذا عند النوم حفظ عليه القرآن فلم ينسه - ويقرأ من سورة الاعراف (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) وآخر بنى اسرائيل (قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن) الآيتين فانه يدخل فى شعاره ملك يوكل بحفظه ويستغفر له ويقرأ المعوذتين وينفث بهما فى يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده وذلك مروى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم - وليقرأ عشرا من اول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآى لاستيقاظ قيام الليل وكان على كرم الله وجهه يقول ما ارى رجلا مستكملا عقله ينام قبل ان يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات

الاربع مائة مرة - التاسع ان يتذكر عند النوم ان النوم اخو الموت والتيقظ نوع بعث ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة فلابد للنائم وان يفتش عن قلبه عند النوم انه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه او حب الدنيا وليتحقق انه يتوفى على ماهو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من احب ومع ما احب - العاشر الدعاء عند التنبه بما سبق ويقول مهما تنبه من النوم لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض ومابينهما العزيز الغفار - وليجتهد أن يكون آخر ما يجرى على قلبه عند النوم واول ما يجرى على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فان علامة الحب ذلك وليجرب قلبه بذلك فانها علامة تكشف عن باطن القلب -

الورد الرابع يقوم فى السدس الاخير من الليل الى التهجد وهو اسم لما بعد الهجود والهجوع وهو النوم اذ حينئذ يهتز العرش وتنتشر رياح الجنة العدن وينزل الجبار سبحانه الى سماء الدنيا كما ورد فى الخبر فبعد ما فرغ من دعاء الانتباه يتوضأ ثم يستقبل القبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم يسبح عشرا ويحمد عشرا ويهلل عشرا ويقول الله اكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة ثم يقول هذه الكلمات فانها مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت رب السموات والارض ولك الحمد انت بهاء السموات والارض ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفرلى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسى تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اهدنى لأحسن الاعمال لا يهدى لاحسنها الاانت واصرف عنى سيئها لايصرف سيئها عنى الا انت اسألك مسألة

البائس المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلاتجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين - قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته وقال اللهم رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم - ثم يفتتح الصلاة ويصلي خفيفتين (١) ثم يصلي مثنى ما يسر له ويختم بالوتر إن لم يكن صلاه - ويستحب ان يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد في نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى اولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللاتي قبلها هكذا الى ثلاث عشرة ركعة بالتدريج وسئلت عائشة رضي الله عنه أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم (يجهر) في قيام الليل ام يسر فقالت ربما اسر وربما جهر - وقال صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب اوترت صلاة النهار فاوتر صلاة الليل -

الورد الخامس - السدس الاخير من الليل وهو وقت السحر فيصلي ركعتي الفجر ثم يقول (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم) الآية ثم يقول وانا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت ملائكته واولوا العلم من خلقه وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي وديعة عنده وأسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط عني بها وزرا واجعل لي بها عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا -

فهذا ترتيب الاوراد للعباد ومع ذلك فقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور صوم وصدقة وان قلت حتى العنبة والبصلة وكسرة خبز وعيادة مريض وشهادة جنازة اذقد ورد في فضل كل منها الاحاديث والاخبار والآثار - واعلم ان الاولى من بين الاوراد قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبر لأنه يجمع جميع انواع الاذكار لكن ربما تعسر المواظبة عليها فيجوز

(١) كذا -

العابد الانتقال من نوع الى نوع لايلحقه فيه الملل اذالغرض تحصيل صفاء الباطن والتحقيق ان احوال الاشخاص متفاوتة فمن واحد يرى الصفاء فى نوع ومن آخر فى غيره فعليه ان يلازم ما وجد عنده فى قلبه فتحا وصفاء وتوزيع الاوراد انما هو لأجل دفع الملل وتجربة لما له فيه الصفاء فاذا اصابه فليواظب عليه وذلك يختلف باختلاف الطبائع وبتفاوت الاحوال وكان فى الصحابة من ورده فى اليوم والليلة اثنى عشر الف تسبيحة وفيهم من ورده ثلاثون الفا وفيهم من يصلى ثلاثمائة ركعة الى ستمائة ركعة والى الف ركعة ولم يكن اقل من مائة ركعة وكان فيهم من يختم فى اليوم مرة ومرتين ومنهم من ورده آية واحدة يرددها بالتفكر الى غيرذلك

المطلب الثانى

العالم الذى ينتفع بعلمه بفتوى او تدريس او تصنيف فترتيب اوراده يخالف ترتيب اوراد العابد لأن العلم افضل مايشتغل به بعد المكتوبات وفيه منفعة الخلق وهدا يتهم الى طريق الآخرة ورب مسألة واحدة يصلح بها المتعلم عبادة عمره وانما المراد بالعلم العلم المذكر للآخرة لا العلم الذى يتوسل به الى المال والجاه وقبول الخلق فينبغى للعالم ان يوزع اوقاته والايلحقه الكلال فيخصص مابين الفجر الى طلوع الشمس ومنه الى الضحوة فى الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر وحل مشكلات العلوم الدينية - فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا اكثر واوفر - ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها الا فى وقت (١) اوطهارة اومكتوبة او قيلولة خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع مايقرأ بين يديه من تفسير اوحديث اوعلم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول عمل اللسان والثانى عمل القلب والثالث عمل العين واليد والرابع عمل السمع لتتروح به العين واليد اذ المطالعة والكتابة بعد العصر ربما اضر الى البصر وعند الاصفرار يعود الى عمل اللسان - هذا تقسيم النهار -

(١) كذا -

واما تقسيم الليل فالاولى فيه تقسيم الشافعي حيث جعل الثلث الاول للمطالعة وتربية العلم والثاني للصلاة والثالث للنوم الا ان ذلك ربما لايتيسر في ليالي الصيف الا اذا كثر النوم بالنهار والا فليجعل المطالعة والصلاة اقل من الثلث وليضم ما فضل منها الى النوم اذ البدن اذا ضعف يفوت الكمال الكثير - اللهم الا ان يعتاد ذلك بالتدريج وقد شاهدنا من يفعل ذلك -

المطلب الثالث

في المتعلم والتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الاوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة ، والتعليق او النسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف -

المطلب الرابع

في المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له ان يستغرق الاوقات في العبادات لئلا يضيع له العيال بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب لكن ينبغي ان لاينسى الله عزوجل في صناعته فيواظب علي ما لمكن جمعه مع العمل فاذا فرغ من كفايته يعود الى اوراده -

المطلب الخامس

في الوالي مثل الامام والقاضي والمتولى لأمر من امور المسلمين فقيامه بحاجت المسلمين على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فحقه ان يشتغل بامور الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه اذ قال مالى وللنوم لونمت بالنهار لضيعت امر المسلمين ولونمت بالليل لضيعت نفسي فظهر مما ذكر أن العلم والرفق بالمسلمين مقدمان علي كثير من العبادات لتعدي نفعها الى العامة -

المطلب السادس

الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي اصبح وهمه هم واحد فلا يحب الا الله

عز وجل ولايخاف ولايرجو الا منه - فمن ترقت رتبته الى هذا الحد (لا) يحتاج الى ترتيب الاوراد وتوزيعها لأن قلبه مع الله فى كل وقت فلامحرك له ولا مسكن الا الله تعالى ولا تتميز عنده عبادة عن عبادة وهو الذى يستغنى عن تعليم المعلمين فذلك خارج عن خطابنا فى هذا الباب الا انه ينبغى للمريد أن (لا) يدعى لنفسه تلك المرتبة ويتكاسل عن وظائف العبادات وان احاط به حسن الظن بنفسه وألقاه فى العجب فعليه ان يتدارك حاله بما سنذكره ان شاء الله تعالى -

خاتمة فى قيام الليل وهو صنفان اما قبل النوم او بعده

الصنف الاول يسمى صلاة الاوابين وهي ركعتان من واظب عليهما بنى الله له قصرين فى الجنة - قيل يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة عشر آيات من اول البقرة وآيتين من وسطها من قوله تعالى (والهكم اله واحد لا اله الاهو الرحمن الرحيم - ان فى خلق السموات والارض) الآية وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ويقرأ فى الثانية بعد الفاتحة آية الكرسي وآيتين بعدها الى قوله (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) وثلاث آيات من آخر البقرة من قوله تعالى (لله ما فى السموات وما فى الارض) الى آخرها وقل هو الله احد خمس عشرة مرة - ووصف فى الحديث ثوابها يخرج عن الحصر - وفى رواية اربع ركعات من واظبها عدلت له عبادة سنة او كأنها صليت ليلة القدر - وفى راوية عشر ركعات من واظبها بنى له قصر فى الجنة - ونقل عن كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر عليه السلام علمنى شيئا اعمله فى ليلتى قال اذا صليت المغرب فقم الى صلاة العشاء مصليا من غير أن تكلم احدا وأقبل على صلاتك التى انت فيها وسلم من كل ركعتين واقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد ثلاثا فاذا فرغت من صلاتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة الاخلاص سبعا ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبعا وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم سبعا ثم ارفع رأسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين

والآخرين يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يارب يارب يارب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبى صلى الله عليه وسلم وادم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له احب ان تعلمنى ممن سمعت هذا فقال انى حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء واوحى به اليه وكنت عنده وكان ذلك بمحضرمنى فتعلمته ممن علمه اياه ـ ويقال ان هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليها بحسن يقين وصدق نية رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى انه دخل الجنة ورأى فيها الانبياء ورأى محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء وكلمه وعلمه ـ

الصنف الثانى ـ القيام بعد النوم ولآيات والاخبار والآثار فى فضله اكثر من ان تحصى ومن الآيات قوله عز وجل (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه) وقوله تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما) الآية وقوله جل ذكره (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم ان من الليل ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا الا اعطاه اياه ـ وقال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم فان قيام الليل قربة الى الله تعالى وتكفيرالذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم ـ وقال لأبى ذرلو أردت سفرا اعددت عدة فكيف سفر طريق الآخرة ألا انبئك ياباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى فداك ابى وامى قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين اوكلمة حق تقولها اوكلمة شر تسكت عنها ـ ومن الآثار قيل للحسن مابال المتهجدين من احسن الناس وجوها قال انهم خلوا بالرحمن تعالى فألبسهم نورا من نوره ـ وقال ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم قيام الليل ـ وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم وقد كثرت خطيئتك ـ واعلم انك اذا عرفت فضيلتها فعليك ان تعرف الاسباب

المسهلة لقيام الليل وهى اما ظاهرة اوباطنة ـ الاول ان لايكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام ـ الثانى ان لايتعب بدنه بالنهار فى الاعمال فان ذلك ايضا مجلبة للنوم ـ الثالث ان لايترك القيلولة ـ الرابع ان لايحتقب الاوزار بالنهار فانه يحول بينه وبين اسباب السعادة ـ الثانى اربعة ايضا ـ الاول سلامة القلب من الحقد على احد من المسلمين ومن البدع ومن فضول هموم الدنيا لان من كثرهمه فما نم ولو استيقظ ـ الثانى خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل لأن ذكر جهنم يطير نوم العابدين ـ الثالث ان يعرف فضل قيام الليل فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى الجنان ـ الرابع وهو اشرف البواعث الحب لله عزوجل وقوة الايمان لان من احب مولاه احب الخلوة به والتذ المناجاة معه ـ واعلم ان محبة الله تعالى لاينكرها الامن ران قلبه بالبدع اوغلب عليه حب الدنيا والا فهى من اعظم اللذائذ ولا لذة فوقها بل لا لذة غيرها وقد شهد العقل والنقل بوجودها ـ اما العقل فان من احب شخصا بسبب جماله اوعالما بسبب كماله كيف يريد رؤيته وسماع كلامه والخلوة به وبمناجاته وليس التلذذ بالنظر الى المحبوب فقط بل يلتذ من وراء ستر او فى بيت مظلم ولابسماع كلامه فقط اذربما يلتذ مع عرض حاله الى المحبوب وان لم يرولم يتكلم واما النقل فيشهد له احوال المحبين فى قيام الليل وتلذذهم بالمناجاة ومن لم ينتبه بهذا المقدار لايعترف بالتطويل والاكثار ـ فاعلم ان قيام الليل سبع مراتب الاولى ـ احياؤه كلا وهذا شأن الاقوياء ـ الثانية قيام نصفه والاحسن ان ينام الثلث الاول والسدس الاخير ويصير قيامه فى الوسط ـ الثالثة قيام ثلثه بان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر الليل محمود لانه يذهب النعاس بالغداة ويقلل صفرة الوجه التى هى سبب الشهرة ـ وايضا سبب لكشف حجب الغيوب كما يشاهده ارباب القلوب وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود عليه السلام ـ الرابعة ان يقوم سدس الليل او خمسه وافضله ان يكون فى النصف الاخير

و قبل السدس الاخير - الخامسة - ان لا يراعى التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر فاذا كان غيم يقوم اول الليل ثم ينام وهذا اشد الاعمال وافضلها فتكون له قومتان ونومتان (١) وقد كان هذا من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طريقة ابن عمر واولى العزم من الصحابة والتابعين - السادسة وهى الاقل ان يقوم قدر اربع ركعات او ركعتين او يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب فى جملة قيام الليل برحمة الله وفضله - وقد جاء فى الاثر صل من الليل ولو قدر حلب الشاة . السابعة ان يقوم بين العشائين ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر وهى ادنى المراتب ويقوم طرفى الليل فقط - ثم اعلم ان الليالى التى يحسن احياؤها خمس عشرة ليلة فى السنة ستة منها فى رمضان هى اوتار العشر الاخير اذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبعة عشر من رمضان وهى التى صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقيل هى ليلة القدر واما الثمانى الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة قال صلى الله عليه وسلم للعامل فى هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فيها اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة سورة من القرآن ويتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه ما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو فى معصية - فاما ليلة النصف من شعبان فيصلى فيها مائة ركعة ويقرأ بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها - وليلة عرفة وليلة العيدين قال النبى صلى الله عليه وسلم من احيا ليلتى العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب واما الايام الفاضلة فهى تسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وفى الحديث من صام

---

(١) تأمل -

فيه كتب الله له صيام ستين شهرا وهو يوم هبط فيه جبرئيل بالرسالة على محمد صلى الله عليه وسلم ويوم سبعة عشر من رمضان وفيه كانت وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيدين والايام المعلومات وهى عشر ذى الحجة والايام المعدودات وهى ايام التشريق ومن فواضل الايام فى الاسبوع الاثنان والخميس ترفع فيهما الاعمال الى الله عزوجل والله تعالى اعلم بحقائق الامور.

الشعبة الثانية

فى العادات ويتفرع ذلك عن عشرة اصول

الاصل الاول

فى آداب الأكل وفيه مطالب

المطلب الاول

فى احوال المنفرد وهى ثلاثة اقسام

القسم الاول فى آدابه قبل الاكل وهى سبعة الاول ان يكون الطعام حلالا فى الشرع فى نفسه ومن جهة كسبه وطيبا فى الورع وستعرف معنى الحلال الطيب وهو من الفرائض واصول الدين ـ الثانى غسل اليد قبل الطعام وبعده قال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وبعده ينفى اللمم ـ الثالث ان يوضع الطعام على السفرة دون الخوان والموائد لانه اقرب الى التواضع واوفق للسنة وان جاز الأكل على غيرها ايضا ـ الرابع ان يحسن الجلسة بأن يجثو على ركبتيه ويجلس على ظهر قدميه او ينصب رجله اليمنى على اليسرى كذا فعل صلى الله عليه وسلم وكان يقول انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد ويكره قائما ومتكئا الا ما يتنقل به من الحبوب والشرب متكئا مكروه ويضر المعدة . الخامس ان ينوى بأكله ان يتقوى على الطاعة ليكون اكله عبادة ولا يقصد التلذذ والتنعم ويعزم على التقليل اذ الشبع يمنع العبادة وبه يعرف كون نيته قصد العبادة

العبادة بان لايمد يده الاوهو جائع ويرفعه قبل الشبع ومن فعل كذلك استغنى عن الطبيب واقوى على العبادة وادنى درجات الأكل واوسطه ماورد فى الحديث ما ملأ آدمى وعاء شرمن بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس - الخامس ان يرضى بالموجود ويقنع بالحاضر ولاينتظر الزيادة مثلا اذا حضر الخبز لاينتظر الادام - السابع ان يجتهد فى تكثير الايدى على الطعام ولو من اهله وولده لان فيه البركة وكان صلى الله عليه وسلم لاياكل وحده -

القسم الثانى فى آداب حالة الأكل وهو أن يبتدئ ببسم الله ويختم بالحمد لله بل يقول مع اللقمة بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن الرحيم ولو قال مع كل لقمة بسم الله لكان احسن لئلا يصده الشره عن ذكر الله ويجهر ليذكر غيره ويأكل باليمين ويبدأ بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها لم يمد يده الى الاخرى فان ذلك عجلة مذمومة وان لايذم ماكولا وان يأكل مما يليه الا الفاكهة لأنه ليس نوعا واحدا وان لا يأكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطعه ولا اللحم بالسكين ولا يضع على الخبز قصعة ولا غيرها الا ما يؤكل به ولايمسح يده بالخبز اذ ورد الامر فى الحديث باكرام الخبز وانه من بركات السماء واذا كان باللقمة اذى فليمط ذلك وليأكل ولايدعها للشيطان ولايمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدرى فى اى طعامه البركة وورد النهى عن النفخ فى الطعام الحار بل يصبر الى ان يسهل أكله ويأكل من التمر وترا سبعا اوتسعا اواحدى عشرة اواحدى وعشرين اوما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى فى طبق ولا فى كفه بل يجمعه على ظهر كفه ثم يلقيها وكذا ماله عجم اوثفل وان لا يكثر الشرب اثناء الطعام الا اذا غص بلقمة اوصدق عطشه ويقال ان ذلك مستحب طبا لأنه دباغ المعدة - واما الشراب فأدبه اخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا لاعبا ولا قائما ومضطجعا ويراعى اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر فى

الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ فى الكوز بل ينحيه عن فيه بالحمد ويرده بالتسمية ويشرب فى ثلاثة انفاس ويحمد كل مرة فى اواخرها ويسمى فى اوائلها ويقول فى آخر النفس الاول الحمد لله وفى الثانى يزيد رب العالمين وفى الثالث يزيد الرحمن الرحيم ـ والكوز وكل ما يدار على القوم يدار يمنة كذا اورده السنة ـ وقال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب الحمد لله الذى جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا ـ

القسم الثالث ـ فى الآداب بعد الطعام وهو أن يغسل يده بعد لعق أصابعه ويلتقط فتات الطعام ـ قال صلى الله عليه وسلم من أكل ما يسقط من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده ـ وقيل انه مهور الحور العين ويخلل اسنانه ويرمى ما اخرج الا ما يجتمع بين اصول اسنانه فخرج بلسانه وليتمضمض بعد الخلال وان يلعق القصعة وان يشكر على الطعام بقلبه ـ وان أكل حلالا قال الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطعمنا طيبا واستعملنا صالحا ـ وان أكل شبهة فيقول الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ويقرأ بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش ولا يقوم قبل رفع المائدة ـ وان أكل طعام غيره فليقل اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل منه خيرا وقنعه بما اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين ـ وان افطر عند قوم فليقل افطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ليطفىء بدموعه وحزنه حر النار التى تعرض لها بقوله صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وليس من يأكل ويبكى كمن يأكل ويلهو، وليقل اذا أكل لبنا خاصا به اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء باللبن لعموم نفعه ـ وان أكل غير اللبن قال اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه ـ ويستحب عقيب الطعام ان يقول الحمد لله الذى اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافى من كل شىء ولا يكفى منه شىء اطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت

من ضلالة واغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما انت اهله ومستحقه - اللهم كما اطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا اللهم اجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين به على معصيتك - واما كيفية غسل اليد بالاشنان ان يجعله على كفه اليسرى ويغسل الاصابع الثلاث من اليد اليمنى اولا ويضرب اصابعه على الاشنان اليابس فيمسح به شفتيه ثم ينعم غسل الفم باصبعيه ويدلك ظاهر اسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل اصابعه ظهرا وبطنا ويستغنى بذلك عن اعادة الاشنان الى الفم واعادة غسله -

المطلب الثانى

فى آداب الجماعة فى الأكل وهى سبعة

الاول ان لايبتدئ قبل من يستحق التقديم بكبر سن او زيادة فضل الاان يكون المقتدى فيعجل لئلا ينتظر فيعجل - الثانى ان لا يسكتوا بل يتكلمون بالمعروف وحكايات الصالحين فى الاطعمة وغيرها وانما السكوت من فعل الاعاجم - الثالث ان لايأكل زيادة على رفيقه فان ذلك حرام ان لم يرض رفيقه به والطعام مشترك بل يقصد الايثار ولايأكل تمرتين فى دفعة الا اذا استاذنهم وفعل الكل وينشط رفيقه ويرغبه فى الأكل ان قلل ويقول ولايزيد على ثلاث لئلايكون الحاحا ولايحلف عليه بالأكل لماقال الحسن بن على الطعام اهون من ان يحلف عليه - الرابع ان لايحوج رفيقه الى ان يقول له كل ويحمل عنه مؤنة القول ولا يدع ما يشتهيه فانه تصنع ورئاء بل يجرى على المعتاد ولاينقص عن عادته فى الواحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عندالاجتماع الاان يقلل ايثارا لاخوانه ونظرالهم عندالحاجة لانه حسن وان زاد فى الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم فلا بأس به بل هو حسن - الخامس - غسل يده فى الطشت واذا قدمه اليه غيره اكراما له فليقبله كما قدم انس الى ثابت فامتنع فقال انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها اليه فانما يكرم الله عزوجل - ويروى ان الرشيد صب على يد أبى معاوية الضرير ثم قال يا ابا معاوية تدرى من صب على يدك قال لا قال صبه امير المؤمنين فقال يا امير

المؤمنين انما اكرمت العلم واجللته فأجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله وينبغى ان يجمعوا الماء فى الطشت لأنه اقرب الى التواضع وابعد عن التشبه بالعجم واما الخادم فقد كره بعضهم ان يصب الماء قائما وكره بعضهم جلوسه واما وضع الخادم لذلك ليس بتكبر اذا كانت له نية صالحة اذ الحاجة قائمة والعادة جارية وفى الطشت سبعة آداب ان لايبزق فيه وان يقدم المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار يمنة وان يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما وان يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لايرش على الفراش وعلى اصحابه ويصب صاحب المنزل الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك على الشافعى فى اول نزوله عليه وقال لايروعك مارأيت منى فخدمة الضيف فرض ـ السادس ان لايراقب أكل صاحبه بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه لئلايستحيوا ولايمسك قبل اخوانه الا اذا كانوا (لا) يحتشمون الأكل بعده بل يتوقف اولاثم يأكل ـ السابع ان لايفعل ما يستقذره غيره بان ينفذ يده فى القصعة اويخرج شيئا من فيه وان احتاج اليه يصرف وجهه عن الطعام واخذه ولايغمس اللقمة الدسمة فى الخل ولا الخل فى الدسومة ولايغمس ما قطعه بسنه فى المرقة والخل ولايتكلم بالمتقذرات ـ

المطلب الثالث

فى آداب تقديم الطعام الى اخوانه الزائرين وله فضل كثير وفى الخبر لايحاسب العبد على ما يأكله مع اخوانه وكذا على السحور وما افطر عليه وكانت الصحابة يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وكانوا يجتمعون على قراءة القرآن ولايتفرقون الاعن ذواق ـ واما آدابه ان لايدخل وقت الأكل بلااذن وفى الخبر من مشى الى الطعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراما ـ واما اذا كان جائعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت أكله فلا بأس به اذ فيه اعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الاطعام وكان ذلك عادة السلف قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر وعمر منزل أبى الهيثم بن التيهان وأبى ايوب الانصارى لاجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا وكان لعون بن عبدالله

المسعودى ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم فى السنة ولآخر ثلاثون يدور عليهم فى الشهر ولآخر سبعة مكان اخوانهم يعولونهم بدلا من كسبهم وهم كانوا يتبركون باطعامهم فان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه فله ان يأكل بغير إذنه اذا المراد من الاذن الرضا لاسيما فى الأطعمة وامرها على السعة - فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب وقال تعالى (اوصديقكم) وقد فعله السلف - واما آداب التقديم فترك التكلف اولا وتقديم ما حضر ولا يستقرض لأجله وان لم تسمح نفسه فلايقدم وان رأى المحتاج - والتكلف هوأن تزيد على ما تأكله فى الجودة والقيمة وانما يكره لادائه الى كراهة الزائر وملاله وانقطاعه عن المجىء اليه - ومن التكلف ان يقدم جميع ما عنده فيؤذى عياله وكان السلف يقولون لاندرى ايهما اعظم وزرا الذى يحتقر ما يقدم عليه اوالذى يحتقر ما عنده ان يقدمه ومن الآداب ان لايقترح ولايتحكم بشيء فربما يشق على المزور احضاره فان خيره اخوه بين طعامين فليختر ايسرهما عليه كذلك السنة الا اذا علم انه يتيسر له اولايكره له الاقتراح - ومن الآداب ان يشهى المزور اخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل مايقترح فذلك حسن وفيه اجر وفضل جزيل وكذا لا يقول له هل اقدم لك طعاما بل يقدم ان كان فان أكل والا فارفع -

المطلب الرابع

فى آداب الضيافة وكانت الضيافة سنة ابراهيم الخليل وكان يكنى ابا الضيفان وكان اذا اراد أن يأكل خرج ميلا اوميلين يلتمس من يتغدى معه ولصدق نيته فيها دامت ضيافته فى مشهده - ونقل عن قوام الموضع انه لم يخل الى الآن ليلة عن ضيف - وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام - وفيها ستة آداب -

احدها الدعوة فيدعو الاتقياء دون الفساق وقد ورد فى الحديث أكل طعامكم الابرار فى الدعاء لمن دعاه ويقصد الفقراء ولا يخص الاغنياء - وفى الحديث

شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليه الا غنياء ويذاد عنه الفقراء وينبغى ان لايهمل اقاربه فى ضيافته فان اهالهم ايحاش وقطع رحم - وكذا يراعى الترتيب فى اصدقائه ومعارفه لأن تخصيص البعض ايحاش الباقين - وينبغى ان لايقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الا خوان وا لتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين - ولا يدعو من يعلم انه يشق الاجابة عليه واذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الاسباب ولا يدعو الامن يحب اجابته -

وثانيها الاجابة فهى سنة مؤكدة وقيل بوجوبها فى بعض المواضع - وفى الحديث لودعيت الى كراع لأجبت ولواهدى الى ذراع لقبلت - ولها آداب خمسة الاول ان لايميز الغنى بالاجابة عن الفقير لأن ذلك تكبر الا اذادعى فخرا اوتكلفا فليعلل ولا يجيب - ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى انك أكلت رزقك وانه سلمه اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه فى قبول الوديعة منه - الثانى لايمتنع عن الاجابة لبعد المسافة ومقدار مسافة الاجابة معلوم من العرف والعادة - وقيل يجيب اذا كان قدر ثلاثة اميال - الثالث ان يحضر ولوصائما تطوعا وينوا دخال السرور على قلب اخيه فانه افضل منه الااذا علم من الداعى تكلفا فيتعال واذا لم يفطر فضيافته الطيب والحديث الطيب - الرابع ان يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة اوالموضع اوالبساط المفروش اوكان فى مكان منكر من فرش ديباج اوانا ء فضة اوتصوير حيوان اوسماع الملاهى اوالهزل اواللعب فان الاجابة عند هذه محرمة اومكروهة وكذا اذا كان الداعى ظالما اومبتدعا اوفاسقا اوشريرا او متكلفا طالبا للمباهاة والفخر - الخامس ان لايقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن بل الاقتداء بالسنة -

وفى الحديث لودعيت الى كراع لأجبت - وينوى التحرز عن المعصية وفى الحديث من لم يجب الداعى فقد عصى الله وينوى اكرام اخيه المؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم من اكرم اخاه المؤمن فانما يكرم الله - وينوى ادخال السرور فى

قلبه

قلبه لقوله صلى الله عليه وسلم من سر مؤمنا فقد سر الله وينوى ايضا سنة الزيارة - ثالثها آداب الحضور فيدخل بلا تصدر بل يتواضع ولا يطول عليهم الانتظار ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل استعدادهم ولا يزاحم الحاضرين فى المكان بل يجلس حيث يأمر صاحب الدعوة ولا يجلس مقابلة حجرة النساء ولا يكثر النظر الى موضع خروج الطعام فانه من الشره ويخص من يقرب منه بالتحية اذا جلس واذا بات الضيف فى منزله فليعرفه القبلة وموضع الطهارة والوضوء ويغسل رب البيت يده اولا قبل الطعام وبعده يتأخر واذا رأى فى البيت منكرا غيره ان قدر والا انكر بلسانه وانصرف كفرش الديباج واوانى الفضة والذهب والتصوير والملاهى وحضور النساء المكشفات الوجوه - ومنها ستر الحيطان بالديباج وعند البعض لايحرم اذ الحرمة للرجال والجدار ليس منهم واما النظر فلا يحرم كما اذا لبس الحرير الجوارى - ورابعها احضار الطعام وله آداب خمسة الاول تعجيل الطعام فان ذلك سنة ، الثانى ترتيب الاطعمة فتقديم الفاكهة اولى شرعا وطبعا ثم اللحم والثريد لان له فضلا على سائر الاطعمة - وفى الحديث فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام - فان جمع اليه حلاوة فقد جمع الطيبات وتمامها بشرب الماء البارد والماء الفاتر فى غسل اليد - قال المأمون الماء المثلوج يخلص الشكر لله وزينة المائدة بالبقول لخضرتها - ويستحب ايضا ان يقدم من الالوان الطفها حتى يستكفى منها من يريد ويكثر الأكل بعده وعادة المترفهين تقديم الغليظ ليكثر من اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة فى استكثار الأكل - ومن سنة المتقدمين ان يقدموا الالوان جملة دفعة ليأكل كل واحد مما يشتهى وان لم يكن عنده الا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا اطيب منه - الرابع ان لايبادر الى رفع الالوان بل يمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الايدى - وايضا لايرفع يده قبل الضيفان بل يكون آخرهم رفعا - الخامس ان يقدم قدر الكفاية اذ النقص منه نقص فى المروءة والزيادة عليه تصنع الا ان يطيب نفسهم بأكلهم الجميع - وفى الحديث انه لايحاسب عليه - وعن

ابراهيم بن ادهم ليس فى الطعام سرف وينبغى ان يعزل نصيب اهل بيته لئلا تطمع اعينهم الى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق فى الضيفان السنهم ـ وايضا رفع الزلة حرام الا اذا صرح بالاذن صاحب الطعام اوعلم انه لا يكره ذلك ومع ذلك ايضا فلا يخص نفسه بما لا يرضى به رفيقه ـ

خامسها ـ الانصراف وله آداب ثلاثة الاول من سنة الضيف ان يشيع الى باب الدار كذا ورد فى الحديث وذلك من اكرام الضيف وقد امرنا به وتمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب الكلام عند الدخول والخروج وعلى المائدة ـ والثانى ان من التواضع ان ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى فى حقه تقصير يحكى ان استاذ الجنيد دعاه صبى الى دعوة ابيه فرده الاب فى اربع مرات وهو يرجع فى كل مرة تطييبا لقلب الصبى فى الحضور ولقلب الاب فى الانصراف فهذه النفوس اطمأنت بالتوحيد وترى الكل من الله الواحد القهار فيتذلل له بالتواضع ـ والثالث ان لا يخرج الا برضا صاحب المنزل واذنه ويراعى قلبه فى قدر الاقامة واذا نزل ضيفا فلا يقيم فوق ثلاثة ايام لئلا يتبرم به ويحتاج الى اخراجه الا اذا الح رب المنزل عن خلوص قلب فله المقام اذ ذاك ـ

فوائد متفرقة

الأكل فى السوق دناءة وجوزه البعض والحق انه يختلف باختلاف البلاد والعادات وتفاوت احوال الاشخاص ـ قال على كرم الله وجهه من ابتدأ غذاءه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه ـ ومن أكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير فى جسمه شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والشفارجات تعظم البطن وترخى الانثيين ولحم البقر داء ولبنها وسمنها شفاء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفى النفساء بشيء افضل من الرطب ـ والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم ـ ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقلل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين

وعن بعض الحكماء لا تنكح الا فتاة ولا تأكل الا الفتيا ولا تأكل ما لم ينضج طبخه ولا تشرب دواء الامن علة ولا تأكل من الفاكهة الا نضيجها ولا تأكل طعاما الا أجدت مضغه ـ وكل ما احببت من الطعام ولا تشرب عليه فاذا شربت فلا تأكل منه شيئا ولا تحبس الغائط والبول فاذا أكلت بالنهار فنم واذا أكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة وفيه تقول العرب تغد تمد تعش تمش ـ كما قال تعالى فذ(هب الى اهله يتمطى) اى يتمدد ـ وقيل حبس البول يفسد الجسد افساد النهر ما حوله اذا سد مجراه ـ وفى الخبر قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة ـ

ومن الفوائد الجليلة الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض وقيل الحمية مستحسنة والحق ان الحمية من المضرات نافعة للبدن بلا شك وانما التى تمنع هى الحمية التى يعتادها البدن فاذا تغير عنها ولو بشىء قليل يتضرر بها البدن ـ ويستحب ان يحمل الطعام الى اهل الميت وهو سنة الاما يهيأ للنوائح والمغنيات فلا يأكل معهن وكذا طعام الظلمة ـ وقيل اذا صح التوكل لايضر حمل الطعام معه واذا صحت النية لايضر التوسع فى الطعام ، وقد امر أبو على الروذبارى فصنعوا له الحلاوى من احمال السكر على هيئة ابنية ومحاريب واعمدة ثم امر وانتهبها الصوفية قال الشافعى الأكل على اربعة انحاء الأكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلاث من السنة وبما زاد من الشره ـ وقال اربع تقوى البدن أكل اللحم والطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربع تقوى البصر الجلوس فى حيال القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف الملبس ـ واربع توهن البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المرأة والقعود فى استدبار القبلة ـ واربع تزيد الجماع أكل العصافير وأكل الاطريفل الاكبر وأكل الفستق وأكل الجرجير ـ والنوم على اربعة انحاء ، نوم الانبياء وهو النوم على القفا يتفكرون فى خلق السموات والارض ، ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد ، ونوم على الشمال وهو نوم الملوك لهضم طعامهم ، ونوم على الوجه

وهو نوم الشياطين - واربع تزيد فى العقل ترك فضول الكلام ، والسواك ، ومجالسة الصالحين والعلماء - واربع من العبادة لا يخطو خطوة الا على وضوء ، وكثرة السجود ولزوم المساجد ، وكثرة قراءة القرآن - وقال ايضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لايموت وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لايموت - وقال لم ارشيئا انفع فى الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب -

الاصل الثانى

فى آداب النكاح وفيها مطالب

المطلب الاول

فى الترغيب فيه وعنه

واختلف فيه قال بعضهم انه افضل من التخلى لعبادة الله تعالى وبعضهم عكس لكن لمن ليس له توقان يشوش حاله - وقيل الافضل الترك فى هذا الزمان وبيان الحق فيه يتوقف على تفصيل امر التفضيل - اما الترغيب فيه فبقوله تعالى (فانكحوا الايامى منكم) وهذا امر - وبقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى - وقال من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منى وكان ابن مسعود يقول ولو لم يبق من عمرى الاعشرة ايام لأحببت ان اتزوج ولا القى الله عزبا - قال سفيان بن عيينة كثرة النساء ليس من الدنيا لأن عليا رضى الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من اخلاق الانبياء - وقيل فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل افضل من سبعين ركعة من عزب - واما الترغيب عنه فبقوله صلى الله عليه وسلم خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لااهل له ولا ولد - وفى الخبر قلة العيال احد اليسارين وكثرتهم احد الفقرين - وقال الحسن اذا اراد الله بعبد خيرا لم يشغله باهل ولا مال - وقد ظهر من مساق ما قدمناه ان ما نقل فى الترغيب عنه مشروط

بشرائط

بشرائط بخلاف الترغيب فيه ـ

المطلب الثانى

فى فوائد النكاح وهى خمسه

الاول الولد وهو الاصل الذى وضع لاجله النكاح لئلايخلو العالم من جنس الانس وانما الشهوة للتلطف فى السياقة الى اقتناص الولد ـ ولما اقتضت الحكمة الازلية ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغناء عنها لعدم قصور القدرة الازلية عن ايجاد الاشخاص بيعد الوقاع قدر الولد بالازدواج اتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشيئة وحقت به الكلمة وجرى به القلم ففى تحصيل الولد قربة من اربعة اوجه احدها فضل النكاح والأمن من غوائل الشهوة وموافقة محبةالله فى السعي لبقاء جنس الانسان، وثانيها طلب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم فى من يباهي به ، وثالثها طلب التبرك بدعاء الولد الصالح له بعده ، ورابعها طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله اما الوجه الاول فهو ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير وهو اقواها عند ذوى البصائر النافذة فى عجائب صنع الله ومجارى حكمته وذلك لأن الله تعالى خلق اعضاء الحراثة واعضاء مهيأة لها وخلق البذر وسلط متقاضي الشهوة على كل واحد من الزوجين فمن له بصيرة نافذة يفهم من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط الهى ليس برقم حروف واصوات ان الصانع الحكيم اراد من عباده الاولاد والنسل ولذلك عظم الشرع الوأد سيما وقد صرح بالامر وباح بالسربان قال تناكحوا تكثروا واياك ان تتوهم التنافى بين محبة الله تعالى وارادة فنائهم لأن ارادة الفناء يمكن جمعها مع كراهته كما قال النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه عزوجل ما ترددت فى شيء انا فاعله كترددى فى قبض روح عبدى المسلم هو يكره الموت وانا اكره مساءته ولابد منه وفى قوله ولابد من الموت اشارة الى سبق الارادة والتقدير المذكور فى قوله تعالى(نحن قدرنا بينكم الموت) وقوله عزوجل هو(خلق الموت والحياة) وتحقيق هذا المقام خارج عن طوق هذا المختصر لانها داخلة فى

علوم المكاشفة ووراءها سر القدر الذى منع الشرع عن افشائه فظهر من هذا ان من رغب عن النكاح فقد ضيع نسلا ادام الله وجوده من آدم عليه السلام عقب بعد عقب الى ان انتهى اليه حتى ختم الوجود المستدام من وجود آدم على نفسه فمات ابتر لا عقب له الوجه الثانى من محبة الرسول صلى الله عليه وسلم فلمباهاته بكثرة امته حتى قال خير نسائكم الودود الولود وقال سوداء ولود خير من حسناء لاتلد هذا يدل على ان الاصل من التزوج الولد دون الشهوه لأنها اكمل فى الحسناء وانها اماح للتحصين وغض البصر، الوجه الثالث ان يبقى له ولد يدعو له كما ورد فى الخبر ان جميع عمل ابن آدم ينقطع الا ثلاثا ولد صالح يدعو له ـ الحديث الوجه الرابع ان يموت الولد قبله فيكون شفيعا والاخبار فى ذلك كثيرة ـ

الفائدة الثانية التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج واليه وقعت الاشارة فى الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم من نكح فقد احرز نصف دينه فليتق الله فى الشطر الآخر ـ واعلم ان هذه الفائدة دون الفائدة الاولى لأن الغاية الاخيرة أشرف من الغاية المتقدمة فالغاية الاخيرة هى الولد والمتقدمة هى اللذة ومع ذلك ففى اللذة مصلحة اخرى باطنة سوى المصلحة الظاهرة التى هى الولد وذلك ان تستدل المناكح بهذه اللذة العظيمة السريعة الانقطاع الى اللذة الدائمة التى لاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر لتكون باعثة على عبادة الله تعالى فانظر الى هذه الحكمة ثم الرحمة ثم النعمة الالهية كيف غيبت تحت شهوة واحدة حياتين حياة ظاهرة وهى بقاء النسل وحياة باطنة وهى التوسل الى لذة الآخرة سبحان من لم يجعل ذرة من ذرات ملكوت السموات والارض الاجعل تحتها من لطائف الحكم وعجائبها ماتحار فيها العقول وانما ينكشف للقلوب الطاهرة الصافية الراغبة عن زهرة الدنيا وغرورها واغوالها ـ

الفائدة الثالثة النظر الى وجهها والملاعبة معها لان فى ذلك اراحة للقلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملول فى الامور وهى عن الخلق (١) نفور لأنه على

خلاف طبعها فلو كلفت المداومة جمحت وتأبت واذا روحت باللذات المباحة في بعض الاوقات قويت ونشطت وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب وفي الخبر على العاقل ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فان هذه الساعات عونا على تلك الساعات -

الفائدة الرابعة تفريغ القلب عن تدبير المنزل اذ التكفل بجميع اشغال المنزل يضيع اكثر الاوقات ولم يفرغ للعلم والعمل ولذلك قيل المرأة الصالحة ليست من الدنيا قال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى (ربنا آتنا في الدنيا) قال المرأة الصالحة

الفائدة الخامسة - مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن والقيام بتربية الاولاد اذليس من اشتغل باصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الاذى كمن رفه نفسه واراحها - وقد قال صلى الله عليه وسلم ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليؤجر في رفع اللقمة الى في امرأته - وفي حديث آخر ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف ابا العيال - واعلم ان هذه الفائدة للعابدين واما ارباب القلوب فربما يشغلهم العيال عن الكمال -

المطلب الثالث

في آفات النكاح وهي ثلاثة

الاولى - اقواها العجز عن طلب الحلال فان المتأهل ربما يتبع هوى زوجته والحلال ربما يعز عليه فيبيع آخرته بدنياه ويقال ان اهله وعياله يكونون خصماء له في القيامة بانه اطعمنا الحرام ونحن لا نعلمه ولذا قال ابن سالم ترك التزوج افضل في زماننا هذا الالمن له شبق كشبق الحمار ولايملك نفسه اصلا -

الآفة الثانية - القصور عن القيام بحقوقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن وفي هذا ايضا خطر لأن كل احد راع ومسؤل عن رعيته الا ان هذه

ايسر من الآفة الاولى ومع ذلك فهى آفة عظيمة لايسلم منها الاحكيم عاقل يتغافل عن زللهن ويدارى اخلاقهن اذ الاغلب عليهن السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ـ

الآفة الثالثة ـ وهي دون الاولين ان يكون الولد والاهل شاغلين له عن الله تعالى وجاذبا الى طلب الدنيا وتدبير حسن المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر ولست اعنى المال الحرام فان ذلك مما اندرج تحت الاولين بل التنعم بالمباح والامعان فى ملاعبة النساء والاولاد ولايتفرغ للفكر فى الآخرة والاستعداد لها ـ اذا عرفت مجامع الفوائد والآفات فى النكاح فاعتبر هذه الفوائد والآفات واعرض نفسك عليها فان اتفقت فى حقه الآفات بان يكون شابا محبا محتاجا الى التحصين ومنفردا محتاجا الى تدبير المنزل فانظر ان اجتمعت فى حقه الفوائد من المال والخلق الحسن وعدم صد النكاح اياه عن الشغل بالله فعليه النكاح ـ فان اتفقت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة افضل له وان بعض الفوائد مع بعض الآفة فعليه ان يوزن بالميزان القسط فأيهما ارجح فالحكم له مثلا من ليس له حاجة الى كسر الشهوة وكان حظه الولد فقط ولم يتيسر له الكسب الحلال فالعزوبة افضل لأن عدم الولد خير من الطعام الحرام واما ان خاف الزناء مع الكسب الحرام فالنكاح اولى واما اذا خاف النظر الحرام مع الكسب الحرام فالعزوبة اولى لان النظر يقع احيانا فهو اهون الشرين وان أمن النظر ايضا ولكن لم يقدر على دفع وسواس الجماع فالعزوبة اولى لأن عمل القلب اقرب الى العفو من القوت الحرام ـ فان فات فمن امن الآفات كلها فالافضل له التخلى للعبادة والنكاح قلت يجمع بينهما ان كان من العباد لأن الكسب الحلال لاجل العيال عبادة وان كان من اهل القلوب يشوشه طلب المعاش فالتخلى افضل له ـ فان قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله ولم استكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج مع ان التخلى للعبادة افضل قلت الكلام فى مثل هذه المواضع لايليق بامثالنا الا ان بعضا من العلماء قال الجمع افضل لمن قويت

منته و علت همته و تشمر لذلك كما فعله نبينا صلى الله عليه وسلم حتى كان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته - اما عيسى عليه السلام وان كان الظن به القدرة على الجمع بين النكاح والتخلى للعبادة لكن لعله عمل بالحزم ولم يتشمر لذلك اوعز فى زمانه طلب الحلال والله اعلم باسرار احوالهم -

المطلب الرابع

فى شروط العقد وهى اربعة

الاول - اذن الولى فان لم يكن فالسلطان - الثانى رضا المرأة - الثالث الشاهدان الرابع ايجاب و قبول - وتفاصيل هذه الشروط فى كتب الفقه - واما آدابه فتقديم الخطبة مع الولى بعد العدة بلاخطبة من الغير والخطبة قبل النكاح ومزج التحميد والصلاة بالايجاب والقبول ايضا وان يلقى أمر الزوج الى سمع الزوجة كما يستحب نظر الزوج اليها قبل النكاح ليكون احرى ان يؤدم بينهما واحضار جمع اهل الصلاح سوى الشاهدين - ومنها ان ينوى بالنكاح اقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وسائر الفوائد لامجرد الهوى لئلا يصير من عمل الدنيا -

المطلب الخامس

فى احكام المنكوحة وهى نوعان

الاول ما يعتبر فيها للحل وموانعه تسعة عشر - الاول ان تكون منكوحة للغير، الثانى ان تكون معتدة للغير - الثالث ان تكون مرتدة - الرابع ان تكون مجوسية الخامس ان تكون وثنية اوزندقية او اهل اباحة - السادس ان تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل اوبعد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بنى اسرائيل فاذا عدمت كلتا الفضيلتين لم يحل نكاحها وان عدمت النسب فقط ففيه خلاف - السابع ان تكون رقيقة والناكح حر قادر على طول الحرة الثامن ان يكون كلها اوبعضها مملوكة للناكح ملك يمين - التاسع ان تكون ذات رحم محرمة للزوج - العاشر أن تكون محرمة بالرضاع - الحادى عشر أن تكون محرمة بالمصاهرة - الثانى عشر ان تكون خامسة فى النكاح اوفى العدة -

الثالث عشر أن تجتمع فى النكاح مع امرأة لو كانت ذكرا حرمت الاخرى عليه ـ الرابع عشر أن تكون مطلقة ثلاثا للزوج ـ الخامس عشر أن لا تكون ملاعنة للزوج السادس عشر أن لا يكون احد الزوجين محرما ـ السابع عشر أن تكون ثيبا صغيرة وفيه خلاف ابى حنيفة ـ الثامن عشر أن تكون دون البلوغ وفيه ايضا خلاف أبى حنيفة ـ التاسع عشر أن تكون من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهن من امهات المؤمنين وذلك مما لا يوجد فى زماننا هذا ـ

النوع الثانى الخصال المطيبة للعيش وهى ثمانية ـ الاولى ان تكون صالحة ذات دين لأنها ان كانت ضعيفة الدين فى نفسها وفرجها ازرت بزوجها وسوّدت بين الناس وجهه وتشوش بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه وكذا ان كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله ـ الثانية حسن الخلق وذلك اصل مهم فى طلب الفراغ والاستعانة على الدين فانها اذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كان ضررها اكثر من نفعها ـ الثالثة حسن الوجه اذ الطبع لا يكتفى بالدميمة فيفوت غض البصر والنهى عن التزوج للجمال كون الغرض الاصلى الجمال دون الدين لا انه لا يطلب اصلا ـ الرابعة ان تكون خفيفة المهر لأن ثقلها يفسد مقاصد النكاح وايضا يخالف السنة ـ الخامسة ان تكون ولودا وقدمر ـ السادسة ان تكون بكرا ففيها ثلاث فوائد احداها ان الابكار تحب ازواجهن اذ الحب للحبيب الاول ثانيتها انهن مرغوبات عند الازواج فان بعض الطباع تنفر عن التى مستها يد غيره ثالثتها ان البكر لا تحن الى الزوج الاول لما مر ـ السابعة ان تكون نسيبة من اهل الدين والصلاح اذ للتربية مدخل عظيم فى حسن الاخلاق، الثامنة ان لا تكون من قرابته القريبة فان ذلك يقلل الشهوة ومن ذلك يخلق الولد ضاويا اى نحيفا ـ

المطلب السادس

فى آداب المعاشرة وهى صنفان

الاول ما على الزوج وهى اثنا عشر امرا ـ احدها الوليمة وهى مستحبة ويستحب التهنئة فيقول الداخل بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما بخير ويستحب اظهار

النكاح ـ وفى الخبر فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت ـ وثانيها حسن الخلق وليس هو كف الاذى عنهن بل احتمال الاذى منهن كما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ترحما عليهن لقصور عقلهن وكان آخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحسان اليهن ـ كذا ورد فى الحديث ـ وثالثها ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهى التى تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجة عقولهن فى الاعمال والاخلاق وذلك مشهور مذكور فى كتب الاحاديث ـ ورابعها ان لا ينبسط فى الدعابة الى درجة تسقط هيبته لان ذلك يفسد خلقها بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا وفى الحديث تعس عبد الزوجة ـ قال الشافعى ثلاثة ان اكرمتهم اهانوك وان اهنتهم اكرموك المرأة والخادم والنبطى اراد إن محضت الاكرام ولم تمزجه بالغلظة ـ وبالجملة قامت السموات والارض بالعدل وكل ما جاوز حده انعكس على ضده والغالب عليهن ركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن الابنوع لطف ممزوج بسياسة ـ خامسها الاعتدال فى الغيرة بان لا يتغافل عن مبادى الامور التى تخشى غوائلها ولا يبالغ فى اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن ـ وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتتبع عورات النساء الا انه لا يدخل عليها الرجال ولاهى تخرج الى الاسواق ولا يخرجن الى المساجد الآن وقد كن يخرجن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ الزمن قد تغير وقد اذن لهن ان يخرجن فى الاعياد خاصة ولكن لا يخرجن الا برضا ازواجهن لكن يمنعن من الخروج الى النظارات ومجامع الناس لغلبة الفساد فى زماننا واذا خرجن ينبغى ان يغضضن ابصارهن من وجوه الرجال ووجوههم فى حقهن كوجه الامرد فى حق الرجال حيث يحل النظر اذا لم يحتمل الفتنة والا يكره ـ سادسها الاعتدال فى النفقة والاقتصار فلا يقتر ولا يسرف وينبغى ان لا يستاثر عن اهله بمأكول طيب لان ذلك خارج عن المعاشرة بالمعروف واذا أكل يقعد كل العيال على مائدته ولا يصف عندهم طعاما لا يطعمهم ويحب

عليه اطعام عياله الحلال ويجوز للمرأة التصدق تبقا يا الطعام وما يفسد لوترك وان لم يأذن لها بذلك صريحا اذ الحال شاهد بالاذن - وسابعها ان يعلم زوجته احكام الحيض واحكام الصلاة و يلقنها اعتقاد اهل السنة وان لم يعلم الزوج ذلك فعليه ان ينوب عنها فى السؤال فان لم يفعل فعليها الخروج للسؤال ويعصى الرجل بمنعها وبعد تعلم الفرائض ليس لها طلب الفضل وحضور مجلس الذكر الابرضا زوجها - وثامنها ان يعدل بين نسوته ولا يميل الى بعضهن وان اراد السفر يقرع بينهن وان لم يعدل بينهن جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل كذا فى الحديث فيعدل فى العطاء والمبيت واما الحب والوقاع فلايدخل تحت الاختيار - وتاسعها فى النشوز وهذا ان كان من جانبهما معا او من الرجل فلا بد من حكمين احدهما من اهله والآخر من اهلها لينظرا بينهما ويصلحا امرهما و(ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما)وان كان من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا ولكن ينبغى له التدريج فى التأديب يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره فى المضجع او انفرد عنها فى الفراش وهجرها وهو فى البيت من ليلة الى ثلاث وان لم ينجع ضربها ضربا غير مبرح ولايضرب وجهها وله ان يهجرها فى امر الدين الى شهر اوعشر - عاشرها فى آداب الجماع ويستحب ان يبدأ باسم الله ويقرأ قل هوالله احد اولا يكبر ويهلل ويقول بسم الله العظيم العلى اللهم اجعله ذرية طيبة ان كنت قدرت ان يخرج من صلبى - وفى الحديث لوأن احدكم اذا اتى اهله قال اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان - واذا قربت من الانزال فقل فى نفسك ولا تحرك شفتيك(الحمدلله الذى خلق من الماء بشرا) الآية وكان بعض اهل الحديث يكبر حتى يسمع صوته اهل الدار وينحرف عن القبلة اكراما للقبلة وليغط نفسه واهله بثوب ويغض صوته ويأمر المرأة بالسكينة وفى الخبر لايتجرد ان تجرد العيرين وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل ولايجامع فى ثلاث ليال من الشهر الاول والنصف والآخر يقال ان الشيطان يحضر الجماع

فى

فى هذه الليالى ولا يقوم عنها حتى تقضى وطرها من الرجل - والعدل فى الجماع ان يأتيها فى كل اربع ليال ولا حق لها دون الاربع اذ عدد النساء اربعة ثم يزيد وينقص بحسب الحاجة والقدرة - ولا يأتيها فى الحيض لأنه حرام ويورث الجذام فى الولد ويستمتع بجميع بدن الحائض سوى الموضع المكروه فى القبل والدبر وله ان يستمنى ببدنها وان اراد العود بعد الجماع يغسل فرجه ثم يعود وكذا اذا احتلم واراد أن يجامع وان اراد النوم جنبا فليتوضأ وضوءه للصلاة فانه سنة - ويكره العزل عنها واذا قدر الله ولدا لا يمنعه شيء - ويحل العزل فى زوجته برضاها وفى امته مطلقا - الحادى عشر منها آداب الولادة وهى خمسة - الاول ان لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدرى الخير فى ايهما - وفى تربية البنات فضائل تذكر فى الاحاديث - الثانى ان يؤذن فى اذنه اليمنى ويقيم فى اذنه اليسرى - وفى الحديث من فعل كذلك دفعت عنه ام الصبيان - ويستحب ان يلقنوا له اول انطلاق لسانه لا اله الا الله يكون ذلك اول حديثه والختان فى اليوم السابع ورد به الخبر - الثالث ان يسميه باسم حسن فذلك حق الولد - وفى الحديث احب الاسماء الى الله عبدالله وعبدالرحمن - وقال صلى الله عليه وسلم سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى - قال بعض العلماء ذلك فى عصره اذ كان ينادى يا ابا القاسم - وكره من يكنى ابا عيسى فقال ان عيسى لا اب له وينبغى ان يسمى السقط ويقال انه يطلب اباه ويقول انت ضيعتنى وما سميتنى وان لم يدر أنه غلام اوجارية يسمى باسم يجمعهما كحمزة وطلحة وعمارة وعتبة وعنبسة ويستحب تبديل الاسماء القبيحة ، بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاصى بعبدالله - وورد النهى فى مثل افلح وبركة اذ يقال ثم بركة فيقال لا -

الرابع العقيقة فى اليوم السابع عن الذكر بشاتين وتجوز شاة واحدة وعن الانثى شاة واحدة ولاباس ان تكون الشاة ذكرا أوانثى - ومن السنة ان يحلق رأسه اليوم السابع ويتصدق بزنة شعره فضة اوذهبا - الخامس ان يحنكه بتمرة اوحلاوة - الثانى عشر فى آداب الطلاق وانه مباح لكنه ابغض المباحات ويراعى فيه اربعة

امور ـ الاول ان يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه ـ الثانى ان يقتصر على طلاق ولا يجمع بين الثلاث ـ والثالث ان يتلطف فى التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف ويطيب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر لما فجعها به من اذى الفراق ـ الرابع ان لا يفشى سرها لا عند النكاح ولا عند الطلاق فقد ورد فى ذلك وعيد عظيم ـ

الصنف الثانى فى حقوق الزوج عليها ـ اذ النكاح نوع رق فعليها طاعة الزوج فى كل ما طلب منها فى نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد فى تعظيم حق الزوج عليها اخبار كثيرة فلا تعطى شيئا من بيته الا باذنه ولا تصوم تطوعا الا باذنه والا لا يقبل منها ـ ولا تخرج من بيته الا باذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب ـ وأهم الحقوق امران احدهما الستر والصيانة والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وكانت امرأة السلف او ابنته تقول لزوجها اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار ـ ولا تفرط فى بذل ماله الا الذى يفسد فان اطعمت عن رضا كان لها مثل اجره وان اطعمت بلا رضاه كان له الاجر وعليها الوزر ـ روى ان اسماء بن خارجة الفرارى قال لابنته عند التزويج انك خرجت من العش الذى منه درجت وصرت الى فراش لا تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له ارضا يكون لك سماء وكونى له مهادا يكون لك عمادا وكونى له امة يكون لك عبدا لا تلحفى به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينساك ان دنا فاقربى منه وان نأى فابعدى عنه واحفظى انفه وسمعه وعينه ولا يشم منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا ـ ومن آدابها ان لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدرى زوجها لقبحه وتلازم الصلاح والانقباض فى غيبة زوجها والرجوع الى اللعب واسباب اللذة فى حضور زوجها ولا تؤذى زوجها بحال وتقوم بكل خدمة فى الدار تقدر عليها والقول الجامع فى ذلك ان تكون قاعدة فى بيتها لازمة لمغزلها لا تكثر اطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم الا وقت يجب الدخول عليهم عادة ولا تخرج بلا اذن زوجها وان اذن لها فتذهب

فى المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق همتها صلاح شأنها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها وتكون قانعة من زوجها بما رزقه الله ومقدمة حقه على حق نفسها وحق سائر اقاربها متنظفة فى جميع احوالها ليستمتع بها ان شاء مشفقة على اولادها ولا تسبهم واذا مات زوجها تحد عليه اربعة اشهر وعشرا وتلزم مسكن النكاح ولا تنتقل عن ذلك الى اهلها الى آخر العدة ولا تخرج الا لضرورة ـ

الاصل الثالث

فى آداب الكسب والمعاش وفيه مطالب

المطلب الاول

فى فضل الكسب والحث عليه

اما الكتاب فقوله تعالى (وجعلنا النهر معاشا) وقوله (وابتغوا من فضل الله) وقال صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وقال من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر الا ان فضل التجارة اذا كان لقوت العيال وتعففا عن السؤال واما اذا كانت للثروة والادخار فمذمومة لانه اقبال على الدنيا التى حبها رأس كل خطيئة ـ فان كان مع ذلك خائنا فهو ظلم وفسق ـ وايضا التجارة افضل وان حصلت له النفقة بالسؤال لانه يصير كلا على الناس فالتجارة تكون افضل الا ان الحق ان قبول صدقتهم والتخلى للعبادة افضل اذ فيه اعانة للناس على الخيرات والصدقات ـ

المطلب الثانى

فى بيان احوال العقود الاربعة

العقد الاول البيع وقد أحله الله وله ثلاثة اركان احدها العاقد فلا يعامل الصبى والمجنون لأنهما غير مكلفين والعبد العاقل بلا اذن سيده والاعمى لعدم

رؤية المبيع فيوكل غيره - اما الكافر فتجوز معاملته غير بيع المصحف منه والعبد المسلم والسلاح للحربي منهم فان فعل فهو عاص ربه - واما الجندية من الاتراك والاكراد والخونة والظلمة وأكلة الربا وكل من اكثر ماله حرام فلا ينبغي ان يتملك منهم شيئا الا ما يعرف انه حلال بعينه - ثانيها المعقود عليه ففيه ستة شروط الاول ان لايكون نجسا في عينه كالكلب والخنزير والفيل(١) والزبل والخمر - الثاني ان يكون منتفعا فلايجوز بيع الفأر والحية ويجوز بيع الطيور المليحة الصورة كالطوطي والطوس او مليحة الصوت كالبلابل والقماري ولايجوز بيع الملاهي والمزامير لحرمتها - الثالث ان يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد او مأذونا فيه من جهة المالك فلايصح بيع مال الوالد من الولد وعكسه اعتمادا على ان يرضى اذا عرف وكذا الزوج والزوجة بل ينبغي تقدم الرضا - الرابع ان يكون المعقود عليه مقدور التسليم شرعا وحسا فلا يصح بيع السمك في الماء والجنين وعسب الفحل واللبن في الضرع والآبق ولايجوز تفريق الولد من امه - الخامس ان يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف وتفصيله في كتب الفقه - السادس ان يكون المبيع مقبوضا ان كان منقولا - وثالثها لفظ العقد فلابد من جريان الايجاب والقبول متصلا بلفظ دال على المقصود منهما صريح او كناية ويجوز بالتعاطي عند ابي حنيفة في النفيس والخسيس وعند الشافعي لايجوز وينبغي ان يحكم فيه الحال بان يعلم انه يرضى بالبيع وان علم الكراهة يصرح - وايضا الاحتياط التصريح في النفيس كالعبد والفرس والدار والتعاطي في الخسيس كالخبز واللحم والبقل وان صح التعاطي في كليهما - واما تمييز النفيس عن الخسيس فبالعرف وان كان مشتبها فغايته الاحتياط بان يصرح الايجاب والقبول هذا من حيث الورع فيه ان تستفتي قلبك الا ان في الشرع يجوز في الكل التعاطي هو الصحيح من مذهب ابي حنيفة -

المقدمة الثانية - معرفة الربا وقد حرمه الله ويجب الاحتراز منه على الصيارفة وباعة الاطعمة ... - ... في يحترز من النسيئة بل يبيع يدا بيد - وعن

---

(١) كذا - الفضل

الفضل وهو التفاوت فى الوزن والكيل عند اتحاد الجنس ولا يفيد الجودة والرداءة ـ

العقد الثالث التسلم وله شروط عشرة ـ الاول ان يكون رأس المال معلوما علم مثله ـ الثانى ان يسلم رأس المال فى مجلس العقد قبل التفرق ـ الثالث ان يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف اوصافه ـ الرابع ان يستقصى الاوصاف بأن لا يبقى وصف تغابن فيه ـ الخامس معلومية الاجل بالاشهر والايام ـ السادس ان يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه ـ السابع ان يذكر مكان التسليم ـ الثامن ان لا يعلقه بعين كثمرة هذا البستان ونحوه ـ التاسع ان لا يكون المسلم فيه شيئا نفيسا يعز وجوده كدرة موصوفة بما يعز وجودها ـ العاشر أن لا يسلم فى طعام اذا كان رأس المال طعاما او فى نقد اذا كان هو نقدا لانه عين الربا ـ

العقد الرابع الاجارة ولها ركنان الاجرة والمنفعة اما العاقد واللفظ فكما فى البيع بعينه اما الاجرة فينبغى ان يكون معلوما وموصوفا كالثمن فى البيع ولا يجوز بكل ما يتوقف حصوله على عمل الاجير ككراء الدار بعمارتها وسلخ الشاة بجلدها واما المنفعة فهى العمل، وحده ان كل عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه ـ وتندرج تحته امور خمسة الاول ان يكون متقوما فيه كلفة وتعب فلا يصح اجرة الطعام واجرة الكلام ، الثانى ان لا تتضمن استيفاء عين مقصودة كلبن المواشي واجيز فى المرضعة استحسانا، الثالث ان يكون مقدور التسليم حسا وشرعا فلا يجوز استئجار الاخرس على التعليم والمعلم على تعليم السحر اوالصائغ على صيغة اوانى الذهب وغير ذلك من المحرمات، الرابع ان لا يجب العمل على الاجير فلا يجوز اجرة الجهاد وسائر العبادات التى لانيابة فيها ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ونحو ذلك وفى اجرة الامامة والاذان والتدريس واقراء القرآن خلاف واما اجرة تعليم مسألة اوسورة بعينها لشخص معين فصحيح ، الخامس ان يكون المنفعة والعمل معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والحمال يعرف قدر المحمول الى غير ذلك ـ

العقد الخامس القراض وفيه ثلاثة اركان الاول ان يكون رأس المال معلوما مسلما الى العامل ـ الثاني الربح بان يشرط له الثلث او النصف او ما شاء من مقدار شائع فلا يجوز تقديره بمقدار معين كمائة مثلا ـ الثالث العمل الذي على العامل وشرطه ان يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين او بتأقيت ـ

العقد السادس الشركة وهي اربعة وثلاثة منها باطلة ـ الاولى شركة المفاوضة وهو أن يقول تفاوضنا في كل مالنا وعلينا ومالاهما ممتازان ـ الثانية شركة الابدان وهي ان يتشارط الاشتراك في اجرة العمل وهي باطلة ـ الثالثة شركة الوجوه وهي أن تكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة الآخر العمل وهذا ايضا باطل ـ الرابعة شركة العنان وهو أن يختلط مالاهما بحيث يتعذر التميز الا بقسمة ويأذن كل منهما لصاحبه في التصرف وحكمها توزيع الربح والخسران على قدر المالين وهذا صحيح ـ

المطلب الثالث

في العدل في المعاملة وهذا قسمان

الاول ما يعم ضرره وهو انواع احدها الاحتكار والذي يدخر الطعام الى غلاء الاسعار وهو حرام في الشرع الا انه في اجناس الاقوات واما في غيرها كالأدوية والعقاقير والزعفران فلا وان كان مأكولا ثم هو زمان احتياج الناس الى القوت واما زمان غنى الناس عنه فلا ـ ولهذا قيل اوصى بعض التابعين رجلا لا تسلم ولدك في صنعتين ولا في بيعتين اما البيعتان فبيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس ـ والصنعتان ان يكون جزارا فانها تقسى القلب او صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة ـ وثانيها ترويج الزائف من الدراهم [illegible] فهو ظلم فيعم فيه الضرر فيكون وزره ووزر غيره لانه فتح هذا الباب وويل [illegible] من مات وذنبه [illegible] مائة سنة او مائتين يعذب بها في قبره ـ والثالث في [illegible] وخمسة الاول [illegible] وجه ينبغي ان يطرح في موضع لا تناله الايدي [illegible] بحفظ دينه لا بحفظ دنياه ـ الثالث انه

لا يبرأ

لا يبرأ عن الاثم باعلام المعامل فقط اذ ربما يروجه على غيره - الرابع ان أخذ الزيف وطرحه فى بئر فهو عامل بخير - الخامس الزائف ما لا نقرة فيه اصلا واما المغشوش فان كان نقد البلد ففيه رخصة والا فان علم مقدار النقرة فيجوز والا فلا يجوز اصلا -

القسم الثانى ما يخص ضرره المعامل والضابط فيه ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه وذلك اربعة - الاول ان لا يثنى على سلعة فان كان بما ليس فيها فهو كذب وان قبل ذلك فهو ظلم وكذب والا فهو كذب واسقاط مروءة وان اثنى على السلعة بما هو فيها فان عرفه المشترى فهو هذيان وكلام لا يعنيه فما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد - وان لم يعرفه فلا بأس به وان كان نيته ان يعرف اخوه المسلم فيقضى به حاجته ولا يحلف عليه البتة فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس التى تدع الديار بلاقع مع كونها من الكبائر وان كان كاذبا فقد جعل الله عرضة لايمانه والدنيا اخس من ان يذكر اسم الله ترويجها - وفى الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غدا أو بعد غد - الثانى ان يظهر جميع عيوب السلعة خفيها وجليها فذلك واجب والا كان غاشا والغش حرام وفى حكمه عرض الثياب فى المواضع المظلمة وهذا وان نقص من الثمن لكن لذلك جهتى التسلية(١) احدهما ان الدنيا امر حقير والربح ربح الآخرة - وثانيهما ان صورة الزيادة لا اعتبار لها اذ ربما تهلك بجملة والحلال القليل ينتفع به اكثر من الحرام الكثير ولقد جرب ذلك فوجد كذلك -

المطلب الرابع

فى الاحسان

وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان وذلك بواحد من ستة امور - الاول ان لا يغابن صاحبه بما لا يغابن به فى العادة - فاما اصل المغابنة فمأذون فيه فان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فان بذل المشترى زيادة على الربح المعتاد اما لشدة رغبته او لشدة حاجة فى الحال فينبغى ان لا يأخذ فذلك من الاحسان وان جاز ذلك شرعا اذ ليس فيه ظلم مهما لم يكن فيه تلبيس

---

(١) كذا -

وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما سبب يسارك قال ثلاث ، مارددت ربحا قط ولا طلب مني حيوان فأخرت بيعه ولا بعت بنسيئة – الثاني في احتمال المشترى الغبن – فان اشترى من ضعيف او فقير فلا بأس ان يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا – وان اشترى من الغنى التاجر فغبنه ليس بمحمود بل هو تضييع للمال من غير اجر وحمد – وقيل في وصف عمر بن الخطاب كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان يخدع – الثالث في استيفاء الثمن وسائر الديون والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه – الرابع في توفية الدين ولا يكلفه ان يمشي اليه يتقاضاه ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فيحتمله ويقابله باللطف لان لصاحب الحق مقالا – ومن يصلح بينهما ينبغي ان يكون ميله الى من عليه الدين لانه المحتاج وكذا يميل في المبايعة الى جانب المشترى لانه محتاج الى السلعة والبائع راغب عنها – اللهم الا ان يتجاوز من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه من تعديه – الخامس ان يقيل من يستقيله ولا يضر اخاه – وفي الحديث من اقال نادما صفقته اقاله الله عثرته يوم القيامة او كما قال – السادس ان يقصد في معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على ان لا يطالبهم ان لم تظهر لهم ميسرة فهذه طريق تجارات السلف ... وتجارة تحت الاجل وبها يمتحن دين

المطلب الخامس

في شفقة التاجر على دينه

ويلزمه مراعاة سبعة امور – الاول حسن النية بان ينوي بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس واستغناء بكسبه على دينه وقياما بكفاية عياله ليكون من جملة المجاهدين – وينوي النصح للمسلمين واتباع طريق العدل والاحسان ولينو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في السوق – الثاني ان يقصد القيام في صنعته وتجارته بفرض من فروض الكفايات ... امور الدنيا ونظام امر الناس الا

مالاحاجة فيه كصناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وغير ذلك مما تتزخرف به الدنيا - واما اجتناب صنعة الملاهي فذلك من باب دفع الظلم - ومنها خياطة القباء من الابريسم للرجال وصياغة مراكب الذهب وخواتيم الذهب للرجال وكل ذلك من المعاصي والاجرة عليها حرام - وقد مر بيع الطعام والاكفان وحكم الجزارة ويكره الدباغة والكناسة لمخامرة النجاسة وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرتها لتضمنها الكذب والمبالغة غالبا واجرتها بقدر عمله لابقدر قيمة الثوب وهو العادة - ويكره بيع الحيوان لأنه يكره قضاء الله وهو الموت - والصيارفة ايضا لايسلمون من الحيلة والا لم يكن الربح - قد كان غالب اعمال السلف عشرة صنائع الخرز والتجارة والحمل والخياطة والقصارة وعمل الخف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة واربعة من الصنائع موسومون عند الناس بضعف الرأى الحاكة والقطانون والمغزليون والمعلمون وذلك لكثرة مخالطتهم مع النساء والصبيان والمخالطة سبب السراية وكل قرين بالمقارن يقتدى - وعن مجاهد ان مريم طلبت عيسى عليه السلام فمرت بحاكة فارشدوها الى غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم فى اعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف اجرة العبادات كغسل الاموات وتعليم القرآن وصلاة التراويح والاذان لان ذلك استبدال بالدنيا عن الآخرة - الثالث ان لايمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة وهى المساجد - الرابع ان يلازم ذكر الله تعالى فى السوق وذكر الله بين الغافلين - وفى الحديث من قال فى سوق من الاسواق لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير - كتب له الفى الف حسنة ومحى عنه الفى الف سيئة وبنى له قصر فى الجنة - الخامس ان لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة بان يكون اول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر فى التجارة فهما مكروهان - وكان عمرو بن العاص يقول لاتكن اول داخل فى السوق ولا آخر خارج منه

فان بها باض الشيطان وفرخ - ويقال من ركب البحر فقد استقصى فى طلب الرزق - وفى الخبر لايركب البحر الالحج اولعمرة اولغزو - وبالجملة لايحرص على السوق فيراقب وقت كفايته - فاذا حصلت ينصرف ويشتغل بتجارة الآخرة - السادس ان لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقى مواضع الشبهة ومظان الريب ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتى قلبه فما وجد فيه حزازة اجتنبه وأمر الفتوى على التيسير للعامة لاعلى الشدة - السابع ان يراعى ويراقب جميع مجارى معامليه فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب فى كل فعلة وقولة ويحاسب على كل احد محاسبة على عدد من عامله -

الاصل الرابع

فى الحلال والحرام وفيه مطالب ثمانية

المطلب الاول

فى فضيلة الحلال وذلك فى الآيات كثير وكذلك مذمة الحرام وكذا الحلال فى الاخبار والآثار - واما اصناف الحلال والحرام ففى كتب الفقه على التفصيل ولنبين ههنا على سبيل الاجمال فاعلم ان الحرمة فى المال إما فى عينه اوفى كسبه - القسم الاول ان الاعيان المأكولة اما معادن اونبات اوحيوان والحرمة فيها إما لاجل ازالة العقل او ازالة الصحة اوالاستقذار - القسم الثانى ستة اقسام الاول مالايؤخذ من مالك كالمعادن والاصطياد والاحتطاب والاستسقاء فذلك حلال الا ان يسبقها يدقبله - الثانى المأخوذ قهرا ولاعصمة له كأموال الكفار وذلك ايضا حلال بشروط ذكرت فى الفقه - الثالث مايؤخذ قهرا لكن بالاستحقاق وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق واسباب ذلك فى كتب الفقه - الرابع مايؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذاتضمنت شرائطه المذكورة فى موضعها - الخامس ما يؤخذ بالرضا بلا عوض كالهبة والوصية والصدقة وذلك حلال بشرائطه - السادس ما يؤخذ بغير اختيار كالارث وذلك حلال اذا كان المال مكتسبا وجهة الحلال واخرجت منه سائر الحقوق المذكورة فى علم الفرائض

وان لم تعلم فاسأل اهله ـ

المطلب الثانى

فى درجات الحلال والحرام

اعلم الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث من بعض والحلال كله طيب لكن بعضه اطيب من بعض ومثال ذلك فى المحسوسات ان الحرارة والبرودة نوعان ومع ذلك لها درجات اربع عند الاطباء فلذلك لها درجات اربع ـ الاولى ورع العدول وهو الذى يجب الفسق بتركه ويدخل فى العصيان والتعرض للنار وهو الورع عما يحرمه فتاوى الفقهاء ـ الثانية ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم وان رخص المفتى بذلك بناء على الظاهر ـ الثالث ورع المتقين وهو ما لا حرمة فيه بحسب الفتوى ولا شبهة فى حله لكن يخاف منه اداؤه الى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس ـ الرابع ورع الصديقين وهو ما لا باس به اصلا ولا يخاف منه ان يؤدى ما به بأس ولكنه يتناول لغير الله ولا على نية التقوى به على عبادة الله تعالى اويتطرق الى اسبابه المسهلة له كراهية او معصية وتعرف هذه الدرجات بتشديدات الشرع ووعيده وزجره البليغ وتأكيده ـ

المطلب الثالث

فى مراتب الشبهات وتمييزها عن الحلال والحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه ـ فهذا الحديث مدار امر الشرع وقطب احكام الدين وفيه نص فى اثبات الاقسام الثلاثة والمشكل منها هو القسم المتوسط الذى لا يعرفه كثير من الناس فلابد من كشف الغطاء عنها فنقول الحلال المطلق وهو الذى لا يتطرق اليه اسباب التحريم او الكراهية كماء المطر قبل ان ينزل على ملك احد ويقابله الحرام المحض وهو اما حرام لعينه بصفة محرمة كالشدة فى الخمر والنجاسة فى البول اوحصل بسبب منهى

عنه كالحصل بالظلم والربا ونظائره فهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكن احتمل بغيره ولكن لم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه مثل صيد البر والبحر حلال فيحتمل ان تفلت الظبية من صياد والسمك قد تزلق من خريطة صياد فالورع فى امثاله وسواس - اللهم الاان يدل عليه دليل كالجرح فى الظبي والحلقة فى اذن السمكة وبالجملة مالم يترجح احد طرفى الشك لايعتبر به اصلاولا يعد ذلك شبهة وانما الشبهة احتمال حرمة يستند الى دليل ويعارض اصل الحل- ومثارات الشبهة خمسة -

المثار الاول الشك فى السبب المحلل والمحرم فذلك اقسام اربعة الاول ان يكون التحريم معلوما من قبل ثم يقع الشك فى المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الاقدام عليها فهذا حرام لأن الاصل التحريم،الثانى ان يحرم الحل ويشك فى المحرم فالاصل الحل وله الحكم كما اذا طار طائرفقال ان كان هذا غرابا فامراته طالق وقال آخر إن لم يكن غرابا فامرأته طالق والتبس امر الطائرفلايقضى بالتحريم فى واحدة منهما الا ان الورع اجتنابها - الثالث ان يكون الاصل التحريم وطرأ عليه سبب التحليل بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فان استند الظن الى سبب معتبر شرعا فالمختار الحل اذ الاصل عدم طريان غيره فطريانه مشكوك فيه ولا يرفع اليقين بالشك ولكن اجتنابه من الورع كمن رمى الى صيد فجرحه ثم غاب فوجده ميتا وليس عليه اثر جراحة اخرى التحق بالقسم الاول اذ حصل غلبة الظن بانه مات من جرحه واما احتمال موته من غير جراحته شك فيه لا يعتبر اذ ذاك جار فى كل مجروح لاحتمال انه مات بغلبة مرض وان وجد جراحة اخرى فقدتعارض السبب فتعارض الظن والاحتمال فيحرم - الرابع ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر فى غلبة الظن شرعا كما اذا غلب على ظنه نجاسة احد الانائين بعلامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه والذى هو المختار ان الاصل هو المعتبر وان العلامة اذا لم تتعلق بعين المتناول لم يوجب رفع الاصل -

المثار الثانى الشبهة بشك منشأه الاختلاط بين الحلال والحرام ويشتبه الامر فلا يتميز ففيه اقسام ثلاثة - الاول ان نسبتهم(١) المعين بعدد محصور لمن تزوج احد الاختين ولم تعلم بعينها يجب اجتنابها بالاجماع اذلا مجال للاجتهاد - واذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد وتقابل فيه جهة التحليل والتحريم فيجتنب - وان اختلط حلال محصور بحرام غير محصور فوجوب الاجتناب اولى - الثانى حرام محصور بحلال غير محصور كما اذا اختلطت رضيعة اوعشر رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح اهل البلد بل له ان ينكح من شاء منهن الا اذا علمها بعينها الا ان علة الحل ليست كثرة الحلال اذ يلزم منه جواز النكاح اذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال بل العلة الغلبة والحاجة جميعا مثلا من علم ان مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشراء والأكل فان ذلك حرج وما فى الدين حرج واذا لم يشترط هذا فى الدنيا لم يشترط ايضا فى بلد اذا وقع بين جماعة محصورين فاجتناب هذا من ورع الموسوسين اذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من الصحابة ولا يتصورا الوفاء به فى ملة من الملل ولا فى عصر من الاعصار - واعلم ان تمييز المحصور من غير المحصور مشكل وبالتقريب كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عددهم بمجرد النظر كالالف والالفين فهو غير محصور وما كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين اوساط متشابهة تلحق باحد الطرفين بالظن - وربما يفتى المفتى لكن ان وقع عند الشك فعليك ان تستفتى قلبك فان جال(٢) فى صدرك شيء فهو الاثم بينك وبين الله فان الاثم حزاز القلوب ولا ينجيك فى الآخرة فتوى المفتى فانه يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وأفتوك - وكذا الحال فى الاوساط المتشابهة التى تقع فى الاقسام الاربعة فى المثار الاول - الثالث ان يختلط حرام غير محصور بحلال غير محصور كحكم الاموال فى زماننا هذا وقد يظن ان هذا مثل اختلاط المحصور بالمحصور

---

(١) كذا (٢) كذا ولفظ الحديث الذى روى فى هذا المعنى - حاك -

فى الحرمة لكنه ليس كذلك بل هـذا غير حرام كن يتنا ول شيئا بعينه احتمـ
انه حرام وانه حلال فتركه ورع وأخذه حلال الا ان يقترن بتلك العين علامة
الحرمة فحينئذ يحرم - ويدل على ما ذكرنا ان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم
وقع الغلول واختلط بالاموال وكذا اختلط اثمان الخمور فى ايدى اهل الذمة بل
الربا ايضا وكذا فى زمن الصحابة والتابعين - وقد نهب يزيد المدينة شرفها الله
ثلاثة ايام ولم يمتنع احد من الصحابة عن الشراء فى السوق الا القايل يعدون
من اهل الورع - ومن زعم انه تفطن من الشرع مالم يتفطنه السلف الصالحون
فهو موسوس مختل العقل وايضا لوفتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات
وخرب العالم اذ الفسق غالب على الناس ويتساهلون فى شروط الشرع - فان
قلت ما ذكرته فيما اذا كان الحرام قليلا وقد صار الحرام فى زماننا اكثر قلت
ليس هوا كثر بل هو كثير - وقولك الحرام اكثر اما لكثرة الظلمة او كثرة
المعاملات الفاسدة اوكثرة الايدى - الاول باطل اذ الظلمة وهم الجندية وذوو الغلبة
والشوكة اذا اضيفوا الى جملة العالم لم يبلغوا عشر عشرهم - وكذا الثانى اذ اكثر
المسلمين يتعاملون بشروط الشرع واهل الرياض(١) بينهم قليل فضلا عن كونهم
كثيرا او اكثر - واما الثالث فلأن الاموال انما تحصل من المعادن والنبات والحيوان
ولم يبق درهم واحد ولا دينار خرجت من معدن اودارضرب الا تناوله يد الظلمة
وكذا الحال فى الحيوان فلم يبق الا الصيد والحشيش والحطب فى الموات فالجواب
عنه ان هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فا لتحق بما عددناه من
قبل وهو تعارض الاصل والغالب - فالحكم فيه ان الغالب الذى لايستند الى علاقة
تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح - فلا يقال اصول الحرام اكثر بل اصول الحلال
لم تزل اكثر فى كل عصر وزمان وذلك ظاهر لمن تدبر باذعان وامعان وانما
الكلام فيما اذا قدر غلبة الحرام واختلط غير محصور ولم يكن فى العين المتناولة
علامة خاصة والذى نراه ان تركه ورع وأخذه ليس بحرام لأن الاصل الحل
ولا يرفع ذلك الا بعلامة معينة كما فى طين الشوارع ونظائرها بل نقول لوطبق

(١) كذا ولعله - الربا - ح -

الحرام الدنيا على الفرض والتقدير والعياذ بالله من ذلك لكنا نقول يعفى عما سلف ويستأنف بتمهيد الشروط بل نقول ماجاوز حده انعكس على ضده فمهما حرم الكل حل الكل وذلك لأن الاحتمالات خمسة لأن الناس اما ان يدعوا الأكل حتى يموتوا اويقتصروا على سد الرمق اويتنا ولون كيف شاؤا سرقة اوغصبا من غير تميز بين مال ومال وجهة جهة اويتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة اويقتصروا على قدر الحاجة مع شروط الشرع اما الاول فلايخفى بطلانه - واما الثانى فباطل ايضا لانهم اذا اقتصروا على سد الرمق وزجوا اوقاتهم على الضعف فشافيهم الموت وبطلت الاعمال والصناعات وخربت الدنيا وفى خرابها خراب الدين لانها مزرعة الآخرة بل اكثر احكام الفقه لحفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين واما الثالث فهو دفع لسد الشرع بين المفسدين فتمتد الايدى بالغصب والسرقة وانواع الظلم ولا يمكن زجرهم عنه فيؤدى الى بطلان سياسة الشرع فلايبقى الا الاحتمال - الرابع بان يبقى لكل ذى يد على ما فى يده فيصير الاحتمال - الخامس هو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من اصحاب الايدى لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة -

المثار الثالث للشبهة، ان يتصل بالسبب المحلل معصية وهذا انوع اربعة

النوع الاول المعصية فى القرائن كالبيع وقت النداء يوم الجمعة وكالذبح بالسكين المغصوب وهذا مكروه وليس بحرام والورع اجتنابه وهذه الكراهة لها ثلاث درجات - الاولى منها ما يقرب من الحرام والورع عنه مهم كالصيد بكلب مغصوب - والثانية الاحتطاب بالقدوم المغصوب وهذه دون الاولى فى الكراهة وهى ايضا من الورع - والثالثة البيع وقت النداء وهذه دون الثانية فانه ضعيف التعلق بمقصود البيع ولا بأس بالحذر منه ولكن لوأدى ما هودون هذا من عدم صحة نكاح الظلمة لتعلق الحقوق الواجبة عليه لأدى الى التحرج عن نكاح بناتهم وانه الوسواس والورع حسن والمبالغة فيه احسن ولكن الى حد معلوم -

النوع الثانى المعصية فى اللواحق ولها درجات اعلاها بيع العنب من الخمار وبيع

الكلام ممن يعرف بالفجور بالغلمان والقياس ان العقد صحيح والمأخوذ حلال وليس بحرام والرجل عاص الا ان المأخوذ مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم - ويليها فى الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارا لان الاحتمال قد تعارض والكراهة فيه اخف والورع فيه فوق الاول - ويليها فى الرتبة ماهو مبالغة ويكاد يلحق بالوسواس كمن لا يجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لانهم يستعينون بها على الحراثة ويبيعون الطعام من الظلمة وهذا ورع الوسوسة -

النوع الثالث المعصية فى المقدمات ولها ايضا ثلاث درجات العليا ما بقى اثره فى المتناول كالأكل من شاة رعت من مرعى حرام وهذا الورع وان لم يكن واجبا الوسطى ما نقل عن بشر من امتناعه عما يساق فى نهر الظلمة لأن النهر موصل اليه وقد عصى الله بحفره - وامتناع آخر عن كرم سقى بنهر مذكور وهو ابلغ فى الورع منه واعلى من ذلك امتناع ذى النون من طعام حلال اوصل اليه بيد سجان وقوله انه جاءنى على يد ظالم ودرجات هذه الرتب لا تنحصر - والادنى منها وهى قريبة من الوسواس ان يمتنع من حلال وصل اليه على يد رجل زنى اوقذف وليس هذا كما لو وصل على يدى من أكل الحرام فان الموصل قوته الحاصلة من الحرام ، والزنا والقذف لايزيدان فى القوة ولوامتنع الشرب من كوز لأن صانعه قد عصى الله يوما بضرب انسان او شتمه لكان وسواسا - واعلم ان كل هذا خارج عن فتوى العلماء من الفقهاء لأن فتواهم تختص بالدرجة الاولى التى يمكن بها تكليف العامة - ولو اجتمعوا عليها لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين والصالحين الذين لايفتيهم الا قلوبهم لكن يخرج عن هذا قلب الموسوس لأنهم قوم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم كما شدد على اصحاب موسى عليه السلام -

النوع الرابع المعصية فى العوض ولها درجات - العليا ان يشترى شيئا فى الذمة ويقضى ثمنه من غصب اومال حرام فان سلم البائع اليه الطعام قبل قبض الثمن بطيب

قلب

قلب فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالاجماع ولا هو من الورع الكامل وانما الإثم بقضاء الثمن من الحرام لكن لا ينقلب الطعام حراما فان ابرأه البائع مع العلم بان الثمن حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه الا مظلمة تصرفه فى الحرام فان ابرأه على ظن ان الثمن حلال فلا يحصل له البراءة من الثمن لأنه ابرأه بشرط الاستيفاء ولا يصلح الحرام للايفاء وان لم يسلم اليه بطيبة قلب ولكن اخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام اوبعده اذ للمالك حق الحبس حتى يقبض الثمن وانما يبطل حق حبسه بالابراء والاستيفاء ولم يجر شيء منهما ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام اذا أكله بغير إذن المرتهن وبينه وبين أكل طعام الغير فرق ولكن اصل التحريم شامل اما اذا اوفى الثمن الحرام اولا ثم قبض فان كان عالما بحرمته ومع هذا اقبض المبيع بطل حق حبسه وبقى له الثمن فى ذمته اذ ما اخذه ليس بثمن ولا يصير أكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن - فاما اذا لم يعلم انه حرام وكان بحيث لوعلم لما رضى به ولا اقبض المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فأكله حرام تحريم أكل المرهون الى ان يبرئه او يوفى بحلال اويرضى هو بالحرام ويبرئ فيصح ابراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه - وبيان الحكم فى الدرجة الاولى من الحل والحرمة فاما الامتناع عنه فمن الورع المهم لأن المعصية اذا تمكنت من السبب الموصل تشتد الكراهة كما سبق واقوى الاسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضى البائع بتسليمه اليه فرضاه لا يخرجه عن كونه مكروها كراهة شديدة ولكن العدالة لا تنخرم به وانما تزول به درجة التقوى والورع - والدرجة الوسطى ان لا يكون العوض غصبا ولا حراما ولكن يتهيأ لمعصية كما لوسلم عن الثمن عنبا والآخذ شارب خمر اوسيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريما فى المبيع ولكن يقتضى فيه كراهية دون الكراهة التى فى الغصب - والدرجة السفلى وهى درجة الوسواس كما اذا حلف على ان لا يلبس من غزل امته فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهة فيه والورع عنه

وسوسة - واعلم ان الدرجات المذكورة لا تنحصر فى عدد ولكن المقصود من التعديد التفهيم - واعلم ان الانسان لاينبغى ان يشتغل بدقائق الورع الابحضرة عالم متقى فانه لذا جاوز مارسم له وتصرف بذهنه كان مايفسده اكثر مما يصلحه.

المثار الرابع الاختلاف فى الادلة

وهذا كالاختلاف فى السبب لان السبب سبب للحل والحرمة والدليل سبب لمعرفتها وهى ثلاثة اقسام -

الاول، ان يتعارض ادلة الشرع كالعمومين من القرآن او السنة او قياسين او قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فى مثله الى الترجيح فان ظهر الترجيح فى جانب الحرمة وجب الآخذ به وان ظهر فى جانب الحل جاز الأخذ به ولكن الورع تركه - ثم ان المقلد ينبغى له ان يبحث عن افضل المذاهب بين علماء بلده فيتبعه وليس له ان يتبع اوسعها - نعم ان امامه افتاه بشىء وله مخالف فعليه ان يترك الخلاف الى مذهب اجمعوا عليه وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب - وهذا على ثلاث مراتب - اولاها ما يقوى فيه الدليل المخالف ويدق ترجيح المذهب الآخر عليه فالمستحب التورع عنه وان افتى المفتى انه حلال لان الترجيح فيه غامض - وثانيها تزاحم درجة الوسواس كالتورع عن اكل جنين ذكى امه وفى الصحاح مايدل على حله - وثالثها ان لايشتهر فى المسألة خلاف اصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيتورع عنه لاختلاف الناس فى الخبر الواحد فهذا ورع لم ينقل عن الصحابة الا اذا تطرق شبهة فى حق الراوى خاصة - ومن هذا القبيل خلاف النظام فى اصل الاجماع بانهم غير معصومين فاذالاطرف من اطراف الشبهات الا وفيها غلو واسراف - والاصل ان تستفتى قلبك وتدع مايريبك الى ما لايريبك وتترك حزازة القلوب وحكاكة الصدور وذلك يختلف باختلاف الاشخاص والدواعى ولكن تحفظ قلبك عن دواعى الوسواس حتى لاتحكم الابالحق ولا ينطوى على حزازة فى مظان الوسواس ولايخلو عن الحزازة

فى مظان الكراهة وما اعز مثل هذا القلب -

القسم الثانى، ان يتعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة مثلا يخبر عدل بان هذا المتاع حلال وعدل آخر بأنه حرام فان ظهر ترجيح حكم به فالورع الاجتناب وان لم يظهر وجب التوقف -

القسم الثالث، تعارض الاشباه فى الصفات التى بها تناط الاحكام كمن اوصى ماله للفقراء فالفاضل فى الفقه داخل بلاشبهة والمتعلم منذ يوم او شهر غير داخل بلاشبهة وبينهما درجات لاتحصى يقع الشك فيها فالمفتى يفتى بحسب الظن والورع الاجتناب - وهذه اغمض مثارات الشبهة فان فيها صورى يتحير فيها المفتى تحيرا لازما لاحيلة له فيه اذيكون المتصف بصفة فى درجة متوسطة لايظهر له ميل الى احدهما - وكذلك الصدقات فان المحتاج ماليس له شيء والغنى من له مال كثير واما من له دار واثاث وثياب وكتاب فان قدر الحاجة منه والزائد عليه لايمكن تحديدها وانما يدرك بالتقريب وينظر فى مقدار سعة الدار وابنيتها ومقدار قيمتها لكونها فى وسط البلد اوفى طرفه ووقوع الاكتفاء بدار دونها - وكذا الاثاث اما من صفر اومن خزف وكذا فى عددها وقيمتها وكذلك مايحتاج اليه كل يوم اوسنة - وشيء من هذه الامور لاحد له فان توقف المفتى فيها فلاوجه الا التوقف وان افتى المفتى بظن وتخمين فالورع التوقف وهو اعم مواضع الورع - الوجه فى مثل هذا ما قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى مالايريبك فهذه مثارات الشبهات وبعضها اشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الأمر اغلظ مثل أن يأخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام ليس هو اكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدى ترادف الشبهات الى ان يشتد الامر فى اقتحامه وليس فى قوة الامر حصرها فما اتضح من هذا الشرح أخذبه وما التبس فليجتنب فان الأثم حزاز القلوب وحيث قضينا باستفتاء القلب اردنا به حيث اباح المفتى - اما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم ان فى الاستفتاء لايعول على كل قلب

اذرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن الى كل شيء وانما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الاحوال فهو المحك الذى يمتحن به خفايا الامور، وما اعز هذا القلب فى القلوب فمن لم يثق بقلبه فليلتمس النور ممن قلبه بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته ـ

المطلب الرابع

فى البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانهما

واعلم ان لا وجه للتفتيش عن كل ما اهدى اليك اووهب اوبيع منك وليس لك ايضا ان تترك البحث فتأخذ كل ما تجده بل للتفتيش احوال فانه واجب مرة وحرام اخرى ومندوب اليه مرة مكروه اخرى فمثار الشبهة فيها فى امرين إما فى المال اوفى صاحبه ـ

النوع الاول احوال المالك وهى ثلاث ـ الحالة الاولى ان يكون مجهول الحال بان لايكون فى زى الظلمة ولا فى زى العلماء والصلحاء فان كنت غريبا تريد أن تشترى خبزا ولا تدرى صاحبه فلا يلزمك السؤال بل يده واسلامه كافيتان فى الهجوم على اخذه وقولك الفساد غالب فى الناس وسوسة وسوء ظن بالمسلم ويدل عليه ان الصحابة كانوا ينزلون القرى ولايتركون القرى ويدخلون البلاد ولايتحرزون من العباد وكان الحرام موجودا فى زمانهم ايضا فليس له السؤال من اين اكتسبه ومن اين حصل له بل ان حصل له فيه ريبة فليتلطف فى الترك وان كان له بد له من أكله فليأكل بغير سؤال ايذاء وهتك سر وايحاش وهو حرام بلاشك وليس الاثم فى ايذاء مسلم بأقل من الأثم فى أكل شبهة ولايجوز أن يسأل من حيث لا يدرى لأن فى ذلك اساءة ظن وهتك سر وفيه تجسس وفيه تشبيه بالغيبة وان لم يكن صريحا وكل ذلك منهى عنه فى آية واحدة قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن إثم ولاتجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا) فكم من زاهد جاهل تجسس الجاهل عنده ذلك طلبا للشهرة بأكل الحلال ولو كان باعثه الدين لكان خوفه من ايذاء مسلم اشد من خوفه على ان

يدخل

يدخل بطنه ما لا يدرى وهو غير مؤاخذ بما لا يدرى فطريق الورع فى امثاله الترك دون التجسس وان لم يكن بدفالورع الأكل واحسان الظن ـ
الحالة الثانية، ان يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة اورثت ريبة اما فى خلقته بان يكون على خلقة الاتراك والبوادى والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وان يكون طويل الشارب واما فى زيه بان يكون لباسه على زى اهل الفساد من الظلمة والاجناد واما من فعله وقوله بأن يشاهد منه الاقدام على أخذ الحرام ، والحكم فيه جواز الاقدام نظرا الى ضعف الأدلة وقوة اليد والاسلام ورجحان الترك لان اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه فاورثت ريبة ـ واما الورع هوالثانى ، وهو الذى يختار ويفتى به لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ثم ان بين هذه الدلالات تفاوتا فان طول الشارب وهيئة الاجناد وكذا القول والفعل المتعلقان بظلم المال وكذا الأمر بالغصب والظلم اوالعقد بالربا اقوى فى الدلالة ممن شتم غيره فى غضبه واتبع نظره امرأة اذ كم من انسان يتحرج فى طلب المال ولا يكسب الا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فلا يمكن ان يضبط هذه الدلالات بحد فالمرجع هوالاستفتاء بالقلب ثم ان ما ذكر فى مجهول المال ـ واما ان رأيته ممن عرفته بالورع فى العبادات يصير فى حكم المال كالمجهول لتعارض الأدلة فى حق المال اذ لا يلزم من الورع فى العبادات الورع فى المال فالمرجع هو حكم القلب وايضا ان هذه الدلالة انما تعتبر اذا دلت على حرمة اكثر ماله وان دلت على حرمة اقله لا يجب السؤال بل يكون السؤال من الورع
الحالة الثالثة، ان يكون الحال معلوما بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب الظن فى الحل والحرمة مثل ان يعرف ديانته وعدالته فى الظاهر واحتمل عنده ان يكون الباطن بخلافه فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما فى المجهول بل اولى والاقدام ههنا ابعد عن الشبهة من الاقدام على طعام المجهول فان ذلك بعيد من الورع وان لم يكن حراما ـ
النوع الثانى، احوال المال بان يختلط الحرام بالحلال كما اذا اشترى اهل السوق

احمالا من طعام غصب فلا يجب السؤال عما يشتريه فى تلك السوق وانما التفتيش هو الورع الا ان يظهر اكثر ما فى ايديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال والدليل على عدم وجوب السؤال اذا لم يكن الحرام اغلب عدم امتناع الصحابة عن الشراء من الاسواق مع ان فيها دراهم الربا وغلول القيمة وغيرهما وانما السؤال ينقل عن آحادهم نادرا فى بعض الاحوال وفى محل الريبة فى الشخص المعين -

المطلب الخامس

فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية وعليه فى ذلك وظيفتان

الوظيفة الاولى فى كيفية تميز الحرام واخراجه - فالمال الحرام ان كان معلوم العين فالأمر سهل فان كان مختلطا فاما ان يكون من ذوات الامثال كالنقود والادهان اومن اعيان متمايزة كالعبيد والثياب فان كان الاول اوكان شائعا فى المال كله كمن خلط دهنا مغصوبا بدهن نفسه فان كان معلوم القدر كالنصف فعليه تميز ذلك القدر وان اشكل فله طريقان احدهما الأخذ باليقين والآخر الأخذ بغالب الظن فيجوز الأخذ بغالب الظن اجتهادا ولكن الورع الأخذ باليقين - طريق الاخذ بالورع ان لا يستبقى الا القدر الذى يتيقن انه حلال وطريق الأخذ بالجواز مثلا يتيقن ان النصف حلال والثلث حرام ويشك فى السدس فيخرج الثلث ويحكم فى السدس بغالب الظن والورع اخراجه ايضا وان شك فيه جازالا مساك والورع الاخراج ايضا وهذا الورع اكد - فان قلت الذى يخرج لا يدرى انه عين الحرام فلعل الحرام ما بقى قلت انه غير مضر ولنفرض فى درهم اشتبه بدرهم آخر ايهما رد الى المالك ورضى به فقد برئ اما المردود وان كان عين درهمه فذاك وان كان غيره فقد حصل لكل منهما درهم فى يد صاحبه فالاحتياط ان يتبايعا باللفظ فان لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة اذ المغصوب منه وان فات له درهم فى يد الغاصب وعسر الوصول الى عينه واستحق ضمانه لكن ما أخذه يقع عن الضمان وهذا فى جانبه واضح فان المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال فى الجانب الآخر انه لم يدخل فى ملكه فنقول لانه ايضا قد سلم درهم

نفسه

نفسه فقد فات له ايضا درهم هو فى يد الآخر وليس يمكن الوصول اليه فهو كالغالب(١) فيقع بدلا عنه فى علم الله تعالى ان كان الامر كذلك ويقع هذا التبادل فى علم الله سبحانه - هذا فى ذوات الامثال فانها تصح عوضا بلا عقد - واما اذا اشتبه دار بدار أو عبد بعبد فلا سبيل الا المصالحة والتراضى فان ابى ان يأخذ الا عين حقه واراد أن يعوق عليه جميع ملكه فان كانت متماثلة القيمة يبيع القاضى جميع الدور ويوزع الثمن بقدر النسبة وان كانت متفاوتة أخذ من طالب الدفع قيمة انفس الدور وصرف الى الممتنع منه مقدار قيمة الاقل وتوقف فى قدر التفاوت الى البيان او الاصطلاح لانه مشكل وان لم يوجد القاضى فالذى يريد الخلاص وفى يده الكل ان يتولى ذلك نفسه -

الوظيفة الثانية فى الصرف وله احوال ثلاثة اما ان يكون له مالك معين ولا يدرى انه مات عن وارث ام لا وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فانها بعد تفرق الغزاة لا يقدر على جمعهم وان قدر فكيف يفرق دينارا واحدا على الوف من المسلمين فحكم هذا المال ان يتصدق به وان كان من مال الفيء والاموال المرصدة لمصالح المسلمين يصرفها الى المساجد والقناطر والرباطات ومصانع طريق مكة وامثال ذلك فان وجد قاضيا عدلا يسلم اليه المال وهو يصرفه الى ما ذكروا لا يحكم عالما متدينا من اهل البلد فان التحكيم اولى من الانفراد وان عجز عن ذلك يتولاه بنفسه اذ المقصود الصرف - فان اخطرت بالبال ان التصدق بالحرام غير جائز ولا اقل من عدم ثوابه قلت ثبت ذلك بالخبر والاثر والقياس اما الخبر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التى قدمت اليه فكلمته بأنها حرام او قال اطعموها فتصدق بالثمن -

واما الاثر فان ابن مسعود اشترى جارية ولم يظفر بمالكها لينقده الثمن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه ان رضى والا فالأجرلى - وسئل الحسن عن توبة الغال بعد تفرق الجيش قال يتصدق به - واما القياس فهو أن هذا المال مردد بين ان يضيع وبين ان يصرف الى خير إذ يقع اليأس عن

---

١) ١١٤/١

مالكه ولا يخفى ان صرفه الى خير ينتفع به مالكه فى الآخرة خير له من ان ينتفع به فى الدنيا فضلا عن ان لا ينتفع اصلا لا فى الدنيا ولا فى الاخرى مع ان فيه انتفاع فقير وسد حاجته وحصول الاجر للمالك بغير اختياره لا ينكر اذ قد ورد فى الخبر الصحيح ان للزارع والغارس اجرا فى كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره وما يقال لا يتصدق الا الطيب (١) فذلك اذا طلبنا الا جر لا نفسنا ونحن نطلب الخلاص عن المظلمة لا الأجر وترددنا بين التضييع والتصدق - وقول القائل لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لا نفسنا فهو كذلك لكنه حرام علينا وحلال للفقير فرضينا له الحلال - واعلم ان المال اذا كان مختلطا من الحرام والحلال يخص الحلال بنفسه اذ لا يعذر نفسه فى الحرام ويعطى الحرام العيال لأنهم ربما يعذرون بعدم العلم ثم انه يخص بالحلال قوته ولباسه واما اذا اريد تخصيص واحد منهما فيخص الحلال بالقوت اذ ينبت لحمه ودمه منه واللباس انما هو ساتر من الحر والبرد فالاهتمام بالاول اولى - وقال الحارث المحاسبى يقدم اللباس لبقائه مدة بخلاف الطعام الا أن المختار تقدم القوت ولهذا تقيأ الصديق رضى الله عنه لبنا شربه مع الجهل بحاله لئلا ينبت منه لحم - فان قيل بعد ما صرف الكل الى اغراضه لا يبقى الفرق بين نفسه وغيره - قلنا عرف ذلك التفاوت مما روى ان رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنع من كسب الحجام فروجع مرات فمنع فقيل له ان له ايتاما فقال اعلفوه الناضح فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو ودابته ثم اذا تصدق على الفقراء الحرام يوسعه عليهم واذا انفق على نفسه فلينفق ما قدر (١) وان انفق على عياله فليقتصد - واما الضيف فان كان فقيرا يوسعه عليه منه وان كان غنيا فلا يطعمه منه الا فى برية او قدم ليلا لم يجد شيئا وان كان الضيف الفقير تقيا ورعا فليعرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع ولا يقول انه لا يدرى فلا يضيره لان الحرام يؤثر فى قساوة القلب - وان كان الحرام فى والديه فليمتنع من أكل طعامهما وان سخطا اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وان كان شبهة فالامتناع للورع

(١) كذا -

فليتلطف في الامتناع لأن رضاها ايضا ورع بل واجب - فان لم يقدر فليوافق وليقلل الأكل بان يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يتوسع فان ذلك غرور - والاخ والاخت قريب منهما لأن حقهما ايضا مؤكد وكذا اذا ألبسته امه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبله بين يديها ولينزعه في غيبتها ولا يصلي فيه الاعند حضورها فلايصل فيه الاصلاة المضطر -

المطلب السادس

في ادرارات السلاطين فالنظر فيها في امرين

النظر الأول في جهات الدخل وهي قسمان احدهما مال الفيء والجزية ومال المصالحة وهذا من الكفار - وثانيهما من المسلمين وهو المواريث التي لاوارث لها والاموال ضائعة - واما الصدقات فلا تؤخذ في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وانواع الرشوة كلها حرام مصارف ما اذكر ثمانية - الاول الجزية واربعة اخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة وذلك حلال ان اجتمع شرائطها المذكورة في الفقه - الثاني المواريث والاموال الضائعة فهي للمصالح والنظر في حال المال بأنه حرام او حلال كله او بعضه فقد مر حاله - الثالث الاوقاف والنظر فيها كشرائط المواريث مع شرائط الوقف خاصة - الرابع ما احياه السلاطين ولايعتبر له فيه شرط اذ له التصرف العام في الاراضي فيعتبر فيه مامر من احوال الاعواض - الخامس ما اشتراه السلطان من الذمة من ارض او ثياب ونحو ذلك هو حلال لو كان ثمنه حلالا والا لحرام - السادس ما عينه للعمال بأن يجمعوا من اموال القسمة والمصادرات وهو الحرام السحت - السابع مايكتب على بياع يعامل السلطان فان كان لا يعامل غيره فماله كله حرام والافمختلط إما غالب او مساو او قليل - الثامن ما يكتب على الخزانة اوعلى عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف السلطان دخل حلال فهو سحت محض وان لم يعلم ففيه خلاف ، منهم من قال الحرام فيه غالب فلا يجوز ، ومنهم من قال كل ما لا أتيقن بحرمته فلي ان آخذه والمختار

ان الغالب ان كان حراما حرم وان كان الاغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا كما سبق - واحتج المجوزون بأخذ بعض من الصحابة من مروان ويزيد ومن عبدالملك ،وبعض من التابعين كالشعبي وابراهيم والحسن وابن أبي ليلى واخذ الشافعي من الرشيد الف دينار دفعة واحدة واخذ مالك من الخلفاء اموالا جمة وكان الحسن والحسين يقبلان جوائز معاوية - واما امتناع آخرين فيدل على الورع دون الحرمة واجيب بأن الآخذين اكثر من الممتنعين فان وجه الرد بالورع فكذا الأخذ يوجه بأحدامور ثلاثة اذ الاحتمالات اربعة - الاول ان لا يأخذ من مالهم شيئا وهو اشد الورع - الثانى ان يأخذ مما يعلم انه من جهة حلال وعلى هذا يحمل ما نقل عن الصحابة والتابعين - الثالث ان يأخذ ليتصدق به على الفقراء اويفرقه على المستحقين فانه مال لا يتعين مالكه والسلطان لا يصرفه فى محله فالأخذ منه وتفريقه فى محله اولى من تركه فى يده وعلى هذا يحمل اخذ كثير من السلف - الرابع ان يأخذ من سلطان اكثر ماله حلال ويستنفق وهكذا كان الخلفاء فى زمان الصحابة والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن اكثر مالهم حراما ولهذا قال على رضى الله عنه خذ ما اعطاك السلطان فان ما يأخذه من الحلال اكثر - واما مال السلاطين فى زماننا هـذا اما حرام كلها اواكثرها اذ الظلم تداخل جميع اموالهم اواكثرهم وايضا كان السلاطين فى العصر الاول يتقلدون المنة بأخذ الصحابة والتابعين اموالهم وهم يأخذون من غير اذلال وسؤال ولاهم يسكتون عن الحق لأجل عطائهم - وفى زماننا هذا انعكس الامر كله فيؤدى القبول الى المعصية -

النظر الثانى فى قدر المأخوذ وصفة الأخذ - واعلم ان تصرف السلطان فى اموال المصالح كاربعة اخماس الفيء والمواريث صحيحة فله ان يعطى ما شاء لمن شاء واما مصارفها فالغنى ليس منهم اذلم يكن فيه مصلحة للناس بل المصرف من فيه مصلحة عامة اومحتاج الى الكسب فكل من يتولى امرا بقوم يتعدى مصلحته الى المسلمين فلوا شتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله فى بيت المال حق الكفاية ومنهم العلماء النافعون كالفقهاء والمحدثين والمفسرين والقراء بل المعلمون والمؤدبون

وكذا

وكذا طلبة هذه العلوم وكذا زوارى(١) العلماء المذكورين فانهم ان لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب - وايضا الدين والملك توأمان فيدخل فيهم الذين ترتبط مصالح الدنيا بأعمالهم - ومنهم عمال بيت المال والاجناد الحارسون للملكة ويدخل فيهم الحساب والكتاب والوكلاء لاعمال المال الحرام بل عمال بيت المال على حسب الشرع - ويدخل فيهم الاطباء ايضا لان لهم مدخلا فى صحة الجسد الذى لايتم امر الدين الابه لكن من يعالج المسلمين بغير اجرة وهؤلاء المصارف يجوز أن يعطوا مع الغنى وكذا للسلطان ان يخص واحدا بقدر ما شاء لكن ينبغى ان يراعى فيه المصلحة اذ مهما خص عالم او شجاع بصلة كان فيه بعث الناس وتحريضهم على الاشتغال والتشبه به هذا فى السلطان العامل على وجه الحق واما الظلمة ففيهم أمران احدهما انه بظلمه إما معزول اوواجب العزل فكيف يجوز أن يؤخذ من يده - ثانيهما أنه يمنع بعض المستحقين فلايجوز الأخذ للبواقى اصلا وان جاز فبقدر حصتهم - والجواب عنه اما عن الاول فلأن السلطان مهما عسر استبدا له وكان فى خلعه فتنة ثائرة لاتطاق وجب تركه والطاعة - وايضا انا نراعى الصفات والشروط فى السلاطين تشوفا الى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت المصالح رأسا فكيف نفوت رأس المال فى طلب الربح بل الولاية الآن لاتسع الا الشوكة اومن بايعه صاحب الشوكة وهو الخليفة فمن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة فى اصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاة فى اقطار الارض ولاة نافذوا الاحكام - واما عن الثانى ففيه اربع مراتب فغلا بعضهم وقال المسلمون كلهم فيه شركاء ولايدرى ان حصته منه دانق اوحبة فليترك الكل، وقال قوم له ان يأخذ قوت يومه اذ الضرورة تندفع بهذا ، وقال قوم له قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذوحق فلا يتركه ، وقال قوم يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لأن اشتراك هذا المال بين المسلمين ليس بطريق التعيين والا للزم الارث فيمن مات قبل القبض وانما يتعين بالقبض فلا يسقط الباقى بظلم السلطان للبعض منهم -

---

(١) كذا -

المطلب السابع

فى حكم مخالطة السلاطين وذلك لايخلو عن احوال ثلاثة

الحالة الاولى ان تدخل عليهم فهى مذمومة شرعا وفيه تشديدات وتغليظات تواردت بها الاخبار والآثار ثم ان فى الدخول مايحرم ومايكره وما يباح بسبب امور ثلاثة إما بفعله وإما بسكوته وإما بقوله ـ اما الاول فلأن الاكثرين دارهم مغصوبة فيحرم الدخول فيها بغير اذن المالك وإن لم تكن داره حراما فلايعصى بالدخول والسلام ولكن ان سجد اوركع او مثل قائما فى سلامه وخدمته كان مكرما للظالم فيكون عاصيا والتواضع لغنى غير ظالم معصية وفى الخبر نقص ثلثا دينه فكيف بالظالم ـ واما تقبيل اليد والانحناء فى الخدمة فهو معصية الاعند خوف اولامام عادل اولعالم اولمن يستحق ذلك بأمر دينى ـ قبل أبو عبيدة بن الجراح يد عمر رضى الله عنه فلم ينكر عليه ـ فان ترك جميع ذلك واقتصر بالسلام فلايخلو من الجلوس على بساطهم واذا كان اغلب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على بساطهم ـ

واما الثانى وهو السكوت فانه سيرى فى مجلسهم من الفرش الحرام والاوانى الحرام والملبوسات المحرمة عليهم وعلى غلمانهم بل يسمع منهم الفحش والكذب وامثالها فالسكوت على جميع ذلك حرام فان ترخص بانه يخاف فهلا عمل بالعزيمة فى عدم الدخول اللهم الا اذا أكره على الدخول ايضا ـ

واما الثالث وهو القول فهو أن يدعو له ويثنى عليه اويصدقه فيما يقول من باطل بتصريح اوبتحريك رأس اوباستبشار فى وجهه اويظهر له الحب والاشتياق والحرص على طول عمره وبقائه وكل ذلك حرام وقعت فيه الاخبار والآثار فلا يجوز الدخول عليهم الا لعذرين احدهما الاكراه وعلم انه لو امتنع اوذى اونزع العوام نفسهم عن طاعة الامراء لاقتدائهم بامتناعه ـ وثانيهما ان يدخل لدفع ظلم عن نفسه اوعن غيره بشرط ان لا يكذب ولايثنى ولا يدع النصيحة بتوقع قبولها ـ

الحالة

الحالة الثانية ان يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فيجب السلام واما القيام فان كان بجمع كثير يقوم لرعاية حشمة الولاة بين الرعايا فان ذلك مهم وان كان فى خلوة فيجوز القيام مكافأة لما وقع من الاكرام ولكن الاولى ان لايقوم ليظهر به عز الدين وحقارة الظلم ويظهر به غضبه للدين والاعراض عمن اعرض الله عنه ثم يخوف فيما يرتكبه من المعاصى ويرشده الى طريق المصلحة والارشاد الى ماهو غافل عنه بما يغنيه عن الظلم -

الحالة الثالثة ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولايرونه وهوالواجب اذلا سلامة الافيه ولايستخبر عن احوالهم ولايتقرب الى المتصلين بهم فاذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ماقال أبوحاتم (١) الاصم انما بينى وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته وانا واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون فى اليوم ولابد أن تكون الجناية على الله فوق الجناية على نفسك فيجب ان لا تحب وما يقال المحبة غير اختيارى فليس كذلك لأن المحبة فرع معرفة الكمال فمن احب الله تعالى احب ما احبه وكره ما ابغضه ، وان احتججت بدخول السلف عليهم فنقول لك ادخل كما دخلوا لكنه قريب من المحال فى حقنا اين نحن من احوالهم لأنهم كانوا يعاتبونهم ويعظونهم ولا يخافون فى الحق لومة لائم ونحن نتقرب الى قلوبهم فنذ لهم على الرخص فيما يوافق اغراضهم وان لنافى ذلك غروران(١) يغتر بهما الحمقاء احدهما ان يظهر أن قصدى اصلاحهم بالوعظ وانما الباعث لهم الشهرة وربما تلبس انفسهم بذلك عليهم وليمتحن بانه لو تولاه غيره لفرح به ويشكره على كفايته هذا المهم -

وثانيهما ان يزعم انه يقصد الشفاعة لمسلم لدفع ظلامة وهذا ايضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم -

المطلب الثامن

اذا بعث اليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء - فان كان له مالك معين فلايحل أخذه والا فيجوز أن تتولى بها لكن اشترط بعضهم الامان عن ثلاث غوائل

---

(١) ١١٢

الاولى ان يظن السلطان حل ماله بأخذك الثانية ان يقتدى بك غيرك ويستدل بذلك على جوازه ثم لايفرقون فهذا اعظم من الاول كما يستدلون بأخذ الشافعى على جواز الاخذ ويغفلون عن تفرقته واخذه على هذه النية ـ الثالثة ان يتحرك قلبك الى نفسه لتخصيصه اياك وايثاره لك وهذا هو السم القاتل فانك ان احببته تحرص عليه وتداهن فيه ومما ينبغى ان يعلم انه يجب الاحترازعن معاملتهم لأن اكثر مالهم حرام وكذا عن معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمتهم اذ اكثر اموالهم الغصب فمن اين يقع فى ايديهم مال مصلحة وجزية وميراث ووجه حلال حتى تضعف شبهة الحرام باختلاط الحلال بمالهم ـ وايضا الاسواق التى بنى السلاطين بالمال الحرام تحرم سكناها وان لم يحرم كسبه فان وجدوا سوقا آخر فلا يشترى منهم فان ذلك اعانة لسكناهم وتكثير لكراء حوانيتهم، ومنهم من بالغ وجعل كسبهم حراما وليس كذلك واما القناطر من مالهم فلا يجوز العبور عليها الا للحاجة والورع الاحترازما امكن، واما المساجد فان كان بناؤها وآلاتها مغصوبة اومن مال لايعرف مالكه فلا يجوز الصلاة فيها ولا الجمعة وان امكن اقتداء الامام من خارج فليفعل فالورع العدول الى مسجد آخر إن وجد والا فلايترك الجمعة والجماعة ولينظر الى احتمال ان يكون من مال بانيه اوان لايكون له مالك معين وكذا السقاية من مال حرام والورع الاحترازعنها الا اذا خاف فوت الصلاة فيتوضأ واما الرباطات والمدارس فان كانت فى الارض المغصوبة لايرخص للدخول فيها وان التبس فقد ارصد لجهة من الخير فالورع احتنابه لكن لايفسق مرتكبه وهذه الابنية ان صدرت عن خدم السلطان فالامر فيها اشد اذ ليس لهم صرف الاموال الضائعة الى المصالح مع غلبة الحرام على اموالهم اذ ليس لهم اخذ مال المصالح وانما يجوز ذلك للولاة وارباب الامر والكلام فى هذا يطول والله اعلم ـ

الاصل الخامس

فى آداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق وفيه مطالب

المطلب الاول

فى فضيلة الاخوة وشروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلة الاخوة والالفة ـ اعلم ان حسن الخلق يوجب التوافق والتحاب ويثمرها ومحمودية المثمر توجب محمودية الثمرة كما ان سوء الخلق يثمر التباغض والتدابر اما فضيلة حسن الخلق فقوله تعالى (إنك لعلى خلق عظيم) وقال صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى وحسن الخلق ـ وقال اثقل مايوضع فى الميزان خلق حسن ـ وقال بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ، ثم ان الاخوة فى الدنيا والاخوة فى الآخرة واعلم ان الصحبة اما اتفاقى كالصحبة بسبب الجوار اوالاجتماع فى المكتب والمدرسة اوالسوق اوباب السلطان اوالاسفار واما اختيارى وهى فرع المحبة وهى اربعة اقسام ـ

القسم الاول ـ حبك الانسان لذاته وذلك بأن تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ وكل لذيذ محبوب فاللذة تتبع الاستحسان ويتبع هو المناسبة والموافقة من الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون صورته الظاهرة اوالباطنة اعنى كمال العقل المثمر غزارة العلم وحسن الخلق المثمر حسن الافعال وقد تكون الالفة بمناسبة باطنة توجب الالفة فان شبه الشيء منجذب اليه وتلك المناسبة لها اسباب دقيقة ليست فى قوة البشر الاطلاع عليها واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم، الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف،وكان مالك بن دينار يقول، كل انسان يأنس بشكله كما ان كل طير مع جنسه، فرأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك فلما طارا فاذا هما اعرجان فقال من ها هنا اتفقا فقد ظهر منه ان الحب قد يكون لالنفع صورى ويدخل فيه الحب للجمال بدون ملاحظة الشهوة فان الصورة الجميلة مستلذة فى عينها وان فرض عدم الشهوة كما يستلذ الماء والخضرة والازهار فهو محمود فى نفسه وان اتصل به غرض مذموم من الشهوة الحرام صار مذموما وان اتصل بـه غرض مباح لايذم ولايحمد وفى هذا القسم لايدخل حب الله لانه طبيعى وحب الله ليس كذلك

القسم الثانى - لينال من ذاته غير ذاته فيكون المحبوب الغير وهو وسيلة اليه والطريق الى المحبوب محبوب ومنه محبة الذهب والفضة - ثم القصد بالوسيلة اما الى المال والجاه كحب الملوك والسلاطين او العلم كحب التلميذ الاستاذ وليس فى شيء منها محبة الله تعالى اذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى الا انه قد يكون مذموما اذا قصد التوصل الى قهر الاقران بالمال وحيازة اموال اليتامى بالجاه وظلم الرعايا بالعلم بولاية القضاء او غيره وقد يكون مباحا اذا توسل الى مباح اذ الوسيلة يكتسب الحكم والصفة من المتوسل اليه -

القسم الثالث - ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه فى الآخرة كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العلم(١) ومقصوده من العلم والعمل الفوز فى الآخرة فهذا من جهة المحبين فى الله تعالى وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم بل الذى يتصدق بأمواله تقربا الى الله تعالى بل من احب من يواسيه فى المطعم والملبس ليتفرغ للعلم والعمل بل من احب امرأته الصالحة ليتحصن بها من وسواس الشيطان ويصون بها دينه ويولد له ولد صالح يدعو له فكل هذه المقاصد دينية فهو محب لله تعالى -

القسم الرابع - ان يحب لله وفى الله لا لينال منه علما او عملا وليتوصل به الى امر وراء ذاته وهذا اعلى الدرجات وهو ادقها واعظمها وهذا القسم ايضا ممكن ومن آثار هذا الحب ان يتعدى من المحبوب الى من يتعلقه ويناسبه ولو من بعد من محبوب محبوبه ومن يثنى عليه حتى منزله ومحلته وجيرانه حتى قيل ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه - ويشهده التجربة فى احوال العشاق ويدل عليه اشعار الشعراء - فكذلك حب الله تعالى اذا غلب واستولى يتعدى الى كل موجود سواه لأنه اثر من آثار قدرته كمن احب خط حبيبه وصنعته وكذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا حمل اليه باكورة مسح عينها (٢) واكرمها وقال انه قريب

(١) كذا ولعله - العمل - ح (٢) كذا -

العهد

العهد بربه - ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب فى الحال او المآل لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل من الانبياء المنقرضين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين - وحب جميعهم مكنون فى قلب كل مسلم متدين وكل ذلك حب الله لأنهم خواص عباده - واذا عرفت درجات الحب فقد اتضح عندك درجات البغض بالمقايسة لأن من احب لسبب فبالضرورة يبغض لضده فكل عاص لله يبغضه كما يحب المطيع وهذان متلازمان وكل من الحب والبغض دفين فى القلب وانما يترشح عند ظهور افعال المحبين والمبغضين ولكن يشكل حال من اختلط فيه الطاعة والمعصية اذ يلزم فيه الجمع بين الحب والبغض وهما متضادان الا ان الامر ظاهر عند الله تعالى - واما انت فتبغض من جهة عصيانه وتحب من جهة طاعته وذلك ممكن كما اذا كان لك ولد ذكى خدوم لكنه فاسق فانك تحبه من الجهة الاولى وتبغضه من الجهة الثانية وكذلك الحال فى المسلم العاصي فلا تبالغ فى اهانته كاهانتك الكافر ولا تبالغ فى اكرامه كاكرامك المسلم المطيع ثم ينبغى ان يكون ميلك الى طرف الاهانة عند غلبة المعصية والى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الطاعة - وهكذا حال من يطلب رضا الله ويتجنب سخطه - ثم طريق اظهار البغض اما القول او الفعل اما القول فبترك مكالمته ومحادثته مرة او الاستخفاف والتغليظ اخرى - واما الفعل فبعدم اعانته او بالسعى فى اساءته اخرى وهذه مراتب بعضها اشد من بعض ويترشح بحسب درجات الفسق والمعصية - اما درجات المعصية فاما ان يصدر بطريق الهفوة فالاولى فيه الاغماض والستر او بطريق الاصرار على الصغيرة او الكبيرة فان كانت متعدية الى الغير فلا يسامح فيه بل ينكر بقدر ما يرتدع عنه وبقدر ما امكن لك وان لم تكن متعدية الى الغير بل متعدية اليك فقط فطريقه العفو والصفح وان عظمت جريمته كما قطع أبوبكر نفقته على مسطح حين تكلم فى الافك ثم أمره الله تعالى باعادة النفقة اليه وهو قوله تعالى (ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة) الآية واية جريمة اعظم من ان يتعرض لحرم رسول الله

صلى الله عليه وسلم واطالة اللسان فى مثل عائشة رضى الله عنها - واما ان كانت معصية لنفسه فان كانت بينك وبينه مودة فله حكم مخصوص سنذكره والافلابد من اظهار اثر البغض بالقول اوالفعل وما يندرج تحتها من الانواع بحسب مرتبة انزجاره - واقل الدرجات قطع الرفق والنصرة عنه واقواها افساد اغراضه عليه وهذا لابد منه فيما يفسد عليه طريق المعصية لا فى كل أمر - هذا مذهب البعض واختار بعضهم فى المعصية الغيرالمتعدية النظر بعين الرحمة لأنهم مقهورون لما قدر لهم والقدر لاينفع منه الحذر ولكن قديلتبس المداهنة ومراعاة القلوب بالرحمة ومحك ذلك ان ينظر عليه بعين الرحمة ان جنى على خاص حقه ويقول كيف لايفعله وقدكتب عليه وان كان يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهو مداهن مغرور بمكيدة من مكائد الشيطان - فان قلت هل يجب الاعراض وقطع النفقة والاعانة عن العاصي بحيث يأثم من يتركه؟ قلت لايدخل ذلك فى ظاهر العلم تحت التكلف والايجاب لان الصحابة كانوا منقسمين فى حق اهل المعاصى فمنهم من يغلظ القول ومنهم من يكتفى بالاعراض ومنهم من ينظر بعين الرحمة فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرائق السالكين -

المطلب الثانى

فى اقسام المعاصى واحكام كل منها

القسم الاول- الفساد فى الاعتقاد وهو نوعان الاول الكفر فالكافر الحربى يجازى بالقتل والاسترقاق وهذا اقصى الاهانة - والذمى هو الذى ماله وعرضه معصوم لكن يعرض عنه ويحقر بالاضطرار الى اضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام ويقول فى جواب سلامه وعليك والاولى الكف عن معاملته ومخالطته ومؤاكلته واما الانبساط معه والاسترسال اليه فمكروه كراهة شديدة تكاد تنتهى مايقوى منها الى حد التحريم - والثانى المبتدع وهو إما ان يدعو الى بدعته فان كانت بدعته بحيث يكفر بها فأمره اشد من الذمى والا فأمره اخف من الذمى عند الله ولكن اشد عند الناس لأن شره يخاف ان يتعدى الى المسلم بخلاف شر الكافر

واما

واما المبتدع الذى يدعو الى بدعته ويزعم ان ما يدعو اليه حق فشره متعد فالاستحباب فى اظهار بغضه والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه اشد ـ واما رد سلامه فان كان عند الناس فلا يجوز تنفيرا للناس عنه وتقبيحا لبدعته فى اعينهم وان كان فى الخلوة فان ظن ان ترك الجواب يردعه عن بدعته فالترك اولى والا فلا بأس بجوابه ـ واما المبتدع العامى الذى لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره اهون فالاولى ان يتلطف به فى النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان فى الاعراض عنه تقبيح لبدعته فى عينه تأكد الاستحباب فى الاعراض ـ

القسم الثانى ـ العاصى بفعله وعمله لا باعتقاده وهذا على اقسام احدها وهو اشدها ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فالاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم اشد ثم ان فساد هؤلاء اما فى الدماء او فى الاموال او فى الاعراض وبعضها اشد من بعض فالاستحباب فى اهانتهم والاعراض عنهم يتأكد بحسب شدة الفساد وغلظته ـ القسم الثانى الماخور الذى يهيئ اسباب الفساد ويسهل طريقه على الفساق فهذا لا يؤذى الخلق فى دنياهم لكن ينقص بفعله من دينهم فهو قريب من الاول ولكنه اخف منه فان المعصية بين العبد والرب الى العفو والمغفرة اقرب ولكنه من حيث تعديه الى غيره شديد يقتضى الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام اذا ظن فيه او فى غيره نوعا من الزجر ـ

القسم الثالث ـ الفاسق فى نفسه بشرب خمر او ترك واجب او مقارفة محظور يخصه فالامر فيه اخف ولكنه فى وقت مباشرته ان صودف يجب منعه بما يمتنع منه ولو بالضرب والاستخفاف فان النهى عن المنكر واجب واذا فرغ منه وعلم انه مصر عليه فان علم النصح يمنعه من العود وجب النصح وان لم يتحقق ولكنه كان يرجوه فالافضل النصح والزجر لطفا او تغليظا ان كان هو الانفع ـ وان علم اصراره وان النصح لا ينفعه فسير العلماء فيه مختلفة فبعضهم يقول ينبغى

الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته وبعضهم يقول الرفق والنظر بعين الرحمة اولى كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم من لعن من شرب خمرا وقال لا تكن عونا للشيطان على اخيك - او كما قال والحق ان ذلك يختلف باختلاف نيات الرجال والتفاوت فى الاحوال والمفتى فيه القلب والبال اذ لكل من الطرفين خطر اذ العنف قد يكون عن كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصلاح ، والرفق قد يكون عن مداهنة واستمالة قلب -

المطلب الثالث

فى الصفات المشروطة فيمن تصاحبه

اذ ليس كل انسان يصلح للصحبة فالصحبة اما للدنيا كالانتفاع بالمال والجاه اوالاستئناس بالمشاهدة والمحاورة ولا يتعلق بذلك غرضنا - واما الدين وذلك لاغراض منها استفادة العلم والعمل ومنها استفادة الجاه تحصنا به عن أذى من يشوش القلب ويصده عن العبادة - ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات فى طلب الاقوات - ومنها الاستعانة فى المهمات فيكون عدة فى المصائب وقوة فى الاهوال - ومنها التبرك بمجرد الدعاء - ومنها انتظار الشفاعة فى الآخرة - قال بعض السلف، استكثر من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة - وايضا ينبغى فيمن تريد صحبته خمس خصال العقل وحسن الخلق وترك الفسق والابتداع والحرص على الدنيا - اما العقل فهو رأس المال اذ الاحمق يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لايدرى - واما حسن الخلق اذ رب عاقل يغلبه هواه اوغضبه اوشهوته ويخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه - واما الفاسق المصر على الفسق لايخاف الله ومن لايخاف الله لاتؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض - وقال الله تعالى (ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه) واما المبتدع ففى صحبته خطر سراية البدعة وهو مستحق للقطيعة فكيف الصحبة - وقد جمع شرائط الصحبة علقمة العطاردى لابنه لما حضرته الوفاة فقال، يابنى ان عرضت لك الى صحبة

الرجال

الرحال حاجة فاصحب من اذا صحبته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك مدها واذا رأى منك حسنة عدها واذا رأى منك سيئة سدها اصحب من اذا قلت صدق قولك وان حاولت امرا امرك وان تنازعتما فى شىء آثرك - كأنه جمع فى هذا جميع حقوق الصحبة الا ان مثل هذا الرجل عزيز او مفقود ولذلك قيل اوصاه بذلك لأنه اراد أن لا يصحب ابنه احدا - قال بعض الادباء ، لاتصحب من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك فى النوائب ويؤثرك فى الرغائب وينشر حسنتك ويطوى سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك - واما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء والطبع يسرق من الطبع من حيث لايدرى صاحبه -

المطلب الرابع

فى حقوق الصحبة وهى ثمانية

الاول فى المال اذ الاخوة اتحاد معنوى يقتضى الاشتراك فى المال والجاه والمساهمة فى السراء والضراء - وقال الله تعالى (وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) اى كانوا خلطاء فى المال - ومراتبها ثلاث اولاها ادناها ان تنزله منزلة خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك - ثانيتها ان تنزله منزلة نفسك وتشاركه فى مالك وثالثتها وهى العليا ان تؤثره على نفسك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن تمام هذه الرتبة ايثار بالنفس ايضا - روى انه سعى بجماعة من الصوفية الى بعض الملوك فامر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسن الثورى(١) فبادر هو الى السياف ليكون هو اول مقتول فقيل له فى ذلك فقال احببت ان أؤثر اخوانى بالحياة فى هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم فى حكاية طويلة -

الثانى فى الاعانة بالنفس فى قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة ولها ايضا درجات - ادناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة لكن مع البشاشة والاستبشار واظهار الفرح وقبول المنة - وكان فى السلف

(١) كذا ولعله - ابوالحسين النورى - ح

من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجاتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من ابيهم الاعينه بل كانوا يرون منه مالايرون من ابيهم فى حياته ـ وكان الواحد يتردد الى باب دار اخيه ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لايعرف اخوه ـ وبالجملة ينبغى ان تكون حاجة اخيك مثل حاجتك اوأهم وتتقلد منة بسبب قبوله فضلا عن ان ترى لنفسك حقا عليه ولا ينبغى ان يقتصر على قضاء الحاجة بل يجتهد فى البداية بالاكرام فى الزيادة والايثار والتقديم على الاقارب والولد ـ

الثالث وهو السكوت عن ذكر عيوبه فى حضرته وغيبته بل يتجاهل عنه ـ ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم ولايماريه ولا ينا قشه ويسكت عن اسراره فلايبثها الى غيره ولو أخص اصدقائه ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن ويسكت عن القدح فى احبابه واهله وولده وعن حكاية قدح غيره فيه فان الذى سبك من بلغك ولا يخفى ثناء احد عنه فان ذلك سرور للبلغ والقائل واخفاؤه عنه من الحسد ـ وايضا لايفاتح بسؤال غرضه ومورده ومصدره اذ ربما يثقل عليه ذكره اويحتاج الى ان يكذب فيه ـ وبالجملة يسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا فى الامر بالمعروف اوالنهى عن المنكر ولم يجد رخصة فى السكوت فان ذلك احسان اليه وان كرهه ـ اما ذكر مساويه وعيوبه ومساوى اهله فهو من الغيبة وذلك حرام فى حق كل مسلم ويزجرك عنه امران احدهما ان تطالع نفسك فان وجدت فيه امرا مذموما انت عاجز عن تركه فقس على نفسك حاله ـ وثانيهما انك ان طلبت احدا لا عيب فيه لم تجد من تصاحبه فأى الرجال المهذب وانما الكريم من غلبت فيه المحاسن المساوى فالكريم يلاحظ محاسنه واللئيم مساويه ولايوجد احد ليس له مساو اومحاسن وانما الاعتبار للنظر فالمحب يعمى حسه عن عيوب المحبوب والمبغض عينه تبرز كل عيب ـ

الرابع ـ على اللسان بالنطق فان الاخوة كما تقتضى السكوت عن المكاره تقتضى ايضا

النطق بالمحاب اذ الاخوان انما يراد ليستفاد منهم لا ليتخلص عن اذا هم فعليه ان يتودد اليه بلسانه ويتفقده فى احواله التى يجب ان يتفقدها كالسؤال عن عارض ان عرض له واظهار لشغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة احواله التى يكرهها ان يظهر بلسانه وافعاله كراهتها وينبغى ان يظهر السرور بلسانه مشاركة له فى السرور فمعنى الاخوة المساهمة فى السراء والضراء، وفى الحديث اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما امره بالاخبار ليزداد حبا ـ ومن ذلك ان تدعوه بأحب اسمائه اليه فى غيبته وحضوره ومن ذلك ان يثنى عليه وعلى اولاده وفعله حتى عقله وخلقه وهمته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط وآكد من ذلك ان يبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار الفرح به ومن ذلك ان يشكره على صنيعه فى حقه بل على نيته وان لم تتم واعظم من ذلك تأثيرا فى جلب المحبة الذب عنه فى غيبته مهما قصد بسوء او تعرض لعرضه بكلام صريح او تعريض فحق الاخوة التشمير فى الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه فالسكوت عنه موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير فى حق الاخوة ملك معنيان احدهما ان تقدر أن الذى قيل فيه لو قيل فيك وكان اخوك حاضرا ما الذى تحب ان يقوله فيك فينبغى ان تقابل المتعرض لعرضه به ـ وثانيهما ان تقدر أنه حاضر او وراء جدار يسمع قولك ويظن انك ماتعرف حضوره فما كان يتحرك فى قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرأى ينبغى ان تكون فى غيبته كذلك ومن لم يكن مخلصا فى اخائه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والخلوة والجماعة والاختلاف والتفاوت فى شىء من ذلك مما ذم فى المودة وهو دخل فى الدين ووليجة فى طريق المسلمين، ومن لم يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة اولى به من المؤاخاة والمصاحبة فان حق الصحبة ثقيل لايطيقه الا محقق ولاجرم اجره جزيل لاتناله الابتوفيق ـ ومن ذلك التعليم والنصيحة اذ الحاجة الى العلم فوق الحاجة الى المال فاذا وجب مواساته وجب مواساة العلم بالطريق الاولى

وان لم يعمل بعد تحصيل العلم يعلمه فعليك نصحه لكن فى الخلوة لما ذكرناه ولا تظن ان فى ذكر العيوب ايحاش القلب فلا يكون من حقوق الاخوة لأن الايحاش فى عيب يعلمه صاحبه وان لم يعلم فهو عين الشفقة واما ما يعلمه ولا يقدر على دفعه فلا يكشف سره فيه ان كان يخفيه وان كان يظهره فلابد فيه من النصح بالتعريض تارة وبالتصريح اخرى الى حد لا يؤدى الى ايحاش وان علمت ان النصح غير مؤثر وانه مجبور عليه فالسكوت عنه اولى ـ واما ما يتعلق بتقصيره فى حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامى عنه فالتعريض ليس من النصح فى شيء نعم ان كان بحيث يؤدى استمراره عليه الى القطيعة فالعتاب فى السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والكناية خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل ـ

الخامس ـ العفو عن الزلات والهفوات والهفوة اما فى دينه او فى حقك أما الاولى فعليك التلطف فى نصحه بما تقيم اوده وتجمع شمله وتعيد الى الورع والصلاح حاله فان لم تقدر وبقى مصرا فقد اختلف فيه الصحابة والتابعون فذهب ابوذر الى الانقطاع ورأى ذلك من البغض فى الله ، واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه وقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى ـ وقال ابراهيم النخعى لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يرتكبه اليوم ويتركه غدا وكم من اخ زل ولم يتغير عليه اخوه حتى صار باعثا على هدايته ولعله لو ترك لكان باقيا على ذنبه ـ وايضا هذا وقت حاجته وعقد الاخوة مرصدة لوقت الحاجة واى حاجة اشد من فقر الدين فهذه طريقة قوم وهى الطف وافقه من طريق ابى ذر وطريقته احسن واسلم والاكثرون على خلاف ابى ذر رحمه قال الشاعر ـ

واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما

وقال

واست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اى الرجال المهذب

السادس

السادس - الدعاء للاخ فى حياته ومماته فتدعوله كما تدعو لنفسك فانه دعاء لك على التحقيق ، وفى الخبر اذا دعا الرجل لاخيه فى ظهر الغيب قال له الملك ولك مثل ذلك ، وفى الحديث دعوة الاخ لاخيه فى الغيب لاترد ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مثل الميت فى القبر مثل الغريق يعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد اووالد اواخ اوقريب -

السابع - الوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وادامته الى الموت معه وبعد الموت مع اولاده واصدقائه فان الحب امر اخروى فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعى - ومن ثمرات المودة ان لا تكون مع حسد فى دين ودنيا فكيف يحسده وكل ما لاخيه فاليه ترجع فائدته ومن الوفاء ان لايتغير حاله فى التواضع مع اخيه وان ارتفع شأنه وعظم جاهه والارتفاع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال لؤم -

قال الشاعر

ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا من كان يألفهم بالمنزل الخشن

ومن آثار الاخلاص وتمام الوفاء ان يشتد جزعه من المفارقة نفور الطبع من اسبابها وان لايسمع بلاغات الناس على صديقه سيما من يظهر اولا انه صديقه وينقل عنه ما يوغر الصدر فذلك من دقائق الجهل فى التعريف ، ومن الوفاء ان لايصادق عدو صديقه -

الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف بان لايكلف على اخيه ما يشق عليه بل يروح سره عن مهماته وحاجاته ويرفهه عن تحمله شيئا من اعبائه ولا يستمد منه من جاه ومال ولايكلفه التواضع له والتفقد والقيام بحقوقك بل لا يقصد بمحبته الا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا به الى الله بالقيام بحقوقه وبحمل مؤنه وتمام التخفيف على بساط التكليف ان لايستحيي منه فيما لا يستحيي عن نفسه ولا يعترض فى نوافل العبادات ويشاور فى كل ما يقصده ويقبل اشارته ولا يخفي عنه شيئا من اسراره ويرى نفسه دون اخيه ويحسن

الظن به ويسيء بنفسه فاذا رآه خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منه وتنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتخدمهم بجميع جوارحك ، اما البصر فتنظر اليهم نظر المودة يعرفونها منك وتنظر الى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم فى وقت اقبالهم اليك وكلامهم معك ، واما السمع فأن تسمع كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار فيه ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ومنازعة ومداخلة واعراض فان راهقك عارض اعتذرت اليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهونه - واما اللسان أن لا ترفع صوتك عليهم ولا تخاطبهم الا بما يفهمون وقدمر باقى حقوقه - واما اليد انفأن لا تقبضها عن معونتهم فى كل ما يتعاطى باليد - واما الرجلان فأن تمشى وراءهم مشى الاتباع لا مشى المتبوعين ولا يتقدمهم الا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم الا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم اذا اقبلوا ولا يقعد الا بقعودهم ويقعد حيث يقعد متواضعا ومهما تم الاخاء خفت جملة من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فانها من حقوق الصحبة وفى ضمنها نوع من الاجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك فيه الا مسلك نفسه ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف اظهار ما فيها -

المطلب الخامس

فى جمل من آداب المجالسة مع اصناف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء - ان اردت حسن المعيشة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة له ولاهيبة منهم وتوقر فى غير كبر وتواضع فى غير مذلة وكن من جميع امورك فى اوسطها (كلا طرفى قصد الامور ذميم) ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك فى انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلوات وغيرها وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مترتبا وأصغ الى الكلام الحسن

الحسن ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك من الحكايات ولاتحدث عن اعجابك بولدك وجاريتك وشعرك وتصنيفك وسائر ما يخصك ولاتفرط الزينة كالمرأة ولا تتبذل كالعبيد وتوق كثرة الكحل والاسراف فى الدهن ولاتلح فى الحاجات ولا تشجع احدا على الظلم ولا تعلم ولدك وأهلك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان رأوا قليلا هنت اليهم وان كان كثيرا لا تبلغ قط رضاهم واجفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك ـ واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر فى حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ولا تجث ركبتك واذا هدأ غضبك فتكلم ـ وان قربك سلطان فكن منه على حد السنان وان استرسل اليك فلا تأمن من انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبى وكلمه بمايشتهيه ولايحملنك لطفه بك الى ان تدخل بينه وبين اهله وولده وحشمه فان سقطة من هذا دأبة لا ينعس وزلة (١) لا تقال واترك الغيبة والكذب واحفظ السر وأقلل الحوائج وهذب الالفاظ، والاعراب فى الخطاب احسن وذاكر باخلاق الملوك وأقلل المداعبة وأكثر الحذر منهم وان ظهرت المودة ولا تتجشأ بحضرته ولا تتخلل بعد الأكل عنده ـ وعلى الملك ان يتحمل كل شىء الا افشاء السر والقدح للملك والتعرض للحرم ـ واياك وصديق العافية فانه اعدى الاعداء . ولا تجعل مالك اكرم من عرضك واذا دخلت مجلسا فابدأ بالتسليم ولا تتخط لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث تكون اقرب الى التواضع اولى ـ والادب ان تحيي بالسلام من قربت منه عند الجلوس ولاتجلس على الطريق فان وقع فغض البصر وانصر المظلوم وأغث الملهوف واعن الضعيف وارشد الضال ورد السلام واعط السائل وآمر بالمعروف وانه عن المنكر ولا تبصق فى جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك اوتحت قدمك اليسرى ولا تجالس العامة فان فعلت فأدبهم ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى اداجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء الفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة

(١) كذا ولعله فان سقطة من هذا دأبه لا تنعش وزلته ـ ح ـ

واياك ان تمازح لبيبا اوغير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويذهب ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون ويميت القلب ويباعد عن الرب ويكسب الغفلة ويورث الزلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وتتبين العيوب ويقال لا يكثر المزاح الا من سخف اوبطر - ومن بلى فى مجلس بمزاح فليقل قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الاانت استغفرك واتوب - قال النبي صلى الله عليه وسلم من قاله قبل ان يقوم من مجلسه غفرله ماكان فى مجلسه ذلك -

المطلب السادس

فى حق المسلم والرحم والجوار والملك

واخص المخالطة القرابة وذوالرحم المحرم آكد ومنهم حق الوالدين آكد وحق الصحبة لها درجات الصحبة فى الدرس والمكتب آكد ثم صحبة السفر والصداقة اذا قويت صارت اخوة فاذا زادت صارت محبة فاذا زادت صارت خلة والمحبة مايتمكن من حبة القلب والخلة مايتخلل القلب- حقوق المسلم انتسلم عليه اذا لقيته وتجيب اذا دعاك وتشمته اذا عطس وتعوده اذا مرض وتشهد جنازته اذا مات وتبر قسمه اذا أقسم عليه وتنصح له اذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك، وردفى جميع ذلك اخبار وآثار ولاتؤذي احدا بفعل وقول وتتواضع لكل مسلم ولا تتكبر عليهم ولاتبلغ بعضهم ما تسمع من بعض ولا تزيد فى الهجر على ثلاثة ايام ويحسن على كل من قدر على الاحسان عليه ما استطاع لا يميز بين الاهل وغير الاهل ولايدخل على احد منهم الا باذنه بل يستأذن ثلاثا فان لم يؤذن له انصرف ويخالق الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسن طريقه فانه اذا اراد لقاء الجاهل بالعلم والعامى بالفقه والغنى باليسار آذى وتأذى ويوقر المشايخ ويرحم الصبيان ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الاباذن وفى الخبر ماوقر شاب شيخا الاقيض الله له فى سنه من يوقره

وفى هذا اشارة الى دوام الحياة فليتنبه له فلا يوفق لتوقير الشيوخ الامن قضى له بطول العمر ويكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا ولايعده مسلما بوعد الا ويفى به وأن ينصف الناس من نفسه ولا يأتى اليهم الاما يحب ان يؤتى اليه وان يزيد توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم وان يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد اليه سبيلا وان يستر عورات المسلمين كلهم حتى الحدود كما قال صلى الله عليه وسلم لماعز لما اخبره لو سترته بثوبك كان خيرا لك وقال ابوبكر الصديق لو رأيت احدا على حد من حدود الله ما اخذته ولا دعوت له احدا حتى يكون معى غيرى وينبغى ان يتقى مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن والسنتهم عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا وان يشفع لكل من له حاجته من المسلمين عند من له منزلة عنده فيسعى فى قضاء حاجته بما يقدر عليه وان يبدأ كل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام وان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره وان يشمت العاطس ثلاثا واذا زاد فهو زكام يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذى يشمته يرحمكم الله ويرد العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم وايضا اذا بلى بذى شر ينبغى ان يجامله ويتقيه وان يجتنب مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام ويفعل النصيحة لكل مسلم والجهد فى ادخال السرور على قلبه قال معروف الكرخى من قال كل يوم ثلاث مرات اللهم اصلح امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم افرج عن امة محمد كتبه الله من الابدال وينبغى ان يعود مرضاهم والمعرفة والاسلام كاف فى اثبات هذا الحق ونيل فضله وآدابه خفة الجلسة وقلة السؤال واظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وأدبه عند الاستئذان ان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول انا اذا قيل من ولا يقل يا غلام لكن يحمد ويسبح وفى الحديث تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويسأله كيف هو قال عثمان رضى الله عنه مرضت فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا احد من شر ما تجد قاله مرارا ودخل صلى الله عليه وسلم على على رضى الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم انى اسألك تعجيل عافيتك اوصبرا علي بليتك اوخروجا من الدنيا فانك ستعطى احداهن - ويستحب للعليل ايضا ان يقول اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد - وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه اذا اشتكى احدكم بطنه فليسأل امرأته شيئا من صداقها فيشترى به عسلا فيشربه بماء السماء فيجمع له الهنيء المرىء والشفاء المبارك وآداب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر، والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدعاء على خالق الدواء، قال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به فى اول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال تقول لا اله الا الله يحيى ويميت وهو حى لا يموت سبحان رب العباد والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله اكبر كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم ان انت أمرضتنى لتقبض روحى فى مرضى هذا فاجعل روحى فى ارواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدنى من النار كما باعدت اولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى - ومن الآداب ان يشيع جنائزهم وان يزور قبورهم والمقصود الدعاء والاعتبار وترقيق القلب وادب المعزى خفض الجناح واظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم - وادب تشييع الجنازة دوام الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتذكر فى الموت والاستعداد له وان يمشى امام الجنازة بقربها والاسراع بها وجملة الكلام ان لا تستصغر احدا منهم حيا كان او ميتا فتهلك لانك لا تدرى لعله خير منك وان كان فاسقا فلعله يختم بالصلاح وتختم انت بمثل حاله ولا تنظر اليهم بعين التعظيم فى دنياهم فان الدنيا صغيرة الى الله واذا عظمت يستحق المقت ولا تبذل دينك لدنياهم فتصغر فى اعينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو ادنى بالذى هو خير ولاتطمع فيما فى ايديهم فتستعجل الذل ولاتنال الغرض ولاتطمع ان يكون

لك فى الغيب والسر كما فى العلانية فذلك طمع كاذب وأنى تظفر به ولا تتكبر عليهم لاستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة على فعلك، واذا قضى احد حاجتك فهو اخ مستفاد فان لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا - ثم انك لا تقدر مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلايسمع منك ويعاديك ولاتعظ الا ارسالا من غير تنصيص على احد واذا رأيت منهم خيرا فاشكر الله الذى سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم واذا رأيت شرا اوبلغك منهم غيبة اواصابك منهم ما يسوءك فكل أمرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم ولاتشتغل بالمكافأة فيزيد الضرر ويضيع العمر ولا تقل لهم لم لا تعرفون قدرى وموضعى واعتقد أنك لو استحقيت ذلك لجعل الله لك موضعا فى قلوبهم فالله المحبب والمبغض للقلوب وكن سميعا لحقهم اصم من باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم ان صحبوك لايقيلون العثرة ولايغفرون الزلة ولايسترون العورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولاينصفون ويؤاخذون ولايعفون يعيرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات فى صحبتهم ليجبهوك بها فى غضبهم ووحشتهم ولا تعول على مودة من لم تخبره فى حق الخبرة بأن تصحبه مدة فى دار اوموضع واحد فتجربه فى عزله وولايته وغناه وفقره وتسافر معه اويعاملك فى الدينار والدرهم اوتقع فى شدة فتحتاج اليه فان رضيته فى هذه الاحوال فاتخذه ابا لك ان كان كبيرا اوابنا ان كان صغيرا اواخا ان كان مثلك -

المطلب السابع

حقوق الجوار

اعلم ان للجوار حقا وراء ما يقتضيه اخوة الاسلام، وفى الحديث الجار المسلم

ذوالرحم له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم والجار المسلم له حقان الجوار والاسلام والجار الكافر له حق واحد للجوار وليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الأذى بل لابد من الرفق واسداء الخير والمعروف يقال ان الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ويقول يا رب سل هذا لم منعنى معروفه وسد بابه دونى ، وجملة حق الجار أن يبدأ بالسلام ولا يطيل معه الكلام ويكثر عن حاله السؤال ويعوده فى المرض ويعزيه فى المصيبة ويقوم معه فى العزاء ويهنيئه فى الفرح ويظهر الشركة فى السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره ولا فى مصب الماء من ميزابه ولا فى مطرح التراب فى فنائه ولا يضيق طريقه الى داره ولا يتبعه بالنظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته ويعينه اذاانابته نائبة ولا يغفل عن تعهدداره عند غيبته ولا يتسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمه ولا يديم النظرالى خادمه ويتلطف لولده فى كلامه ويرشده الى ما جهله من امردينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التى ذكرناها للمسلمين عامة ، قال صلى الله عليه وسلم أتدرون ما حق الجار إن استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر جدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خيرهنأته وان اصابه مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه واذا اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها ، أتدرون ما حق الجار والذى نفسى بيده لايبلغ حق الجار الامن رحمه الله ــ هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عنه صلى الله عليه وسلم ــ

المطلب العاشر (١)

حقوق الاقارب

قال صلى الله عليه وسلم يقول الله انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمى

(١) كذا وكان قبل هـذا ــ المطلب السابع وسيأتى عقبه المطلب الحادى عشر ــ

فمن

فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته - وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسأ له فى اثره ويوسع له فى رزقه فليتق وليصل رحمه - روى ان عمر رضى الله عنه كتب الى عماله مروا الا قارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا - انما قال ذلك لان التجاور ربما يورث القطيعة -

حقوق الوالدين والولد ، اعلم ان آكد الحقوق القرابة وآكدها قرابة الولاد ، قال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله ، وقال بر الوالدة على الوالد ضعفان وقال الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك ؟ قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحيم لا تسقط ، وطاعة الابوين واجبة فى الشبهات وان لم تجب فى الحرام المحض وليس لك ان تسافر فى مباح اونافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذى هو فرض الاسلام كالنفل لأنه على التأخير والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن فى بلدك من يعلمك قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه اليوم السابع ويسمي ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة زوجه ثم أخذ بيده وقال ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة - وقيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك تسعا ثم هو عدوك اوصديقك - قال صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده ، وقال صلى الله عليه وسلم اذا استصعبت على احدكم دابته وساء سوء خلق زوجته لواحد من اهل بيته فليؤذن فى اذنه -

المطلب الحادى عشر

حقوق الملك

وهو اما ملك النكاح وقد مروا اما ملك اليمين وهو آخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم

مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما احببتم فأمسكوا وما كرهتم فبدلوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء ملكهم اياكم - قال صلى الله عليه وسلم اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شيء يطعمه الحلوى فانه اطيب لنفسه، رواه معاذ - وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم خادمه بطعامه فليمسكه فليأكله معه وان لم يفعل فلينا وله - رواه أبو هريرة - فجملة حق المملوك ان يشركه فى طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء وان يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفواته اوجناياته فى معاصيه وجنايته على حق الله وتقصيره فى طاعته مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته عليه -

الاصل السادس

في آداب العزلة

المطلب الاول

في فضلها وكراهتها

واختار الاول سفيان الثورى وابراهيم بن ادهم وداود الطائى والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشى وبشر الحافى - واختار الثانى سعيد بن المسيب والشعبى وابن أبى ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبدالله وابن عيينة وابن المبارك والشافعى واحمد بن حنبل وجماعة كثيرة -

المطلب الثانى

فى فوائد العزلة وهى ستة

الاولى الفراغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاستكشاف باسرار الله تعالى فى امر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعى فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه

ولذلك

ولذلك تبتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابتداء امره فى جبل حراء وانعزل اليه حتى قوى فيه نور النبوة فكان الخلق بحيث لا يحجبونه عن الله تعالى فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى ولن يتسع للجمع بين المخالطة ظاهرا والاقبال على الله سرا الا قوة النبوة فلا ينبغى ان يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع فى ذلك ولا يبعد أن تنتهى درجة بعض الاولياء اليه ـ وقد نقل عن الجنيد أنه قال انا اكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون انى اكلمهم ـ وهذا انما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وهذا غير منكر اذا لانسان ربما يلقى همه فى امر من امور دنياه ويخالط ولا يحس بهم ولا يسمع اصواتهم وامر الآخرة اعظم عند العقلاء من ذلك ـ واذا عرفت ذلك فمن تيسر بدوام الذكر الانس بالله اوبدوام الفكر تحقق فى معرفة الله فالتجرد له افضل فان المطلب الاعلى ان يموت الانسان محبا لله عارفا بالله وأصل ذلك الخلوة والعزلة ـ

الثانية ـ التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها فى الخلوة وهى اربعة احدها الغيبة وهى التى يتفكه بها الانسان ويتنقلون فهى طعمتهم ولذتهم فاما وافقتهم اثمت اوسكت فكنت شريكا لهم والمستمع احد المغتابين لوانكرتهم فابغضوك واغتابوك فازدادوا غيبة الى الغيبة وربما انتهوا الى الاستخفاف والشتم ـ وثانيها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو أصل من اصول الدين فان سكت عصيت الله تعالى وان أنكرت تعرضت لانواع من الضرر وربما يجره طلب الخلاص منها الى معاصى هى اكثر مما نهى عنه ابتداء ـ وثالثها ـ الرثاء فهو الداء العضال الذى يعسر التحفظ على الاوتاد والابدال وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا وأقل ما يلزم فيه النفاق فانك ان خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منهما بوجه توافقه صرت بغيضا اليهما جميعا وان جاملتهما كنت شرار الناس وأقل مايجب فى مخالطة الناس اظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب إما فى الاصل اوفى الزيادة واظهاد الشفقة بالسؤال عن الاحوال بقولك

كيف انت وكيف اولادك وانت فارغ القلب من همومهم وذلك نفاق محض -
ورابعها مسارقة الطبع لما يشاهد من اخلاق الناس واعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين - ومن جالس فاسقا مدة يرى فى نفسه انه لايستثقل الفساد مثل استثقاله قبل ذلك اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ويسقط استعظامه فاذا طالت صحبته اوشك ان يتخلل القوة الرادعة ويذعن الطبع للميل اليه اودونه ومن طال مشاهدته للكبائر استحقر الصغائر من نفسه ثم وثم بالغا ما بلغ -

الثالثة الخلاص عن الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها وقلما تخلوا البلاد عنها -

الرابعة الخلاص من شر الناس من الغيبة وسوء الظن بك والتهمة عليك والاقتراحات والاطماع الكاذبة التى يعسر الوفاء بها وربما يسيؤون الظن بسبب توهمهم قال المتنبى -

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته واصبح فى ليل من الشك مظلم

الخامسة ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عنهم

اما انقطاع طمعهم عنك ففيه كل الجدوى لأن رضا الناس غاية لاتدرك فاشتغال المرء بصلاح نفسه اولى ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا - واما انقطاع طمعك عنهم فان من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولايرى الخيبة فى اكثر الاطماع فيتأذى به ومهما اعتزل لم يشاهد ولم يشته ولم يطمع ومن شاهد زينة الحياة الدنيا فاما ان يقوى دينه ويقينه فيصبر والصبر امر من الصبر والصبرا ويحتال فى طلبها فيهلك فى الدنيا بالطمع الذى يخيب فى اكثر الاوقات وفى الآخرة بايثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى -

السادسة- الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقاء ومقاساة اخلاقهم فان رؤية الثقيل

هى

هى العمى الاصغر - وايضا فى رؤية الثقيل خوف ارتكاب غيبته واستنكار ماهو صنع الله تعالى وفى العزلة امان من جميع هذه الآفات -

المطلب الثالث

آداب العزلة وهى سبعة

الاولى التعليم والتعلم وهما اعظم العبادات ولايتصور الابالمخالطة، والعزلة قبل تعلم المفروض من العلم عصيان فمن يقدر على التبرز فى علوم الشرع والعقل غاية الخسران ولذلك قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل الا ان المراد ينبغي ان لاتكون اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع والتقدم على الاقران والتقرب عند السلطان وتولى الاعمال واجتلاب الاموال لان هذه الامور هلاك الدين وايضا ان يتعلم علما هو سبب لاثارة الخوف من الله لاما يتوصل به الى افحام الاقران والمنافسة والمباهاة كطلب الكلام الجدلى والفقه الخلافى والمواعظ المزخرفة اذ العزلة خير من تعلم هذه فان صودف طالب لله ومتقرب الى الله فالاعتزال عنه وكتمان العلم عنه اكبر الكبائر الا ان مثل ذلك فى بلد كبير فى زماننا هذا واحد او اثنين - ولقد صدق أبو سليمان الخطابى حيث قال دع الراغبين فى صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولاجمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك ومن اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق وغيمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا فى حاجاتهم ان قصرت فى غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك ثم يعدون ترددهم عليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويعرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك فتعادى عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعدأن كنت متبوعا رئيسا - وهذا كلام حق وصدق رحم الله من قاله فانك ترى المدرسين فى رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليهم فكأنه يهدى تحفة اليه فيرى حقه واجبا عليه وربما

لايختلف اليه مالم يتكفل له على مساعدة اغراضه الفاسدة الذميمة ـ ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك و يبذل دينه وعرضه فى ابواب الظلمة لأجل اغراضهم الذميمة ومع ذلك نسبوه الى الحمق وقلة التميز والقصور عن درك مقادير الفضل وسلقه السفهاء بألسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاساود والآساد ومع هذا كله تمنيه نفسه بالاباطيل وتدليه بحبل الغرور ويقول انما افعله مريدا وجه الله واذاعة شرع رسوله وناشرا دين الله ويصير المسكين ضحكة الشيطان ويؤول سعيه وجده الى الخسران وكيف لا وليس فساد الزمان الابكثرة هؤلاء الفقهاء اولى الضلال والخذلان ـ

الثانية ـ النفع ولانتفاع لأن كلا منهما بالمخالطة فالمحتاج الى الكسب فى جهاد المخالطة وما كان معه مايقنع به فالعزلة افضل واولى الا ان يريد التكسب ليتصدق فهو افضل من العزلة لاجل النوافل لالأجل التحقق فى معرفة الله تعالى ومعرفة علوم الشرع ولامن العزلة للاقبال بكنه الهمة على الله والتجرد به للذكر واما النفع فاما بماله اوببدنه فيقوم بحاجات المسلمين حسبة لله على حدود الشرع فهو افضل من العزلة بنوافل الصلوات والاعمال البدنية ـ واما الاعمال القلبية من المعارف فلا معادل لها اصلا وقطعا ـ

الثالثة التأديب والتأدب بكسر النفس وقهر الشهوات بتحمل اذى الناس وهو افضل من العزلة لمن لم تتهذب بعد اخلاقه كخدام المتصوفة فى الزمان الاول اذهم اليوم توسلوا بالخدمة الى انتفاع المال والتكبر بالاستتباع واما التأديب فهو حال شيخ المتصوفة معهم فلا بدله من المخالطة وحاله معهم حال المعلم مع المتعلم وحكمه حكمه ويتطرق اليه من دقائق الآفات مايتطرق الى نشر العلم كالرئاء الاانه اقل فيهم من غيرهم ولذلك قل اهله ـ

الرابعة ـ الاستئناس والايناس وذلك قد يكون حراما كمجالس الغيبة واللهو وقد يكون مباحا فى الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى ويستحب اذا كان الغرض ترويح القلب فان القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان فى

الوحدة وحشة وفى المجالسة ترويح القلب فهى اولى اذا كان فى بعض اوقات النهار وربما يكون افضل فى حق البعض دون البعض فليتفقد فيه احوال القلب وتأمل احوال الجليس ثم اجلس معه —

الخامسة — فى نيل الثواب وانالته اما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين والجمعة والجماعات وهؤلاء سيما حضور الجمعة والجماعات واجب وليس فى العزلة ما يعادله ، اللهم الا نادرا واما الانالة فهو فتح بابه للتعزية والتهنئة اوالعيادة وكذا الزيارة ان كان عالما — ففى هذه الصور ينبغى ان يوزن ثواب هذه بآفاتها ويرجح ما ترجح —

السادسة — التواضع فانه من افضل المقامات ولايقدر عليه من الوحدة وقد يكون الكبر ايضا سببا فى اختيار العزلة ومانعه عن المخالطة ان لايوقر فى المحافل ولايقدم اويرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خوفا من ان تظهر مقابحه فيتخذ من البيت سترا عليها وعلامة ذلك ان يحب ان يزار دون ان يزور ويفرح بتقرب العوام والسلطان واجتماعهم على بابه وتقبيلهم يده على سبيل التبرك فلا تكون عزلته للاشتغال بنفسه وفى ذلك جهل من وجهين ، احدهما ان التواضع والمخالطة لاتنقص من منصب من هو كبير بعلمه اودينه وكان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يتواضعون غاية التواضع — وثانيهما ان الخلق لايغنون من الله شيئا وان ضرره ونفعه بيد الله وان من طلب رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لاتدرك —

السابعة — التجارب اذ العقل الغريزى كاف (١) بها فى مصالح الدين والدنيا فينبغى ان يتعلم اولا ويحصل ما يكفيه من التجارب ثم يعتزل ومن جملة ذلك الاخلاق الذميمة فى النفس من الحقد والحسد والغضب ونحو ذلك فانها دفينة فى النفس بما يسلم المعتزل عنها ويظن نفسه خالية عنها وعند المخالطة تتحرك ويظهر خبثها فلها فى اظهار الخبائث فائدة جليلة، اذا عرفت فوائد العزلة وآفاتها فينبغى ان ينظر الى الشخص وحاله ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل

---

(١) كذا —

وما وقع فى مدح العزلة او مدح المخالطة من كلام الصوفية والحكماء فليس ذلك على اطلاقه بل ذلك حكاية غالب احواله فلاتغتر بذلك اذ لكل شخص حال ولكل حال حكم - واما آداب العزلة فهى ان ينوى بعزلته كف شره عن الناس اولا ثم طلب السلامة من الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفات الاختلاط ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا ثم ليكن فى خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتنى ثمرة العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش عليه وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم والاصغاء الى اراجيف البلد فان كل ذلك ينغرس فى القلب حتى ينبعث فى اثناء الصلاة او الفكر من حيث لا يحتسب وبالجملة يقطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس وليكن له اهل صالحة او جليس صالح لتستريح نفسه اليه عن كد المواظبة فى اليوم ساعة ففيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر فى العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما فى ايدى اهلها وطريق ذلك ان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسى ويمسى على انه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم واحد والا فلا يسهل عليه الصبر عشرين سنة او تقدير تراخى الاجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل فى قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت ومن انس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وانسه فرحا بفضل الله تعالى عليه ورحمته كما قال تعالى فى الشهداء (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) وكل متجرد لله فى جهاد نفسه فهو شهيد مهما ادركه الموت اذ الجهاد الاكبر جهاد النفس -

الاصل السابع

فى آداب السفر

اعلم ان السفر اما ظاهر بالبدن او باطن بالقلب عن اسفل السافلين الى ملكوت

السموات وهذا اشرف من الاول لكن لما كان فيه خطب خطير وغموض السبيل لم يستغن فيه عن مرشد و دليل ويتوقف ايضا على القناعة بالعيش القليل عن الحظ الجليل اندرست مسالكه وانقطعت فيه الرفاق وخلت عن الطائفين متنزهات الانفس والآفاق فنحن نذكر شروطه وآدابه في مطالب —

المطلب الاول

في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع

واعلم ان للسفر فوائد واقسام القسم الاول طلب العلم وهو إما واجب او نفل بحسب كون العلم واجبا اونفلا وذلك إما بأمور دينية وفي الخبر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، و إما علم باخلاقه في نفسه وذلك ايضا مهم في سلوك طريق الآخرة ولا يمكن الاطلاع على اسرار باطنه وخبائث صفاته مثل ما يطلع عليه بالسفر حتى انه يسمى بالسفر بانه يسفر عن الاخلاق وذلك لأن النفس فيما بين مألوفاتها لا تظهر خبائث اخلاقها فاذا فارقها انكشفت — و إما علم بآيات الله في ارضه اذفي مشاهدتها فوائد للمستبصر وذلك لأنه مامن شيء الا وهو شاهد لله تعالى بالوحدانية و مسبح له بلسان ذلق لايدركه الامن القى السمع وهو شهيد اما الجاحدون المغترون بظاهر زهرة الدنيا فهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون يعلمون ظاهرا من الحياة وهم عن الآخرة غافلون — وما اريد بالسمع السمع الظاهر بل السمع الذي يسمع كلام الجدار من الوتد اذ قال الجدار لم تشقني؟ قال الوتد سل من يدقني فان الحجر الذي ورائي لم يتركني ورائي ، ومامن ذرة في الارض والسموات الا ولو حدانيتها شاهدات ولكن لا يفقهون تسبيحهم ، ومثل هذا السمع واستقراء الاسطر المكتوبة بالخطوط الالهية على صفحات الكائنات لا يحتاج الى السفر بل يمكن وهو في بيته قعيد لمن القى السمع وهو به شهيد ، فاعتبر هذا الملك بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب قل المساعد ، ثم الذي يهلك اكثر من الذي يملك قال المتنبي —

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

ولايتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب - قال الشاعر

واذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الاجسام

وما اودع الله العز والملك فى الدين والدنيا الا فى متن الخطر وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر - قال الشاعر -

يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

القسم الثانى السفر لأجل العبادة اما لجهاد او حج وقد ذكرنا آدابه وقد يدخل فيه زيارة قبور الانبياء والصحابة والتابعين والعلماء والاولياء اذ كل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارة قبره بعد وفاته ولزياة الاحياء فوائد بركة الدعاء والنظر اليهم فان النظر الى وجوه العلماء والصلحاء عبادة ، وفيه ايضا تحريك الرغبة فى الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم مع مايستفاد منهم من انفاسهم وانفاسهم ، واما البقاع فالمساجد الثلاثة لقوله صلى الله عليه وسلم لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى وايضا الثغور للرباط بها لاغير -

القسم الثالث ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين اذ الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ، ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق والاسباب اذ الدين لايتم الابقلب فارغ من غير الله ولايتصور الفراغ من المهمات والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وقد نجا المخففون وهلك المثقلون وهذه نعمة عظيمة من الله تعالى لعباده وله الحمد حيث لم يجعل النجاة فى الفراغ المطلق من جميع الاوزار والاعباء بل قبل المخفف بفضله ورحمته والمخفف الذى ليست الدنيا اكبر همته وكان لايتيسر فى الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه فلا بدله من العزلة والخمول وقطع العلائق التى له عنها بد حتى يروض نفسه مدة الى ان يمن الله تعالى عليه حتى يستوى عنده الحضر والسفر والعلائق وعدمها لكن ذلك مما يعز وجوده جدا ، ومنهم من هرب حذرا من الشهوة(١) اذا اقام فى بلد ومن

المتوكلين من يختار السفر لأنه يرى فى الاقامة اعتمادا على الاسباب ويراه قادحا فى التوكل -

القسم الرابع، الهرب مما يقدح فى البدن كالطاعون او فى المال كغلاء السعر ومايجرى مجراه ولا حرج فى ذلك اذ الفرار قد يجب وقد يستحب بحسب مايترتب عليه من الفوائد ولكن يستثنى عنه الطاعون لورود النهى فى الهرب عنه وستعرف حاله مفصلا فى قسم التوكل واذا عرفت اقسام الاسفار فقد ظهر لك منه ان السفر إما مذموم وهو قد يكون حراما كالاباق وسفر العاق وقد يكون مكروها كالخروج من بلد الطاعون وإما محمود وهو قد يكون واجبا كالحج وطلب العلم وقد يكون مندوبا كزيارة العلماء والمشاهد المتبركة وإما مباح كطلب المال للتعفف عن السؤال واقامة المروءة فى العيال، فاعلم فضيلة السفر وفضيلة الاقامة مثل حال العزلة والخلطة فتعرف احوالهما من حالها والافضل منهما ماهو الاعون فى الدين، والسفر لأجل التعلم محمود والاقامة لاجل العمل محمود واما السياحة على الارض فمن المشوشات للقلب الافى حق الاقوياء اذ الشغل بالحط والترحال مشوش الاحوال - وايضا يشغل قلبه بالخوف على النفس والمال اللهم الا ان يطلب العلم اوشيخا يقتدى فى سيرته وان امكن هذا بدون السفر فالسكون اولى خصوصا طلب شيخ التصوف فانه فى زماننا هذا يعزو جوده على بسيطة الارض اذ اكثرهم تلبسوا بالمرقعات واتخذوا من الخانقاهات منزهات ولبسوا على الناس بما تلقفوا الفاظا من خرفة من الطامات فيظنون بانفسهم خيرا ويتوهمون ان المشاركة فى الظواهر توجب المساهمة فى الحقائق فهيهات ما اغزر حماقة من لايميز بين الشحم والورم واما السائحون من غير مهم فى الدين والدنيا بل لمحض التفرج فى البلاد كالبهائم المترددة فى الصحارى فلابأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم اذلابأس باتعاب حيوان خميس(١) لحظ خسيس يليق به ويعود اليه فالفتوى تقتضى تسييب العوام فى المباحات -

(١) كذا ولعله - خسيس - ح

المطلب الثانى

فى آداب السفر من اول النهوض الى آخر الرجوع وهى احد عشر ادبا ـ

الاول ان يبدأ برد المظالم والودائع وقضاء الديون واعداد النفقة له ولعياله من الحلال وليأخذ قدرا يوسع به لرفقائه ـ

الثانى ان يختار رفيقا لما قيل الرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره اذا نسي ويعينه اذا ذكر والمسافرة وحده منهى عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة نفر وقال خير الاصحاب اربعة ـ وقال اذا كنتم ثلاثة فأمروا احدكم وليؤمروا احسنهم اخلاقا وارفقهم للاصحاب واسرعهم الى الايثار وطلب الموافقة وانما يحتاج الى الأمير لأن الآراء تختلف فى تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ومهما كان المدبر واحدا انتظم الامور وانما انتظم امر العالم لأن مدبر الكل واحد و(لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وخير الرفقاء الاربعة لأن الرجل يحفظه آخر ويحتاج الى آخر عند التردد فى الحاجة ولابد للتردد ايضا من رفيق وما فوق الاربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة فلا ينعقد بينهم التوافق فى الرفاقة الخاصة ، واما الرفاقة العامة فتحتاج الى الجماعة الكثيرة للأمن من المخاوف ـ

الثالث ان يودع رفقاء الحضر والأهل والاصدقاء وليدع لهم وليقل انى استودع الله دينك واماتتك وخواتم عملك، واهله يقولون له زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت ـ

الرابع، ان يصلى قبل السفر صلاة الاستخارة وقد عرفتها ثم يصلى فى بيته اربع ركعات اذا شد عليه ثياب سفره يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله احد ثم يقول اللهم انى اتقربت اليك فاخلفنى بهن فى اهلى ومالى فهى خليفة فى اهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع الى اهله ـ

الخامس اذا حصل على باب الدار فليقل بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله اعوذ بك من ان اضل او ازل او أظلم او اظلم او اجهل او يجهل على ـ فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتى

ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني الى الخير اينما توجهت - وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه فاذا ركب فليقل بسم الله وبالله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون - فاذا استوت الدابة تحته فليقل الحمدلله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان في الامور -

السادس ان يرحل من المنزل بكرة ويستحب ان يبتدئ بالخروج يوم الخميس - روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر وقال اللهم بارك لامتي في بكورها - وروى (ابن) كعب بن مالك عن أبيه قال قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى سفر الا يوم الخميس - روى انس انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لامتي في بكورها يوم السبت - قال عبدالله ابن العباس اذا كان لك الى رجل حاجة فاطلبها اليه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بارك لأمتي في بكورها(١) - ولا ينبغي ان يسافر في بكرة يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم المنسوب اليها فكان اوله من اسباب وجوبها - والتشييع للوداع مستحب وهو سنة -

السابع ان لا ينزل حتى يحمى النهار وهو السنة ويكون اكثر سيره بالليل - قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار - ومهما اشرف على المنزل (فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسألك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذبك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم - فاذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق - فاذا جن عليه الليل فيقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك

---

(١) كذا -

و شر مادب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود و حية وعقرب و من ساكن البلد وو الد و ما ولد، له ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم - و مهما علا شرفا من الارض فى وقت السير يقول اللهم ان لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال - ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة فى سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت - الثامن ان يحتاط بالنهار فلا يمشى منفردا عن القافلة لأنه ربما يغتال و ينقطع من القافلة وان يتحفظ بالليل عند النوم بأن يتناوب الرفقاء فى الحراسة و هو السنة فاذا نام آخر الليل نصب ذراعه وجعل رأسه فى كفه لئلا يشتغل بالنوم فيفوته الصلاة - واذا قصده عدو اوسبع فليقرأ آية الكرسى و شهدالله الآية والاخلاص والمعوذتين و ليقل بسم الله ماشاء الله لاقوة الا بالله حسبى الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتى بالخير الا الله ماشاء الله لايصرف السوء الا الله حسبى الله و كفى، سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لأغلبن انا ورسلى ان الله قوى عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحى الذى لايموت اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واكنفنا بركنك الذى لايرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلانهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك واماتك برأفة ورحمة انك انت ارحم الراحمين -

التاسع ان يرفق بالدابة راكبا ولايحملها مالا تطيق ولايضرب فى وجهها فانه منهى عنه ولا ينام عليها فانه تتأذى به الدابة اذيثقل بالنوم - ويستحب ان ينزل عن الدابة غدوة وعشية وفيه فوائد ترويح الدابة وادخال السرور على قلب المكارى ورياضة البدن والحذر من خدر الاعضاء بطول الركوب وينبغى ان يعرض كل مايحمله على المكارى لئلا يثور بينهما نزاع فليتحرز عن اللجاج وكثرة الكلام مع المكارى -

العاشر يستصحب ستة اشياء بذلك وردت السنة المرءاة والسواك والمكحلة والمشط والقارورة والمقراض وزاد الصوفية الركوة لحمل الماء الطاهر والحبل

لنزع الماء وتجفيف الثوب المغسول وزاد بعضهم الابرة بخيوطها - وبعضهم استغنوا عن الركوة بالتيمم وبالطهارة من الغدران مالم يتيقنوا بنجاستها وعن الحبل بالجبال والارض فيفرشون الثياب المغسولة عليها -

الحادى عشر - فى آداب الرجوع من السفر، كان صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج او غيره يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آئبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده - واذا اشرف على مدينته يقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا - ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره ولاينبغى ان يطرقهم ليلا فقد ورد النهى عنه وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم دخل المسجد وصلى ركعتين ثم دخل البيت وقال توبا توبا لربنا أوبا لايغادر علينا حوبا - والسنة ان يحمل لاهل بيته ولأقاربه تحفة من مطعوم اوغيره على قدر امكانه لان الأعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح به وبذلك يتأكد فرحهم -

المطلب الثالث

فى الآداب الباطنة

وقد ذكر نبذ منها وجملة ذلك ان لايسافر الا لزيادة امر دينى ودنيوى فى دخول كل بلدة ان يرى شيوخها ويجتهد أن يستفيد منهم ادبا اوكلمة ينتفع بها لا ليحكى ذلك عنهم ويظهر أنه لقى المشايخ ولايقيم ببلدة اكثر من اسبوع او عشرة ايام الاان يأمره الشيخ المقصود بذلك ولايجالس فى مدة الاقامة الا الفقراء والصادقين وان زار اخا له فلايزيد على ثلاثة ايام فهو حدالضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقته واذا قصد زيارة شيخ فلايقيم عنده اكثر من يوم وليلة ولايشتغل بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وان كان الشيخ فى بيته فلايدق عليه بابه ولايستأذن عليه الى ان يخرج فاذا خرج تقدم اليه بأدب ولا يتكلم بين يديه الا ان سأله فان

سأله اجاب بقدر السؤال ولايسأله عن مسألة ما لم يستأذن اولا - واذا كان فى السفر فلايكثر ذكر أطعمة البلدان واسخيائهم ولا اصدقاءه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولايهمل فى سفره زيارة قبور الصالحين ويلازم فى الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لايسمع غيره واذا كلمه انسان فليسكت عند(١) الذكر وليجبه مادام يحدثه ثم ليرجع الى ما كان عليه فان تبرمت نفسه بالسفر او بالاقامة فليخالفها فالبركة فى مخالفة النفس فاذا تيسرت خدمة قوم صالحين فلا ينبغى ان يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة وان لم يحصل له فى السفر زيادة فى الدين فليرجع اذلو كان بحق لظهر اثره -

المطلب الرابع

فى رخص المسافر وادلة القبلة والاوقات

والرخص ست رخصتين فى الطهارة المسح على الخف ثلاثة ايام ولياليها والتيمم ورخصتين فى النفل اداؤه على الراحلة واداؤه ماشيا ورخصة فى الصلاة وهو القصر ورخصة فى الصوم وهو الفطر بنية القضاء فى الفرض وتفصيل ذلك فى علم الفقه - واما ادلة القبلة فثلاثة ارضية كالاستدلال بالجبال والقرى والانهار أو هوائية كالاستدلال بالرياح وهما يختلفان فيصعب الاستدلال بهما واما السماوية فالشمس فى النهار فلا بدأن يراعى قبل السفر أن الشمس عند الزوال اين تقع منه اذا توجه الى القبلة أهى على العين اليمنى اواليسرى اوعلى الجبين وكذا بموقع الغروب وبالمشرق ويعرف اختلاف هذه صيفا وشتاء فاذا بعدت البلاد تتفاوت هذه الامور فينبغى ان يسأل من اهلها اويجرب ذلك من مساجدها فان بان انه اخطأ فان وافق الجهة فيها وإلا يعيد الصلاة واما مقابلة الجهة فبأن تقع الكعبة بين الخطين الخارجين من جهة المصلى على هيئة ساقى المثلث الى الافق فان كانت الكعبة ههنا تصح الصلاة والافلا - واما أمر الاوقات ففى كتب الفقه مفصلا فارجع اليها لعلك ترشد بها -

---

(١) كذا ولعله عن - ح -

الاصل الثامن

في آداب السماع والوجد وفيه مطالب

المطلب الاول

في حله وحرمته

قد نقل عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وجماعة من العلماء واما الآثار فمختلفة في الحرمة والاباحة ومهما تعارضت يبقى التقليد الى احد الجانبين قصورا فينبغي ان يبحث عن مدارك الحظر والاباحة ـ اعلم ان أمر الحرمة لايعرف بمجرد العقل بل بالسمع اما بالنص وهو ما اظهره صلى الله عليه وسلم بقوله او فعله او بالقياس فان لم يوجد فيه نص فلم(١) يوجد فيه قياس بطل القول بتحريمه وبقي كسائر المباحات ـ ثم نقول وقد دل النص والقياس جميعا على اباحته ـ اما القياس فهو أن السماع سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك القلب فالوصف الاعم انه صوت طيب ثم هو إما موزون او غيره ثم الموزون إما مفهوم اوغيره فهذه درجات ـ

الدرجة الاولى ـ الصوت الطيب من حيث هو طيب فلايحرم بل حلال بالنص والقياس ـ اما القياس فهو أنه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادراك ماهو مخصوص به وهي إما مستلذة كصوت البلابل او مستكرهة كنهيق الحمار فكما لاحرمة في مستلذات سائر الحواس فكذا فيه كالالوان الخضر في البصر والاطعمة الحلوة في الذائقة واما النص فقوله تعالى (يزيد في الخلق مايشاء) قيل هو حسن الصوت وقد امتن بذلك ـ وفي الحديث مابعث الله نبيا الاحسن الصوت ـ

الدرجة الثانية ـ النظر في الصوت الطيب الموزون والوزن وراء الحسن فهي إما ان تخرج من جماد كصوت القصب والاوتار او من حيوان كصوت العنادل والقماري او من انسان كصوت النغمات من حنجرة الانسان فسماع هذه يستحيل ان تحرم لكونها طيبة او موزونة والالحرم صوت العنادل ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان فينبغي ان يقاس عليه اصوات الحلوق من

---

(١) كذا ـ

الانسان واصوات القصب والدف الا الملاهى والاوتار ولا شك ان حرمتها ليس للذتها والالحرم كل مايستلذه الانسان بل لما حرمت الخمور اقتضت ضراوة الناس بها المبالغة فى الفطام عنها حتى انتهى الامر فى الابتداء الى كسر الدنان نحرم معها ما هو شعار اهل الشرب من الاوتار والمزامير فقط وكان تحريمها من قبيل الاتباع كتحريم الخلوة لكونها مقدمة للزناء وكتحريم النظر الى الفخذ لئلا يتساهل فى ذلك ويؤدى الى التساهل فى السوأتين — وحرم قليل الخمر وان لم يسكر لانه يدعو الى الكثير وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام اووقاية حظارا بما حوله فظهر أن الاوتار والمزامير حرمت لأجل تحريم الخمر لثلاث علل احداها انه يدعو الى شرب الخمر فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر وبمثل هذه العلة حرم قليل الخمر — وثانيتها انها فى قريب العهد بشرب الخمور تذكر بمجالس الانس بالشرب فهو سبب الذكر والذكر سبب انبعاث الشوق وهو اذا قوى سبب الاقدام فمن تذكر بها شرب الخمر فهو فى حقه حرام وفى حق غيره مكروه — وثالثها الاجتماع لما ان صارت عادة اهل الفسق فيمنع التشبه بهم لأن من تشبه بقوم فهو منهم — ولهذا حرمت الكوبة وهى طبل مستطيل رقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحج والغزو — ولهذا حرم المزمار العراقى والاوتار كلها كالعود والرباب والبربط وغيرها وما عداها فليس فى معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقصب وكل آلة يستخرج منه صوت طيب موزون سوى ما يعتاده اهل الشرب — بهذا تبين انه ليس العلة فى تحريمه مجرد الاصوات الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما فى تحليله فساد —

الدرجة الثالثة — الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك خارج من حنجرة الانسان فيقطع باباحته وزاد الا (١) لكونه موزونا والكلام المفهوم غير حرام وكذا الصوت الطيب الموزون فاذا لم يحرم الآحاد فلم يحرم المجموع الا ان يفهم منه

(١) كذا —

امر

امر محظور وذلك حرم نظمه ونثره وحرم التصويت به سواء كان بألحان اولا والحق فيه قول الشافعى الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما كان انشاد الشعر بغير صوت حسن حسنا فمع الالحان لا يحرم اذ المباح لم يحرم فكيف ينكر انشاد الشعر وقد انشد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشد هو ايضا وكذا نقل عن الصحابة سيما على بن أبى طالب وعن التابعين والمجتهدين سيما الامام الشافعى ـ

الدرجة الرابعة ـ النظر فيه من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فاقول لله تعالى سر فى مناسبة النغمات الموزونة للارواح حتى انها لتؤثر فيها تأثير الفرح والحزن والضحك والطرب حتى النوم حتى قيل من لم يحركه الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج لا يقبل العلاج وكيف لا والصبى فى مهده يسكته الصوت الطيب والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء حتى تستخف معه الاحمال الثقيلة وتمدأ عناقها الى جانب الصوت ويترك الماء والعلف بين يديه مع شدة جوعه وعطشه وربما تتلف نفسها فى شدة السير ـ وقد نقل ان الطيور كانت تقف على رأس داود لاستماع صوته ـ ومهما كان النظر فى السماع باعتبار تأثيره فى القلوب لم يجز أن يحكم مطلقا باباحته وحرمته بل يختلف ذلك باختلاف احوال القلب ـ قال ابو سليمان السماع لا يجعل فى القلب ما ليس فيه لكن يحرك ما هو فيه ـ

واذا عرفت هذا فاعلم ان مواضع الغناء لاتخلو عن سبعة ـ

الاول ـ غناء الحجيج بالطبل والشاهين فى وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وهو يهيج الشوق الى حج البيت الحرام واشتغاله ان كان ثمة شوق حاصل والحج محمود والشوق وما يبعثه من الطريق المباح محمود لامحالة ـ ومن هذا القبيل الاشعار التى ينشدها الواعظ للترغيب والترهيب ـ

الثانى ـ ما يعتادة الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك ايضا مباح لكن يخالف

ألحان الحاج لان ذلك للترغيب والتشويق وهذا للتشجيع واستحقار النفس والمال ـ والاشعار المشجعة مثل قول المتنبي ـ

فان لا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتقاسى الذل غير مكرم

وقوله

يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة النفس اللئيم

وامثال ذلك فهذا ايضا مباح في وقت يباح فيه الغزو ومندوب اليه في وقت استحبابه ـ

الثالث ـ الرجزيات في اللقاء بالعدو والغرض منه تشجيع النفس والانصار وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة وذلك اذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان اوقع في النفس وذلك اما مباح او مندوب اليه بحسب اباحة القتال او ندبه ومحظور اذا كان في قتال المسلمين واهل الذمة وكل قتال محظور لأن الداعي الى المحظور محظور وذلك منقول عن شجعان الصحابة كعلي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما ولذلك يمنع من الضرب بالشاهين في معترك الغزاة لانه يحلل عقدة الشجاعة لكون صوته مرققا محزنا فمن فعله ليفتر القوى عن القتال المندوب فهو عاص وعن القتال الحرام فهو مطيع ـ

الرابع ـ اصوات النياحة ونغماتها المهيجة للحزن والبكاء فذلك مذموم ان كان على الاموات للنهي على التأسف على ما فات واما الحزن على تقصيره في امر دينه وبكاؤه على خطاياه والتباكي والتحازن عليه كما فعله داود عليه السلام فمحمود حتى كانت الجنائز تحمل من مجلس نياحته عليه السلام ـ ولهذا لم يحرم البكاء والتباكي على الذنوب من الوعاظ وارباب التذكير ـ

الخامس ـ السماع في اوقات السرور تأكيدا له وتهييجا له وهو مباح ان كان السرور مباحا كالغناء في ايام العيد والعرس وقدوم الغائب وولادة الولد والوليمة والعقيقة وعند الختان وحفظ القرآن اذ كان ما جاز السرور به جاز اثارة السرور فيه ويدل على جوازه انشادهم بالدف والالحان عند قدوم

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم -

طلع البدر علينا، من ثنيات الوداع   وجب الشكر علينا، ما دعا لله داعى

وقوله صلى الله عليه وسلم عند منع أبى بكر جاريتين تدففان وتضربان عند النبى صلى الله عليه وسلم دعهما ابابكر فانها ايام عيد - وكذا نظر عائشة الى الحبشة يلعبون فى المسجد والنبى صلى الله عليه وسلم عندها يسترها بردائه وغير ذلك - فهذه المقاييس والنصوص تدل على اباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب فى اوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد مما يجوز الفرح به شرعا - ومنه الفرح بزيارة الاخوان ولقائهم واجتماعهم على طعام اوكلام فهو ايضا مظنة السماع -

السادس - سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس فان كان فى مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق والشوق وان كان الما ففيه نوع لذة اذا انضاف اليه رجاء الوصول وهذا حلال ان كان ممن يباح له الوصال كمن يعشق زوجته اوسريته فيصغى الى غنائها لتتضاعف لذته فى لقائها وما الحيوة الدنيا الالعب ولهو وهذا منه - واما من يتمثل فى نفسه صورة صبى امرد اوامرأة لايحل له النظر اليها فهذا حرام لأنه محرك للفكر فى الاعمال المحظورة ومهيج للداعية الى مالايحل الوصول اليه وهذا حال الفساق والسفهاء وكثير من الشبان فالسماع ممنوع فى حقهم لما فيه من تحريك الداء الدفين لا لأمر يرجع الى نفس السماع -

السابع - سماع من احب الله سبحانه وعشقه واشتاق الى لقائه فلاينظر الى شىء الا رآه فيه ولا يقرع سمعه قارع الاسمعه منه اوفيه فالسماع فى حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه ومور زناد قلبه ومستخرج منه كمين حبه ويحصل منه احوال من المكاشفات والملاطفات لايحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذواقها وتسمى تلك الاحوال عندهم وجدا اخذا من الوجود لانه صادف من نفسه امورا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم تكون تلك الامور والاحوال سببا

لروادف وتوابع تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كما ينقى الابريز من الخبث فيحصل للقلب الصفاء والنقاء ثم يتبع الصفاء مكاشفات ومشاهدات هى غاية المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها فالمفضى اليها من جملة القربات لامن جملة المعاصى والمباحات وحصول هذه الاحوال بسبب السماع يسر الله تعالى فى مناسبة النغمات الموزونة للارواح ويثمر لها شوقا وفرحا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب فى ذلك من دقائق علوم المكاشفات واما البليد الجامد الطبع القاسى القلب المحروم عن لذة السماع ربما ينكر ذلك ويتعجب من الالتذاذ والوجد واضطراب الحال والشوق وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الصبى من لذة الجاه والرياسة وتعجب الجاهل من معرفة الله وجلاله وعظمته وعجائب صنعته وسبب ذلك ان اللذة نوع ادراك فمن لم يكمل قوة ادراكه فى حق الملتذ به لايدرك اللذة ثم اعلم ان بعضا من الجهال بل بعضا ممن تظنه عالما وهو عالم فى بعض الامور وجاهل فى باب معرفة الله ولم يقدر الله حق قدره ربما ينكر محبة الله تعالى وانت تقلده فى ذلك فوجب علينا كشف اللثام عن وجه المحبة والعشق والشوق الى الله عزوجل واعلم ان المحبة ميل ينشأ من اعتقاد جمال المحبوب فاذا قويت المحبة يسمى عشقا ثم ان الجمال اماصورى وهو تناسب الخلقة وصفاء اللون المدرك بحاسة البصر واما معنوى وهو كمال العظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات وارادة الخيرات لكافة الخلق المدرك بحاسة القلب وقد يحب الانسان لهذه الصفات الباطنة وان لم يرصا حبها كما يحب الانسان ابا حنيفة والشافعى لاعتقاد الكمال فى العلم والدين والاخلاق فيهما ومع ذلك لم يدرك بجمالهما الصورى اصلا نظهر أنه يمكن معرفة الجمال المعنوى بدون رؤية الجمال الصورى ثم ان الجمال الحقيقى فهو الله ولا جمال ولامحبوب فى العالم الا وهو حسنة من حسناته وآثار من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال فى العالم من مبتدأ العالم الى منقرضه ومن ذروة العلى الى منتهى الثرى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من انوار حضرته فليت شعرى كيف لايعقل

حب من هذا وصفه وكيف لا يتأكد عند العارفين باوصافه حبه حتى يجاوز حدا لا يمكن اطلاق اسم العشق ايضا لقصوره عن الانباء عن فرط محبته فسبحان من احتجب عن الظهور للابصار لشدة ظهوره واستتر عن العيون باشراق نوره ولولا احتجابه سبعين حجابا من نوره لأحرقت سبحات وجهه ابصار اللاحظين لجمال حضرته ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول وذهبت القلوب وتجاذبت (١) القوى وتناثرت الاعضاء. ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادى انوار تجليه دكا فأنى يطيق كنه نور الشمس ابصار الخفافيش بل محبة غير الله جهل وقصور نظنه ان فيهم شيئا من الجمال بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله اذ ليس فى الوجود تحقيقا الا الله وافعاله فكانت محبته مقصورة على الله غير مجاوزة الى سواه فكان اسم العشق على حب غيره مجازا محضا لا حقيقة له نعم ان الناقص القريب فى نقصانه من البهيمة قد لا يدرك لفظة العشق الا طالب الوصال الذى هو عبارة عندهم عن تماس ظواهر الاجسام وقضاء شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغى ان لا يستعمل معه لفظ العشق والوصال والانس اذ الافهام الفاسدة السقيمة لا تدرك من الالفاظ الا ما يلائم طباعها فاستعمل معه ما يوافق طبعه من لفظ الكمال والتلذذ بمعرفته وامثال ذلك ـ

المطلب الثاني

فى مواضع حرمة السماع وانها خمس صور

الاولى ـ السماع من امرأة المحرمة النظر اليها والامرد فيحرم السماع لا لنفسها بل لمجاورها ـ الثانية فى الآلة بأن تكون من شعائر الشرب او المخنثين كالمزامير والاوتار وطبل الكوبة ، وما عدا ذلك يبقى على الاباحة كالدف وان كان معه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات ـ الثالثة فى نظم الصوت وهو الشعر ان كان من الخنا والفحش والكذب والهجو فسماع ذلك حرام بالحان وغير ألحان والمستمع شريك القائل وكذلك ما فيه وصف امرأة معينة واما

(١) كذا ولعله ـ وتخاذلت ـ ح ـ

هجاء الكفار واهل البدعة فذلك جائز وقد فعله حسان فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم - واما التشبيب وهو النشيد بوصف الخدود والقدود والاصداغ وسائر اوصاف النساء ففيه نظر والصحيح جوازه ان لم ينزله على معينة ونزله على من تحل له من زوجته وجاريته ومن نزله على اجنبية فهو عاص بهذا التنزيل ومن هذا حاله ينبغى ان لا يحضر مجلس السماع - واما الذى يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلا ظلمة الكفر وبنضارة الخد نور الايمان وبذكر الوصال لقاء الله وبذكر الفراق الحجاب عن الله فى زمرة المردودين وبذكر الرقيب المشوش قروح (١) الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوشة لدوام الانس بالله ولا يحتاج فى تنزيل ذلك عليه الى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق المعانى الغالبة على القلب الى فهمه مع اللفظ حتى ان ما فهمه ربما لا يوافق مراد الشاعر - الرابعة المستمع بان يكون شابا تكون الشهوة غالبة عليه فالسماع حرام عليه وان لم يكن فيه حب شخص معين - الخامسة ان يكون المستمع من العوام ولم يغلب عليه حب الله فيكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه الشهوة فيكون محظورا ولكنه ابيح كسائر اللذات المباحة الا انه بالمداومة يصير لهوا ترد شهادته وبالاصرار يصير كبيرة ونظير ذلك اللعب بالشطرنج عند الشافعية لان مداومته مكروهة كراهة شديدة وان كان اصله مباحا اذ كم من مباح يصير اكثاره حراما كالخبز المباح اكثاره حرام بأن يجاوز حد الشبع - فاما ماورد من الاخبار والآثار الدالة على حرمة الغناء فاما لعوارض محرمة كما ذكرناه او يحمل على الهرب عن تمتع الدنيا او يحمل على حرمة الاوتار او على سماعه عند اشتغاله بما هو اولى منه من ذكر الله تعالى وذكر صفاته وافعاله وامثال ذلك واكثر استعمال السلف الغناء فى اصوات القيان من الجوارى الحسان ولذلك قال الجنيد الغناء رقية الزناء ومن اتقن ما ذكرناه من القواعد سهل عليه تأويل امثال ذلك -

---

(١) كذا -

المطلب

المطلب الثالث

في آداب السماع وثمراته وفيها مقامات ثلاثة

المقام الاول في الفهم وهو يختلف باختلاف احوال المستمع وهي اربعة احدها ان يكون سماعه لمجرد الطبع لا حظ له الا استلذاذه الألحان والنغمات هذا مباح لكنه اخس مراتب السماع اذ تشاركه فيه الابل - ثانيها تنزيله على صورة مخلوق اما معين اوغير معين وهذه الحالة اخس من ان يتكلم فيها الابيان خسيتها والنهي عنها - وثالثها ان ينزل على معاملته مع الله وهذه سماع المريد وربما يمكن حمل كلام واحد على معنيين متخالفين بحسب اختلاف حال المستمع - الرابعة سماع من جاوز الاحوال والمقامات وكان كالمدهوش الغائص في عين الشهود كاللاتي قطعن ايديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام ويعبرون عنه بالفناء عن نفسه - ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره افنى فكأنه فني عن كل شيء الا عن الواحد المشهود وفني ايضا عن الشهود ولاخبر له عن فنائه ايضا مثلا قديعلم الشيء وقد يعلم العلم به ففي الثاني يكون معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق المخلوقين وقدتطرأ في حق الخالق الاانه يكون كالبرق الخاطف اذلو دام لم تطقه القوة البشرية وربما تهلك فيه نفسه فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي اعلى الدرجات الا ان فيه نوع قصور وانما الكمال ان يفني بالكلية عن نفسه وعن احواله فيسمع بالله ولله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شيء اصلابل خمدت بالكلية بشريته وفني التفاته الى صفات البشرية رأسا ولست اعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه لااللحم الصنوبري بل سر لطيف له الى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها الروح الذي هو من امرالله سبحانه عرفها من عرفها وجهلها من جهلها - ولذلك السر وجود، وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكأنه لاوجود الا للحاضر ومثاله المرآة الجلية اذليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل

صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الالوان - وهذا من مقامات علوم المكاشفة منها نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال انا الحق وحولها يدندن كلام النصارى فى دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت اوتدرعها بها اوحلولها فيها على ما اختلف فيه عباراتهم وهو خطأ محض يضاهى غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة اذا ظهر فيها لون الحمرة من مقابلاتها واذا كان هذا غير لائق بعلم المعاملة رجعنا الى الغرض -

المقام الثانى - الوجد وهو عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد جديد عقيبه يجده المستمع من نفسه وتلك حالة لاتخلو من قسمين - فانها اما ان ترجع الى مشاهدات ومكاشفات من قبيل العلوم والتنبيهات او احوال أو تغيرات ليست من العلوم بل كالخوف والشوق والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض فان ضعف ولم يظهر فى الظاهر لم يسم وجدا وان ظهر على الظاهر سمى وجدا إما قويا او ضعيفا وقد لايتغير الظاهر لقوة صاحبه وقديكون السماع سببا لكشف مالم يكن مكشوفا قبله فان الكشف يحصل بأسباب منها التنبيه والسماع منبه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل الورود، ومنها صفاء القلب والسماع مؤثر فى تصفية القلب والصفاء سبب الكشف ، ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ماكان تقصر عنه قبل ذلك قوته بل القلب اذا صفا ربما تمثل له الحق فى صورة مشاهدة او فى لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذاكان فى اليقظة وبالرؤيا اذا كان فى المنام وذلك جزء من النبوة - وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة وربما يشاهد بالبصيرة صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لارباب القلوب بصورة مختلفة وتتمثل ايضا الملائكة للانبياء اما على حقيقة صورها واما على مثال يحاكى صورتها بعض المحاكاة - وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل مرتين فى صورته وأخبر عنه بأنه سد الافق - وفى مثل هذه الاحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب

ويسمى التفرس - وفى الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله - اعلم ان فى نفس الانسان مناسبة للعالم الاعلى وا للذات التى وعد بها فى سدرة المنتهى والفراديس العلى الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسماء - فالسماع يحرك منه الشوق والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه ومستقره الذى اليه حنينه فيتقاضاه قلبه امرا ليس يدرى ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ويصير كالمختنق الذى لايعرف طريق الخلاص - ثم ان الوجد قد يكون بلا كلفة ويسمى الهاجم وقد يكون بالكلفة ويسمى تواجدا فمنه المذموم وهو الذى يقصد به الرثاء ومنه محمود وهو التوصل الى استدعاء الاحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة - فان للكسب مدخلا فى اجتلاب الاحوال وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة ولقد شوهد فى العادات من تكلف حب شخص وعشقه بدوام النظر اليه واكثار ذكره حتى خرج آخرا عن حد اختياره ثم طلب الخلاص ولم يكن له ذلك - فان قلت اذا كان الوجد امرا محمودا فما بالهم يتواجدون بالاشعار مع ان القرآن احق بذلك قلت الوجد بالقرآن كان غالبا فى النبى صلى الله عليه وسلم منها قوله شيبتنى سورة هود لان الشيب من الخوف والحزن وهو وجد - ومنها ان ابن مسعود لما قرأ عليه وانتهى الى قوله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال حسبك وعيناه تذرفان بالدمع، والبكاء وجد وانه كان يصلى ولصدره ازيز كازيز المرجل وهو من الوجد وأمثال ذلك كثيرة - ولذلك وقع الوجد بالقرآن من الصحابة والتابعين يعرف ذلك من تتبع الاخبار وكذا السلف كثيرا تواجدوا بالقرآن حتى ان منهم من خر مغشيا عليه ومات - واما اهل زماننا هذا انما اختاروا الغناء والاشعار لاحد امور سبعة الاول ان جميع آيات القرآن لاتصلح لحال المستمع فلايمكن قراءة البعض وترك الباقى ويمكن ذلك فى الشعر واما الكاملون فيأخذون الوجد من كل آية بقوة الفهم الا ان اهل زماننا قاصرون فى العلم والحال فناسب الاشعار حالهم - الثانى ان القرآن متكرر على القلوب والاسماع فيضعف اثره ولما رأى الصديق اعرابا

يسمعون القرآن ويبكون قال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا - ولاتظنن ان قلبه كان اقسى من قلوب اجلاف الاعراب ولكن التكرر على قلبه اورث قلة التأثر به ولذلك هم عمر أن يمنع الناس من كثرة الطواف - الثالث ان لوزن الكلام تأثيرا فى القلب وذلك فى الشعر - الرابع ان الشعر الموزون يؤثر فى النفس بالالحان وذلك بمد المقصور تارة وقصر الممدود اخرى والقطع فى اثناء الكلمات ومثل هذا التصرف لايحل فى القرآن وانما المأمور فيه الترتيل - الخامس ان الالحان الموزونة تؤكد باصوات اخر كالدف والقضيب والقرآن يصان عن هذا الشأن - السادس ان الكلام اذا لم يوافق حال المستمع يطلب تبديله الى كلام يوافق حاله ليحصل له الوجد ولايمكن ذلك فى القرآن - السابع ان القرآن كلام الله ولا تطيقه القلوب لوسمعت حق السماع فضلا عن ان يحصل به الوجد للسامع - والاشعار توافق حال البشر وشأنه الادنى لمشاكلة المخلوق المخلوق واما القرآن فهو خارج عن اساليب الكلام ومناهجه وهولذلك معجز لايدخل فى قوة البشرية لعدم مشاكلته لطبعه والله اعلم -

المقام الثالث

فى آداب السماع ظاهرا وباطنا وهو خمسة

الاول مراعاة احد امور ثلاثة الزمان ومعناه خلو الوقت عما يشتغل به القلب من الصلاة والطعام ونحوهما - والمكان بان لايكون كريه الصورة يشوش القلب - والاخوان بان لايحضر متزهد منكر لاحوال القلوب اومتواجد مراء يمزق الثوب باختياره لان مثل هذا مشوش للقلب فترك السماع عند فقد شروطه اولى -

الثانى وهونظر للحاضرين ان يحضر مريد يضره السماع وذلك احد ثلاثة اقلهم درجة فى الضرر من رتبته الاعمال الظاهرة ولم يحصل له ذوق السماع فليس هو من اهل اللهو فيلهو ومن اهل الذوق فيتنعم فهو تضييع لزمانه واوسطهم ضررا من له ذوق السماع ولكن فيه بقية من الحظوظ البشرية فربما يهيج السماع

منه

منه داعية اللهو والشهوة فيصير ضرره اكثر من نفعه واعلاهم درجة فى حق الضرر من انكسرت شهوته وامنت غائلته وانفتحت بصيرته لكنه لم يحكم ظاهر العلم فربما سمع لفظا ونزل المسموع على ما لايجوز فى حقه تعالى فيكون ضرره ضرر الكفر نعوذ بالله من ذلك ولذلك قال سهل كل وجد لايشهد له الكتاب والسنة فهو باطل -

الثالث- ان يكون مصغيا الى القوال حاضر القلب قليل الالتفات الى ما يظهر عليهم من احوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته فى سره متحفظا عن حركة تشوش على اصحابه قلوبهم ويحترز عن التنحنح والتثاؤب ويجلس مطرقا مكانه مفكرا مستغرق القلب متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات الى ان غلبه الوجد ويحركه بلا اختيار ومهما رجع الى الاختيار فليعد الى هدوه وسكونه واعلم ان الوجد تارة يؤثر فى الظاهر وتارة لايؤثر وعدم التأثير اما لضعف الوارد من السماع فهو نقصان وتارة لكمال القوة على ضبط الجوارح وهو كمال وتارة يكون حال الوجد مصاحبا له فى غالب الاحوال فلا تغيره طوارق الاحوال ولعل مراد الصديق بقوله قست قلوبنا ان يكون معناه قويت واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد فى كل الاحوال - فرب ساكن اتم وجدا من المضطرب -

الرابع- ان لايقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ، ولكن ان رقص وتباكى لاستجلاب الحزن لا للرثاء فهو مباح - واما تخريق الثوب فلا رخصة فيه عند الاختيار وقد يكون بالارادة لكن يكون كالمكره كاضطرار المريض الى الانين باختياره اذ لو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه اختيارى فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه كالتنفس والزعقة وتمزيق الثوب اذا كان على هذه الطريقة لايوصف بالتحريم ، واما تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد الفراغ من السماع وسكون الوجد فانهم يقطعونها قطعا صغارا ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة فذلك مباح اذا قطع خرقا مربعة لترقيع

الثياب والسجادات ادلاحرمة فى قطع الكرباس الجديد اذا كانت فيه مصلحة فان الكرباس يقطع ثم يخاط منه القميص وانما الذى يكره التمزيق المفسد للثوب - الخامس - موافقة القوم فى القيام اذا قام واحد منهم فى وجد صادق او قام اختيارا بلااظهار وجد فذلك من ادب الصحبة وبالجملة يوافق اصحابه فى كل بدعة لاتزاحم سنة مأمورة اولم ينقل النهى عنه ، مثلا القيام للداخل بدعة لم يفعله الصحابة للنبى صلى الله عليه وسلم لكن لابأس فى بلاد جرت العادة فيها باكرام الداخل وكذلك سائر انواع المساعدة اذا قصد بها طيبة القلب واصطلح عليها جماعة - فان قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق الى الاوهام انه لهو باطل فلا يراه وجد فى الدين الاوينكره قلت ان الجد لايزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر رقص الحبشة لكونه فى وقت لائق به وهو العيد - ومن شخص لايبعد منهم اللهو وهم الحبشة فالمنكر اما منكر الاصرار وهو كذلك اويكره من صدوره عن شخص لايليق به اللهو وهذا ايضا حق - اما انكاره عن العوام احيانا فذلك تقشف اذجوزه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاوقات فما باله يكره مطلقا - واما انكاره صدوره عن شخص ذى علم ودين واهل شيبة ووقار لكن وقع منه بدون الاختيار فذلك من الجهل - اذ سقوط الاختيار لايدخل تحت الاحكام التكليفية يدل على جوازه من العلماء ايضا فى بعض الاحوال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى انت منى وانا منك فحجل علی رضى الله عنه - وقال لجعفر اشبهت خلقى وخلقى فحجل جعفر - وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل زيد - والحجل بفتح المهملة ثم الجيم بمعنى الرقص وقيل ان يثب على احدى رجليه وهو ايضا نوع من الرقص - فقد خرج من هذا التفصيل ان السماع قديكون حراما محضا وقديكون مباحا وقديكون مكروها اما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان ممن غلبت عليهم شهوة النساء والغلمان والمكروه هو الذى يجعله ديدنا ويتخذه عادة له فى اكثر الاوقات على سبيل اللهو واما المباح فهو من التلذذ له (١) الابالصوت الحسن واما المستحب فهو لمن غلب عليه حب الله

(١) كذا ولعله - من لا تلذذ له - ح -

 ولايحرك

ولايحرك السامع منه الا الصفات المحمودة ـ

الاصل التاسع

في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

المطلب الاول

في فضائله ويدل على ذلك بعد اجماع الامة عليه الآيات والاخبار والآثار اما الآيات فمنها قوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وقوله تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لاله الا امرا بمعروف ونهيا عن منكر او ذكر الله ـ وفي الاخبار كثرة الا ان العبرة بقوة الدليل لابكثرتها ولهذا آثرنا الاختصار ـ ومن الآثار ماقال أبو الدرداء رضي الله عنه لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن عليكم سلطانا ظالما لايجل كبيركم ولايرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلايستجاب لهم ويتنصرون(١) فلاينصرون ويستغفرون فلايغفر لهم ـ وعن حذيفة رضي الله عنه يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم وينها هم ـ

المطلب الثاني

في اركانه وشرائطه والاركان اربعة ولكل منها شروط

الركن الاول المحتسب وله شروط اولها ان يكون مكلفا اذ غير المكلف لايلزمه امر هذا شرط الوجوب والا فالصبي ان اراق الخمر وكسر الملاهي فلايمنع عنه وله ثواب ـ ثانيها وهو الايمان وذلك لانه نوع نصرة للدين ولايكون من عدو له ، ثالثها العدالة وقد اعتبرها قوم للنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله والحق ان للفاسق ان يحتسب اذ لاعصمة لجميع الآمرين بالمعروف في السلف ولم يخصوا منهم احدا دون احد وتحقيق ذلك ان الحسبة اما وعظية ويشترط فيها العدالة واما قهرية ولايشترط فيها ذلك الا الذمي اذ ليس للكافرين على المؤمنين سبيل ـ

و رابعها الاذن من جهة الامام والوالى وقد شرطه قوم ولم يجوز الحسبة لآحاد الرعية الا انه شرط فاسد اذ الآيات والاخبار تدل على وجوب ذلك على الكل فالتخصيص تحكم لااصل له ومنع الكافرين على التسلط على المسلم ليس لاجل ذلك حتى يلزم منع الرعايا عنه ايضا بل ذلك لكفره، وتفصيل ذلك ان الحسبة لها خمس مراتب ـ الاولى التعريف ـ والثانية الوعظ بالكلام اللطيف وهما لايحتاجان الى اذن الامام ـ والثالثة السب والتعنيف لا السب بالفحش بل بقوله يا جاهل يا احمق ألاتخاف من الله وهذه وامثال ذلك الكلام صدق قد يحتسب عند الامام فكيف يتوقف على اذنه ـ الرابعة المنع بالقهر بالمباشرة ككسر الملاهى واراقة الخمر ولاحاجة فيها الى الأذن اذ المسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضها ـ الخامس التهديد والتخويف بالضرب أو مباشرته وهو الذى يحتاج فيها الى اذن الامام والاينجر الى القتال من الجانبين ثم ان فى تفاصيل هذه الحسبة كلاما مثلا للولد الحسبة لوالده بالمرتبتين الاولين فقط وليس الحسبة بالاخريين ـ وفى الثالثة ينظر الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا وسخطه قريبا كأراقة خمر من لا يشتد غضبه فالامر ظاهر وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا ككسر آنية بلور عليها صورة حيوان وفى كسرها عظيم خسران فيكتفى فيه بالمرتبتين الاولين واما الرعية مع السلطان فيتعين فيه الرتبتان الاوليان واما الرتبة الثالثة فالى اجتهاد المحتسب اذقد ورد النهى عنه وورد النهى عن التعرض للسلطان فينظر فيه الى تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمة الامام بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه ـ واما الاستاذ فامره اظهر لانه اذا لم يعمل بعلمه لا يجب على التلميذ احترامه ـ وخامسها كونه قادرا اذ العاجز حسبته بقلبه والعجز انما يحسب لحوق المكروه لا العجز الحسى وها هنا اربع احوال، احداها ان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلايجب عليه الحسبة بل ربما تحرم فى بعض المواضع نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر حتى لا يشاهده ـ ثانيتها ان ينتفى عدم النفع والضرب معا فيجب عليه الانكار ـ وثالثتها ان يعلم انه لا يفيد

ولا يخاف مكروها فلايجب بل يستحب اظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بأمر الدين - ورابعتها عكس هذا فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب وانما الحرام تعريض النفس للهلاك من غير اثر وانما يستحب اذا علم ان له اثرا لكن ان علم أنه يضرب معه اصحابه واقاربه ورفقاؤه فلايجوز له الحسبة بل تحرم لأنه دفع منكر يفضى الى منكر آخر اقوى منه وليس ذلك قدرة فى الحقيقة ولما كان كون بعض المنكر اقوى من آخر امرا لايهتدى له العوام اشترط بعضهم اذن الوالى لينصب من هو أهل للحسبة - ثم الظن كاف فى اصابة المكروه ثم التعويل فى هذا الظن على اعتدال الطبع لأن ذلك الظن يقوى بالجبن ويضعف بالتهور ثم المكروه المتوقع لابد له من حد وتحقيقه ان المطالب منحصرة فى اربعة فى النفس بالعلم وفى البدن بالصحة وفى المال بالثروة وفى القلوب بالجاه ففوت كل من هذه مكروه فالفوت اما متوقع اوبالفعل وترك المتوقع فى هذه الاربع لايمنع الحسبة وانما الضرب الحقيقى المانع مع الحسبة فوات الحاصل مثل ان يكون جاهلا بمهمات دينه بالحسبة ولم يجد الا معلما واحدا ويقدر المحتسب عليه منع المعلم عن تعليمه اوبفوت ازالة المرض(١) الحاصل عنه اوبقطع رزقه ولاتوكل له ويحتاج الى حرام اومات جوعا اويزول جاهه ويبتدئ اهل الشر بأذاه فهذه امور مستثناة عن الحسبة اذا ظهرت وقويت لكن لابد أن يزن ظن زواله بميزان الدين لا بموجب الطبع والهوى فان سكت بموجب الدين تسمى مداراة وهى جائزة وان سكت بموجب الهوى تسمى مداهنة فعليك بالنقد فى سبب السكوت فان الناقد بصير وستجد كل نفس ماعملت من خير محضرا عندالله - ولو فى فلتة خاطر ولفتة ناظر وما ربك بظالم للعبيد -

الركن الثانى - ما فيه الحسبة وهو كل منكر موجود فى الحال ظاهر بلاتجسس معلوم كونه منكرا بلا اجتهاد فله شروط اربعة الاول كونه منكرا محظور الوقوع فى الشرع سواء كان معصية اولا كاراقة خمر يشربها الصبيان - الثانى ان يكون موجودا فى الحال والا كمن يعزم على الشرب فى ليلته فعليه الوعظ انعلم النفع والافلا وعظ ايضا - الثالث ان يظهر بغير تجسس لأنه منهى عنه ولايجب

---

(١) كذا -

عليه الاطلاع على ما فى البيوت الا اذا ظهر بأن سمع اصوات الملاهى من خارج فحينئذ يدخل ويغير - وقد أمرنا بأن نستر ما ستره الله وننكر على من ابدى لنا صفحته والابداء باحدى طرق الحواس اذ المقصود العلم ولايجب عليه استعلام ما تحت الذيل لانه تجسس الا اذا كان خمرا رائحته فائحة اوعودا تحت شيء دقيق وعرف شكله ونحو ذلك - الرابع ان يعلم كونه منكرا بلا اجتهاد فليس على الحنفى ان ينكر على الشافعى أكل متروك التسمية والضب والضبع وبالعكس فى شرب النبيذ الغير المسكر وتوريث ذوى الارحام الى غير ذلك واما انكار المذاهب المبتدعة كقول المعتزلى ان الخير من الله دون الشر وقوله كلام الله مخلوق فواجب وذلك مهم بالنسبة الى انكار الاجتهاديات الا ان يكون فى الاعراض تحريك فتنة بالمقاتلة فاذن الحسبة فى امثال هذا الى السلطان اذهو قادر على دفع الفتنة فى امثاله -

الركن الثالث - المحتسب عليه وشرطه ان يكون الفعل فى حقه منكرا بجهة كونه انسانا ولايشترط كونه مكلفا لما عرفت ان الصبى يمنع عن الشرب والمجنون عن الزناء ولايجب رد الحيوان عن افساد الزرع بحسب الحسبة لذا الحسبة للانسان لا للحيوان نعم يجب عليه منع الحيوان ايضا مهما قدر عليه من غير تعب فى بدنه اوخسران فى ماله او نقصان فى جاهه الا انه ليس بطريق الحسبة بل لكونه من حقوق المسلمين وهى كثيرة وهذه ادناها -

الركن الرابع - نفس الاحتساب وله درجات وآداب -

الدرجة الاولى - التعرف وهو منهى عنه لأنه تجسس وقد ذكرناه مثل ان يسترق السمع لصوت الملاهى اويستنشق لرائحة الخمر اويمس مافى ثوبه ليعرف شكل المزمار اللهم الا ان يخبر عدلان ابتداء من غير استخبار فحينئذ له ان يدخل داره -

الدرجة الثانية - التعريف مثل ان يرى ان(١) يصلى بلاتعديل بجهله فعليه التعريف باللطف والا فربما يترك اصل الصلاة اذ الجهل اقبح من كل عيب لكونه عيب النفس

(١) كذا ولعله - من -

النفس فلا يرضى الانسان بظهور جهله فيتلطف ويقول ان الانسان لم يولد عالما ولقد كنا جاهلين بامور الصلاة فعلمنا العلماء ولعل قريتك كانت خالية من اهل العلم اوعالما(١) مقصر في شرح الصلاة وايضاحها انما شرط الصلاة هكذا ويعلم له ما اراد -

الدرجة الثالثة - النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله لمن هو عالم بكونه منكرا واصر على ذلك بعد ان عرف كونه منكرا فيوعظ له ويخوف باخبار الوعيد ويحكى له سيرة السلف كل ذلك بلطف وشفقة من غير غضب ويرحم عليه ويرى ذلك مصيبة على نفسه اذ المسلمون كنفس واحدة لكن يتحرز عند التعريف عن نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فان هذه مصيبة في الوعظ والتذكير وهذه غائلة هائلة وغرور الشيطان يتدلى بحبله كل انسان الامن عصمه الله وعرف عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته واما غير هؤلاء يغتالهم لذتان دالة العلم ودالة الاحكام والسلطنة وهي الشهوة الخفية المتداعية الى الشرك الخفي وله محك وعيار وهو ان كفى غيره مؤنة الوعظ والنصح كان احب عنده اذ حصل الغرض ولم يتحمل ثقل الوعظ على الغير والا فليتعظ نفسه اولا ليعظ الناس -

الدرجة الرابعة - السب والتعنيف بالقول وذلك عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادى الاصرار بالاستهزاء بالوعظ ولايطلق لسانه بالفحش بل يقول يا فاسق يا احمق اما تخاف الله - فان علم انه لايردعه السب والتعنيف فليكتف باظهار الغضب والاستحقار -

الدرجة الخامسة - التغيير باليد ككسر الملاهي واراقة الخمر وان يجر برجله من الدار المغصوبة وينبغي ان لايباشر باليد اذا امكن بدونه ولايجر بلحيته اذا امكن جره برجله وان لايمزق ثوبه الحرير (٢) اذا امكن حل ازاره ونحو ذلك -

الدرجة السادسة - التهديد والتخويف كقوله دع هذا والا لاضربن رقبتك اولاكسرن رأسك وما اشبه ذلك وينبغي ان لايقدم التهديد على تحقيقه ان امكن

(١) كذا - (٢) كذا ولعل الصواب الجديد - لك

وان يهدد بما يقدر على تحقيقه فلا يقول لأنهبن دارك ولا سبين زوجتك لأنه ان قال ذلك عن عزم فهو حرام وان قاله على غير عزم فهو كذب ـ اللهم الا اذا عرف انه يردعه بالمبالغة فانه حينئذ ليس من الكذب المحظور وهذا بمنزلة اصلاح ذات البين وهو غير قبيح ـ ومن هذا قال بعضهم، يجوز من الله تعالى ان يتوعد بما لا يفعل لان الخلف فى الوعيد كرم وانما يقبح ان يعد بما لا يفعل ـ وهذا القول غير مرضى فى حق الله عزوجل فان الكلام لا يتطرق اليه الخلف وعدا كان او وعيدا وانما ذكره يتصور فى حق العباد اذ الخلف فى الوعيد ليس بحرام ـ الدرجة السابعة، مباشرة الضرب باليد والرجل بدون شهر سلاح وان احتاج الى شهر سلاح فيجوز ذلك على المحتسب كتخليص امرأة من فاسق اذا كان بينهما نهر حائل فان لم يخل فله الرمى لكن يقصد الساق والفخذ دون المقتل وبالجملة يرعى التدريج فى الكل واما العامى فليس عليه شهر السلاح بحال اصلا ـ

الدرجة الثامنة، الايقدر بنفسه ويحتاج الى الاعوان وربما يكون للفاسق ايضا اعوان فيؤدى الى ان يتقاتل الصفان ومثل هذا لايجوز الا باذن السلطان اذ ربما يؤدى الى هيجان الفساد وخراب البلاد والا ان القياس جوازه للكل ـ

المطلب الثالث

آداب المحتسب وهى ثلاثة

احدها ان يعلم موانع الحسبة ومواقعها،وثانيها الورع اذ ليس كل من علم عمل بعلمه،وثالثها حسن الخلق اذ العلم والورع لايكفى فى اللطف والرفق مالم يكن لصاحبه حسن الخلق ومن الآداب تقليل العلائق حتى لايكثر خوفه ويقطع الطمع حتى تزول عنه المداهنة ولنذكر ههنا شيئا من الآداب المخصوصة منها منكرات المساجد يمنع من قصر فى امر الصلاة على مذهبه ينبه على لحن قراءته سيما الفاتحة وان كان قادرا فليتعلم والا فمقدار ما قدر،ومنها تراسل المؤذنين وتغييرهم كلمات الاذان لرعاية الالحان وكذا عدم رعايتهم الاوقات ومنها لبس الخطيب ثوبا اسود فيه ابريسم اوممسكا لسيف مذهب والحرير حرام واحب الثياب البيض

والاسود

والاسود ليس بحرام - منها الواعظ المبتدع اوالذى الرجاء يكثر اذ الخلق احوج الى الخوف منهم الى الرجاء وكذا حضور النساء مجلسه وهو شاب متزين كثير الاشعار والاشارات والحركات ويمنع النساء من حضور المساجد للصلاة ولمجالس الذكر اذا خيف الفتنة ، ومنها دخول المجانين والسكارى الا ان يعلم سكونهما وسكوتهما ولا بأس بدخول الصبى اذا لم يلعب، ومنها منكرات الاسواق كالكذب واخفاء العيب وبيع الملاهى والاوانى المحرمة، ومنها منكرات الشوارع نحو تضييق الطريق بالابنية ووضع الاحمال وتنجيس الطريق وترك مياه المطر والاوحال والثلوج، منها منكرات الحمامات من صور الحيوانات وكشف العورات والانبطاح لتغميز الافخاذ وتنجيس الاوانى والمياه وترك الاحجار المزلقة اوجعلها مزلقة بغسل الثياب بالصابون ونحوه، ومنها منكرات الضيافة كالفرش المحرمة والمبخرة المحرمة والاشربة المحرمة وستور عليها صور وسماع الاوتار والقينات ونظر النساء على الرجال الشبان وحرمة الاطعمة والاجتماع مع من يلبس الحرام ومع اهل البدع وان كان فيه مضحك بالفحش والكذب يجب منعه وان لم يقدر فلا يحضر واما المزح بلا فحش ولا كذب فهو مباح الا ان يتخذه صنعة وذلك مكروه والكذب الذى لا يقصد به التلبيس ليس من المنكرات كقولك كلمتك اليوم مائة مرة اواتيتك الف مرة اذ ليس يقصد به التحقيق بل المبالغة وذلك لا يقدح فى العدالة ولا ترد به الشهادة وكالسرف فى الطعام والبناء ، ومنها صرف المال الى القينات والمغنيات واسراف جمع(١) حرام بحيث يبقى عياله بلا شىء سيما فى المحرمات الا اذا انفق فى وجوه البر وله قدم صدق فى التوكل، ومنها منكرات العامة مثل ان يقعد فى بيته ولا يصرف ما فضل عن فرض العين الى فروض الكفاية كان يخرج الى القرى المجاورة لبلده ويعلم اهلها اركان الصلاة وشرائط الطهارة وسائر الفرائض الا ان يفعله البعض وانما يجب التبليغ على اهل العلم وان علم مسألة واحدة فهو من اهل العلم بها يجب تبليغها والاثم فى ذلك على الفقهاء اشد لأن قدرتهم فيه اظهر لأن العلم يجب العلم به اولا لنفسه ثم لأهل بيته ثم لاقاربه وجيرانه ثم وثم حتى ينتهى

---

(١) كذا -

الى ان يخرج الى السوق ويغير منكراتهم وان قدر على تغيير البعض فلا يكون عدم تغيير الباقى عذرا فى عدم الخروج ويتعدى منهم الى اهل القرى ثم اهل البادية وهكذا الى اقصى العالم فان قام به الادنى سقط عن الابعد والا يأثم كل عالم على وجه الارض -

المطلب الرابع

فى امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

والجائز معهم الرتبتان الاوليان من درجات الحسبة وهما التعريف والوعظ واما تخشين القول والمنع بالقهر فيهيج الفتنة فى حقهم فلا يجوز الا اذا اختص الضرر بنفسه فقط فعند ذلك يندب قال صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وقال خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه فى ذات الله فقتله على ذلك ولذلك كانت الصحابة والتابعون اجترؤا على الملوك والسلاطين ولم يبالوا ببلية وعذاب واخلصوا النية فلهذا اثر كلامهم فى الظلمة ولين قلوبهم القاسية كما هو مسطور فى كتب التواريخ والاخبار واما الآن فقد قيدت الاطماع ألسن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد اقوالهم احوالهم فلم ينجحوا ولا صدقوا الله قصدوا حق العلم لا فلحوا ففساد الرعية بفساد الملوك وفسادهم بفساد العلماء وفسادهم باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل والصعاليك فكيف على الاكابر والملوك اللهم اعصمنا من العلم بلا عمل والميل الى الدنيا ولا تخلط اعمالنا بالسمعة والرياء انك انت المستعان يا كريم يا منان وتفضل علينا بالاحسان والانعام يا ذا الجلال والاكرام -

الاصل العاشر

فى اخلاق النبوة

ليكون انموذجا لمن طلب تزكية الاخلاق ونتيجة لما ذكر فى هذه الاوراق وكان صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله عزوجل ان يزينه

بمكارم الاخلاق والآداب وكان دائما يقول اللهم حسن خلقي وخلقي حتى استجاب الله دعوته وانزل عليه القرآن وعمل بما فيه حتى كان خلقه القرآن كما هو المأثور عن عائشة رضي الله عنها - ثم رغب الناس في حسن الخلق قال بعثت لأتمم مكارم الاخلاق وبين للناس ان الله تعالى يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها - كان صلى الله عليه وسلم حسن العشرة وكريم الضنيعة لين الجانب وكان يحب بذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم براكان اوفاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاوره مسلما كان أوكافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم واجابة الدعوة للطعام والدعاء عليه والعفو والاصلاح بين الناس ، والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واذهب بدين الاسلام اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتروكل دخل والكذب والغيبة والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الارحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والمدح والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم - وكانت وصيته تقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحم اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح ونهى ان تسب حكيما اوتصدق كاذبا اوتكذب صادقا اوتطيع آثما اوتعصي اماما عادلا اوتفسد ارضا ، واوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة، السر بالسر والعلانية بالعلانية - ومن اخلاقه صلى الله عليه وسلم انه كان احلم واشجع واعدل واعف ولم تمس يده يد امرأة لا يملك رقها اوعصمة نكاحها اوتكون ذات رحم محرم وكان اسخى لا يبيت عنده دينار ولادرهم وان فضل ولم يجد من يعطيه لم يأو الى منزله حتى يبرأ منه الى من يحتاج اليه لايأخذ مما آتاه الله الاقوت عامه فقط من ايسر ما يجد من التمر والشعير وينفق غيره في سبيل الله لايسأل شيئا الا اعطاه وربما يؤثر من قوته وكان يخصف النعل ويرقع

الثوب ويخدم فى مهنة اهله و يقطع اللحم معهن ، وكان اشد الناس حياء لايثبت بصره فى وجه احد يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافئ عليها و يأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه لا لنفسه وينفذ الحق وان اضر على نفسه وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويأكل ما حضر ولايرد ماوجد برا او شعيرا او حلوى او عسلا او لبنا لا يأكل متكئا ولا على خوان منديله باطن قدمه لم يشبع من خبز بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقى الله ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس ، وكان احسن الناس بشرا و تواضعا وابلغهم فى غير تطويل لا يهوله شيء من امور الدنيا و يلبس ما وجد شملة وبرد حبرة يمانيا وجبة صوف وخاتمه فضة يلبسه فى خنصره الايمن والايسر يردف خلفه عبده او غيره ويركب ما امكنه فرسا وبغلة وحمارا وبعيرا ويمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويكرم اهل الفضل فى اخلاقهم ويتألف اهل الشرف بالبر لهم يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو افضل منهم لايجفو على احد، يقبل المعذرة ويمزح ولايقول الاحقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح ولا ينكره و يسابق اهله وترفع الاصوات عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم فى مأكل وملبس يمضى اوقاته فى عمل الله تعالى او فيما لابد له يخرج الى بساتين اصحابه لا يحقر مسكينا ولايهاب ملكا يدعو كليهما الى الله دعاء واحدا ـ قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمى لايكتب ولايقرأ نشأ فى بلاد الجهل والصحارى فى رعاية الغنم يتيما لا اب له ولا ام فعلمه الله جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار الاولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول ـ وفقنا الله لطاعته والتأسى به فى فعله آمين يارب العالمين ، ومن آدابه صلى الله عليه وسلم

ماشتم احدا الا جعل له كفارة ورحمة وما لعن احدا وكان يقول انما بعثت رحمة ولم ابعث لعانا وما يدعو على احد كافرا او مسلما وماضرب بيده احدا الا فى سبيل الله وما انتقم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما الا ان تكون ثمة اثم او قطيعة رحم وما كان يأتيه حرأ وعبد اوامة الا قام معه فى حاجته وما قال لمن يخدمه لم فعلته ولالام احدا (١) الاقال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر ، وربما يضطجع على الفراش وعلى الارض ولا يأخذ احد يده ولا يكلمه احد الا يكون هو الذى يرسلها اوهو الذى ينصرف اولا وكان اكثر جلوسه الحبوة وكان يجلس حيث ينتهى به المجلس ويجلس مستقبل القبلة وكان يؤثر الداخل بالوسادة التى تحته فان أبى عزم عليه حتى يفعل وكان يدعوا اصحابه بل النساء والصبيان بكناهم وكان ابعد الناس غضبا فاسرعهم رضا وكان لا ترفع فى مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله الا انت أستغفرك واتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبرئيل عليه السلام ، واما كلامه وضحكه ، كان افصح الناس نطقا واحلاهم كلاما وكان لا يسرد الكلام وكان اوجز كلاما ويتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير ، وكان بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان جهيرا لصوت احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم فى غير حاجة ولا يقول فى الرضا والغضب الا الحق وكان اكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه اصحابه وربما ضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن اويذكر الساعة اويخطب بخطبة عظة وكان اذاسر ورضى فهو احسن الناس وان وعظ وعظ بجد ،وان غضب ولم يكن يغضب الالله لم يقم لغضبه شىء ، وكان اذا نزل به الامر فوض الامر وتبرأ من الحول والقوة ، اما آدابه فى الأكل فكان يأكل ما وجد وكان يحب كثرة الايدى

(١) كذا وهو تصرف فى حديث انس وأصله فى الاحياء ـ وما لامنى احد من اهله الاقال الخ ـ

على الطعام وكان يجلس عند الأكل كما يجلس المصلي الا ان الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم وكان لا يأكل الحار ويأكل مما يليه باصابعه الثلاث، وربما استعان بالرابعة وكان يأكل خبز الشعير غير منخول ويأكل القثاء بالرطب ويحب البطيخ والعنب ويأكل البطيخ بالخبز وبالسكر وربما أكله بالرطب ويستعين باليدين جميعا ،وكان يحفظ نوى الرطب في يساره فعرض النوى بالشاة (١) فجعلت تأكل في يده اليسرى وهو صلى الله عليه وسلم يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة ، وربما أكل العنب خرطا يرى رؤاله على لحيته كحدر اللؤلؤ وهو الماء الذي يقطر منه ، وكان اكثر طعامه التمر والماء وكان يجمع التمر باللبن ويسميهما الاطيبين ، وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة وكان يأكل الثريد باللحم والقرع ويأكل الخبز والسمن ويحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة وقال العجوة من الجنة وشفاء من السم والسحر، كان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء ولا يأكل الثوم والبصل والكراث وكان يكره أكل الكليتين لمكانهما من البول وكان يعاف القلب والطحال وان عاف طعاما تركه ولم يبغضه الى غيره وكان يلعق الصفحة ويقول آخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه حتى تحمر ثم يمسح بالمنديل ويغسل يديه من الخبز واللحم خاصة ثم يمسح بالماء على وجهه ، وكان يمص الماء مصا ولا يعب عبا ويشرب في ثلاث دفعات فيها ثلاث تسميات وفي اواخرها ثلاث تحميدات وربما يشرب بنفس واحد واذا تنفس ينحرف عن الاناء ويدفع فضل سؤره الى من على يمينه ، فان كان من عن يساره اجل رتبة قال للذي عن يمينه السنة ان تعطى فان احببت آثرتهم ، وأتى باناء فيه عسل ولبن وقال شربتان في شربة واداما ن في اناء واحد ثم قال لا أحرمه ولكني اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا وأحب التواضع فان من تواضع لله رفعه ، وكان

(١) واصله حديث في الاحياء .... فمرت شاة فاشار اليها بالنوى فجعلت – الخ –

في

فى بيته اشد حياء من العاتق لايسأ لهم طعاما ولايتشهاه عليهم وان اطعموه أكل وما اعطوه قبل وما سقوه شرب وربما قام فأخذه بنفسه واما لباسه فما وجده من ازار اورداء اوقميص اوجبة ويعجبه الخضر ويكثر لباس البياض وكان يلبس القباء المحشو للحرب وكانت ثيابه فوق الكعبين وازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار فى الصلاة وغيرها وكان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انا عبد ألبس كما يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره وكان يتختم وربما خرج وفى خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشىء وكان يختم به على الكتب ، وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوة من رأسه فجعلها سترة فى صلاته وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب وهبها من على رضى الله عنه وكان اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا - وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان اونحوه وعرضه ذراع وشبر اونحوه ، وكانت له عباءة تفترش له حيث يتقل تثنى طاقتين تحته ، وكان ينام على حصير ليس تحته شىء غيره ، وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه فكان اسم رايته العقاب واسم سيفه ذوالفقار وآخر المخذم وآخر الرسوب وآخر القضيب وكانت قبيعة سيفه من الفضة وكان يلبس المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق من فضة وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور واسم فرسه المرتجز وناقته القصوى ويقال لها العضباء وبغلته الدلدل وحماره يعفور وشاته التى يشرب لبنها عنبة وكان له مطهرة من فخار يتوضأ ويشرب منها ويرسل الناس اولادهم الصغار الذين قد ميزوا فيدخلون ويشربون منه ومسحوا على وجوههم واجسادهم يبتغون بذلك البركة ، وكان صلى الله عليه وسلم احلم الناس وارغبهم فى العفو مع القدرة ، وكان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف فى

وجهه غضبه ورضاه واذا اشتد وجده اكثر من مس لحيته وكان اجود الناس واسخاهم سيما فى رمضان وما سئل شيئا قط على الاسلام الا اعطاه وكان انجد الناس واشجعهم وكان الشجاع هو الذى يقرب منه فى الحرب ، وكان اشد الناس تواضعا فى علو منصبه ، قال ابن عمر رأيته صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة على ناقته صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة ومع ذلك كان يستردف ، وكان اصحابه لايقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يسلم على الصبيان وكان لا يأكل على خوان ولاعلى سكرجة حتى لحق بالله عز وجل ، وكان لا يدعوه احد من اصحابه وغيرهم الا قال لبيك واتى برجل فارعد من هيبته فقال له هون عليك فلست بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد ، وربما تكلم مع الناس فى امر الآخرة وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه ويذكرون من امر الجاهلية فيضحكون وهو يتبسم رفقا بهم وتواضعا ولا يزجرهم الا عن حرام وكان صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب الى الربعة وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولها فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب هو الى الربعة وكان ازهر اللون لم يكن بالآدم ولا الشديد البياض وكان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط وكان شعره يضرب منكبيه واكثر الرواية انه الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربعا يخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على اذنه فتبدو سوالفه تتلألأ ، وكان شيبه فى الرأس واللحية سبع عشرة شعرة فقط ، وكان واسع الجبهة ازج الحاجبين وابلج ما بينهما وعيناه نجلا وان ادعجهما مع مزج حمرة فيهما ، وكان أهدب الاشفار تلتبس من كثرتها وأقنى العرنين مفلج الاسنان اذا ضحك افتر عن سنا البرق اذا تلألأ وكان من احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم ، وكان سهل الخدين صلبهما لا بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفى لحيته ويأخذ من شاربه وكان من احسن الناس عنقا لاينسب الى الطول ولا الى القصر ماظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه ابريق فضة مشرب

ذهبا

ذهبا يتلألأ فى بياض الفضة وحمرة الذهب ، وكان عريض الصدر موصول ما بين لبته وسرته منقادا (١) كالقضيب لم يكن فى صدره ولا بطنه شعر غيره، كانت له عكن ثلاث يغطى الازار واحدة منها وتظهر اثنتان - وكان عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس اى رؤس العظام من المرفقين والوركين وكان واسع الظهر بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلى منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الاطراف وكانت اصابعه قضبان الفضة وكفه الين من الحرير وكأن كفه كف عطار طيبا مسها بطيب اولم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه ، وكان عبل ما تحت الازار من الفخذ والساق وكان معتدل الخلق فى سمن بدن فى آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السن وكان يمشى كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيا ويمشى الهوينا بغير تبختر ، والهوينا تقارب الخطى ، واما معجزاته وآياته فخارجة عن حد العد والاحصاء سيما المعجزة الكبرى الباقية الى آخر الدهر تحدى بها بلغاء عدنان وفصحاء قحطان وجزيرة العرب مملوءة بالآلاف منها ، ونادى بين اظهرهم بان يأتوا بمثله او بعشر سور من مثله او بسورة من مثله ان شكوا فعجزوا عن ذلك عن آخرهم حتى عرضوا انفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبى فما استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا فى حسنه وجزالته ثم انتشر ذلك بعده صلى الله عليه وسلم فى اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر فلم يقدر أحد على معارضته فأعظم بحمق من رأى معجزاته واخلاقه وآدابه ثم فى استمرار شرعه الى قريب من خمسين وتسعمائة ثم فى انتشاره فى اقطار العالم واذعان ملوك الارض فى عصره وبعد عصره والمدة ما ذكر ثم يتمارى بعد ذلك فى صدقه وخلود شرعه الى انقراض الدنيا فنسأل الله ان يوفقنا للاقتداء به فى الاخلاق والاقوال والافعال والاحوال انه الكريم

(١) عبارة الاحياء " ... وسرته شعر منقاد

ذوالجلال وهو العليم بكل الحال بمنه وجوده ـ

الشعبة الثالثة

في ربع المهلكات وفيه عشرة اصول اثنان منها مقدمة للبواقي

الاصل الاول

شرح عجائب القلب ولنذكر اولا عدة الفاظ نافعة في الباب ، احدها القلب وله معنيان احدهما اللحم الصنوبري المودع في الجانب الايسر من الصدر وفي باطنه دم اسود وهو منبع الروح الحيواني وهو من عالم الملك والشهادة ، وثانيها لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وهي حقيقة الانسان وهي المدرك العالم العارف المخاطب والمعاتب والمعاقب والمطالب وهذا من عالم الغيب وقدنهينا عن شرح حالها ، الثاني لفظ الروح وله ايضا معنيان احدهما جسم لطيف منبعه تجويف الجسم الصنوبري وتنتشر بواسطة العروق الضوارب الى البدن ويفيض بسببه قوة الحياة والحس والبصر والسمع والشم ، وثانيها ثاني معنى القلب ـ الثالث لفظ النفس وله ايضا معنيان احدهما الامر الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان وعلى اكثر اصطلاح المتصوفة ، وثانيها ثاني معنى القلب والروح ـ الرابع العقل وله ايضا معنيان احدهما العلم بحقائق الامور ، وثانيها المدرك لحقائق الامور اعني اللطيفة المذكورة ـ

بيان جنود القلب وهي ثلاثة اصناف باعث اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة اوالى دفع الضار المنافي كالغضب ويسمى هذا الباعث ارادة ، ومحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد مسمى بالقدرة وهي امور مبثوثة في سائر الاعضاء سيما العضلات منها والاوتار ومدرك متعرف للاشياء كالجواسيس وهي مبثوثة في مواضع معينة كالحواس الظاهرة المستخدمة للاعضاء الظاهرة المركبة من اللحم والشحم والدم والعظم ، وهذه من عالم الملك والشهادة ولها حواس باطنة من الحس المشترك والتخيل والتفكر والتذكر والحفظ والذي يبحث عنه هي الحواس الباطنة ويمثل القلب مع جنوده الباطنة كالملك والوالي

اعني

اعنى الروح مع مملكته ومدنيته اعنى البدن و قوته العقلية و زيره العاقل وشهوته كعبده السوء الجالب للميرة فمتى انقاد للوزير خلص من مضرة العبد المكار والا هلك وكذا الغضب صاحب شرطته فاذا تبع رأى الوزير يأمن ضرره. والافات قانون العدل فى المملكة ثم ان الانسان (١) فى تركيبه اربع قوى وهى. السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليها احدى هذه الصفات تتولد اخلاق رديئة اما الاول فكالعداوة والبغضاء والتهجم على الناس. بالضرب والشتم - واما الثانى فكالشره والحرص والشبق- واما الرابع فكحب الاستيلاء والاستعلاء والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع وادعاء الاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف الربوبية ومن حيث يختص عن البهائم بالتميز مع مشاركته لها فى الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية - وبالجملة اذا أتبعت قوة العلم على الشهوة والغضب صار شيطانا فى صورة انسان والحكيم الذى هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ببصيرته ويكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه وهو الخنزير ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فيحصل صفة العدل - والا فيكون دائما فى عبادة كلب وخنزير ومع ذلك ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ونفسه يعبد الكلب والخنزير كما يراه المكاشفون تارة فى النوم وتارة فى اليقظة على عكوفه فى عبادة هذين - فحصل له من طاعة خنزير الشهوة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرئاء والهتك والمجانة والعنت والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة ونحوها - ومن طاعة كلب الغضب صفة التهور والنذالة والبذخ والصلف والاستشاط والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم ونحوها - ومن طاعة شيطان الشهوة والغضب المكر والحيلة والخداع والدهاء والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخبث وامثالها - ولو عكس

(١) كذا - ولعله - للانسان - ح.

الامر وقهر الجميع تحت رياسة الصفة الربانية استقر فى القلب صفات ربانية من العلم والحكمة والاحاطة بحقائق الاشياء كما هى والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة ويحصل له من رد خنزير الشهوة الى الاعتدال صفات شريفة من العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ومن كسر قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها ـ

المطلب الثانى

واعلم ان كل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر ربانى شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف وتلك الخاصية قد عبر الله عز وجل عنها بالامانة التى حملها الانسان وابى عن حملها السموات والارض والجبال لكن هناك اسباب مانعة من معرفة حقائق العلوم وهى خمسة احدها نقصان فى ذاته كقلب الصبي ومثال ذلك فى الحس الحديد قبل ان يدور ويتشكل ويصقل وثانيها كدورة المعاصى وخبث الشهوات مثاله صدأ الحديد وكدورته بعد تمام شكله ـ وثالثها كونه معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان القلب وان كان صافيا الا ان هم الطاعات البدنية او تهيئة اسباب المعيشة ربما يصرف فكره عن التأمل فى حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الاما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وحقائق عيوب النفس اومصالح المعيشة مثاله كون المرآة المصقولة معدولا بها عن جانب الصورة ـ ورابعها ان يكون المطيع القاهر لشهواته المتجرد للتفكر فى حقيقة من الحقائق لاينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد يسبق اليه من الصبا على سبيل التقليد والقبول لحسن الظن وذلك يحول بينه وبين الحق مثاله الحجاب المرسل بين الصورة وبين المرآة الصقيلة المحاذية نحوها ـ وخامسها الجهل بالجهة التى منها يقع العثور على المطلوب اذ لابد لكل علم من علمين سابقين يأتلفان فيحصل من ازدواجهما علم ثالث ومثاله الجهل بالجهة

التى

التى فيها الصورة فلايحاذى المرآة بها مثلا ان اراد أن يبصر قفاه فى المرآة فلابد اولا ان يعرف طريقه والا لايحصل من جده طائل فانه ان رفع المرآة حذاء وجهه لايبصر قفاه وان رفعها وراء القفا لا يرى المرآة اصلافينبغى ان يرفع مرآة وراء القفا واخرى حذاء وجهه مقابلة للمرآة الاخرى فينتقش صورة القفا فى مرآة يقابلها ثم ينتقش منها الى المرآة المحاذية للمرآة الاولى وللوجه الرائى فيرتسم صورة القفا فى المرآة الثانية فيرى قفاه فكذلك فى اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات اعجب مما ذكرنا فى المرآة ويعز على بسيطة الارض من يهتدى الى كيفية الحيلة فى تلك الازورارات ـ

المطلب الثالث

العلوم اما عقلية وهى التى تقضى بها غريزة العقل بلااخذ من تقليد وسماع وهى اماضرورية لايدرى من اين حصل وكيف حصل ـ واما مكتسبة وهى المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلاهما قد تسمى عقلا والقلب جارمجرى العين وغريزة العقل جارية مجرى قوة الابصار (١) يتوقف على النور كذلك قلب الصبى الى التمييز والبلوغ وفقد قوة العقل عمى ـ قال تعالى (فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) ثم العلوم اما دينية مأخوذة بطريق التقليد من الانبياء اما بتعلم كتاب الله عزوجل او بتعلم سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فالعلوم العقلية وان كانت غير كافية فى سلامة القلب لكنها محتاج اليها فى فهم العلوم الدينية فلاغنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل والداعى الى محض السمع مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور فاياك ان تكون من الفريقين وكن جامعا بينهما فالعلوم العقلية كالاغذية والشرعية كالدواء من ظن ان علوم(٢) العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن فهو ظن عن عمى عين بصيرته نعوذ بالله من الجهل ـ وهذا القائل كيف يفعل فيما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض ـ فاما ان يعترف بنفع العلوم العقلية او يعتقد نقصا فى الدين وينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين ـ ثم العلوم العقلية

---

(١) كذا ولعله سقط ـ وكما ان الابصار (٢) كذا ـ والظاهر ـ ان العلوم ـ

اما دنيوية كالطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات واما اخروية كعلم احوال القلوب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله وهما ككفتي الميزان وربما يقال كالمشرق والمغرب وربما يقال كالضرتين ان رضيت احداهما اسخطت(١) الاخرى ولذلك ترى علماء الدين جهالا فى علوم الدنيا وبالعكس والجمع بين كمال الاستبصار فى مصالح الدين والدنيا لا يتيسر الا للمؤيدين بروح القدس وهم الانبياء بخلاف سائر الخلق فانها اذا شغلت باحدها انصرفت عن الآخر -

المطلب الرابع

واعلم ان للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهادة والملك وطريق اكتسابه من الباب الثانى معلوم لكل احد واما طريق اكتسابه من الملكوت فهو أن القلب مستعد لان يتجلى فيه جلية الحق فى الاشياء كلها - وانما حيل بينه وبينها بالحجب الخمسة التى ذكرناها المسدلة بين القلب وبين اللوح المحفوظ الذى يسطر فيه حقائق الاشياء وجميع ماقضى الله سبحانه الى يوم القيامة كما يسطر المهندس صورة ابنية الدار فى بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة ثم ان الحجاب بينهما تارة يزول باليد واخرى بهبوب رياح الالطاف ويكون ذلك تارة فى المنام فيظهر له ما سيكون فى المستقبل وتارة فى اليقظة فيلمع غرائب العلوم وتارة كالبرق الخاطف واخرى كالتوالى(٢) الى حدما ودوامه فى غاية الندور فالحجاب اذا انكشف باختيار العبد فهو الاكتساب والا فالهام ونفث فى الروح وان شاهد معه الملك فهو الوحى - وهذا الانكشاف وان لم يكن بالاختيار الا ان اسبابه البعيدة داخلة تحته لأن ذلك بالزهد فى الدنيا والتبرئ من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها حتى يستوى عنده وجود كل شيء وعدمه والاقبال بكنه الهمة فمن كان لله كان الله له - وينبغى ان لا يفرق فكره فى مطالعة

---

(١) كذا - ولعله - سخطت - ح (٢) فى الاحياء - على التوالى -

تفسير وحديث بل يداوم ان يقول بلسانه الله الله الى ان ينتهى الى درجة تكون الكلمة جارية على اللسان بلا قصد منه ثم ينتهى الى ان يمحى (١) اثره عن اللسان فيصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظبه الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا فى قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه ثم يسلب عنه الاختيار فى استجلاب رحمة الله - فيبقى منتظرا لما يفتحه الله عليه من نفحاته فتلمع لوامع الحق فى قلبه كالبرق الخاطف ثم يعود يدوم زمانا -

المطلب الخامس

اعلم ان اهل النظر لم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه الى المقصود لكن استوعروه واستبطؤا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلائق الى هذا الحد كالمتعذر وان حصل فثباته ابعد منه اذ ادنا وسواس وخاطر يشوش القلب - وفى اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن فالاشتغال بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض الا ان المفهوم من الآيات والاحاديث كون علم التصفية افضل من العلم المكتسب - سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) ما هذا الشرح قال هو التوسعة ان النور اذا قذف به فى القلب اتسع له الصدر وانشرح - وقال صلى الله عليه وسلم ولو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالم سوى النبيين والمرسلين لرجح - وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتى محدثين ومكلمين وان عمر منهم - والمحدث هو الملهم والملهم هو (٢) انكشف له فى باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة - والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعليم - وقال على رضى الله عنه ما عندنا شيء اسره النبى صلى الله عليه وسلم الينا الا ان يؤتى الله سبحانه عبدا فهما فى كتابه وليس هذا بالتعلم - ثم ان الصواب لمن يريد طريق الآخرة ان يقدم تعلم العلوم الدينية ثم يبتدئ طريق التصفية اذ ربما تتشبث

---

(١) كذا - والظاهر ينمحى - ح (٢) كذا والظاهر - من - ح -

بالقلب خيالات فاسدة وربما يبقى الصوفى فى خيال واحد عشرين سنة وينقضى عمره دون النجاح فيه فلو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه الصواب من ذلك الخيال فى الحال - ومن زعم ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتعلم الفقه وصار فقيها بالوحى والالهام فربما ينتهى بالرياضة اليه فقد ظلم نفسه وضيع عمره فان ذلك وان امكن لغير النبى بعيدجدا فلايغتر به -

المطلب السادس

اعلم ان القلب يرد عليه الصورتان من الحواس الظاهرة وتارة من الحواس الباطنة لانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منها اثر فى القلب ثم ينتقل بسبب الآثار الواردة عليه من حال الى حال دائما اعنى الافكار والاذكار وهذه تسمى الخواطر لخطورها عند غفلة القلب عنها والخواطر محركة للرغبة وهى تحرك العزم والنية والنية تحرك الاعضاء فالخواطر مبدأ للافعال وتنقسم الى مايدعو الى الشر اى يضر فى العاقبة والى مايدعو الى الخير اى ينفع فى الدار الآخرة فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم يسمى وسوسة - ومن سنة الله تعالى ترتيب المسببات على اسبابها فسبب الخاطر المحمود يسمى ملكا وسبب الخاطر المذموم يسمى شيطانا - واللطف الذى به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذى يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا والقلب متجاذب بين الملك والشيطان وانما يترجح احدالجانبين بالمجاهدة اوباتباع الهوى والشهوات التى هى سلاح الشيطان فلابد من معرفة سلاحه وكيفية دفعه - واما معرفة صفته وذاته وحقيقته وكذا صفة الملك وحقيقته فذلك من علوم المكاشفة ،ومما ينبغى ان يعلم ان بعض الامور مكايد الشيطان وبعضها الهام الملك وبعضها متردد بينهما اذ الشيطان يعرض الشر فى معرض الخير والتميز بينهماغامض وبه يهلك اكثر العباد اذلايقدر على دعائهم الى صريح الشر فيصوره بصورة الخير فخفى على العبد أن يمعن فيه النظر بعين البصيرة لابهوى من الطبع ولا يطلع عليه الابنور التقوى وغزارة العلم والا يتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر ولا ينجى من ذلك

ذلك الا سد ابواب الخواطر والعزلة وقطع العلائق ودوام الذكر ولاتنقطع هذه المجاهدة الى الموت فانه مادام حيا فابواب الشيطان مفتوحة الى قلبه لاتنغلق وباب الملك باب واحد ومع ذلك قد التبس هذا الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة مثلاللعالم الواعظ ـ الناس موتى من الجهل هلكى من الغفلة أمالك رحمة على عباد الله وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تفكر بنعمة الله وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله الى الصراط المستقيم الى ان يستجره بلطائف الحيل الى وعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم فى اللفظ واظهار الخير حتى يحصل له لذة الجاه وقبول الخلق والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيهلك المسكين وهو انه عندالله بمكان ـ وامثال هذا التلبيس انتشر الآن فى البلاد والعباد حتى لم يبق من الخيرات الارسمها ـ ومن ابوابه العظيمة الحسدوالحرص اذ القلب اعماه حرصه وصمهاذيحسن له الشيطان كلما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا ـ ومنها الغضب والشهوة اذ الانسان اذا غضب لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة ـ ومنها حب التزين بالثياب والاثاث والدارفان الشيطان اذارأى ذلك غالباعلى قلب انسان باض فيه وفرخ فلايزال يصرفه من عمارة الباطن الى عمارة الظاهر ثم ان بعض ذلك يجره الى بعض حتى يموت وهو فى تصرف الشيطان فيخشى عليه من سوء الخاتمة نعوذ بالله منه ـ ومنها الشبع بالطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوى الشهوات وهى اسلحة الشيطان ومنها الطمع فى الناس فاذا غلب هو على القلب لم يزل الشيطان يحسن التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الرئاء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبود ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومنها العجلة وترك التثبت فى الامور اذ الواقع بعد التأمل يصير على وجه الصواب وبالعجلة يمنع الشيطان ذلك ويروج شره من حيث لايدرى ومنها الدنانير والدراهم وسائر الاموال وذلك لان من معه قوته فقط فهو فارغ القلب فاذا وجد مائة دينار

---

(١) كذا ـ

على الطريق انبعث من قلبه عشر تحتاج كل واحدة الى مائة دينار مثلا يشترى بها دارا يعمرها وجارية واثاثا وثيابا فاخرة وكل ذلك يستدعى شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع فى هاوية آخرها الموت وكان عند ما حصل قوته فارغ القلب ثم اذا وجد دينارا يظن انه صار غنيا بعد ما كان فقيرا وليس كذلك بل هو على عكس ذلك، ومنها البخل وخوف الفقر لأنهما يمنعان من التصدق، ومنها التعصب للمذاهب والاهواء وهو به فرح مسرور يظن انه يسعى فى الدين وهو ساع فى اتباع الشيطان حتى ان منهم من يطعن فى مذهب الشافعى ومنهم من يطعن فى مذهب ابى حنيفة وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان اهلك الله به كثيرا من العلماء، ومنها تحريض العوام على التفكر فى ذات الله وصفاته حتى يشككهم به فى اصل الدين اويخيل اليهم فى الله خيالات فاسدة يتعالى الله عزوجل منه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح ومسرور ومبتهج بما وقع فى قلبه ويظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وانكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله وانما حق العوام ان يشتغلوا بعبادتهم ومعاشهم ويتركوا العلم الى العلماء، ومنها سوء الظن بالمسلمين اذ عند ذلك بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر عن القيام بحقوقه اويتوانى فى اكرامه اوينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات فهذا بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردنا استقصاء جميعه لم نقدر عليه وفى هذا القدر ما ينبه على غيره ثم ان علاج ذلك سد هذه المداخل وذلك يطول ذكره وسنذكره ان شاء الله تعالى ثم ان القلب اذا غلب عليه الشهوات يستقر الشيطان فيه ولا يتمكن الذكر من سويدائه بل يرجع الى حواشيه واما اذا صفا وخلا عن الشهوات ربما يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها عن الذكر فاذا ذكر خنس الشيطان ـ

المطلب السابع

فى احوال الشيطان

صح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار أن الشياطين جنود مجندة ولكل من

المعاصي شيطان يخصه ويدعوا اليه ولا يمكن تفصيل ذلك والدليل الاجمالى ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب واما الملائكة فكذا ويختص كل واحد منهم بعمل وسيجيء ذلك ثم ان الملك والشيطان لهما صورتان حقيقيتان لايدرك ذلك الابنور النبوة كما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبرئيل عليه السلام فى صورته الحقيقية مرتين وكان يراه فى صورة دحية الكلبي غالبا وكان رجلا حسن الوجه واما الاولياء فانما يكاشف لهم فى اليقظة مثل ما يراه النائم فى نومه وهم الذين انتهوا الى رتبة لايمنعهم اشتغال الحواس بالدنيا عن مشاهدة قلبه (١) عالم الملكوت وهذا مثاله لاحقيقته وتحقيقه ان عالم الشهادة كلها خيال الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فحينئذ يرى الصورة دون المعنى ولهذا قد تخالف الصورة المعنى كما اذا رأيت شخصا جميل الصورة قبيح الباطن ويحصل تارة من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا تكون الاحاكية للصفة وموافقة لها لأن الصورة فى عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم يرى المعنى القبيح فى صورة قبيحة كرؤية الشيطان فى صورة كلب وضفدع وخنزير وغيره ويرى الملك فى صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعانى ومحاكية لها بالصدق وبهذا الطريق يمكن تعبير الرؤيا -

المطلب الثامن

فى القدر المعفو عنه من الوسوسة

واعلم ان لها مراتب اربع قبل العمل بالجوارح اولاها الخاطر وهو حديث النفس وثانيتها الميل وحركة الشهوة التى فى الطبع وثالثتها الاعتقاد والحكم بأن هذا ينبغى ان يفعل ورابعتها الهم وهو العزم وجزم النية فاما ان يندم فيترك اويغفل لعارض فلا يعمل اويعوقه عنه عائق والاولان (١) من هذه الاربع لا يؤاخذ بهما العبد لعدم دخولهما تحت الاختيار ويسميان حديث النفس كما قال صلى الله عليه وسلم عفى عن امتى ما حدثت به نفوسها واما الثالث فهو (١) الاعتقاد إن كان اختياريا يؤاخذ به والافلا واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل خوفا من الله تعالى

(١) كذا -

وندما على همه كتبت له حسنة لأن ترك السيئة حسنة لأن الهم على وفق الطبع لايدل على تمام الغفلة عن الله بجده فى الامتناع عنه يدل على طاعته لله تعالى فكتبت له حسنة واما ان عاق عنه عائق اوتركه عذرا لاخوفا من الله عزوجل كتبت عليه سيئة فان همه فعل اختيارى الا ان يكفره بحسنة ـ

المطلب التاسع

فى بيان أن الوسواس هل ينقطع عند الذكر بالكلية ام لا

منهم من قال بانقطاعه ومنهم من قال لا ينقطع ولكن لا يؤثر ومنهم من قال لاينقطع ويؤثر لكن على ضعف ومنهم من قال ينقطع بلحظة والذكر والوسوسة يتعاقبان ومنهم من قال لاينقطعان فى لحظة اصلا بل القلب يكون مجرى لهما فى كل حال ـ والمذهب الصحيح ان كل واحد من هذه الاقوال بالنظر الى صنف من اصناف الوسوسة وهى ثلاثة الصنف الاول تلبيس الحق مثلا يقول لاتترك اللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات ألمه عظيم فعند ذلك اذا قال العبد الصبر عن الشهوات شديد والصبر على النار اشد منه خنس الشيطان اذ لايستطيع ان يقول ليس النار اشد منه فان ذلك أمر وجدانى ولا ان يقول المعصية لاتفضى الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه ومثلا يقول للعجب اى عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فاذا تذكر العبد أن معرفته وقدرته وقلبه كلها من خلق الله فمن اين يعجب به خنس الشيطان اذ لا يستطيع انكاره ـ والصنف الثانى ان يوسوس بتحريك الشهوة وتهييجها فان علم العبد ان ذلك معصية يجب تركها خنس عن تهييج يؤثر فى التحريك دون اصل التهييج وان ظن انه معصية ربما يبقى مؤثرا اويحتاج فى دفعه الى مجاهدة ـ الصنف الثالث ان يوسوس بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر فى غير الصلاة مثلا فاذا ذكر الله تصور أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقبان وبعيد ان يندفع هذا الصنف بالكلية وليس محالا فى القلب الذى استولى عليه حب الله عزوجل ولايخطر بباله غير حديث محبوبه ـ

---

(١) كذا ـ

المطلب العاشر

بيان سرعة تقلب القلب

اعلم ان القلب تكتنفه الصفات المهلكة وتنصب اليه الآثار والاحوال من الابواب التى ذكرناها فاذا اثر فيه احدها اصابه من جانب آخر مايضاده فيغير وصفه واليه الاشارة بقوله تعالى (ونقلب افئدتهم وابصارهم) ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا مايقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك - قيل وتخاف يا رسول الله قال ما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وكان يحلف ويقول لا ومقلب القلوب ، والقلوب فى الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة احدها قلب عمر بالتقوى و زكى بالرياضة و طهر عن خبائث الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت وتمده بجنود لاترى ويهدى به الى خيرات اخر حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام لا يتناهى امداده بالترغيب فى الخير وتيسير الأمر عليه - وفى مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفى الذى هو اخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء - وثانيها قلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة ويكون عقله قد الف خدمة الهوى واستمر على استنباط الحيل له فينشرح بالهوى ويوحى القلب زخرفا من القول غرورا فلا ينكشف بعقله ايضا وجه الصواب فيبقى فى ظلمات بعضها فوق بعض واليه يشير قوله تعالى (افرأيت من اتخذ الهه هواه) الى قوله تعالى (سبيلا) وربما يكون قلبه الى بعض الامور على التقوى والى بعضها على الهوى كالذى يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا رأى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه واذهب عقله ولبه وانفتح له ابواب الجاه والرياسة والكبر او كالذى لايملك نفسه عند الغضب - وثالثها قلب يبتدئ فيه خاطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير واذا نصحه العقل يرده الشيطان فلا يزال القلب يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب

احدهما إما حاكم العقل ان غلب على القلب جند الصفات الملائكة(١) او حاكم الشهوة ان غلب جند الصفات الشيطانية وكل ذلك تابع لسابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له الطاعات واسبابها ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعصية ومع ذلك يقول له الشيطان ان الله غفور رحيم فلا تبال وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الاغرورا) فكل ذلك بقضاء الله وقدره (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) فتعالى الله الملك الحق ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ـ

الاصل الثانى

رياضة النفس وتهذيب الاخلاق وفيه مطالب

المطلب الاول

اعلم ان الخلق عبارة عن هيئة راسخة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير حاجة ولا روية فان صدر عنها الافعال المحمودة عقلا وشرعا يسمى خلقا حسنا وان صدر عنها الافعال الذميمة عقلا وشرعا كذلك يسمى خلقا سيئا ـ وامهات الاخلاق السيئة اربع اختلال قوة العلم وقوة الضعف وقوة الشهوة وقوة العدل . واعتدال هذه القوى هي الاخلاق الحسنة ، اما اختلال قوة العلم إما بافراطها اواستعمالها فى الاغراض الفاسدة ويسمى خبا وجربزة اوبتفريطها ويسمى بلها واعتدالها هوالوسط الذى يسمى حكمة وذلك بأن تصير النفس بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب فى الاقوال وبين الحق والباطل فى الاعتقادات وبين الجميل والقبيح فى الافعال وهى المراد بقوله تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) واختلال القوة الغضبية اما الى طرف الزيادة ويسمى تهورا اوالى طرف الضعف ويسمى جبنا وخورا واعتدالها بان يقتصر انقباضها وانبساطها

(١) كذا ـ ولعله ـ الملكية ـ

على حدما يقتضيه الحكمة والعقل ويسمى شجاعة ، واختلال القوة الشهوية اما الى طرف الزيادة ويسمى شرها اوالى طرف النقصان ويسمى خمودا واعتدالها ان تكون تحت اشارة الدين ويسمى عفة واختلال قوة العدل وهو الجور وليس له الاضد واحد واعتدالها ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع والطرفان من كل من القوى المذكورة رذيلتان وخير الامور اوساطها ، ومن اعتدال هذه الامور الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها ولم يبلغ كمال الاعتدال فيها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وللناس بعده درجات متفارقة فمن ازداد اعتدالا يكون ملكا مطاعا بين الناس ومن اتصف باضدادها يكون شيطانا ذاوسواس نعوذ بالله منه ـ

المطلب الثانى

فى قبول الاخلاق التغيير بطريق الرياضة

وقد انكر التغيير بعض من غلبت الشقوة والبطالة عليه ولم تسمح نفسه بان تجرب ذلك لقصوره ونقصه واستدل عليه بوجهين احدهما ان الخلق الباطن بمنزلة الخلق الظاهر واذ لايتغير هذا فلايتغير ذاك وثانيهما ان الغضب مثلا من مقتضى المزاج والطبع وكذا الشهوة فكيف يتبدلان فنقول لولم تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم معنى ، واذا امكن تغيير اخلاق البهائم فالانسان بذلك اولى ـ وكشف الغطاء فيه ان قمع الغضب والشهوة بالكلية غير ممكن اصلا وانما الذى يمكن لنا بالرياضة تعديلهما وصرفهما الى ما خلقا لأجله نعم الجبلات مختلفة بالسرعة والبطء فى التغيير لامرين احدهما قوة الغريزة فى اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود وثانيهما تأكده بكثرة العمل بمقتضاه ورؤيته مرضيا ، والناس فيه على اربع مراتب الاول ان يخلو عن العلم بالقبيح والحسن وبقى على اصل فطرته فهذا سريع القبول للعلاج فان صادف مرشدا يحسن خلقه فى اقرب زمان ، الثانى ان يعرف القبيح وزين له سوء عمله ومع ذلك علم تقصيره وهذا اصعب من الاول اذا تضاعفت فيه الوظيفة بقلع

ما رسخ فيه اولا وبغرس مواد الصلاح ثانيا - الثالث ان يعتقد الاخلاق القبيحة حقا وجميلا وتربى على ذلك فهذا اعتقاد تمتنع معالجته ولن يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال ، الرابع ان يكون نشؤه على الرأى الفاسد ومع ذلك يرى الفضل فيه ويتباهى به وهذه اصعب المراتب وهو المراد بما قيل من التعذيب وتهذيب الذيب ، فالاول جاهل والثانى جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير ، واذا عرفت هذا فاعلم ان ما قيل ان الآدمى ما دام حيا لا تنقطع منه الشهوة والغضب فلا مطمع فى استئصالهما فغلط طائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمعهما بالكلية وليس كذلك بل المقصود تعديلهما وكيف يقمعان ولو انقطع عن الانسان شهوة الطعام لهلك جوعا اوشهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يقدر على دفع المهلكات البدنية والدينية -

المطلب الثالث

ان الاعتدالات المذكورة قد تكون نظرية بان يخلق انسان كامل الفطرة وسلطان الشهوة والغضب فيه يصير منقادا للعقل والشرع كالانبياء عليهم السلام - وقد تكون بالرياضة بأن يؤمر بالبذل لمن فى طبعه حب المال وبالتواضع لمن فيه الكبر وحب الجاه وغير ذلك وهذه الرياضة الى ان يصير الخلق المحمود عنده سهلا لا متكلفا ولما كان بين القلب والجوارح علاقة عجيبة يظهر اثر كل منهما فى الآخر بأن يتصور القلب الخلق المحمود ويكلفها للبدن ثم بمواظبة البدن على ذلك الخلق يتأدى اثره الى القلب الى ان ينقلع عنه حب الدنيا ويترسخ فيه حب الله الذى هو أصل كل سعادة لكن تأثر القلب من الافعال انما يكون اذا داوم البدن عليها ولهذا قيل افضل الاعمال أدومها وان قل ثم ان الشيخ الذى يطب نفوس المريدين لابد أن يكون مثل طبيب الابدان فانه ان عالج الكل بعلاج واحد أهلكهم فكذا الشيخ ينبغى ان ينظر فى مرض المريد وحاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة فان كان المريد جاهلا يعلمه اولا الطهارة والصلاة

وظواهر العبادات وان كان له مال حرام يأمره بتركه وان رأى فيه الرعونة وعز النفس يأمره بان يخرج الى السوق للكدية والسؤال اذلا ذل فوتهما الى غير ذلك - ومن لطائف الرياضة ان الخلق المذموم اذا قوى ينتقل الى خلق آخر مذموم ثم يتركه تدريجا كمن يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم - مثلا يرغب الصبي اولا بالكرة والصولجان ثم ينتقل من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم منها الى الرياسة الدنيوية وطلب الجاه ثم منها الى رياسة العلم ثم منها الى رياسة الآخرة وكل هذه الوسائل مذمومة لكن يختار للتدريج وسهولة تحصيل الكمال -

المطلب الرابع

اعلم ان كل عضو (له) فائدة وفائدة القلب الحلم(١) والمعرفة واصل المعارف معرفة الله سبحانه وتعالى لانه موجدها ومخترعها وعلامة المعرفة المحبة وعلامة المحبة ان لا يؤثر الدنيا عليها ولا غيرها من المحبوبات وحب الدنيا رأس كل خطيئة فمن كان في قلبه حبها فليعرف ان قلبه مريض فليشتغل بعلاجه ثم معرفة كل مرض على الخصوص لايمكن الا بأربع طرق الاول ان يحكم شيخا بصيرا بعيوب النفس مطلعا على خفايا الآفات وهذا قد عز وجوده في هذا الزمان - الثاني ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه لينبه على عيوبه الباطنة - الثالث ان يستفيد عيوب نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط تبدى المساوى والانتفاع بعدو مشاحن ربما يكون اكثر من الانتفاع بصديق مداهن - الرابع ان يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما بينهم ينسبه الى نفسه فان المؤمن مرآة المؤمن فيتركه - قيل لعيسى عليه السلام من ادبك قال ما أدبني احد رأيت جهل الجاهل فجانبته - ومجمل القول في باب الرياضة ان يترك الانسان من امور الدنيا ما لا يوجد في القدر (٢) الا بقدر الضرورة لئلا تألفها النفس وتتمنى العود الى الدنيا ومن يتمنى ذلك لاحظ له في الآخرة - فالقلوب في الآخرة اربعة انواع - الاول رجل استغرق قلبه ذكر الله فهو من الصديقين - والثاني من استغرق حب الدنيا

---

(١) كذا وفي الاحياء - العلم والحكمة والمعرفة - (٢) كذا -

قلبه فهومن الهالكين - الثالث اشتغل بالدنيا والدين والغالب عليه الدين فلابدله من ورود النار الاانه ينجومنها سريعا بقدر غلبة ذكر الله عليه والرابع اشتغل بهما جميعا والغالب عليه الدنيا فهذا يطول مقامه فى النار لكن يخرج منها آخرا فان اخطرت بالبال ان الدنيا مباح فليس فيها مباح(١) قلت الكلام فى حبها والفاضل على قدر الحاجة لما لم يكن خاليا عن الحب والا لما اقتناها تمكنت فيه شهوة الحب ايضا فمنعوه -

المطلب الخامس

فى رياضة الصبيان

واعلم ان نفوسهم ساذجة خالية عن كل نقش وصورة فان عود الخير يصير سعيدا ويثاب والداه وان عود الشر يصير شريرا ويصير الوزر لوالديه - فعلى الاب ان يحفظه من القرناء السوء ولايحبب اليه الزينة والرفاهية فيهلك هلاك الابد اذا كبر وترضعه امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال والا انعجنت طينته من الخبث واذا بلغ سن التميز فان رأيت فيه الحياء عن القبائح فذلك دليل قوة عقله ويدل على حسن اخلاقه ويقبح عنده شره الطعام وان لايأخذ الابيمينه ويسمى الله عند أكله ويأكل مما يليه ولايبادر على الطعام قبل غيره ولايحد النظر الى الطعام والى من يأكل ولايسرع فى الاكل، ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولايوالى بين اللقم ويعود الخبز حتى يصير بحيث لايرى الادام حتما ويقبح عنده كثرة الأكل وانه فعل البهائم ويذم عنده الصبى الكثير الأكل ويحبب عنده ايثار الطعام غيره وقلة المبالاة به ويحبب من الثياب البيض ويذم من لبس الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شأن النساء والمخنثين ويحفظه عن الصبيان المترفهين ثم يرسل الى المكتب ويعلم القرآن والحديث واخبار الصالحين لينغرس فى قلبه حبهم ويمنعه عن اشعار فيها عشق واهله الذين يزعمون ان العشق من الظرف ورقة القلب فان ذلك يغرس فى قلوبهم بذر الفساد - ثم اذا ظهر من الصبى خلق حسن ينبغى يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدحه بين اظهر الناس

(١) كذا -

الناس ـ فاذا غفل عنه فى وقت لايهتك ستره بل يتغافل فان عاد يعاتب عليه سرا وينفره عن العودة والايفتضح عند الناس ولايكثر عليه العتاب لئلايعتاد الملامة ويمنع عن نوم النهار لأنه يؤديه الى الكسل ولا يمنعه ليلا ولايعوده الفرش الوطيئة حتى يتصلب اعضاؤه ويعوده المشى والحركة حتى لايغلب عليه الكسل وينبغى ان يعوده ان لايفتخر على اقرانه بمال والده او ملابسه اولوحه ودواته ويعوده التواضع والاكرام والتلطف فى الكلام ويمنعه عن ان يأخذ شيئا من احد وانه ذل ولؤم وان الكرم والرفعة فى العطاء ويقبح له حب الذهب والفضة فان ذلك مهلك ويعلمه ان لا يبصق فى مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فانه علامة الكسل ولايستدبر غيره ولايكثر الكلام فانه وقاحة وانه عادة ابناء اللئام ويمنع اليمين ولوصدقا حتى لايتعوده فى الصغر ولايتكلم الاجوابا اوبقدر السؤال ويستمع لمن يتكلم ممن هو اكبرسنا منه وان يقوم لمن فوقه ويوسع له فى المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغوالكلام وفحشه ومن اللعن والسب ويمنعه من القرناء السوء وينبغى ان لايكثر الصراخ والاستشفاع اذا ضربه المعلم بل يصبر عليه وان الصبر من دأب الشجعان والرجال وكثرة الصراخ من دأب المماليك والنسوان ويترك بعد الفراغ من المكتب يلعب لعبا جميلا ليستريح من تعب المكتب ولايدعه يتعب فى اللعب ويعلمه طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه ومن هواكبر منه سنا وينظر اليهم بعين التعظيم ولايلعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التميز لايسامح فى ترك الطهارة والصلاة ويأمر بالصوم فى بعض الايام فى رمضان ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام والكذب والخيانة والفحش ـ فاذا قارب البلوغ يذكر أن الاطعمة ادوية فى ان يتقوى الانسان بها الى عبادة الله تعالى والنعيم كله ينقطع بالموت وان الدنيا دار ممر لادار مقر وان العاقل من عمل للآخرة حتى يعظم عند الله درجته ويتسع فى الجنان نعمته ـ قال سهل التسترى كنت اشاهد

قيام خالى محمد بن سوار فى الليالى وانا ابن ثلاث سنين فقال لى خالى يوما ألاتذكرُ الله الذى خالقك قلت كيف اذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك من غير أن تحرك به لسانك ثلاث مرات الله معى ، الله ناظر الى، الله شاهدى ، فقلت ذلك ليال فقال قل سبع مرات فقلتها ليال قال قل احدى عشرة مرة فقلتها فوقع فى قلبى حلاوة الذكر وبعد سنة قال لى خالى احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك فى الدنيا والآخرة فلم ازل على ذلك سنتين فوجدت حلاوته فى سرى ثم قال لى خالى يوما يا سهل من كان الله معه وشاهده وناظرا اليه أيعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو بنفسى حتى شرطت المعلم ان اذهب اليه ساعة فأتعلم ثم ارجع حتى حفظت القرآن وانا ابن ست اوسبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتى من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة فوقعت لى مسألة وانا ابن ثلاث عشرة سنة حتى اتيت البصرة وسألت علماءها فلم يشق احد عنى شيئا فخرجت الى ابى حبيب حمزة بن عبد الله العبادانى بعبادان فأجابنى عنها فأقمت عنده مدة انتفعت بكلامه وادبه ثم رجعت الى تستر فجعلت اشترى فرقا من الشعير بدرهم واكتفيت به سنة ثم عزمت على ان اطوى ثلاث ليال ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ومرت على ذلك عشرون سنة ثم خرجت اسيح فى الارض سنين ثم رجعت الى تستر فكنت اقوم الليل كله ـ

المطلب السادس

فى شرائط السلوك

اعلم ان المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان والمانع من الايمان عدم الهداة المذكرين المنبهين على حقارة الدنيا وعظم الآخرة والسد بين الحق والمريد اربعة ـ اولها حجاب المال ويرتفع ذلك بتفريقه الا قدر الضرورة ومن له درهم واحد يلتفت اليه قلبه فهو محجوب عن الله تعالى ـ وثانيها حجاب الجاه ورفعه بالبعد عن موضع الجاه وبايثار الخمول واعمال تنفر الخلق ـ ثالثها حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب

ويدفع كل معبود سوى الله سيما الهوى(١) وبعد رفع هذه الحجب يتحصن بامور اربعة احدها الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفى بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفيه رقته ورقته مفتاح المكاشفة ومتى نقص دم القلب ضاق مسلك العدو ـ وثانيها السهر فانه يجلى القلب ويصفيه وينوره واذا انضاف اليه صفاء الجوع يصير القلب كالكوكب الدرى والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات والسهر نتيجة الجوع فانه مع الشبع غير ممكن والنوم يقسى القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب ـ وثالثها الصمت ويسهله العزلة ولا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشر الكلام للقلب عظيم وانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر ـ ورابعها الخلوة وفائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر الا قدر الضرورة واذا سد الحواس يتفجر ينابيع الغيب من حياض الملكوت وينصب الى القلب فلا بد فى الجلوس فى مكان مظلم والا فليلف رأسه فى الجيب فعند ذلك يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية وبعد التحصن بهذه الامور يشتغل بعده بسلوك الطريق وذلك بقطع عقبات القلب التى سببها الالتفات الى الدنيا واذا حصل قلبه مع الله وتجلى له الحق وظهر له من لطائف رحمة الله ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط الوصف به اصلا فعند ذلك اعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا فليحذر منه فانه من اعظم حبائل الشيطان فى قطع الطريق الا ان يكون محركه على ذلك هو الحق فحينئذ ينبغى ان يعظم فرحه الا انه عزيز الوجود جدا فينبغى ان يكون المريد على حذر منه ـ هذا الذى ذكرناه فى هذين الاصلين معالجة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق واما تفصيلها فيأتى فى الاصول الباقية ان شاء الله تعالى ـ

الاصل الثالث

فى كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج وفيه مطالب

---

(١) كذا وترك الرابع وهو المعصية ـ كما فى الاحياء ـ ح ـ

المطلب الاول

فضيلة الجوع لاتخفى على اولى الابصار وقد كثر ذكرها فى الاخبار - قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر الماء - وقال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه وحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لابد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس - ثم ان فى الجوع عشر فوائد الاولى صفاء القلب ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة بالابخرة المتصاعدة الى الدماغ ويعمى القلب ، الثانية رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر، الثالثة الانكسار والذل وزوال الفرح والبطر والاشر الذى هو مبتدأ الطغيان والغفلة عن الله ولاتنكسر النفس ولاتذل كما تذل بالجوع فان عنده يتمسكن لربه ويخشع له ويقف على عجزه وذله لما ضاقت حيلته بلقمة طعام فاتته واظلمت عليه الدنيا بشربة ماء تأخرت عنه، الرابعة ان لاينسى بلاء الله وعذابه فيتذكر عذاب الآخرة وبلاءها، الخامسة وهى اكبر الفوائد كسر شهوات المعاصى فان منشأ المعاصى كلها الشهوات وتندفع به شهوة الكلام وآفاته من الكذب والغيبة والفحش والنميمة وشهوة الفرج والجوع يكفى شرها وغير ذلك من الشهوات للاعضاء الخمسة الباقية من الاعضاء السبعة، السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ومن كثر نومه ضاع عمره وتبلد طبيعته وقسا قلبه - السابعة تيسر المواظبة على العبادة فان الأكل والمرض يمنع منها - الثامنة صحة البدن فان سبب الامراض كثرة الأكل والمرض ينغص العيش ويمنع من الذكر والفكر - التاسعة خفة المؤنة لأن من تعود الشبع يتقاضاه بطنه فيقول ماذا تأكل اليوم فتدخل المداخل من الشبهات والحرام اويتعب فى الحلال ويمد يد الطمع الى الخلق العاشرة ان يتمكن به من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة الى اليتامى والمساكين -

المطلب

المطلب الثانى

طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن والمريد فيه اربع وظائف

الوظيفة الاولى ان لا يأكل الا حلالا اذ العبادة مع أكل الحرام كالبناء على امواج البحر - الوظيفة الثانية ان يقلل الطعام على التدريج اذ النقص دفعة ربما يؤدى الى اختلال المزاج مثلا ان كان يأكل رغيفين كل يوم ربع رغيف وهو اما جزء من ثمانية وعشرين جزءا او من ثلاثين جزءا فيرجع الى رغيف فى شهر ولا يتضرر به ثم فى نقص القوت اربع درجات - الدرجة الاولى ان يرد نفسه الى القدر الذى لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التسترى وقال استعبد الله الخلق بثلاث بالحياة والعقل والقوة فإن خاف العبد على الاولين أكل وافطر ان كان صائما ويكلف الطلب ان كان فقيرا وان خاف على القوة فقط فينبغى ان لا يبالى ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى صلاته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلاته قائما مع قوة الأكل - الدرجة الثانية ان يرد الى نصف مد فى اليوم والليلة وهو رغيف وشىء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا مقدار ثلث البطن فى حق الاكثر كما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لأنها جمع قلة لما دون العشرة وكان ذلك عادة عمر رضى الله عنه اذ كان يأكل سبع لقم او تسع لقم - الدرجة الثالثة ان يرد نفسه الى مقدار مد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن فى حق الاكثرين ويكاد ينتهى الى ثلثيه ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شىء للذكر - وفى بعض الرواية ثلث للذكر بدل النفس ، الدرجة الرابعة ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا فى حق الاكثرين - وههنا طريق خامس وهو ان يأكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد لكنه غلط اذ قد يشتبه الشهوة الكاذبة بالصادقة لان التميز بينهما مشكل - وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها ان لا تطلب النفس اداما بل تأكل الخبز وحده بشهوة اى خبز كان ومهما طلب خبزا بعينه اواداما فهو ليس بجوع صادق - وقيل ان يبصق فلا يقع عليه الذباب

اذلا تبقى فيه دهنية ودسومة الا ان معرفة هذه العلامات مشكلة فالصواب للمريد ان يعمل بما ذكرناه من التقدير -

الوظيفة الثانية - فى وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه ايضا درجات - الاولى ان يطوى ثلاثة ايام فما فوقها ومن المريدين من رد الرياضة الى الطى لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين واربعين يوما وقع ذلك عن كثير من السلف وكان أبوبكر رضى الله عنه يطوى ستة ايام وعبد الله بن الزبير سبعة ايام - قال بعض العلماء من طوى اربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت اى كوشف ببعض الاسرار الالهية - الدرجة الثالثة ان يطوى يومين اوثلاثة وهذا قريب الوصول وممكن الحصول - الدرجة الرابعة وهى ادناها ان يقتصر على أكلة واحدة فى اليوم والليلة وماجاوز ذلك اسراف مذموم - روى ابوسعيد الخدرى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذاتعشى لم يتغد - قيل ومن اقتصر على أكلة واحدة فى اليوم فيستحب ان يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلاتنازعه قبل وقته فان كانت نفسه تنازعه بالطعام فيأكل نصفه بعد المغرب ونصفه بعد التهجد - ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس ان يأكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر -

الوظيفة الثالثة - فى نوع الطعام وترك الادام - واعلى الطعام مخ البر وان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم - وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الادام على الدوام لئلا تأنس انفسهم باللذات فيكرهوا الموت ولقاء الله - وينبغى ان يعلم ههنا ان ما ورد من مدح الجوع تارة والامر بالاعتدال اخرى لايتضادان بل الطبع المعتدل الاليق به الجوع المفرط ليتعود الاعتدال والافالجوع المفرط فى نفسه مذموم وانما يمدح لترضى

النفس

النفس بالاعتدال وما وقع فى الشرع من الاختلاف فبالنظر الى اختلاف الطبائع - ولهذا يأمر الشيخ المريد بالافراط فى الجوع والاحتماء عن اللذائذ وهو الجوع ويتلذذ بالفواكه ، ومما ينبغى ان يحترز عنه ان يشتهى شيئا ويخفيه عن الناس بل الاحب ان يظهرها اذ الكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولايرضى منه الابتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين لأن سره لكفره كفرا آخر استخف بنظر الله الى قلبه وعظم نظر المخلوقين وان يحترز ان يفرح بترك الشهوة ويشتهر بذلك لأنه قد خالف شهوة الأكل واطاع شهوة هى اشد منها وهى شهوة الجاه وذلك كمن هرب عن عقرب الى حية وشهوة الرياء يكثير من شهوة الطعام -

المطلب الثالث

فى شهوة الفرج ولها فائدتان

احداها ان يقيس للذتها لذة الآخرة فيرغب فيها وثانيتها بقاء النسل ودوام الوجود وفيها آفات ان لم تعتدل اما افراطها بان يجر الى اقتحام الفواحش اوبان يصرف همته التمتع بالنساء والجوارى فيحرم عن سلوك طريق الآخرة وقد ينتهى بطائفة الى تناول المقويات فيؤدى الى التنعم وبطائفة اخرى الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع ويستسخر عقله لخدمة الشهوة وهو مخدوم لها لاخادم والعشق مرض قلب فارغ لاهمة له واذا عرفت ذلك فينبغى للمريد فى ابتداء امره ان لايشتغل نفسه بالتزويج ليأمن الآفات المذكورة ولايترخص بكثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لايشغل قلبه جميع مافى الدنيا عن الله تعالى وكيف لا وكان قد يخشى احيانا ان يسرى احتراق قلبه من حب الله تعالى الى قلبه ويقول كلمينى يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه كما انه لايطيق الصبر عن الله اذا جالس الخلق وكان يقول اذا ضاق صدره لذلك ارحنا يا بلال - وهذا الذى ذكرناه اذا لم تغلبه الشهوة وان غلبته فليكسرها بالجوع الطويل وان كان مع ذلك لايقدر على حفظ العين وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى وكذا

ان لم يقدر على حفظ النظر عن الصبيان بل ذلك اكثر فى الشر من النساء اذ يمكن استباحتهن دونهم والنظر الى الامرد حرام مالم يحصل الفرق بين نظر الامرد ونظر الخضرة والازهار فى اللذة اذلو مال اليهم اكثر منها صار النظر للشهوة لا للحسن -

الاصل الرابع

فى آفات اللسان وفيه مطلب

المطلب الفذ .

فى آفات الكلام فيما لايعنيك

وهو ان تتكلم بكل مالوسكت عنه لم تأثم ولم تتضرر فى حال اومآل كما اذا حكيت قوما اسفارك وما رأيت فيها من جبال وانهار ومشائخ البلاد واحوالهم فانك فى ذلك مضيع اوقاتك واوقات المستمعين ومحاسب على عمل لسانك وان مزجت بحكاياتك زيادة او نقصان وتزكية نفس فأنت آثم وكذا صاحبك مثلا اذا سألت رجلا انت صائم فان سكت تأذيت وان قال لاكذب وان قال نعم استبدل سرا عمله جهرا فدخل عليه الرياء - ومن آفات فضول الكلام وهو ان يزيد على قدر الحاجة وهو ايضا مذموم وان لم يكن فيه اثم ولاضرر - ومن الآفات الخوض فى الباطل وهو الكلام فى المعاصى كحكايات احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك واحوالهم المذمومة وكل ذلك حرام لايحل الخوض فيه - واما الكلام فيما لايعنى اواكثر فيما يعنى فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه الا انه يكره اذ لايؤمن عليه الخوض فى الباطل مثل حكاية البدع والمذاهب الفاسدة ومحاربات الصحابة على وجه يوهم الطعن فى بعضهم ومن الآفات المراء والمجادلة وذلك منهى عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تواعده موعدا فتخلفه ونظائر ذلك كثيرة فى الاخبار - والمراء اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه وتركه الانكار والاعتراض والخلل اما فى اللفظ اوفى المعنى اوقصد المتكلم فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدقه وان

 كان

كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه ثم الخلل فى اللفظ تارة يكون قصور (١) المعرفة وتارة بطغيان اللسان وكيف ما كان فلاوجه لاظهار خلله واما فى المعنى بان يقول اخطأت فيه واما فى قصده بان يقول الكلام حق ولكن قصدك منه ليس بحق وهذا الجنس ان جرى فى مسئلة علمية خص باسم الجدال وهو ايضا مذموم يجب السكوت او السؤال فى معرض الاستفادة لا المجادلة والعناد والعنف وآية ذلك ان يكون تنبهه للحق من جهة اخرى مكروها عنه فالجواب ان يسكت عن كل مالا يأثم بتركه والباعث على ذلك اظهار الفضل وهى من دعوى العلو والكبرياء وتنقيص الغير وهو مقتضى طبع السبعية واشد ذلك ماوقع فى المذاهب والعقائد اذيظن عليه ثوابا فيتأكد الطبع بالشرع وذلك خطأ محض بل ينبغى للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة بل اللائق ان يتلطف فى نصحه على خلوة بل ربما تستمر البدعة فى قلبه بالجدل اللهم الا ان يعرف ان النصح لاينفعه اشتغل بنفسه وتركه - ومن الآفات الخصومة وهى ايضا مذمومة وهو دراء المراء والجدال فالمراء طعن فى كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة - والجدال عبارة عن مراء يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها - والخصومة لجاج فى الكلام يستوفى به مالا او حقا مقصودا وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق - اللهم الا ان يخاصم لاظهار الحق بالشرع من غير لدد واسراف وزيادة لحاجة على قدر الحاجة ففعله ليس بحرام لكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا اذ الخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب وبقى الحقد بينهما واقل مافيه تشويش خاطره حتى فى صلاته وكذا الحال فى المراء والجدال ومن اقتصر على الواجب فى خصومته سلم عن الاثم الا انه عسير جدا فلهذا تكون تارة كاللآلى(٢) ومن الآفات التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وهو التكلف الممقوت ومنه التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة والاسجاع المتكلفة وانما مقصود الكلام تفهيم الغرض ووراء ذلك تصنع مذموم

(١) كذا ولعله - لقصور (٢) كذا -

الان يقصد الوعظ و تأثير القلوب فيأتى بالالفاظ الرشيقة - ومن الآفات الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو منهى عنه ومذموم ومصدره الخبث واللؤم(١) مثل الكناية فيما يقبح ذكره كالوقاع واللمس وكذا قضاء الحاجة فى الكناية عن التغوط والبول ونحو أن يذكر زوجته بان يقول قالت ام الاولاد كذا او قال من بالحجرة او من وراء الستر كذا، وكذا يقول الداء الذى يشكوه فى الجذام والبرص ونحوهما - ومن الآفات اللعن (اما لانسان) اولحيوان او لجماد وكل ذلك مذموم واللعن طرد وابعاد عن رحمة الله وذلك غير جائز الاعلى من يتصف بصفة تبعد من الله وهو الكفر والظلم بان يقول ألالعنة الله على الظالمين أوعلى الكافرين - وامر اللعنة خطر وله ثلاث مراتب، الاولى اللعن بالوصف الاعم كاللعن على الكافرين والمبتدعة والفسقة، والثانية اللعن باوصاف اخص منه كاللعن على اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والخوارج والروافض والزناة وآكلى الربا والظلمة ونحو ذلك وكل ذلك جائز الا ان فى المبتدعة نظر لان معرفة البدعة غامضة، والثالثة اللعن على الشخص وذلك لا يجوز الا من ثبتت لعنته شرعا كفرعون وابى جهل، واما اللعن على يهودى معين بان يقال لعنه الله ان مات على الكفر فجائز، واما اللعن مطلقا فذلك مردد بين التقييد المذكور وعدمه ففيه خطر لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله تعالى فلا يكون ملعونا ولا يقاس هذا بقولك رحمه الله لمسلم لان معناه ثبته الله على الاسلام الذى هو سبب الرحمة ولايمكن ان يقال ثبت الله الكافر على الكفر الذى هو سبب اللعنة واذا عرفت هذا فى الكافر فهو فى زيد الفاسق وعمرو البتدع اولى الا ان يقع اللعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبى جهل واضرابه، وعلى الجملة ففى لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر فى السكوت عن لعنة ابليس فضلا عن غيره، واما لعن يزيد فالاسلم عدمه اذلم يثبت انه قتله اوامربه او رضى به اوفرح به وان ثبت ذلك

(١) كأن هنا سقطا وحاصله فى الاحياء انه ينبغى الكناية عمايستقبح، وذكر الامثلة الآتية - ح -

فلم يثبت انه مات بلاتوبة نعم ان قال قاتل حسين رضي الله عنه ان مات بلاتوبة لعنه الله - ومن الآفات الشعر لأنه كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم نعم انشاده ونظمه ليس بحرام ما لم يكن فيه كلام مكروه او كذب واما المبالغة فمن صنعة الشعر وقد انشدبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيه مبالغة ، ومن الآفات المزاح واصله مذموم منهى عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه وهو المداومة لانها اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة واما الافراط فيه فانه يوجب كثرة الضحك المميت للقلب ويورث الضغينة احيانا ويسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور لايذم ، وهو الذى يقع عن(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال انى لأمزح ولا اقول الاحقا الا ان غيره ان فتح عليه هذا الباب كان غرضه ان يضحك الناس كيف ما كان فيذم - ومن الآفات السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا ومعناها الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون بالمحاكاة فى الفعل وفى القول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة ، ومنها الضحك على خطه وعلى كلامه وصنعته وصورته وخلقته ، اما اذا كان المستهزأ به ممن جعل نفسه مسخرة لا يتأذى به بل يفرح يكون من قبيل المزاح وفى حكمه - ومن الآفات افشاء السر وهو منهى عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولؤم اذا لم يكن فيه اضرار - ومن الآفات الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد والنفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق - ومن الآفات الكذب فى القول واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب الا فيما لا يمكن التوصل الى امر محمود الا به فان الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود امكن التوصل اليه بالصدق والكذب معا فالكذب فيه حرام وان (كان) التوصل اليه بالكذب فقط فالكذب مباح ان كان المقصود مباحا وواجب ان كان واجبا مثلا اذا كان فى

---

(١) كذا -

الصدق سفك دم مسلم مظلوم فالكذب واجب وان لم يكن اصلاح ذات البين الا بالكذب فهو مباح الا انه لايفتح هذا الباب الابقدرالضرورة لئلاتتعود النفس بذلك ، وايضا فيه غرور كثير اذ قديكون الباعث حظه وغرضه فليعلم ان المقصود هل هو أهم فى الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا فالحزم فى تركه الا ان لايجد رخصة فى تركه اصلا ، ومن ذلك القبيل خطأ من ظن جواز وضع الاحاديث فى الترغيب والترهيب وهذا خطأ عظيم اذهذا الغرض لايقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله وسلم لان ذلك من اكبر الكبائر لايقاوبها شيء ثم ان السلف قالوا إن فى المعاريض مندوحة عن الكذب روى ذلك عن ابن عباس وغيره وكذا عن عمر رضى الله عنه اذا دعاه حاجة والا فلا يجوز التصريح والتعريض معا ولكن التعريض اهون كقولك الله يعلم ما قلت من ذلك من شيء فكلمة ما عندك للابهام ويتوهمه المستمع حرف النفى وكان ابراهيم اذا طلبه فى الدار من يكره قال للجارية قولى له اطلبه فى المسجد وكان لايقول ليس هو ههنا كيلايكون كاذبا ، وكان الشعبى يخط خطا ويقول للجارية ضعى اصبعك فيها وقولى ليس هو ههنا وهذا كله فى موضع الحاجة والا فهو مكروه لأنه تفهيم الكذب الا ان الحاجة فى المعاريض خفيفة كتطييب قلب الغير بالمزاح كما قال صلى الله عليه وسلم لاتدخل الجنة عجوز وفى عين زوجك بياض وتحملك على ابن البعير وما اشبهه ، واما صريح الكذب مطايبة فليس بفسق ولكنه يترك كما يلاعب الناس الحمقاء بتغريرهم بان امرأة رغبت فى تزوجك فان كان فيه ضرر وايذاء قلب فهوحرام ، ومن الكذب الذى لايوجب الفسق قولهم طلبتك مائة مرة اذلايريد تفهيم المرات بل الكثرة فان طلبه كثيرا لم يأثم ومن ذلك القبيل قولهم لا اشتهيه اذا قيل له كل الطعام وهوحرام ان لم يكن فيه غرض صحيح ، ومن الآفات الغيبة وقد نص الله تعالى على ذمها وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة وقد ذمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى أن تذكر اخاك بما يكرهه لوبلغه سواء ذكرت نقصانا فى بدنه او فى نسبه او فى خلقه

اوفى

او فى فعله و قوله او فى دينه و دنياه حتى فى ثوبه و داره و دابته ثم انها لا تقتصر على اللسان بل التعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والرمز والغمز والحركة والكناية وكل مايفهم المقصود وكل ذلك حرام ـ ومن ذلك ذكر المصنفين شخصا معينا وتهجين كلامه اللهم الالعذر محوج الى ذلك ـ ومن اخبث انواعها قول القراء المرائين الحمدلله الذى لم يبلنا بالدخول على السلطان والتبذل فى طلب الحطام عند ذكر شخص حاله كذلك ـ اويقول نعوذبالله من قلة الحياء فان فى ذلك ذم الغير مع الرئاء ـ وكذلك ربمايقول مااحسن فلانا لولا تقصيره فى العبادات ولكنه ابتلى بما ابتلينا فيذم غيره ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين فى ذم انفسهم فيغتاب ويرائى ويزكى نفسه ـ وكذلك يقول ذلك المسكين قدابتلى بكذا تاب الله عليه وعلينا فيظهر الدعاء ويدعى الاغتمام ـ واسباب الغيبة احد عشر احدها تشفى الغيظ بذكر مساويه ـ وثانيها موافقة الاقران ومساعدتهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ـ وثالثها ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه اويقبح حاله عند محتشم فيبادره ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته ـ ورابعها ان ينسب الى شيء فيذكر أن الذى فعله فلان وتبرأ منه مع ان التبرأ يحصل بان لايذكر الغير بشخصه ـ وخامسها ان ينسب النقص الى غيره ويقصد بذلك اثبات فضل نفسه ـ وسادسها ان يقدح عند من يحب ذلك الشخص حسدا لاكرامهم ومحبتهم ـ وسابعها ان يقصد اللعب والهزل والمطايبة ويضحك الناس عليه ـ وثامنها السخرية والاستهزاء استحقارا له فى الغيبة ـ وتاسعها ان يتعجب من فعله المنكر وهذا من الدين لكن ادى الى الغيبة بذكر اسمه فصار مغتابا من حيث لا يدرى ـ وعاشرها ان يغتم لسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمنى امره وما ابتلى به وغمه ورحمته خير لكن ساقه الى شر وهو الغيبة من حيث لايدرى ـ والحادى عشر منها الغضب لله على منكر قارفه انسان فيظهر غضبه ويذكر اسمه ، وكان الواجب ان يظهر غضبه على فاعله ولا يظهر على غيره بل يستر اسمه ـ وهذه الاسباب الثلاثة الاخيرة مما يغمض على العلماء فضلا عن

العوام - اذا عرفت اسباب الغيبة فاعلم ان علاجه على الجملة ان يتذكر مضرة الغيبة وانها تحط حسناته و تنقل حسنات غيره وتنقل اليه من سيئاته فيدخل النار وهذا بعد المطالبة و السؤال والحساب وعلاجه على التفصيل ان ينظر فى اسبابها ويعالجه بما مر من معالجات الاخلاق الذميمة من الغضب والحسد والرئاء وغير ذلك واعلم ان من انواع الغيبة الغيبة بالقلب وهي سوء الظن اى عقد القلب والحكم بالسوء وذلك حرام واما الخواطر وحديث النفس بل الشك فمعفو عنه ايضا وامارة سوء الظن وتميزها عن حديث النفس ان يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ويستثقله ويفتر عن مراعاته واكرامه - ومن ثمرات سوء الظن التجسس فيطلب التحقيق وهو منهى عنه واعلم ان للغيبة اعذارا مرخصة وهي ستة - الاول التظلم وذلك لايمكن بدون ذكر مساوى من ظلمه - والثانى الاستغاثة لتغيير المنكر ورد العاصى الى منهج الحق - الثالث الاستفتاء حيث يقول ظلمنى فلان وما حكمه الا ان الاولى ان يقول ما تقول فيمن ظلم احدا بكذا وكذا - الرابع تحذير المسلمين من شر أحد فلابد من ذكره باسمه - الخامس ان يكون اسمه يعرب عن ابيه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول نعم لو امكنه التعريف بغير ذلك فهو اولى وربما يقولون للاعمى البصير عدولا به عن اسم النقص - السادس ان يكون مجاهرا بالفسق ولا يستنكف عن ذكره ولايكره ذلك فلا اثم فى ذكره بذلك - واما كفارة الغيبة ان يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغى ان يتحلله وهو حزين متأسف نادم على فعله - واما الذى يستحل بلا ندم فهو مراء وذلك معصية اخرى وما قيل العرض لا عوض له كالمال فلا يجب الاستحلال كلام ضعيف اذ وجب فى العرض حد القذف - ثم المراد بتحليل الغيبة العفو عن المظلمة لاان ينقلب الحلال حراما كما ظن وقيل ان التحليل غير ممكن - ومن آفات اللسان النميمة وهى ان ينم قول الغير الى المقول فيه وقيل كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان

الكشف

الكشف بالقول او بالكنية او بالرمز او بالايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الافعال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصانا فى المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما يراه الانسان من احوال الناس فينبغى ان يسكت عنه الا ما فى حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية فان كان ما ينم نقصانا وعيبا فى المحكى عنه فهو غيبة ونميمة معا - والباعث على النميمة إما ارادة السوء بالمحكىّ عنه او اظهار الحب للمحكى له او التفرج بالحديث او الخوض فى الفضول ونحو ذلك - واما الذى نم اليه فعليه ستة امور - الاول ان لا يصدقه لأنه فاسق وهو مردود الشهادة - الثانى ان ينهاه عن ذلك وينصحه - الثالث ان يبغضه فى الله لانه بغيض عندالله فلايحب من ابغضه الله - الرابع ان لاتظن بأخيك الغائب سوءا - الخامس ان لايحملك كلامه على التجسس والبحث - السادس ان لا ترضى لنفسك مانهيت عنه النمام فلاتحكى نميمته - ومن آفات الكلام كلام ذى اللسانين الذى يتكلم لكل من المتعادين بكلام يوافقه وذلك عين النفاق وان نقل كلام واحد الى الآخر فهو نمام وان نقل كلام كل منهما الى الآخر فهو ذو اللسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بان ينصره او اثنى على كل واحد فى معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغى ان يسكت او يثنى على المحمود ويثنى فى حضوره وغيبته وبين يدى عدوه - ومن الآفات المدح وله ست آفات اربع فى المادح واثنتان فى الممدوح الاولى قد يفرط فينتهى به الى الكذب - الثانية انه قديد خله الرئاء اذلا يكون قلبه كذلك - الثالثة انه قد يقول مالايتحققه ولاسبيل له الى الاطلاع عليه - الرابعة انه قد يمدح الظالم والفاسق - الخامسة ان يحدث فى الممدوح كبرا واعجابا وهما مهلكان - السادسة ان اثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضى عن نفسه فيقل تشمره للعمل لانه يظن انه قدادرك النهاية - ومن آفات الكلام الغفلة عن دقائق الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته كقولك ماشاء الله

وشئت والصواب ماشاءالله ثم شئت لان الواو يفيد التسوية بين الله تعالى وعبده وكقولك من يطع الله ورسوله فقد رشدومن يعصهما فقد غوى والصواب ومن يعص الله ورسوله ضمير التثنية تسوية وجمع ونحوذلك ومن الآفات سؤال العوام عن الله تعالى وصفاته لأنه يؤدى الى الكفر وانما شأن العوام الاشتغال بالعبادة والايمان بما وردبه القرآن والتسليم لما جاء به الرسول من غير بحثه وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء ادب يستحقون به المقت ويتعرضون لخطر الكفر -

الاصل الخامس

في ذم الغضب والحقد والحسد وفيه مطالب

المطلب الاول

في الغضب وقد ذمه الله تعالى ورسوله والصحابة والتابعون وحقيقته ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا (للفساد - ١) والموتان انعم عليه بما يحميه من الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل مسمى - ثم الفساد إما من الداخل وهو أن فى داخله حرارة ورطوبة والحرارة تفنى الرطوبة فأمدالله تعالى الرطوبة بالاطعمة فخلق لأ جلها شهوة الطعام وإمامن خارج كالسيف والسنان وسائر المهلكات فخلق الله لدفعها الغضب من النار وعجنه بطينته واذا اشتعلت نار الغضب وثار ثورانا يغلى بها دم القلب وينتشر فى العروق ويرفع الى اعالى البدن ثم ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين، والبشرة بصفائها تحكى لون ماوراءها من حمرة الدم - هذا اذا غضب على من دونه وقدر عليه - اما اذا غضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى باطن القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون، وان كان على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب ويسمى فوت مقتضى هذه القوة الانتقام - ثم الناس فى هذه القوة على درجات ثلاث لانه اما مفرط وذلك مذموم ويقال فيه انه

---

(١) من الاحياء -

لاحمية له و قدوصف الله تعالى الصحابة بالشدة والرحمة وقال سبحانه(اشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهوحمار - واما مفرط وهوأن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعتها وذلك قديكون طبيعية وقد تكون مكتسبة بأن يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية وانما الاعتدال وهواحسن الدرجات أن ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث يجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم وهو الوسط الذى كلف الله عباده به وهو الصراط المستقيم وهوأدق من الشعر وأحد من السيف فان عجز فليطلب القرب منه اذ بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض - وأثر هذا الغضب فى البصيرة انه يعمى صاحبه ويصم عن كل موعظة بل زاد(١) بالموعظة ويتصاعد دخان مظلم الى دماغه بل الى معادن الحس فتظلم عينه وتسود عليه الدنيا بأسرها وربما تقوى نار الغضب فتنفى الرطوبة التى بها الحياة فيموت صاحبه غيظا واما اثره فى الصورة تغير اللون وشدة الرعدة فى الاطراف واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنفتح المناخر ولو رأى الغضبان قبح صورته لسكن غضبه حياء منه - واما اثره فى اللسان فالشتم والفحش وقبائح الكلام الذى يستحي (منه) ذووالعقول بل قائله ايضا عند فتور غضبه - واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة وان عجز عن التشفي ربما يمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه ويعتريه مثل الجنة وربما يضرب الجمادات والحيوانات - اما اثره فى القلب فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءة وغير ذلك هذه آثار الغضب - واما آثار عدم الحمية قلة الانفة من التعرض للحرم واحتمال الذل من الاختباء وصغر النفس ونحو ذلك -

المطلب الثانى

فى علاج الغضب

واعلم ان الغضب لأخذ محبوبه او لقصد مكروه له ومحبوب الانسان ثلاثة -

---

(١) كذا -

الاول ما هو ضروری للكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن كما قال صلى الله عليه صلى الله عليه وسلم من اصبح آمنا فی سربه معافی فی بدنه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها والغضب على من يتعرض هذا جائز لانها ضرورته - الثانی ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه صارت محبوبة بالعادة او الجهل بمقاصد الامور فالغضب على هذا ليس بضروری لان حبه ليس بضروری الا ان الجهال يحبون هذه ويتألمون لفوتها فاذا استكثارهم من الغم والحزن(١) اذ الدنيا معرض الآفات - الثالث ما يكون ضروريا للبعض دون الآخرين كالكتاب للعالم اذ هو مضطر اليه فيحبه ويغضب على من يخرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات فی حق المكتسب فان ما هو وسيلة الى القوت الضروری فلا يمنع من الغيظ استغناء غيره عنه وانما الكلام فی القسم الثانی اذ يجب اخراج حبه عن قلبه بان الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك وبال عليه فی وطنه ومستقره فيزهد فی الدنيا وينمحی حبها عن قلبه - فان قلت لا يلزم من كون القسم الاول ضروريا جواز الغضب عليه بل يكتفی بالتألم ولا يغضب والتألم غيره (١) كالفصد يتألم به ولا يغضب على الفصاد وايضا من غلب عليه التوحيد ورأى الاشياء كلها من الله لا يغضب على احد من خلقه مثلا اذا وقع الملك بضرب رقبة احد وهو لا يغضب على القلم الذی وقع الملك به وكذا يندفع بأن الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة - قلت ما ذكره من الاكتفاء بالتألم حسن جدا لكن الكلام فی ان الغضب هناك معفو عنه وصاحبه معذور - واما غلبة التوحيد فذلك كالبرق الخاطف ثم يرجع القلب الى الوسائط وكذا الكلام فی ان الخير ما قدر له -

المطلب الثالث

فی معرفة اسباب الغضب ايعالج بازالتها

واسبابه الزهو والعجب والفخر والمزح والهزل والتعيير والمماراة والمضارة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهی بأجمعها اخلاق رديئة

(١) كذا -

يجب ازالة كل منها بما ذكرناه فى مواضعها - واما معالجة الغضب بعد وقوعه بستة امور - الاول ملاحظة الاخبار الواردة فى فضيلة كظم الغيظ - الثانى ان يخوف نفسه بعقاب الله سبحانه ويقول قدرة الله علىّ اعظم من قدرتى على هذا الانسان - الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقاتلته والسعى فى هدم اغراضه والشماتة لمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب وبالجملة يسلط قوة الشهوة على قوة الغضب - الرابع ان يتفكر فى قبح صورته عند غضبه ومشابهته للكلب الضارى والسبع العادى ومشابهة الحليم الهادئ بالانبياء والحكماء والعلماء - السادس ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الامور على وفق مراد الله تعالى فكيف يقول مرادى اولى من مراد الله - ثم معالجة الغضب بطريق العمل ان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وتقول اللهم رب النبى محمد اغفر لى ذنبى وارحمنى واذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن - هكذا علم النبى صلى الله عليه وسلم عائشة عند غضبها - وان لم يزل بذلك فليجلس ان كان قائما او يضطجع ان كان جالسا ويقرب من الارض التى منها خلق ليعرف بذلك ذل نفسه واطلب بالاضطجاع والجلوس السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة وان لم يزل فليتوضأ بالماء البارد او يغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء كذا ورد فى الحديث - ثم الناس فى الغضب اربعة بعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو اجودهم ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة - وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهو شرهم -

المطلب الرابع

فى الحقد والعفو والرفق

اعلم ان الغضب اذا عجز صاحبه عن التشفى فى الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى والحقد يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو أن يحملك الحقد أن تتمنى

زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين ومتعرف ذمه - الثانى ان تريد فى اضمار الحسد فى الباطن فتشمت بما اصابه من البلاء - الثالث ان تقطعه وتصارمه وان اقبل عليك - الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له - الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر أوهتك ستر وغيره - السادس ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه - السابع ايذاؤ بالضرب وما يؤلم بدنه - الثامن ان تمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين اورد مظلمة وكل ذلك حرام - ثم للحقود ثلاثة احوال عند القدرة ، احدها ان يستوفى حقه الذى يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل وهو اختيار الصالحين ، ثانيها ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل واختيار الصديقين ، وثالثها ان يظلمه بما لا يستحقه وهو اختيار الاراذل ثم ان العفو هو ان تستحق حقا فتسقطه وتتبرأ عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم ، وكظم الغيظ فضيلته لا تخفى على احد سيما وقد ورد فى مدحه الآثار والاخبار حتى مدحه الشعراء والحكماء بل المتقيدون بحكم الطبيعة وبالجملة لم ينكر فضيلته احد من الطوائف - واما الرفق فهو نتيجة حسن الخلق والسلاسة كما ان ضده هو العنف ، والحدة نتيجة الغضب والفظاظة ، والرفق نتيجة اعتدال قوة الشهوة والغضب ولذلك ورد فى الحديث ياعائشة من اعطى حظه من الرفق فقد اعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ثم ان الرفق هو التوسط بين العنف واللين ثم ان المشكل تمييز موضع العنف عن موضع الرفق واذا لم يقدر احد على التمييز فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه فى الاكثر -

المطلب الخامس

فى الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه

اعلم ان الحسد فرع الحقد وهو فرع الغضب وليس الحسد الاعلى نعمة فاما ان تريد زوالها عن المنعم عليه وهو حرام الا نعمة لفاسق اوظالم جعلها آلة للشر لكن لاتريد زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث انها آلة الفساد ، اولاتريد زوالها

ولكن

ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذا يسمى غبطة وهذه ليست بحرام بل ربما تكون واجبة كما في نعمة العلم اومندوبة كما في نعمة التصدق اومباحة كما في النعم المباحة ومذمة الحسد في الآثار والاخبار بل في الطباع شهيرة لا تحتاج على تفصيلها واما مراتبه فاربعة - احدها ان يحب زوال النعمة عنه وان كانت لاتنتقل اليه وهو غاية الخبث وانه مذموم محض - وثانيها ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او ولاية نافذة وهذا ايضا مذموم - وثالثها ان لايشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها وهذا ايضا مذموم الا انه اخف من الثاني - رابعها ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلايحب زوالها منه وهذا هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين - ثم ان للحسد اسبابا - الاول العداوة والبغضاء وهذه اشد اسبابه - الثاني التعزز وهو أن يثقل عليه ان يرتفع عليه غيره ولا يريد التكبر بل غرضه ان يدفع كبره وهذا اذا نال بعض اقرانه ولاية أو علما او مالا وهو لا تحتمل نفسه صلفه وتفاخره فيتعزز عليه - الثالث ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لايحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشرف على مساواته اوالى ان يترفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه - الرابع التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا (ما انتم الابشر مثلنا) فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النعمة عنهم جزعا عن ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لاعن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة واسباب اخر - الخامس الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد وذلك مثل الضرات عند زوجهن والتلامذة عند الاستاذ - السادس حب الرياسة وطلب الجاه نفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كتحاسد العلماء فان واحدا منهم لو سمع نظيره (١) في اقصى العالم ساءه ذلك وأحب موته وزوال نعمته من غير عداوة ولا تعزز ولا تكبر بينهم، ولا خوف من فوات مقصود - السابع خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله

---

(١) كذا والظاهر - نظره -

واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذونها من ملكه وخزائنه ويختص مثله باسم الشحيح وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها اوجميعها فى شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك والاكثر اجتماع الاسباب وقلما ينفرد واحد منها ولما كان الحسد اقتضى سابقة الارتباط بين الشخصين كثر بين الامثال والاقران والاخوة وبنى العم والاقارب دون شخصين فى بلدتين متباعدتين ثم لما اشترط فى الحسد التزاحم حسد العالم العالم دون التاجر، والشجاع الشجاع دون الاسكاف ونحو ذلك نعم من احب الصيت ربما يزاحمه من فى اقصى العالم فى هذا دون الغرض فيحسده واما ابناء الآخرة فلا يقع بينهم التحاسد اذ لا مزاحمة بينهم ولاضيق فيها وكذا العلم اذ المعلوم الواحد يعرفه الف انسان ـ

المطلب السادس

دواء الحسد

وهو أن تعرف اولا انه ضرر عليك فى الدين والدنيا ولاضرر به على المحسود فى الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما جميعا أما ضرره فى الدين لانه سخط لقضاء الله وكراهة لنعمه وهذا قذى فى عين الايمان وانضم اليه غش المسلم وترك نصحه ومشاركة ابليس وهذه خبائث فى القلب تأكل الحسنات وتمحوها ـ واما فى الدنيا فهو أنه الالم الحاضر والعذاب الدائم وانت تريد الالم لعدوك فتنجزت فى الحال ـ واما انه لاضرر على المحسود فى دينه ودنياه فواضح لان النعمة لاتزول بحسدك واما منفعته فى الدنيا فهو أن اهم مقاصد ابناء الدنيا ايصال الهم الى اعدائهم وهو حاصل بالحسد وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم فانت عدو لنفسك وصديق لعدوك ومع هذا كله قد أدخلت السرور فى ابليس وهو اعدى عدوك واذا عرفت فعليك ان تكلف نفسك نقيض الحسد اذ كل مرض يعالج بضده مثلا يكلف لسانه بمدحه وثنائه ويتكلف التواضع له والاعتذار اليه ويلزم نفسه الانعام عليه ان قدر وهذه الافعال تطيب قلب المحسود ويحب الحاسد ومهما ظهر حبه

احبه الحاسد ويتولد منه الموافقة ويصير ما يتكلفه اولا طبعا آخر ولا يصدنك عن ذلك قول الشيطان ان هذا عجز ونفاق وخوف لأن ذلك من خدع الشيطان ومكايده وهنا دواء الحسد الا انه مر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء ثم ان لك فى اعدائك ثلاثة احوال - احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كان لك حيلة فى ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه - الثانى ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور - الثالث وهو بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد وهذا محل الخلاف - والظاهر أنه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله المستعان -

الاصل السادس

فى ذم الدنيا وفيه مطلبان

المطلب الاول

على ان مذمة الدنيا لا تخفى على اولى الالباب واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف النفس عنها وكذا ما فى الاحاديث والآثار كثير لا يخفى على اولى الالباب وحقيقة الدنيا وقسمتها الى المذمة وغير المذمة - واعلم ان لقلبك حالتين فالقريب الدانى منها وهى ما قبل الموت وتسمى دنيا والمتأخر المتراخى وهو ما بعد الموت ويسمى آخرة - ثم ان الدنيا ثلاثة اقسام - الاول يصحبك فى الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت كالعلم الذى هو لذة دنيوية عاجلة وكذا العبادة لمن يلتذبها وهما مع ذلك ليسا من الدنيا اذ ينفعان فى الآخرة - الثانى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له فى الآخرة كالتلذذ بالمعاصى والمباحات - الثالث وهو متوسط بينهما كل حظ عاجل معين على اعمال الآخرة كالقوت من الطعام وما يستر العورة ويقى من الحر والبرد من اللباس ونحوها وهذا متردد بين القسمين لأنه ان جعله وسيلة الى الثانى صار من

اعمال الدنيا ولا يبقى مع العبد بعد الموت الا صفاء القلب وطهارته وذلك بالكف عن الشهوات والانس بالله وذلك لكثرة ذكر الله والمحبة لله وذلك لا يحصل الا بالمعرفة وهى تتولد من الفكر - واعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة للانسان فيها حظ وله فى اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور - اما الاعيان فهى الارض وماعليها من المعادن والنبات والحيوان - اما المعادن فللآلات والاوانى كالنحاس والرصاص او للنقد كالذهب والفضة وغير ذلك - واما النبات فللباس وللتداوى والغذاء واما الحيوان فللأكل والركوب والزينة واما الانسان فللخدمة كالغلمان وللاستمتاع كالجوارى والنسوان وايضا لطلب قلوب الآدميين للعز والجاه ومجموع هذه هى الدنيا ثم ان للعبد معها علاقتان علاقته بالقلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد ويتفرع عن هذه العلاقة الاخلاق الذميمة كالكبر والحسد والرئاء والسمعة وحب الثناء والتكاثر والتفاخر وعلاقته بالبدن وهو اشتغال باصلاح هذه الاعيان وهى جملة الصناعات والحرف التى الخلق مشغولون بها وتفصيله ان الانسان مضطر الى ثلاث، القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء ولبقاء النوع، والملبس لستر العورة ولدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ودفع اسباب الهلاك عن الاهل والمال فحدثت الحاجة الى خمس صناعات هى الاصول الفلاحة لتحصيل النبات، والرعاية لحفظ الحيوانات واستنتاجها، والاقتناص لتحصيل ما خلقه الله من صيداً ومعدن او حشيش اوحطب، والحياكة وما يحصلها من الغزل، والخياطة فللملبس ثم هذه الصناعات تفتقر الى ادوات وآلات وهى إما ان تؤخذ من النبات وهى الاخشاب اومن المعادن كالرصاص والحديد اومن جلود الحيوانات فاحتيج الى ثلاثة انواع من الصناعات، النجارة وهى العمل فى الخشب، والحدادة وهى العمل فى المعدن، والخرز وهى العمل فى جلود الحيوانات فهذه هى امهات الصناعات - ثم لما كان الانسان مدنيا بالطبع احتاج الى معاشرة الزوجية لبقاء النسل والى المعاونة فى الصناعات اذ لايتولاها واحد من الناس والا لبطلت المصالح اذ الطعام يحتاج الى حراث وطحان

وخباز واللباس الى حراثة القطن والغزل والنسج وهكذا وحدثت من هذا الاجتماع صناعات اخر منها صناعة الحكم وفصل الخصومة بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة حدود الله تعالى - ثم ان اهل الحرب لو اشتغلوا بطلب القوت فاتهم حراسة الملك فمست الحاجة الى امدادهم بالاموال كمال الجزية والخراج فاحتيج الى من يدبر تلك الاموال الى الجباة والخزان والكتاب والعمال والحساب ثم هؤلاء ايضا يحتاجون الى معيشة فاحتيج الى صرفهم من مال الخراج شيئا يكفيهم فصاروا فرعا لاهل الحرب فانحصر الناس فى صنائعهم فى ثلاث، الاولى الفلاحون والرعاة والمتحرفون، والثانية الجندية الحماة لهم بالسيوف، والثالثة المترددون بين الطائفتين فى الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتدأ الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لاينفتح منها باب الاوينفتح بسببه ابواب الى ما لايتناهى كأنها هاوية لاقعرلها من وقع فى مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالى هذه هى الاصول ولايتم كل منها الا بفروع لاتحصى كثرة كالبقر آلة للحرث والفرس آلة الحرب الى غير ذلك من الآلات ولما كان بين الناس مظالم بحكم النفس الامارة احتاجوا الى حاكم عدل يصلح بينهما لئلا يختل النظام بسبب المنازعات الواقعة بينهم -

المطلب الثانى

فى الحرف الجارية بين الناس باحتيا لهم

منها اللصوص والطرار والسلال وانواع ذلك كثيرة - ومنها المكدى وهم لحبهم البطالة يتكلفون العمى والعرج ونحوهما ويتكففون الناس - منها ارباب السخرية والمحاكاة واصحاب الشعوذة والافعال المضحكة وصاحب الاشعار واصحاب القرعة والفال ونحو ذلك وكلهم استنبطوا الحيل بدقيق الفكر لاجل معاشهم ولكن ضيعوا انفسهم - ثم ان فهم الناس فى تصور الكمال على طبقات

فطائفة عليهم الجهل والغفلة فيأكلون ليكسبون ويكسبون ليأكلون(١) كما هو حال الفلاحين والمتحرفين وليس لهم التنعم لافي الدنيا ولا في الآخرة بل يتعبون نهاراً ليأكلوا ليلا ويأكل ليلا ليتعب(١) نهارا ومثاله سير السواني فهو سفر لا ينقطع الا بالموت وطائفة اخرى زعموا ان الكمال قضاء الوطر من الشهوات كشهوة البطن والفرج فيصرفون هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة يأكلون كما يأكل الانعام وبذلك شغلوا عن الله واليوم الآخر - وطائفة ظنوا ان الكمال في جمع المال فأسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم في جمعه ويتعبون في الاسفار ويترددون في الاخطار طول الليل والنهار ولا يأكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص الى ان يدركه الموت وهو كذلك وكنوزه تحت الارض او في يدمن يصرفه ويسرفه في الشهوات وعليه تعبها ووبالها وللآكل لذتها - وطائفة ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وكثرة الثناء عليه والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء يتعبون في الكسب ويضيقون على انفسهم في المطعم والملبس ويصرفون مالهم الى الثياب الفاخرة والدواب النفيسة ويزخرفون ابواب دورهم وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غني وذو ثروة فهمتهم في تعهد موقع نظر الناس، وطائفة ظنوا ان السعادة في الجاه وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير لهم فيطلبون الولايات وتقلد الاعمال السلطانية ويرون انهم بذلك سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلب وهذه الطوائف ووراءها طوائف لايمكن حصرها تزيد على نيف وسبعين طائفة كلهم ضلوا وأضلوا لكثرة الاشغال وتداعى البعض الى البعض فيهلك في اودية الدنيا ولو اكتفى بالقدر الضروري اندفعت اشغاله وفرغ قلبه وغلب عليه ذكر الآخرة - ثم ان طائفة تنبهت لهذه الآفات فظن بعضهم ان الدنيا دار البلاء وان الآخرة دار السعادة سواء تعبد فيهما اولا فرأوا ان الصواب في ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طائفة من اهل الهند حتى انهم يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا - وبعضهم ظن ان القتل لايخلص بل لابد اولا

من اماتة الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية فاقبلوا على المجاهدة و شددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وبعضهم مرض وانسدت عليه طرق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية وانه محال نظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع فى الالحاد - وبعضهم ظن ان هذا التعب كله لله وانه مستغن عن عبادتنا لا ينقصه العصيان ولا يزيده العبادة فسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع - وبعضهم ظن ان المقصود معرفة الله والعبادة وسيلة اليها وبعد الوصول يستغنى عنه فتركوا السعى والعبادة وانما التكليف على العوام ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ان تبلغ نيفا وسبعين فرقة والناجى منها ما عليه الصحابة وهم اهل السنة والجماعة وهم على المنهج القصد والصراط المستقيم -

الفصل السابع

فى ذم المال وكراهية حبه وذم البخل وفيه مطالب

المطلب الاول

اعلم ان الله تعالى ذم المال فى مواضع كثيرة ومدحه فى بعض المواضع وسماه خيرا وقال (ان ترك خيرا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح فلابد من التوفيق بينهما ولا يمكن ذلك الا ببيان آفات المال وفوائده ، اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق فمن عرف فوائدها وغوائلها امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها - أما الفوائد فاما دنيوية يعرفها كل احد ولهذا يتهالكون عليها واما الدينية فثلاثة انواع - الاول ما ينفقه على نفسه اما فى العبادة كالحج والجهاد وهما من امهات القربات او فى الاستعانة على العبادة كالمطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة - واما حظوظ الدنيا مما يزيد عليها من التنعم والتلذذ - الثانى ما يصرفه الى الناس وهى اربعة، احدها الصدقة وقد عرفت ثوابها ، وثانيها المروءة كالضيافة والهدية والاعانة وهذا ايضا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب الاخوان والاصدقاء

وصفة السخاء والجود والمروءة والفتوة ففيها مثوبات ايضا ـ وثالثها وقاية العرض كدفع هجو الشاعر وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم وفائدتها دينية واخروية لأن وقاية العرض صدقة لأن فيها منع المغتاب ودفع آفة الانتقام بينهما ـ ورابعها الاستخدام اذ الانسان اذا تولى جميع مصالحه لضاعت اوقاته كشراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذى يحتاج اليه فلابدله من مال يدفع امثال هذه الحوائج ـ النوع الثالث الخير للعامة كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحياب فى الطرق وامثال ذلك وهى من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين وناهيك به خيرا وهذه هى الفوائد الدينية مع مافى المال من الحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والكرامة والوقار ونحو ذلك ـ واما الآفات فاما دينية وهى ثلاثة ـ الاول ان الانسان اذا استشعر من نفسه القدرة على المعصية انبعثت داعية المعاصى فان اقتحم ذلك هلك وان صبر وقع فى شدة ـ الثانى ان يجر الى التنعم فى المباحات ثم يألفه ثم يجر البعض الى البعض حتى لا يفيه المال الحلال فيقتحم الشبهات ويتبعه ان يصانع الناس بالرئاء والمداهنة والكذب والنفاق لان حاجة الناس تؤدى الى هذه الاخلاق ـ الثالث وهو الذى لا ينفك عنه احد وهو أنه يلهيه عن ذكر الله تعالى وانه خسران عظيم وهو الداء العضال ، واما آفاته الدنيوية فالخوف والحزن والهم والغم والتعب فى دفع الحساد وتجشم المصاعب فى حفظ الاموال وكسبها فاذا ترياق المال اخذ القوت منه وصرف الباقى فى الخيرات وما عداه سموم وآفات ـ

المطلب الثانى

فى الحرص والطمع ومدح القناعة

واعلم ان الانسان اذا تشوف الى ما فوق القوت فاته عز القناعة وتدنس بذل الحرص وجره ذلك الى مساوى الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروآت فلابد من علاج الحرص والطمع وملكة القناعة وذلك مركب من خمسة امور

الاول

الاول وهوا لعمل الاقتصاد فى المعيشة والرفق فى الانفاق ويرد نفسه الى مالا بدله منه ويطلب الاقتصاد فى نفسه وفى عياله - الثانى ان لايضطرب للاستقبال ويثق بوعد الله سبحانه ويعرف ان شدة الحرص ليست سبب الرزق ولا يبالى بمايعده الشيطان من الفقربانك ربما تمرض وتعجز وتحتاج الى ذل السؤال وتقاسى ذل التعب فى الحال لتوهم الذل فى الاستقبال مع الغفلة عن الله تعالى ، الثالث ان يعرف مافى القناعة من عز الاستغناء وما فى الطمع والحرص من الذل وليس فى القناعة الا الم الصبر عن الفضول والشهوات وهـذا الالم لايطلع عليه احد وفيه ثواب الآخرة ، واما الطمع فالم لا نهاية له مع الوبال والمآثم وربما تلزمه المداهنة ويهلك دينه ، الرابع ان يتأمل فى عيش اعداء الله من اليهود والنصارى وارذال الناس والى احوال الانبياء والاولياء وعامة الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين - الخامس ان يفهم مافى جمع المال من الآفات مع مايفوته من المدافعة عن باب الجنة خمسمائة عام -

المطلب الثالث

فى السخاء

اعلم ان المال إن كان مفقودا فينبغي ان يقنع ولايحرص وان كان موجودا فينبغي ان يختار الايثار والسخاء والتباعد من الشح والبخل فان السخاء من اخلاق الانبياء سيما الايثار فانه ارفع درجات السخاء وهوأن يجود بالمال مع الحاجة اليه كما ان اعلى البخل ان يبخل على نفسه مع احتياجه اليه وليس بعد الايثار درجة فى السخاء وقد اثنى الله تعالى على الصحابة قال(ويؤثرون على انفسهم ولوكان بهم خصاصة) واما البخل فقيل هو منع الواجب فكل من ادى مايجب عليه فليس ببخيل وهذا غيركاف فان من رد الخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصفها فانه يعد بخيلا بالاتفاق - وقيل هو الذى يستصعب العطية - وهذا ايضا قاصر إذ كم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها وإن اراد بعض العطية فما من جواد الا ويستصعب بعضها - واما الجود فقيل عطاء بلا من

واسعاف بلا رؤية - وقيل على رؤية ان المال لله والعبد لله فيعطى عبدالله مال الله على غير رؤية الفقر - وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه الاقل فهو صاحب جود - ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل فاعلم ان هذه التفاسير لا تفى بالمقصود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود فامساكه فى محل البذل بخل وبذله فى محل الامساك تبذير والوسط المحمود فالسخاء والجود عبارة عنه ولكن يشترط ان يكون ذلك بطيب القلب - ثم تمييز قدر الواجب عسير جدا وجملة الكلام فيه انه قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة فمن منع واجبا منها فهو بخيل ومانع واجب الشرع ابخل كمانع اداء الزكاة او نفقة العيال او يؤديها بمشقة وكلفة - وواجب المروءة كتقتير نفقة اولاده واهله وله مراتب اذلا يقبح من الفقير مايقبح من الغنى ويستقبح مع الاقارب مالا يستقبح مع الاجانب ويستقبح مع الجار مالا يستقبح مع الاباعد ونحو ذلك فمن ادى واجب الشرع والمروءة فقد تبرأ من البخل ولكن لايتصف بصفة الجود والسخاء مالم يبذل زيادة على ذلك ولكن بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولاعن مطمع ورجاء مكافأة اوشكراً وثناء أوخوف من الهجاء اوملامة الخلق لأن من اعطى لما ذكر من الاحوال معتاض لاجواد وانما الجود البذل من غير عوض ولهذا لا يوجد الجود الا فى حق الله تعالى وفى الآدمى مجاز نعم من فعله لغرض الثواب وتطهير النفس عن رذالة البخل يسمى جوادا فى بنى آدم -

المطلب الرابع

فى علاج البخل

اعلم ان البخل سببه حب المال وحب المال له سببان ، احدهما حب الشهوات التى لايتوصل اليها الابالمال مع طول الامل وان كان قصير الامل قام الاولاد مقام طول الامل فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوى البخل لامحالة ، وثانيهما ان يحب عين المال حتى لايخرج زكاته ولايداوى نفسه

عند

عند المرض بل يحب المال ويلتذ بوجوده وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه سيما فى كبر السن - واذا عرفت هذا فاعلم ان علاجه بمضادة سببه فيعالج حب الشهوات بالقناعة والصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر فى موت الاقران ويعالج الالتفات الى الولد بان الذى خلقه خلق رزقه وكم من ولد حسن حاله ولم يرث شيئا وكم من ولد ورث مالا عظيما وهو فى شدة - ويعلم انه يترك ولده بخير وهو ينقلب الى ربه بشر وأن ولده إن كان تقيا فيكفيه الله وان كان فاسقا يعين بماله على فسقه ويرجع مظلمته اليه - ويعالج ايضا بكثرة التأمل فى الاخبار الواردة فى ذم البخل وفى قبائح البخلاء - ومن علاجه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والشهرة بالسخاء فيبذل رئاء حتى يكون البذل طبعا وبعد ذلك يبدله الى الاخلاص والاعتدال، والصفات الذميمة قد يسلط بعضها على بعض ويكسر سورة بعض ببعض -

المطلب الخامس

فى وظائف العبد فى ماله

وهى خمس - الاول ان يعرف مقصود المال حتى لا يحفظ الا قدر الحاجة، الثانى ان يراعى جهة الدخل فيجتنب الحرام ومايقدح فى المروءة، الثالث ان لا يستكثر على القدر الواجب وقد عرفته ويراعى القصد فى الواجب ايضا، الرابع ان يراعى جهة الخرج ويقتصد فى الانفاق ويضعه فى محله - الخامس ان يصلح نيته فى الاخذ والترك والانفاق والامساك ولذلك قال على رضى الله عنه لو أن رجلا اخذ جميع مافى الارض وأراد به وجه الله فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد - قال بعضهم ان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة فاذا كان قصدك بهما التهيؤ للعبادة صار ذلك عبادة -

المطلب السادس

مدح الفقر وذم الغنى

اختلفوا فى ذلك، قال بعضهم الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر وعكس البعض

الا ان المختار عند المحققين الفقير الصابر افضل سيما وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل صعاليك المهاجرين الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام واعلم ان الكلام فى هذا المقام طويل لايمكن حصره فى هذا النزر الحقير فليطلب فى مواضع اخر وانما جعل غرضنا فى هذا الكتاب التجافى عن دار الغرور وذلك فى جانب الفقر اولى قال الشاعر —

لست بنظار الى جانب الغنى اذا كانت العلياء فى جانب الفقر

وايضا من راقب احوال الانبياء والاولياء واقوالهم وماورد من آثارهم واخبارهم لم يشك فى ان فقد المال افضل من وجوده وإن صرف الى الخيرات، والله المستعان وعليه التكلان —

الاصل الثامن

فى ذم الجاه والرئاء وفيه مطالب

المطلب الاول

فى ان حب الجاه اشد من حب المال

وذلك لأن كلامنهما للتوصل الى المطالب الا ان المال لما ان لم يأمن عن الآفات من السرقة والغصب وطمع الظلمة وكان الجاه الذى هو تسخير القلوب وتعظيمها له وطاعتها له مأمونا عن الآفات المذكورة صار الجاه احب عند الناس وايضا لما كان التوصل بالمال اصعب من التوصل بالجاه الى المال صار الجاه احب عنده وايضا ان ملك القلوب يسرى وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة بخلاف المال فان قلت النفوس مجبولة على حب الجاه اذ لايتوصل الى المحبوب الابه كاتساع الجاه وانتشار الصيت قلت هذا الحب له سببان احدهما وهو الجلى ان الانسان وان كان مكفيا فى الحال فانه طويل الامل والمال فى معرض الآفات وفى الجاه امن عن هذا الخوف، وثانيهما وهو الخفى الاقوى ان الروح امر ربانى به وصفه الله تعالى وقال (قل الروح من امر ربى) ولذلك كان محبا بطبعه التفرد بالكمال ولما فيه من الامر الربانى صار طبعه على حب صفات الربوبية من الكبر والعز

والتجبر والاستعلاء الا انه لما عجزت النفس عن دركـ منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهى محبة ومشتهية له ثم ان الكمال الحقيقى للوجود ان يكون وجود غيره منه وان لم يكن كذلك فلا اقل من ان يكون مستوليا عليه لانه نوع كمال ولما كان الموجود منقسما الى مالا يدخل تحت اختيار الانسان كالافلاك والكواكب، وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحتهما والى ما يدخل تحتها كالارض وما عليها من المعادن والنبات والحيوان. وقلوب نوع الانسان وكان طبع الانسان الاستيلاء على الكل احب ان يستولى على القسم الاول بالعلم والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم محاط والعالم محيط به فكذلك احب ان يعرف الله والملائكة والافلاك والكواكب. وجميع عجائب السموات وعجائب البحار والجبال وغيرها ـ

واما القسم الثانى ـ فأحب ان يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهى قسمان اجساد كالدراهم والدنانير ومافى حكمهما فيحب ان يتصرف فيها كيف يشاء لان محبوب النفس صفات الربوبية وما ذكر من التصرف منها فكذلك احب الدراهم والدنانير ولذلك ايضا احب استرقاق العبيد واستعباد الاحرار، والقسم الآخر ارواح كنفوس الآدميين وقلوبهم وهى انفس ماعلى الارض. فيحب الاستيلاء عليها تحقيقا لما فى طبعه من محبة صفات الربوبية لمافيه من الامر الربانى ـ ثم اعلم ان الكمال الحقيقى لله تعالى وما عدا هذا الكمال وهمى لا حقيقة له وذلك من وجوه ثلاثة، احدها من حيث كثرة المعلومات اذلا نهاية لها، وثانيها من حيث كون معلوماته مكشوفة له تعالى بأتم انواع الكشف على ما هى عليه، ثالثها من حيث بقاء العلم ابد الآباد مصونا عن التغير والعبد متى كان علمه بمعلومات كثيرة اومنكشفة اوباقية كان اقرب الى الله تعالى ثم المعلومات إما متغيرات وهى التى يمكن انقلابها، وإما ازلية وهى جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ابدية ازلية ثابتة ـ ومن هذا القبيل معرفة الله وما يجب له ومايستحيل فى صفاته ويجوز فى افعاله وحكمته فى ملكوت

السماء والارض وترتيب الدنيا والآخرة وهذا القسم هو الكمال الحقيقى يقرب به من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ويكون نورا يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا - وينطوى فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات لانها من افعاله تعالى وهذه الكمالات وان كانت كمالات فى رتبة الانسانية ليست كمالات حقيقية بالنسبة الى علمه تعالى لما عرفت وكذا القدرة فليس فيها كمال حقيقى وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى ومايحدث من الاشياء عقيب قدرته وارادته وحركته فهى حادثة باحداث الله تعالى - وكمال العلم يبقى للعبد بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فاما كمال القدرة فلا - نعم له كمال من جهة قدرته على اسباب العلم كسلامة اطرافه وحواسه لكن فى الحال وبالاضافة الى الجهال وانما الكمال الحقيقى للعبد القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو إما بالعلم وقد ذكرناه او بالحرية وهى الخلاص عن اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة فاذا الكمالات ثلاثة العلم والقدرة والحرية وان كمال القدرة بالمال والجاه ظنى لا اصل له الاقدر ما يصل الى الكمال -

المطلب الثانى

ما يحمد من حب الجاه وما يذم منه

اعلم انه كما يلزم للانسان من ادنى مال يتوسل به الى الآخرة كذلك لابد له من ادنى جاه يتوصل به اليها كخادم يعينه واستاذ يرشده ويعلمه وسلطان يدفع عنه الشر وحبه قدرا من الجاه الذى يتوسل به الى هذه الامور الثلاثة ضرورى لايذم عليه واما الذى يذم ان يجعل القصد الاصلى هذا الجاه ويجعل ما يتوسل بالجاه اليه وسيلة اليه كحب نفس المال وجعل العلم والدين وسيلة اليه وهو حرام واليه يؤول حرمة الرئاء - ثم الجاه فى الامور المذكورة اما باعتقادهم صفة هى موجودة فيه كقول يوسف عليه السلام (اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم) اوباخفاء عيب من عيوبه او معصية من معاصيه وذلك جائز لانه

ليس

ليس بتلبيس بل سد لطريق العلم بما لا فائدة فى العلم به لكن يخفى انه يشرب الخمر ولكن لايظهر أنه ورع لان الاخفاء جائز واما اظهار الورع رئاء - اوبان يدعى صفة ليست هى فيه بان يظهر انه عالم اوورع اوعلوى وذلك حرام قطعا لانه رئاء محض -

المطلب الثالث

فى اسباب حب المدح والثناء وبغض الذم والنفرة منه وهى اربعة

الاول وهو الاقوى شعور النفس بكما لها فان كان ذلك الكمال جليا ظاهرا كانت اللذة اضعف كطول القامة وبياض اللون وان كان خفيا مشكوكا فيه كانت اللذة اعظم كالعلم والورع سيما اذاصدر الثناء بهذا الكمال ممن هو خبير بذلك لايجازف فى القول كثناء الاستاذ على تلميذه ويعرف من لذة المدح بغض الذم عند الانسان -

الثانى ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح ومسخر تحت مشيئته ولهذا يعظم فى قلبه مدح الملوك والاكابر ويصغر عنده مدح الادانى ولهذا يتألم القلب من ذم الاكابر -

الثالث ان المدح سبب لاصطياد القلوب سيما اذا كان ممن يعتد بشأنه ولهذا يعظم اللذة فى مدح الاكابر فى الجمع الكثير ويعظم التألم من الذم فى الملأ -

الرابع ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه إما عن طوع اوعن قهر وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لايعتقد فى الباطن مامدح به ولكن يتلذذ به القلب لما فيه من الاستيلاء والقهر -

ثم ان هذه الاسباب كلا اوبعضا ربما تجتمع فى مدح مادح واحد فلا لذة فوقه واما علاج هذه الاسباب اما الاول فبأن يعلم انه غير صادق فى مدحه فتزول لذته وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه ثم ان علم ان المادح لا يعتقد ما يقوله بطلت اللذة الثانية وتبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على الاضطرار فان اعتقد أن ذلك عن خوفه وانه يلعب به بطلت اللذات كلها -

المطلب الرابع

فى علاج حب الجاه

اعلم ان من غلب على طبعه حب الجاه وكان مقصور الهم على مراعاة الخلق والمراياة لأجلهم ولا يزال ملتفتا الى مايعظم جاهه عنده وينجر ذلك الى التساهل فى العبادات ومراعاة القلوب وعلاج الجاه من حيث العلم ان الجاه وان صفا وسلم لك لكن آخره الموت بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة اوستين سنة لايبقى الساجد ولا المسجود له فلاينبغى ان يترك له الدين للذى هو الحياة الابدية ، واما من حيث العمل فبمباشرة فعل يسقط جاهه به عند الناس حتى ان بعضا من الملامتية اقتحموا صور الفواحش كذلك لكنه لا يجوز لمن يقتدى به والاسلم ان يسقط فى صورة المباح كالاكل الكثير ان عرف بقلة الاكل وكالدوران فى الاسواق ان عرف بالعزلة الى غير ذلك وهذا وامثاله وان كان ممنوعا فى الفقه لكن ارباب القلوب يعالجون قلوبهم تارة بالمكروهات وتارة بالمحرمات ليسلموا مما هو اشد منه لأن بعض الشر أهون من بعض ثم يتداركون ذلك بعلاج آخر ثم ان ههنا موضع غرور وهو أن الانسان ربما يعتزل ويزعم انه يترك الجاه ولكن غرضه تحصيل الجاه بذلك وهو لايعرفه فعليه ان يمتحن نفسه بذلك اولا فان جزع فليتدارك ذلك بالعلاج ولا يمكن ان لايطلب المنزلة عند الناس ما طمع فى الناس فعليه ان يدفع الطمع اولا بما بيناه فى موضعه ـ

المطلب الخامس

فى وجه العلاج فى حب المدح وبغض الذم

اعلم ان اكثر الخلق هلكوا لرجائهم من الناس المدح وتوقيهم عن ذمهم ـ فلابد من معالجة ذلك المرض ـ ولنقدم اولا اسبابه ثم لنبين علاجه ـ السبب الاول لستشعار الكمال بسبب قول المادح وعلاجه ان صفة المدح ان لم تكن فى الممدوح

فالفرح بها من غاية الجهل وان كانت فيه فاما ان يكون من قبيل الجاه والاغراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض - قال القائل -

اشد الغم عندى فى سرور ٭ تيقن عنه صاحبه انتقالا -

وان جاز الفرح بها ، لا ينبغى الفرح بالمدح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغى ان لا يفرح بها ايضا لأن الخاتمة غير معلومة - السبب الثانى دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر وذلك راجع الى حب الجاه وقد عرفت علاجه - السبب الثالث الحشمة التى اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا راجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها سيما وآفة المدح على الممدوح عظيمة واما علاج كراهية الذم قد سبق ان العلة فيها ضد العلة فى حب المدح فعلاجه يفهم منه وحاصله ان من ذم إما ان يكون صادقا وقصد به النصح فينبغى ان تتقلد منه وإما ان يكون صادقا وقصد الاذى والتعنت فأنت قد انتفعت بقوله اذ أرشدك الى عيبك ان كنت جاهلا او ذكرك عيبك ان كنت غافلا وقصده التعنت جناية على دينه ولا عليك من ذلك - وإما ان يفترى عليك بما انت برىء منه عند الله فعليك ان تتفكر فى ثلاثة امور - احدها ان خلوت من ذلك فلا تخلو عن امثاله وما يستر الله من عيوبك اكثر - وثانيها ان ذلك كفارة لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بذنب وطهرك عن ذنوب - وثالثها ان المسكين جنى على نفسه ودينه وتعرض لعقاب الله فلا ينبغى ان تغضب عليه مع غضب الله عز وجل فتشمت الشيطان به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغى ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه ومن جملة ما يهون عليه المذمة قطع الطمع فان من استغنى عنه لا يعظم عنده الذم والمدح -

المطلب السادس

فى احوال الناس فى المدح والذم وهى اربع

الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام

وهى غاية درجات المعصية - الثانية ان يمتعض ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته وهذا ناقص فى نفسه كامل بالاضافة الى ما قبله - الثالثة وهو اول درجات الكمال ان يستوى عنده ذامه ومادحه الاان ههنا موضع غرور وهو أن بعضهم يظنه من نفسه فعليه ان يمتحن هل يستثقل جلوس الذام عنده اكثر مما يجده فى المادح وهل يجد فى نفسه زيادة هزة ونشاط فى قضاء حوائج المادح فوق ما يجده فى قضاء حوائج الذام وهل يكون موت المادح المطرى له اشد نكاية فى قلبه من موت الذام وهل يكون زلة المادح اخف على قلبه وفى عينه من زلة الذام فمن استويا عنده فى هذه الامور فقد نال تلك الرتبة والا فقد ابعد عنها غاية البعد - الرابعة وهو الصدق فى العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر والذام مهد اليه عيبه ومرشد الى مهمه، ثم ان درجات المدح هو أن من الناس من يتمنى المدحة فيتوصل الى نيلها بكل ممكن حتى يرائى بالعبادات ولايبالى بمقارفة المحظورات وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك لكن يطلبه بالمباحات وهذا على شفا جرف هار إذ يوشك ان يقع فيما لايحل ومنهم من لايريد المدحة ولا يطلبها اصلا ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه وان جاهد ازالته فهو فى خطر المجاهدة فتارة يكون له واخرى عليه ومنهم من لايسر به ولا يغتم وهذا على خير إن قارنه الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذاسمعه لكن لاينتهى به الى الغضب على المادح وينكر عليه لكن بشرط الصدق فى غضبه والاصار نفاقا وهذه افضل الدرجات -

المطلب السابع

فى الرئاء

اعلم ان الرئاء حرام والمرائى عند الله ممقوت وقد شهد لذلك الآيات والآثار والاخبار واما حقيقته فهى ان الرئاء مشتق من الرؤية والسمعة من السماع وانما الرئاء اصله طلب المنزلة فى قلوب الناس برؤيتهم خصال الخير ويخص بحكم العادة بطلب المنزلة فى القلوب بالعبادات واظهارها وحاصله ارادة العباد بطاعة الله وذلك

خمسة اقسام ـ

الاول الرئاء فى الدين من جهة البدن كاظهار النحول والصفار ليدل بالنحول على قلة الأكل وبالصفار على السهر ودوام الحزن وكشعث الرأس ليدل على استغراق الهم بالدين وكخفض الصوت وغؤور العينين وذبول الشفتين ليدل على الصوم ـ

الثانى الرئاء بالزى والهيئة كشعث الرأس وحلق الشارب وغلظ الثياب وقصر الاكمام ليظهر من نفسه اتباع السنة واقتداء بعباد الله الصالحين ثم منهم من يرى لبس الخشن والمرقعات ليظهر الزهد عند الصلحاء ومنهم من يريد الجمع بين قبول الصلحاء وقبول الملوك ولايلبسون الثياب الفاخرة لئلايراهم الصلحاء ولاالخرقة لئلايراهم الملوك بل يلبسون الاكسية الرفيعة من الاصواف والمرقعات المصبوغة وقيمة ثوبهم ثوب الاغنياء ـ

الثالث الرئاء بالقول كالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاظهار غزارة العلم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات وترقيق الصوت بقراءة القرآن واظهار الحزن والخوف واظهار انه محدث حتى ينكر على من يبدل لفظا بمرادفه وهذا باب لا تنحصر جزئياته ـ

الرابع ـ الرئاء بالعمل كطول وتطويل الركوع والسجود واطراق الرأس وكذلك سائر العبادات حتى انه يرائى فى مشيه ايضا من اطراق الرأس والخشوع فى حركته ـ

والخامس ـ المراياة بالاصحاب والزائرين والمخالطين كاستزارة العلماء والزهاد والملوك وعمال السلاطين ليقال انهم يعظمونه ويتبركون به لعظم رتبته فى الدين ثم ان من ارباب الرئاء من لا يطلب من الناس المال بل يقنع منهم بحسن الاعتقاد كالرهبان الساكنين فى الجبال فان الجاه امر لذيذ فى نفسه كما عرفت ومنهم من يريد مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد الصيت فى العالم ليكثر الرحله اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته ليقوم له به جاه عند

العامة ومنهم من يتوسل به الى جمع حطام الدنيا ولو من الاوقاف وهؤلاء اشر طبقات المرائين ثم اعلم ان الرئاء منها (١) ماهو مباح كطلب قليل من الجاه ليسلم به من الآفات بشرط ان لايرتكب المحظور فى تحصيله واما الجاه الكثير الواسع من غير حرص مذل على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلاضرر فيه اذلا اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ومنها ما هو مكروه كطلب الجاه بالمباحات اذا احتمل ان يباشر به مباشرة مالا يجوز ومنها ما هو حرام كطلب الجاه بالعبادات وجعلها وسائل الى الدنيا وسيجيء تفصيله آنفا ثم ان الرئاء بالعبادات اما بأن يقصد الرئاء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لأن الاعمال بالنيات بل يعصى بذلك ويأثم بل هذا من كبائر المهلكات وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر ووجه ذلك ان الغرض من الركوع والسجود تعظيم الله تعالى حتى لوفعلهما لغيره تعالى صار مشركا شركا جليا واذا فعلهما لله صورة وأراد بهما تعظيم الخلق لقصده التقرب اليهم كان معظما لغير الله تعالى صورة فيصير شركا خفيا اى شركا لم يطلع عليه احد ولم تجر عليه احكام الكفر وكيف والغرض من العبادة طاعة القلب، والبدن وسيلة اليه وكون عبادة البدن لغير الله تعالى كفرا انما هو لكونه عنوانا ودليلا على حال القلب لأن حاله بانفراده معتبر فى نفسه فهذا حال الرئاء وهو اصعب المعاصى ولا يخلو قلب عنها الا الاقلين من عباد الله المخلصين ومع كثرته فعلاجه اصعب من علاج سائر المعاصى۔

ربنا لا تكلنا الى انفسنا طرفة عين ولا اقل من ذلك انك انت التواب الرحيم والآيات والاخبار فى شأن الرئاء اشهر من ان تذكر۔

المطلب الثامن

فى درجات الرئاء وهى اربع

الاولى وهى اغلظها ان لايكون مراده الثواب اصلا فهو الممقوت عند الله عز وجل۔ الثانية ان يقصد الثواب قصدا ضعيفا بحيث لوكان فى الخلوة لا يفعله فهذا قريب

(١) كذا۔

مما قبله وشائبة قصد الثواب لاينفى عنه الاثم والمقت -
الثالثة ان يكون قصد الثواب والرئاء متساويين بحيث لوخلا كل منهما عن الآخر لم يبعثه على العمل ولما اجتمعا انبعثت الرغبة فيرجى ان يسلم رأسا برأس لاله ولا عليه وظواهر الاخبار تدل على انه لايسلم -
الرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولولم يكن لكان لم يترك العبادة ولوكان قصد الرئاء وحده لما اقدم على العمل فالذى يظن والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكن ينقص منه اويعاقب على مقدار قصدا لرئاء ويثاب على مقدار قصد الثواب -

المطلب التاسع

فى الرئاء باصول العبادات واوصافها وفيه درجات

الاولى وهو اغلظ الرئاء بأصل الايمان نعوذ بالله من ذلك وصاحبه مخلد فى النار والمراد بالمنافقين المذكورين فى القرآن هو هذا -
الثانية باصول العبادات بعد الايمان وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول كمن يترك العبادة كسلا وينشط عند اطلاع الخلق وما اجدرصاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن اصل الايمان -
الثالثة ان يرائى بالنوافل والسنن بأن يكسل عنها فى الخلوة ويبعثه الرئاء على فعلها خوفا من المذمة اوطلبا للمحمدة وهذا ايضا عظيم لكنه دون ما قبله وهذا هو الرئاء باصول العبادات - واما الرئاء باوصافها فعلى ثلاث درجات ايضا -
الاولى ان يرائى بفعل ما فى تركه نقصان العبادة كالذى غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولايطول القراءة فاذا رآه الناس احسن هذا فهذا ايضا محظور لأن فيه ايضا تقديم الخلق على الخالق -
الثانية ان يراعى بما لا نقصان ان تركه بل فعله للتكملة والتتمة كمدّ القيام وتحسين الهيئة فى رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى - الثالثة ان يرائى بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضورالجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول

وتوجهه الى يمين الامام ونحو ذلك وهذا دون ما قبله الا انه مذموم ايضا -

المطلب العاشر

في المرايا لاجله وله ايضا درجات ثلاث

الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده بالتقوى والورع والامتناع عن الشهوات التمكن من المعصية كالقضاء وتولية الاوقاف ومنهم من يظهر زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة وقصده التحبب الى امرأة او غلام وهؤلاء ابغض المرائين الى الله عزوجل اذ جعلوا طاعة ربهم سلما الى فسقهم وشهواتهم -

الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال مباح اونكاح امرأة جميلة اوشريفة اوبنت عالم اوعابد فهذا محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه -

الثالثة ان يظهر عبادته خيفة ان لايعد من الخاصة والزهاد كمن يظهر الصوم واذا غلب عليه العطش يقول افطرت تطييبا لقلب فلان او يقول ان امي ضعيفة القلب مشفقة على تظن اني لوصمت يوما مرضت فلاتدعني ان اصوم واما المخلص فلايبالي كيف نظر الخلق اليه -

المطلب الحادي عشر

في بيان الرئاء الذي هو اخفى من دبيب النمل

واعلم ان الرئاء اما جلي كما عرفت واما خفي وهو لايؤثر في العمل ولافي التسهيل والتخفيف ولكنه يسربا طلاع الناس عليه ويرتاح له ويروح عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رئاء خفي في القلب مستكن استكنان النار في الحجر فان لم يقابل ذلك السرور بكراهية يصير ذلك قوة وغذاء للعرق الخفي من الرئاء حتى يتحرك حركة خفية حتى يتكلف ان يطلع عليه الناس بالتعريض دون التصريح وقديخفى فلايدعو الى التعريض بل الى الاظهار بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال

على

على طول التهجد ـ واخفى من ذلك ان لا يريد اطلاع احد عليه ولا يسر بذلك لكن يحب ان يبدأ بالسلام والبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه وينشطوا لقضاء حوائجه وأن يوسعوا له فى المكان كأنه نفسه يتقاضى منه الاحترام على الطاعة التى اخفاها حتى لو لم تسبق منه طاعة لما استبعد نفسه تقصير الناس فى حقه فلم يزل المخلصون على خطر عظيم من الرئاء الخفى حتى كان بعضهم يحرص على اخفاء اعماله الصالحة اخفاء الناس فواحشهم خوفا من الرئاء الخفى اذ لايجازى الله تعالى بالاعمال الا اذا خلص له تعالى ـ واعلم ان السرور الحاصل من ظهور العبادة ربما يكون محمودا وهو أربعة ـ

الاول ان يعرف ان الله تعالى اظهر طاعاته واخفى معاصيه وهذا لطف عظيم من الله عزوجل على عباده فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس ـ

الثانى ان يستدل باظهار الله الجميل وبستره القبيح عليه فى الدنيا انه يفعل كذلك فى الآخرة ـ

الثالث ان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به فى الطاعة فيتضاعف بذلك اجره اجر العلانية بما ظهر آخرا واجر السر بما قصده اولا ـ

الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله فى مدحهم ومحبتهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة اخلاصه فى هذا النوع ان يكون فرحه بمدحهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه ـ

المطلب الثانى عشر

بيان ما يحبط العمل من الرئاء الخفى او الجلى وما لا يحبط

واعلم ان العمل اما ان ينعقد على الاخلاص ثم ورد وارد الرئاء او ينعقد على الرئاء ، والاول اما ان يرد الرئاء بعد الفراغ او قبله والاول سرور مجرد بالظهور دون الاظهار فهذا لا يحبط الاعمال اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص فما يطرأ بعده نرجو أن لا ينعطف عليه اثره لاسيما اذا لم يتكلف اظهاره ولم يتمن ذلك ـ نعم لو ظهرت له رغبة فى الاظهار بعد تمام العمل على الاخلاص فهذا مخوف ، وفى

الاخبار والآثار مايدل على انه محبط لكن القياس ان يثاب على عمله ويعاقب على مراياته بعد ذلك واما اذا ورد الرئاء قبل الفراغ فاما ان يكون مسرورا لايؤثر فى العمل اويكون باعثا على العمل والاول لايفسد العمل اذا لم ينعدم اصل نيته والثانى يحبط عمله ان ختم العبادة به ، والقسم الثانى وهو ما ينعقد العمل على الرئاء فان تم عليه فلاخلاف انه يعصى وان ندم عليه فى اثناء صلاته واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة اوجه احدها ان صلاته لم تنعقد فليستأنف وثانيها ان التحريمة عقد والرئاء خاطر فى القلب لايفسد العقد فليستأنف الركوع والسجود وسائر الافعال ، وثالثها لايلزمه الاعادة اصلا بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والختم على الاخلاص كالابتداء عليه ، واعلم ان مذهب الفريقين الاخيرين خارج عن قياس الفقه وانما القياس ان يقال ان كان الباعث فى ابتداء العقد مجرد الرئاء لم ينعقد افتتاحه ولم يصح مابعده اذ النية اجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة ، واما اذا كان باعث الدين ثم تجدد له الرغبة لأجل الناس فها هنا باعثان فهذا اما ان يكون فى صدقة اوقراءة وماليس فيه تحريم وتحليل يثاب بباعث الدين ويعاقب بقصده الفاسد ولا يحبط احدهما الآخر، وان كان فى صلاة اوحج يقبل الفساد بتطرق وخلل الى النية فان كان نفلا فحكمه حكم الصدقة واما ان كان فرضا وانبعث بمجموع الباعثين فهذا لا يسقط عنه الواجب لأن الايجاب لم ينتهض بمجرده باعثا ويحتمل انه صلى لوجه الله تعالى وقد اقترن غيره به فلما وجد الاول سقط عنه الفرض واقتران غيره به لايمنعه كالصلاة فى الارض المغصوبة ، واما ان كان الرئاء فى المبادرة دون اصل الفرض بانه ان خلا كان يصلى ولكن فى آخر الوقت اووسطه فهذا مما يقطع بصحة صلاته لان اصل الصلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت هذا كله فى رئاء يكون باعثا على العمل ، فاما مجرد السرور بظهور العمل فبعيد بان يفسد الصلاة والمسألة غامضة اذالفقهاء لم يتعرضوالها اصلا والذين تعرضوالها حكموا ببطلان الصلاة بادنى خاطر ولعل القصد ما ذكر

المطلب

المطلب الثالث عشر

فى بيان دواء الرثاء لأنه من كبائر المهلكات وانه قد انغرس فى قلبه وهو فى الصبا لأنه يرى فى الناس التصنع فيغلب عليه حب ذلك وفى علاجه طريقان ـ

الاول قلع عروقه واستئصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه واصله ثلاثة حب لذة المحمدة والفرار من ألم المذمة والطمع فيما فى ايدى الناس واصلاح كل هذه قد مر ولكنا نذكر الآن مايخص الرثاء وهو أن رغبة العاقل فى شىء لظنه انه خير له ونافع ولذيذ حالا ومآلا فان علم انه لذيذ حالا وضار مآلا سهل عليه قطع الرغبة عنه كما اذا علم ان فى العسل سما ولايخفى ان فى الرثاء آفة عظيمة مآلا لأنه يحرم فى الدنيا من التوفيق وفى الاخرى من المنزلة عندالله بل يستحق البغض والمقت عندالله ولو لم يكن فيه الا احباط طاعة واحدة كان كافيا فى معرفة ضرره عند العاقل مع ما يتعرض له فى الدنيا من تشتت الهم بسبب رضا الناس مع انه غاية لاتدرك اذ كل مايرضى به فريق يسخط به فريق مع ان الله تعالى مسخرلقلوبهم بالمنع والاعطاء اذ لا رازق الاالله على ان فى الطمع ذلا لا يتناهى لايفى حاصله بذله على انه اى خيرلك فى مدحهم وانت عندالله مذموم واى شرلك فى ذمهم وانت عندالله محمود هذه هى الادوية العلمية واما الادوية العملية فهوأن يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غيرالله به ـ ثم ان الرثاء اذا عرض فى اثناء العبادة فطريق دفعه مجموع ثلاثة امور ـ المعرفة والكراهة والإباء مثلايجب ان تعرف ان الله تعالى اذا كان عالما بحالك ذى فائدة فى علم غيره فتثمر هذه المعرفة اذا رسخت فى قلبه كراهة الرثاء بسبب تفكره فى تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم فتنازع هذه الكراهة الشهوة الكامنة فى القلب من حب المدح وبغض الذم ثم تثمر هذه الكراهة اذا رسخت فى القلب الاباء عن الرثاء ـ وأصل ذلك كله حب الدنيا وهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب ـ

فان نازع طبعه بعدتحقق الكراهة والاباء فى قلبه الى حب الرثاء ومال طبعه اليه

فذلك لايكون من المرائين لان الطبع لايدخل تحت الاختيار ولم يكلف الله عبدا الاماقى وسعه وهذا كله حال المتوسطين - واما المخلصون عن الرئاء فلهم فى دفع خواطر الرئاء اربعة طرق - احدها ان يطيل الجدال مع الشيطان وذلك فى الحقيقة نقصان لأنه اشتغال عن مناجاة الله تعالى وعن الخير الذى هو فيه وانصراف الى قتال قطاع الطريق وهذا نقصان فى السلوك - وثانيها ان يقتصر على تكذيبه ودفعه وهذا وقفة فى الطريق - ثالثها ان يقرر فى قلبه كراهة الرئاء وكذب الشيطان فيستمر على ماكان عليه - ورابعها ان يعزم انه مهما نزع الشيطان الى اسباب الرئاء زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله تعالى واخفائه الصدقة والعبادة وذلك هو الذى يغيظ الشيطان - ثم اعلم ان ارباب القلوب اختلفوا فى طريق دفع مكايد الشيطان فلاحاجة بهم الى الحذر ومنهم من قال وهم اهل الشام ان التصرف بالنفع والضر انما هو لله تعالى لا شريك له فى تدبيره وان الشيطان ليس اليه امر فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر - ومنهم من قال من اهل العلم لابد من الحذر من الشيطان وقد امرنا الله تعالى به ولا يسلم احد من الشيطان وما ذكره البصريون من استغنائهم عن الحذر فهو غرور اذ الانبياء لم تسلم من نزعات الشيطان فكيف غيرهم - قال تعالى (وما ارسلنا من رسول ولانبي الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته) ثم المشتغلون بالحذر فرقتان فرقة يقولون لا اهم علينا منه فلا نشتغل الا به وفرقة يقولون اشتغال الهم كله بالحذر منه هو مراد الشيطان ليصدنا بذلك عن ذكر الله بل لابد من الجمع بين الامرين وقال المحققون كلا الفريقين غلطا - اما الاولى فلأنه نسي ذكر الله تعالى وانما امرنا بالحذر لئلايصدنا عن ذكر الله ثم يؤدى ذلك الى خلو القلب عن النور ومن خلا عن النور لايمكنه الحذر عن الشيطان اصلا ، واما الفرقة الثانية فقد جمع بين ذكر الله وذكر الشيطان وبقدر مايشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله تعالى وقد امر الله تعالى الخلق بذكره ونسيان ماعداه ابليس اوغيره والتحقيق ان يقرر الانسان اولا عداوة الشيطان ووجوب الحذر منه ثم يشتغل بذكر الله

عز وجل

عزوجل ويكتب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان بعد ذلك لأن هـذا يستكن فى قلبه فيتنبه فى اثناء الذكر فيشغل به عن ذكر الله لأن الانسان اذا استكن فى قلبه ان يتيقظ فى وقت الصبح لاجل مهم له ربما يتنبه اثناء نومه مرات وهو غافل عنه بالنوم ولا يخفى ان ذكر الله يحيي قلبه بنور العلم والعقل ويميت الهوى والشهوات فكفاه ذلك امر الحذر من الشيطان ـ

المطلب الرابع عشر

فى الرخصة فى اظهار الطاعات

كما ان فى الاسرار فائدة الاخلاص كذلك فى الاظهار فائدة الاقتداء به وآفة الرثاء والاظهار قسمان احدهما اظهار نفس العمل كالتصدق فى الملأ لترغيب الناس فى الصدقة وكذا سائر الاعمال كالصلاة والحج لكن بشرط ان لايكون فيه شوائب الرثاء وبشرط ان لايؤذى اظهاره الخلق كما هو الاكثر فى التصدق ـ ثم الناس اختلفوا بعد اتفاقهم عـلى جواز الاظهار للقدوة وعدم جواز الاظهار بدون قدوة ان السر افضل ام الاظهار للقدوة والحق ان الاظهار ليقتدى به افضل مالم يشبه الرثاء واذا خاف من شوب الرثاء فالاسرار افضل ـ ثم من يظهر العمل له وظيفتان احداهما ان الاظهار بنية انما يصح فيمن يقتدى به الناس كالعلماء دون غيرهم ـ ثانيتهما ان يراقب قلبه حتى لا تظهر نية ان يقتدى به انما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذه حال كل من تظهر اعماله الا الاقوياء المخلصين وقليل ماهم والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان تعرض (على) نفسك ان تخفى العمل حتى يقتدى الناس بعابد آخر من اقرانك ويكون لك فى ذلك مثل اجر الاعلان فان مال قلبه الى ان يكون المظهر نفسه فباعثه الرثاء ـ

وثانيهما الاخبار عن العمل والخطر فيه اشد لأن النطق يخف على اللسان وربما يزيد اظهارا للدعوى لأن لذة النفس فيه عظيمة ـ واما من جهة ان الرثاء اثنائى لايفسد العمل السابق فهو اهون الا ان من قوى قلبه واستوى عنده مدح الناس وقدحهم وصفت النية وسلمت من جميع الآفات يجوز حكاية اعماله لأنه ترغيب

فى الخير والترغيب فى الخير خير - قال بعض العارفين ينبغى ان لايسد باب اظهار الاعمال لأن ذلك سبب لاتباع الناس واقتدائهم بمن يظهرها اذا لم يعرفوا رئاءه ففى ذلك خير كثير للناس وان كان شرا للرائى وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر -

المطلب الخامس عشر

فى الرخصة فى كتمان الذنوب

اعلم ان كتم الذنوب ليس برئاء بل اظهار الورع والتقوى حتى يجوز الاغتمام باطلاع الناس عليه من ثمانية وجوه - الاول ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم وخاف ان يهتك ستره فى القيامة وهذا غم ينشأ من قوة الايمان - الثانى انه قدعلم ان الله يكره ظهور المعاصى ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وهذا ايضا من قوة الايمان - الثالث ان يكره ذم الناس له لانه يشغل القلب عن الطاعة كما ان الحمد يكره ايضا لأنه ايضا يشغله عن الله وهذا ايضا من حب الطاعة لله تعالى - الرابع ان يكره ذم الناس لتألم قلبه وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصى اذا جزعت نفسه ودعته الى ما لايجوز حذرا من ذمهم نعم كمال الصدق فى ان يستوى ذامه ومادحه لعلمه ان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا الا ان بعضا من الذم يحب التألم به كما اذا صدر من اهل البصيرة فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله فكيف لانغتم به وانما المذموم الغم بالذم بفوات الورع كأنه يحب ان يحمد بالورع فيرجع الى الرئاء واما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك - الخامس ان يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله به وهذا من الايمان - السادس ان يستر ذلك كى لا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم - السابع مجرد الحياء فانه نوع الم وراء الم الذم وهو خلق كريم يحدث فى اول الصبا مهما اشرق عليه نور العقل فيستحيى من القبائح وهو وصف محمود - وفى الحديث الحياء خير كله - وفيه الحياء شعبة من الايمان ثم

ثم ان الحياء قد يعقبه الرئاء كن لايريد اقراض اخيه ولكن يستحيي من ردهـ فحينئذ ان اعطاه لينتشر اسمه بالسخاء اولا ينسبوه الى البخل فقد اعقب الحياء الرئاء وان اعطاه للثواب فى الاقراض اولادخال السرور على قلب اخيه فقد اعقبه الاخلاص وان اعطاه لا لأجل المحمدة ولا خوف المذمة ولارجاء للثواب فقد اعطاه لمجرد الحياء ويعلم بانه لو طلبه بالمراسلة لمنعه - الثامن إن يخاف من ظهور ذنبه ان يستجرئ عليه غيره ويقتدى به وبهذه العلة ينبغى ان يخفى العاصى معصيته عن اهله وولده لئلايتعلمونه (١) منه واعلم انحبك محبة الناس لك قد يحمد اذا اردت حبهم على حجك وغزوك وصلاتك فانه طلب عوض على طاعة الله عاجلا وقد يباح اذا اردت ان يحبوك بصفات محمودة سوى الطاعات -

المطلب السادس عشر

ترك الطاعات خوفا من الآفات وهذه اقسام

الاول الطاعات اللازمة للبدن الذى لايتعلق (١) بالغير ولالذة فى عينها كالصلاة والحج والغزو فخطرات الرئاء فيها ثلاث - احدها الرئاء الباعث على العمل فينبغى ان يترك العمل عند ذلك اويدفع الرئاء، وثانيها ان يعقد العبادة على الاخلاص ثم يعرض الرئاء فينبغى ان يدوم على العمل ويجاهد فى دفع الرئاء ولايترك العمل، ثالثها ان يعقد على الاخلاص فى اولها ويعرض الرئاء فى اثنائها فيدوم على العمل ايضا ولكن يجاهد فى ان يرجع الى الاخلاص وربما قال الشيطان لافائدة لك فى هذا العمل واتركه وهذا غرور منه لأن ما لايدرك كله لا يترك كله - وترك العمل لأجل ذلك يجر الى البطالة وما نقل عن السلف من ترك العمل للرئاء فذلك محمول على النوافل اوالعلاج لانفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف -

القسم الثانى - مايتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار واعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال، اما الخلافة والامارة فهى من افضل العبادات اذا كانت مع العدل والاخلاص مع ما فيها من عظيم الخطر اذ يغلب فيه على النفس حب الجاه ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا ولهذا ورد فى الاخبار

---

(١) كذا -

والآثار الترغيب فيها والتنفير عنها فيجب ان لايمنع منها الخواص والاقوياء وهم الذين لا تميلهم الدنيا ولا يستفزهم الطمع ولا يأخذهم فى الله لومة لائم وسقط الخلق من اعينهم ولكن لايدور حولها الضعفاء فيهلكون لأنهم وان صبروا عن(١) الحق كافة انفسهم عن الشهوات فى غير الولاية لكن لا امن لهم من ان يتغير اذا ذاقوا لذة الولاية وان يستحلوا لذة الولاية ونفاذ الامر وأن يكرهوا العزل فيداهنوا خيفة من العزل ، ولهذا تمنع الضعفاء من تقلد الولاية عند الاكثرين ، قال بعضهم يجوز التقلد اذا امن فى الحال عن اتباع الهوى ولا يمنعه عنه الخوف عن امر فى المستقبل ، والصحيح القول الاول وهو عدم التقلد لأن النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلايعتمد عليها ثم ان الامتناع عن قبول الولاية اهون عند النفس من العزل لأنه كما قيل طلاق الرجل والنفس لا تسمح به فيميل الى المداهنة واهمال الحق فهوى به فى قعر جهنم الا ان يعزل قهرا ففيه عذاب عاجل واما القضاء ففيه ثواب عظيم مع اتباع الحق وعقاب اليم مع العدول عنه فهو كالامارة والولاية وفى معناها وان كان فى الحكم دونها فينبغي ان يتركه من يخاف عن العزل ولا يفرح بدونه اذ يلتزم خوفا من العزل اتباع الهوى فهوى مع الظلمة فى الدرك الاسفل من النار واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته ايضا عظيمة مثل آفة الولايات فان قلت مهما حكم بذلك على اهل العلوم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق قلت اما النهى فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم مع ما فى عدم السلطنة والامارة من الفتن والفساد ما لايخفى ومع ذلك النهى لم تتعطل تلك الولايات لكون النفوس مجبولة على حب الرياسة وكذلك حب الرياسة لايترك العلوم تندرس فعلى هذا تعدد الواعظ فى البلد فليس فى النهى الامتناع البعض اذ ترك الكل لذة الرياسة فى حد الامتناع ولو انحصر فى واحد وكان وعظه نافعا للناس فلا نمنعه وان قال لا املك نفسى لأنه لو ترك اهلك الناس بل يقال له اشتغل وجاهد ايضا لو كان غرضه الجاه وفى الاشتغال يهلك هو وحده

---

(١) كذا

وفى الترك يهلك الناس كلهم فنجعله فداء للقوم فيدخل فيمن قاله النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لاخلاق لهم ثم ان الواعظ هو الذى يرغب فى الآخرة ويزهد فى الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته واما ما احدثه الوعاظ من الكلمات المزخرفة والسجعة المقرونة بالاشعار فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان يجب اخلاء البلاد منهم وبالجملة فضل العلم عظيم الا ان خطره كثير وذلك ليس لنفس العلم بل لاظهاره والتوسل به الى الرئاء فالأحب ان لايترك لآفته بل يحصله ويدفع الآفات بالمجاهدة ، ثم فى الواعظ علامات يعرف بها صدقه واخلاصه ، احدها انه لوظهر عالم هو اغزر منه علما والناس اشد له قبولا يفرح به ولم يحسده وان فعل فالغبطة ، وثانيها ان لايتغير كلامه اذا حضروا مجلسه وثالثها ان لايحب اتباع الناس له فى الطريق ومما ينبغى ان يعلم ان العبد ربما يقع بين اظهر قوم يقومون للتهجد فيوافقهم ففيه امران احدهما انه موافقته لهم ان كان بسبب رفع الثقلة بمشاهدة عبادتهم ودفع الاشغال الواقعة فى بيته اولمفارقته النوم لاستنكاره الموضع اولسبب آخر فيغتنم زوال النوم فهذا وامثاله من الاسباب ليس من الرئاء بل هو تجدد النشاط واما اذا فعل ذلك لأجل رؤيتهم وخوفا من مذمتهم لاسيما اذا اعتقد أنهم يظنونه يقوم بالليل فليتركه فانه من الرئاء وربما يكون فعله لباعث الدين مقرونا بحب الحمد فلا يترك ايضا ويمتحن نفسه بانه لولم يروه هل يترك العمل اويستثقله ام لا فان كان الاول فهو من الرئاء والافلا واصل العلاج فى هذا الباب القناعة بعلم الله تعالى فى جميع طاعاته واذا خطر جانب العباد يتذكر عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامها ابد الآباد وعظم غضب الله ومقته الا انه لاينبغى ان ييأس بان يقول لا ينجو من الرئاء الا الاقوياء فيترك المجاهدة فى الاخلاص اذ لايأس عن صفاء الماء بعد كدره من الجهل بحقيقة الماء وخلو جوهره عن المكدرات وصفائها عن الملوثات ومثال النفس مثال الماء واعلم ان الله تعالى كريم رحيم لوشاء لأغنى عباده عن التعب والنصب ولكن اراد أن يبلوهم ايهم احسن عملا ثم انه لايضيع سعى الراجى ولا يخيب امل المحب

وقد قال من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتانى يمشى اتيته هرولة وقال لقد طال شوق الابرار الى لقائى وانا الى لقائهم اشد شوقا فليظهر العبد جده وصدقه واخلاصه فلايعوزه ما هواللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته ـ

الاصل التاسع

فى ذم الكبر والعجب وفيه مطالب

المطلب الاول

فى ذم الكبر والاختيال وفضيلة التواضع

واعلم ان الله تعالى ذم الكبر والاختيال ومدح التواضع فى مواضع كثيرة من كتابه بحيث لا يخفى على احد ذلك وكذلك وقع فى الاحاديث مايوافق القرآنه اخبار كثيرة لايمكن حصرها مع شيوعها عند الناس واعلم ان الكبر صفة فى النفس وماق الظاهر من اماراتها وهو أن يرى نفسه فوق الغير فى صفات الكمال فيحصل فى قلبه اعزاز(١)وهزة وفرح وركون الى رؤية نفسه ـ ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم اعوذبك من نفخة الكبر ـ واما العجب فلايشترط فيه رؤية الغير بل لوخلق وحده يحصل العجب ـ واما الكبر فيشترط فيه ذلك واما الآثار الظاهرة منه ويسمى تكبرا انيحقر(٢) من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته وربما يشتد الكبر فيستنكف عن خدمته ايضا بل عن خدمة عتبته وادنى مراتبه ان يأنف عن مساواته فيأنف ان يرد عليه ان ناظره ثم انه ربما ينظر الى العامة كأنهم الحمير ويستحقرهم الى غير ذلك من الاحوال القبيحة قلما ان ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن العوام ـ

المطلب الثانى

فى اقسام الكبر باعتبار المتكبر عليه وهى ثلاثة

الاول التكبر على الله كما فعله نمروذ وفرعون وهومن افحش انواع الكبر واقبحها

(١) كذا وفى الاحياء ـ اعتداد (٢) كذا ـ

والعياذ بالله - الثانى التكبر على الرسل والانبياء صلوات الله عليهم وسلامه من حيث ترفعه عن الانقياد لبشر وذلك تارة مع الجهل بحقيته حيث يصرف الكبر عن الفكر فيه وتارة يعرف حقيته ولكن لاتطاوعه نفسه بالانقياد - الثالث التكبر على العباد بان يترفع عليهم ويستصغرهم ويزدريهم وهذا وان كان دون الاول لكنه عظيم ايضا من وجهين احدهما ان العز والكبر لايليق الابالملك القادر والعبد بمعزل عن ذلك ثانيهما انه يدعوالى مخالفة الله عزوجل لأنه ربما يسمع الحق من عبد فيأنف عن قبوله ويتشمر لجحده كما تشاهده فى المناظرين فى مسائل الدين كما فعله ابليس حيث جره كبره الى مخالفة أمر الله تعالى -

المطلب الثالث

فى اقسام مابه الكبر وهى سبعة

الاول العلم وما اسرع الكبر الى العلماء لأنهم يرون انفسهم كمال العلم وجماله فيستعظمون انفسهم ويستحقرون من عداهم ويتوقعون منهم الخدمة ويستسخرونهم فى حوائجهم بمنزلة عبيدهم هذا امر الدنيا ، واما فى الآخرة فيرون انفسهم عند الله خيرا منهم فيرجون لانفسهم اكثر مما يرجون لهم ويخافون عليهم اكثر مما يخافون على انفسهم مع ان العلم الحقيقى ان يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وان حجة الله على العلماء اعظم من حجته على الجاهل وذلك يقتضى ان يرى كل أحد خيرا منه والكبر فى العالم امابا شتغاله بماليس هويعلم كالطب والحساب واللغة والشعر والنحو وطريق فصل الخصومات والمجادلات وهذه صناعات وانما العلم الحقيقى مايورث الخشية والتواضع ، واما بان يشتغل بالعلم لكن هوخبيث الدخلة ردىء النفس سيئ الاخلاق لأنه لم يشتغل اولا بتهذيب نفسه فاذا خاض فى العلم اى علم كان صادف من قلبه منزلا خبيثا فلم تطب ثمرته ولم يظهر فى الخير اثره وانما العلم كالغيث تشوبه الاشجارفيزيد للمر مرارة وللحلوحلاوة وكذا العلم يزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا - وما اعز على بسيط الارض عالم لم يحركه عزالعلم ولوعرفنا ذلك باقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته وتسرى الينا سيرته

وسجيته ولكنه هيهات أنى يسمح آخر الزمان بمثلهم - الثانى العمل والعبادة بان يروا غيرهم بزيارتهم اولى من انفسهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بحوائجهم وتوقيرهم والتوسيع لهم فى المحافل وذكرهم بالورع والتقوى وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق وكذا فى الدين يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا الا انه هو الهالك تحقيقا - وان منهم من يظن انه اكرم على الله من الانبياء حيث انتقم له من اعدائه اذا اصابهم مكروه ويزعم ان ذلك من كراماته وكثير من اعداء الانبياء امهلهم الله فى الدنيا وربما اسلم فسلم فى الآخرة ايضا ثم الكبر فى العلماء اما ان يستكن فى قلبه ويتواضع ظاهرا ويظهر على افعاله ايضا واشد منها من يظهر فى اقواله بان يدعى بالمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الاعمال والمقامات والتبشر بغلبة فى العلم والعمل - الثالث التكبر بالحسب والنسب وذلك عرق دفين فى النفس قلما ينفك عنه نسيب وان كان عاقلا وصالحا الا انه يطفئ ذلك بنور بصيرته - الرابع التفاخر بالجمال واكثر ما يجرى ذلك بين النساء ويدعو ذلك الى الغيبة وذكر عيوب الناس - الخامس الكبر بالمال وذلك يجرى بين الملوك فى الخزائن والتجار فى بضائعهم وبين الدهاقين فى اراضيهم وبين المتجملين فى لباسهم وخيولهم ومراكبهم وكل ذلك جهل منه بآفة الغنى وفضل الفقر - السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف - السابع التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان والعشيرة والاقارب والبنين ومن ذلك المكاثرة بالمستفيدين بين العلماء والجنود بين الملوك -

المطلب الرابع

فى اسباب الكبر وهى اربعة

احدها العجب وانه يورث الكبر الباطن وهو يثمر التكبر - ثانيها الحقد لأنه اذا رسخ فى القلب تأنف النفس ان تطاوع ذلك وان تتواضع له فكم من رذل لا تطاوع نفسه ان يتواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه - وثالثها الحسد وهو ايضا يبعثه على ان يعامله باخلاق الكبر وان لم ير نفسه فوقه فى باطنه - ورابعها الرئاء فان كثيرا

من الناس يتكبر على آخر ولا يستفيد منه العلم لئلا يقول الناس انه افضل منه - واما آثار المتكبر فى الشمائل صعر الوجه والنظر شزرا واطراق الرأس والجلوس متربعا ومتكئا وفى اقواله تغير فى صوته ونغمته وصيغته فى الايراد - وربما يظهر فى مشيه وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته الى غير ذلك وربما يجتمع الكل فى شخص وربما يتكبر شخص فى بعضها ويتواضع فى غير ذلك -

المطلب الخامس

فى طريق معالجة الكبر

وهى اما باستئصاله او دفع العارض منه - اما الاول فاما علمى وهو ان يعرف نفسه وربه اذ عند ذلك يعرف ان له الذل ولربه الكبرياء ويعرف ان بدنه من اى شىء خلق والى اى شىء سيؤول فى القبر وعند الحشر واهواله ثم هو اما الى الجنة واما الى النار - واما عملى وهو التواضع لله ولسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين ويتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل كما يأكل العبيد - واما الثانى فبدفع الاسباب السبعة المذكورة - اما الكبر بالنسب فبدفعه بانه الاعتزاز بكمال غيره وان النسب الحقيقى نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل فمن اين جاءت الرفعة لولده واصله توطأ بالاقدام وفضله يغسل عنه الابدان فاما الكبر بالجمال فبأن ينظر الى ما فى باطنه من الاقذار والنجاسات وجريانه اولا من الذكر ثم قراره فى الرحم ثم خروجه من مجرى القذر - واما علاج الكبر بالقوة فبأن ينظر الى ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق من بدنه لصار اعجز من كل عاجز وان دخلت بقة فى انفه او نملة فى اذنه قتلته وان شوكة لو دخلت فى رجله لأعرجته وان الحمار والثور والجمل يفوقك فى هذا فأى فضل لك فيها - واما علاج الكبر بالغنى والمال والاتباع والانصار فعلاجه ان هذه الامور فى معرض الآفات ولو زالت عنك لبقيت وحدك فأى فخر لك فى ذلك واما علاج الكبر بالعلم فمن اصعب الامور وأشدها لأن قدره عظيم عند الله وعند الناس ففيه طريقان احدهما ان يعرف ان حجة الله تعالى على العالم اوكد لأن

عصيانه أفحش من عصيان الجاهل وثانيها أن يعلم أن الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا - قال تعالى للعالم ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندنا - وايضا ان العالم اذا تكبر فهو جاهل فكيف يتكبر بالعلم وهو جاهل فلا بد أن يصغر نفسه حتى يعظم عند الله فاذا انه اذا نظر الى جاهل يقول انه قد عصى الله بجهل وقد عصيته بعلم فهو خير مني وان نظر الى عالم يقول انه يعلم ما لا اعلم وان نظر الى كبير يقول هو اكبر مني سنا واطاع الله قبلي وان نظر الى صغير يقول انه عصى الله بعدي وان نظر الى مبتدع او كافر يقول ما يدريني لعل الله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن - ولكن ينبغي ان لا يؤدي هذا التواضع الى مداهنة الفساق واطفاء نور الغضب لله اذ عليك عند غضبك لله ملاحظة ما سبق من ذنوبك وتميزك عنه بالعلم والعمل انما هو نعمة من الله تعالى وملاحظة ابهام عاقبتك فبملاحظة هذه الامور لا يؤدي الغضب لله الى الكبر فيجتمع عنده ذلك مع التواضع فيكون باعث الغضب رضا مولاك لا نفسك بان ترى نفسك ناجيا وذلك هالكا - واما علاج التكبر بالورع والعبادة فطريقه طريق معالجة الكبر بالعلم ولا ينافي ذلك فضل العابد على الفاسق عند الله لأنه وان كان كذلك عند الله لكن لا شعور له بالختم على العبادة والورع فلا يتكبر على الفاسق فضلا عن المستور - ثم ان معرفة الكبر من النفس قد يصعب اذ قد يستكن في القلب فلا يشعر به صاحبه فله امتحانات - اولها ان يذعن للحق ان ظهر في واحد من اقرانه ويشكر له على تنبيهه للحق والا ففيه الكبر وعلاجه ان يذكر خسة نفسه وان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق ويشكره على الاستعاذة منه ويقول جزاك الله خيرا لقد كنت غافلا عنه وان لم يثقل ذلك في الخلوة بل في الملأ ففيه رئاء فليعالجه وان ثقل فيهما معا ففيه الكبر والرئاء جميعا - وثانيها ان يقدم الاقران على نفسه في المحافل فليواظب عليه ان ثقل ذلك عليه حتى يسقط ثقله ويذهب كبره الآن هاهنا مكيدة.

الشيطان وهو أن يقدم اقرانه ويجلس هو فى صف النعال اويجعل بينه وبين اقرانه بعض الارذال وليس هذا تواضعا بل هو عين الكبر اذ يوهم بذلك انه ترك مكانه تفضلا فيكون تكبرا فى صورة التواضع بل التواضع حقيقة أن يجلس تحت اقرانه ولا ينحط عنهم الى صف النعال ايضا - وثالثها ان يجيب دعوة الفقير ويمر فى حاجات الرفقاء والاقارب الى السوق فان ثقل ذلك عليه فهو كبر - وعلاجه مامر من المواظبة على دفعه مع المعارف التى تزيل داء الكبر - ورابعها ان يحمل حاجة نفسه واهله واقاربه ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت نفسه فهو كبر إن خلا الطريق ورئاء عند مشاهدة الناس يجب علاج كل منهما بما مر - وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد تفنى البتة والقلوب لاتدرك السعادة الا بالسلامة عن الآفات - وخامسها ان يلبس ثيابا بذلة فان نفر عنها فى الملأ فرئاء وفى الخلاء فكبر وقد يجتمعان فاعرف الامراض اولا حتى تمكن مداواتها ثم اعلم التواضع واسطة بين الكبر والمذلة وهما مذمومان وخير الامور اوساطها فمن يتقدم على اقرانه فهو متكبر ومن يتأخر عن اسكاف مثلا واجلسه مجلسه ثم سوى نعله وعدا الى باب الدار خلفه فهو تذلل وتخسيس بل يكفيه البشر فى الكلام والتعظيم بالقيام والرفق فى السؤال واجابة دعوته وغير ذلك وليحذر عن الطرفين وليطلب الوسط مهما امكن -

المطلب السادس

فى العجب وذمه مثل ذم الكبر وقد كثر ذمه فى الآيات والاحاديث وقد ذكرنا حقيقته والفرق بينه وبين الكبر ولنذكر آفاته وهى كثيرة لأنه يدعو الى الكبر وآفاته قد مرت - ومن آفاتها (١) انه ينسى ذنوبه ويظن انه يستغنى عن تفقدها ويستصغرها ولا يتداركها وربما يظن انها تغفر له وايضا يستعظم عباداته ويمن بها على الله تعالى وينسى نعمة الله تعالى بالتوفيق والتمكين منها ويعمى عن آفاتها ويغتر بنفسه وربه ويأ من مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان ويخرجه العجب الى ان يثنى على نفسه ويحمدها ويزكيها فيستبد برأيه وان كان خطأ ويستنكف

عن سؤال من هو اعلم منه ولا يستمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر غيره بعين الاستجهال - وان كان خطاه فى اصول العقائد يهلك ابدا - واعلم ان الانسان ان كان خائفا على زوال نعمه من علم ومال فهذا ليس بمعجب - وان كان خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله سبحانه عليه لا من حيث اضافته لنفسه وهذا ايضا ليس بمعجب - وان كان غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه من حيث انه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة وبالجملة يكون فرحه من حيث نسبته الى نفسه لا الى الله تعالى فهو معجب لامحالة وان انضاف الى ذلك انه مستحق لهذه الكرامة فى الدنيا لان له على الله تعالى حقا حتى استبعد أن يجرى عليه مكروه وسمى هذا إدلالا بالعمل فكأنه يرى نفسه على الله دالة - وايضا ان اعطى غيره شيئا فاستعظمه ومن عليه يكون معجبا - وان استخدمه واقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه فالادلال وراء العجب فلايدل الاوهو معجب ورب معجب لايدل فان توقع اجابة الله دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله وهو من مقدمات الكبر -

المطلب السابع

فى علاج العجب والعجب جهل وعلاجه المعرفة مثلا الورع انما يعجب به من حيث انه محله ومجراه اومن حيث انه منه ولقدرته وقوته - والعجب بالاول جهل محض اذلا فخر بما ليس أمره اليه وبالثانى ايضا كذلك فيتأمل فى قدرته وارادته وسائر الاسباب التى بها يتم عمله انه من اين كان له ذلك فإن كان جميع ذلك من نعمة من الله من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلى بها فينبغى ان يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله فكل كمال وعلم وجمال من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضله وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله فان ادعيت ان كل ذلك اعمالى حتى ارجولها ثوابا فاعلم انك وقدرتك وارادتك وحركتك كل ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت إذعملت كما قال تعالى (ومارميت اذرميت ولكن الله

دمى)هذا هو الحق الصريح الذى انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العين - واما كيفية الثواب فيسجىء فى كتاب الشكر وايضا مفاتيح الاعمال القدرة والارادة والعلم وهذه بيد الله تعالى لامحالة فتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب ليس شىء اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولاتعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه فى ايثاره اياك على الفساق من عباده وسيأتى ما يستبين به انه لافاعل الاهو ولاخالق سواه ومن غفل عن ذلك ربما يقول يارب لم افقرتنى وانا العاقل لكنه كلام جاهل غافل اذلوجمع بينهما لقال الفقير الجاهل يارب لم جمعته(١) بينهما وحرمتنى عنهمافاذا اقتضت الحكمة ان العلم متى ازداد نقص من المال اللهم الاناد را لايسأل عما يفعل وهم يسألون - ثم ان اقسام العجب اقسام الكبر بعينها وعلاجها علاجها فاعتبر كل ذلك هاهنا والأمر ظاهر لمن له بصيرة تامة والله اعلم بالصواب -

الاصل العاشر

فى ذم الغرور وفيه مطالب

المطلب الاول

قد ذم الله تعالى ورسوله الغرور بحيث لاحاجة الى ذكرها واما حقيقته فهو من انواع الجهل وهو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل الى الطبع من شبهة وخدعة من الشيطان ومن اعتقد أنه على خير عاجلا اوآجلا من شبهة اومخيلة فاسدة فهو مغرور فاكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت اصنافهم ودرجاتهم مثل ان يقال الدنيانقد والآخرة نسيئة والنقد خير من النسيئة وان يقال لذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلايترك اليقين بالشك - وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس فى قوله انا خير منه ولا يخفى فساد هذه الاقيسةاذ النقد خير من نسيئة هى مثله واليقين خير من شك هومثله لا مطلقا - وايضا الآخرة ليست شكا بل هى يقين عند المؤمنين هذا غرور الكفار - واما غرور

العصاة من المؤمنين فقولهم ان الله كريم نرجو عفوه ويسمون تمنيهم هذا رجاء وانه محمود فى الدين وان رحمة الله واسعة للمؤمنين وانا مؤمنون موحدون الا انه قياس مموه اذ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وما ذكروه هو التمنى غيّر الشيطان اسمه الى الرجاء وخدع به الجهال - وايضا ربما يتمنون بصلاح الآباء كاغترار العلوية الا ان آباءهم مع غاية الورع والتقوى خائفين فما بالهم يأمنون مع فجورهم وفسقهم فكأنهم اكرم على الله من آبائهم فيغرهم الشيطان ويقولون من احب انسانا احب اولاده مع ان نبينا صلى الله عليه وسلم اذن له فى زيارة قبر امه ولم يؤذن له فى الاستغفار فجلس يبكى على قبر امه لرقته لها - والتقوى فرض عين على كل احد فلايجزى والد فيه عن ولده شيئا وكل ذلك غرور باطل وانما موضع الرجاء من تاب من المعاصى ورجا قبول التوبة ويتذكر أن الله كريم يقبل التوبة عن عباده ومن اقتصر بالفرائض من الاعمال ورجا نعيم الآخرة وما وعد الله به الصالحين فالواجب ملاحظة ان الله غافر الذنب شديد العقاب وانه الغفور والمنتقم - وايضا هو المبتلى عباده فى الدنيا بانواع المحن والآلام مع انه قادر على ازالتها - فاذا كانت سنة الله تعالى على هذا المنوال فكيف يغتربه عباده فالرجاء والخوف قائدان يبعثان على العمل وما لايبعث على العمل فهو غرور وتمن باطل -

المطلب الثانى

فى اصناف المغترين

منهم العلماء وهم ستة اصناف الاول من احكم العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واهملوا محافظة الجوارح عن المعاصى والزامها الاعمال الصالحة وظنوا انهم بعلمهم عند الله بمكان وهم مغرورون لان العلم اما علم مكاشفة ويسمونه علم المعرفة وعلم التصفية وهم بمعزل عنها واما علم المعاملة الذى سموه علم الشرائع فذلك لأجل العمل فلولم يعمل به لم يكن له قيمة لاعند الله ولا عند الخواص اذ العلم بالدواء لايزيل المرض مالم يستعمله - الثانى الذين احكموا العلم والعمل وتركوا المعاصى الا

انهم لم يفتقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة من الكبر والحسد والرئاء وطلب الجاه ونحوها وهؤلاء ايضا مغرورون اذ لاينجو فى الآخرة الا من أتى الله بقلب سليم ، الثالث الذين علموا مذمومية هذه الاخلاق الاانهم لعجبهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام وربما يعتذر من كبره ويقول ان هذا طلب عزالدين واظهار شرف العلم وهؤلاء ايضا مغرورون اذ العجب من اشد الصفات المهلكات وايضا يداخل السلاطين ويقول غرضى نفع المسلمين واذا اخذ من اموالهم يقول مال لا مالك له وانا امام المسلمين وعالمهم ويحل لى الاخذ بقدر الحاجة وفى ذلك غرور ان احدها انه لامالك له وكيف لا انهم يأخذون اموال المسلمين وهم أوورثتهم احياء وخلطها بالحلال لا يجعله حلالا وثانيها قوله انا امام وكيف لا ومن انتهى جرأته فى اخذ الحرام الى هـذه الرتبة فهو دجال الدين وقوام مذهب الشياطين، الرابع الذين اظهروا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات وجاهدوا انفسهم فى التبرى من ذمائم الاخلاق الا انهم مغرورون اذ بقيت فى زوايا القلب خفايا من مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس فتراه يسهر ليله ويتعب نهاره فى التصانيف حرصا على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفى طلب الذكر وانتشار الصيت فى الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الاكناف وهذا المسكين لو تغيرت عليه القلوب فعساه يتشوش عليه قلبه ويختلط اوراده ووظائفه ـ الخامس الذين اقتصروا عـلى علم الفتاوى فى الحكومات والخصومات وخصصوا علم الفقه بها وضيعوا الاعمال الظاهرة والباطنة ولم يمنعوا ألسنتهم عن الغيبة وبطونهم عن الحرام ورجليهم عن المشى الى السلاطين ولم يزكوا قلوبهم عن الكبر والرئاء والحسد وامثال ذلك فهؤلاء مغرورون اما من حيث العمل فانه اشتغل بفرض الكفاية ان صحت نيته قبل الفراغ من فرض العين لانه اشتغل بالفتـاوى وهى فرض كفـاية وترك فرض العين وهو اصلاح نفسه واما من حيث العلم فانه ظن علم الفتاوى علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسوله وربما طعن على المحدثين

بانهم نقلة اخبار وحملة اسفار لا يفقهون - السادس الذين اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة فى الاهواء واعتقدوا ان العمل لا يصح الا بالايمان والايمان لا يصح الا بمناظراتهم ومجادلاتهم ثم انهم اما ضالة وهم الذين يدعون الى غير السنة واما محقة وهم اهل السنة والجماعة وكلهم مغرورون اما الاولى فلضلالهم ورؤيتهم الشبهة دليلا واما الثانية فلظنهم الجدال من افضل القربات فى الدين واما من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير فليس بمؤمن ولا بكامل الايمان ولا بمقرب عند الله الا انهم لالتذاذهم بالغلبة والافحام والانتماء الى الذب عن الدين عميت بصيرتهم فلم يلتفتوا الى القرن الاول حيث ارشدوا الضال وهجروا المصرين على الضلال ورأوا من الدين ترك الجدال ثم الاكياس قالوا انا نهينا عن الجدال ولم ننته عنه فلا ينفعنا يوم القيامة مع ان المبتدع لا يترك بدعته بالجدال بل يزيده التعصب والخصومة فالاولى بنا ان نتفقد انفسنا ونتنزه عما يبغضه الله من الصفات ونتمسك بما يحبه - ومنهم الوعاظ واعلاهم رتبة من يتكلم فى اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والاخلاص والصدق ونظائر ذلك وهم مغرورون بان من تكلم بهذه الصفات يصير موصوفا بها وانهم ما تبحروا فى علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدر واعلى تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون والمسكين يرى انه خائف من الله وهو آمن ويرى انه من الراجين وهو من المغترين ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين وهم يحسنون بأنفسهم الظنون فاذا كشف عنهم الغطاء يفتضحون بل تندلق اقتابهم فى النار فيدور بها احدهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر، وانما سبب غرورهم مصادفتهم فى قلوبهم شيئا ضعيفا من اصول هذه المعانى من حب الله والخوف منه والرضا بفعله فظنوا انهم اتصفوا بها فهيهات هيهات ولا يخلو عن القدر احد من المؤمنين الصالحين وانما الكمال امر آخر يعرفه اهله ، وصنف منهم عدلوا عن المنهاج الواجب الى الشطح والطامات وتلفيق كلمات مخالفة للشرع للاغراب ، وصنف آخر منهم شغفوا بتسجيع الالفاظ وذكر الفراق والوصال ليكثر فى مجلسهم التواجد والزعقات

فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل فيزيد كلا مهم جرأة على المعاصي ورغبة فى الدنيا لاسيما اذاتزين بالثياب والخيول، وصنف منهم حفظوا كلام الزهاد فى ذم الدنيا ويؤدونها فى المساجد والمنابر ويظنون انهم قد افلحوا بهذا وصاروا آمنين من عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام، وصنف منهم استغرقوا اوقاتهم فى علم الحديث وطلب الاسانيد الغريبة العالية ولهم غرور من وجوه احدها انهم حملة الاسفار يظنون ان ذلك يكفيهم، وثانيها اذا لم يفهموها لم يعملوا بها، وثالثها انهم يتركون ما هو فرض عين وهو معالجة القلب، ورابعها انهم لا يراعون شروط السماع ايضا وهى السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر والبيان وهم يقتصرون على السماع ويقصرون فى السماع ايضا اذ ربما يحضر الصبي والشيخ والصبي يلعب والشيخ ينام والبالغ الحاضر ربما يغفل ولا يصغى ثم يكتب الشيخ اسم الكل فى الاجازة ويتصدى كل منهم لرواية كل ما قاله الشيخ ولم يسمع بعضه الا ان للمحدثين فى ذلك جاها فخاف المساكين ان اشترطوا ذلك ان يقل جمعهم -

ومنهم المشتغلون باللغة وغريبها والشعر والنحو واغتروا به وزعموا انهم علماء الامة اذ قوام الكتاب والسنة بما ذكرنا فنى (هؤلاء) اعمارهم فى دقائق النحو وغرائب اللغة وفى حكمهم من ضيع العمر فى تصحيح مخارج الحروف فى القرآن واقتصر عليه لأنهم اتخذوا القشر مقصودا فاغتروا به -

ومنهم المغرورون بوضع الحيل فى الاحكام الشرعية فى دفع الحقوق وتأويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطأوا فيها وهذا غرور لايجدى فى الآخرة يوم الفصل والقضاء -

ومنهم من اهملوا الفرائض واشتغلوا بالنوافل وربما تعمقوا فى الفضائل حتى غلبت عليهم الوسوسة فى الطهارة وفى نية الصلاة ويظنون انهم على خير عند ربهم وربما يغلب عليه الوسوسة فى اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها كالفرق بين الضاد والظاء والاحتياط فى التشديدات حتى لايفكر فى الصلاة

الا فيما ذكر ، وربما يوسوس احدهم فى ختم القرآن فى اليوم والليلة مرة فالسنتهم تجرى وقلوبهم فى اودية الامانى وهو مغرور به اذ يظن ان المقصود من التلاوة الهمهمة بالقرآن مع الغفلة عن الانزجار بزواجره والاتعاظ بمواعظه والاعتبار بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك وربما يكون له صوت طيب ويلتذبه وهو يظن بغروره انه يلتذ بمناجاة الله تعالى وسماع كلامه ـ

ومنهم المغترون بصوم الدهر اوصوم الايام الشريفة وربما يصلى فى اليوم والليلة مائة ركعة اوالف ركعة ويفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل ونحو ذلك مع ان ألسنتهم فى الغيبة وخواطرهم فى الرئاء وافطارهم من الحرام وذلك غاية الغرور ومكيدة الشيطان ـ

ومنهم المغترون بالحج مع مال حرام ومع الرفث والخصام وترك الصلاة والصيام ومع عدم دفع المظالم واسترضاء الوالدين وامثال ذلك ، وربما يغترون بمجاورة مكة مع تلوث ظاهرهم وباطنهم بالقبائح وقلبه معلق ببلاده ولكنه يختاره ليقال انه قد جاور بمكة سنين كثيرة ـ

ومنهم المغترون بالحسبة من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يأمر الناس بالبر وينسى نفسه ويطلب الرياسة ويغلظ فى القول وينكر من خالفه للرياسة والعز ـ وربما يغتر بعضهم بأن يقال له مؤذن المسجد الفلانى اوامام الجامع الفلانى ـ ومنهم من زهد فى المال ويسكن فى المساجد ليظن انه ادرك رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب فى الرياسة والجاه اما بالعلم اوبالوعظ او بمجرد الزهد وترك المال وهو اهون واخذ اطم الامرين اعنى الجاه حتى انه ربما يتطاول على الاغنياء وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله وربما لا يقبل المال خوفا من ان يقال بطل زهده وكل ذلك غرور وخدعة من الشيطان ـ

ومنهم متصوفة اهل الزمان اغتروا بالزى والهيئة والمنطق من الالفاظ والاصطلاحات وفى احوالهم من الطهارة والصلاة والرقص والسماع وادخال الرأس فى الجيب وخفض الصوت وتنفس الصعداء الى غير ذلك ولم يتعبوا انفسهم

فى المجاهدة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية بل تراهم يتكالبون على الحرام والشبهات ويتحاسدون على النقير والقطمير وغرور هؤلاء اظهر من ان يخفى ـ وبعض منهم من يغير الزى لا الى الخشن ولا الى الخز والابريسم بل الى المرقعات النفيسة والسجادات المصبوغة ولباس هوارفع قيمة من الخز والابريسم وهؤلاء اشد شرا من الاولين اذ يظهرون ان التصوف يجتمع مع شهوات النفس وربما يقتدى بهم العوام فيتعدى شرهم اليهم ـ ومنهم من يدعى علم المعرفة ومشاهدة الحق والوصول الى القرب والملازمة فى عين الشهود ولا يدرى هذه الامور الا بالاسامى وهو ينظر الى العباد بعين الازراء ويقول للعباد انهم اجراء متعوبون وللعلماء انهم بالعلم لمحجوبون حتى ان منهم من وقع فى الاباحة وطوى بساط الشرع ويقولون اعمال الجوارح وسيلة الى محبة الله تعالى ونحن والهون فى حبه عاكفون فى حضرة الربوبية فلاحاجة بنا اليها وهؤلاء مغرورون حرموا الاغتنام بخدمة شيخ صالح عالم فوقعوا فى حزب الشيطان وامثال هؤلاء كثيرة ـ ثم ان بعضا من هؤلاء تجاوز واحدهم واحسنوا الاعمال وطلبوا الحلال واشتغلوا بتفقد القلب وصارت تدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها ـ وان منهم من يخيل فى الله خيالات هى بدعة اوكفر فيدعى حب الله قبل معرفته ـ

ومنهم من يخوض فى البرارى من غير زاد لتصحيح التوكل وذلك بدعة اذ السلف كانوا يأخذون الزاد ويتوكلون ـ وبعض هؤلاء ضيقوا على انفسهم فى أمر القوت واهملوا تفقد القلب والجوارح ـ وفرقة اخرى ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا الخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكفلوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال حتى من السلاطين ـ واخرى منهم اشتغلوا بتهذيب الاخلاق والفحص عن عيوب النفس وآفاتها ويقولون هذه ب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشتغلون بكلمات

مسلسلة تضيع الاوقات فى تلفيقها - ومثا له من فاته الحج لاشتغاله بعوائقه وآفاته وفرقة تجاوزوا عن حد هؤلاء انفتح لهم باب المعرفة فتعجبوا منها وفرحوا بها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فى كيفية انفتاح بابها عليهم فيحرم بذلك عن المقصد - وفرقة اخرى جاوزوا حد هؤلاء حتى قاربوا اووصلوا الى حد القربة فظنوا انهم وصلوا الى الله عزوجل فوقفوا وغلطوا - فان لله سبعين حجابا من نور لايصل السالك الى واحد منها الاويظن انه وصل الى المقصد وهذا غرور عظيم -

ومنهم المغترون من ارباب الاموال كأن بعضا منهم يبنون المساجد والرباطات ليتخلد ذكرهم الاانهم غرورين احدهما بناؤهم من المال الحرام اوالشبهات وثانيهما انهم يظنون الاخلاص وليس كذلك اذلايرضى باتفاق دينار اذا لم يذكر اسمه وربما ينفق الحلال لكن يطلب الثناء والرثاء ولذلك يصرف الى المساجد لأن بانيها مذكور عند الناس - وايضا يزخرفها ويزينها بالنقوش الشاغلة لقلوب المصلين وهو مع ذلك يغتربه ويرى انه من الخيرات ويرى المنكر معروفا - وان بعضا منهم ينفقون الاموال على الفقير لكن فى المحافل ليذكر وليشكر به الناس(١) وبعض من الاغنياء يمسكون الاموال عن مصارفها ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التى لايحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن ولو قلعوا صفة البخل عنهم وهم اليه احوج لكان خيرا لهم - ومن قبائحهم الحيل فى الزكاة والتوسل بها الى الاغراض الفاسدة -

ومنهم غرور العوام من الاغنياء والفقراء بحضورهم مجالس الذكر وانه يغنيهم ويكفيهم من غيرعمل واتعاظ، مريض يحضر مجالس الاطباء ولايتداوى وهذا ايضا من الغرور -

المطلب الثالث

اعلم ان مداخل الغرور اذا عرفتها فلعلك تستحيل الخلاص عنها وتحكم باستحالته لكن لا يخفى عليك ان الانسان اذا فترت همته فى شيء اظهر اليأس منه واستعظم

(١) كذا -

الامر

الامر واستوعر الطريق واما اذا صح منه الجد وقوى العزم اهتدى بالحيل الى مطلوبه حتى انه يقتنص الوحوش المنطلقة فى البرارى ويستخرج الحيتان من البحار والذهب والفضة من تحت الجبال ويستسخر الفيلة ويعبث بالافاعى ويستخرج منها الترياق ويعرف مقادير الكواكب وعرضها وطولها وهو على الارض الى غير ذلك فلا يصعب عليه اصلاح قلبه ان كان همه هذا الهم فقط - واذا عرفت هذا فاعلم ان اسباب الخلاص من الغرور ثلاثة - احدها العقل وهو الفطرة الغريزية وصفاؤه وهذا نعمة من الله تعالى فى اصل الفطرة فان فاتت بيلادة وحماقة فلا تدارك لها والعقل اصل كل خير ولا يربى بدونه الخير اصلا شهدت بذلك الاخبار والآثار، الثانى المعرفة اعنى معرفة اربعة امور يعرف نفسه بالعبودية والذل واجنبيا عن هذه الشهوات وانما يوافق طبعه معرفة الله والنظر الى وجهه الكريم ويعرف ربه ولايمكن ذلك الا بمعرفة نفسه ولقد اسلفنا مايبعثك الى هذه ويعرف الدنيا والآخرة بمامر فى كتاب ذم الدنيا وفى كتاب ذكر الموت ثم ان العبد بعد ما وقع(١) عن نفسه شوائب الغرور بان يهذب اخلاقه وراقب القلب حتى صفا عن جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وضوت الدنيا فى عينه ولم يبق الاهم واحد وهو الله تعالى ربما يخاف عليه ان يأتيه الشيطان من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة الى خلق الله فيراهم فى دينهم سكارى وفى امورهم حيارى صما عميا قداستولى عليهم المرض وهم لايشعرون فقدوا مع ذلك الطبيب واشرفوا على العطب انبعث من ذاته الاشتغال بنصحهم ثم يدعوه الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل لايشعر به المريد فلم يزل ذلك دأبه حتى دعاه الى التصنع والتزين بتحسين الالفاظ والنغمات والتصنع فى الزى والهيئة حتى اقبل الناس يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه مثل الملوك بل ازيد اذا رأوا شافيا لدائهم من غير طمع فصار احب اليهم من آبائهم وامهاتهم وهادوا(١) له خولا كالخدم والعبيد وحكوه على السلاطين فعند ذلك ارتاحت نفسه وذاقت لذة يالها من لذة حتى يغضب على من يرد عليه خطأه ثم يخيل اليه الشيطان ان ذلك غضب لله تعالى

(١) كذا -

وربما يقع فى الوقيعة فيمن رد عليه وهكذا يسوقه الشيطان و يوقعه فيما هرب عنه قليلا قليلا وهو لايشعر ، واما علامة صدقه فى النصح للناس ان يود أن يوجد احد يهتدون به ولايطمع فى ثنائهم واموالهم واستوى عنده مدحهم وذمهم اذ لا ينفعه مدحهم اذا لم يحمد الله ولايضره ذمهم اذا اقترن به حمد الله و ينظر الى الناس كما ينظر الى السادات من حيث يرى كلهم خيرا من نفسه وكما ينظر الى البهائم من حيث قطع طمعه عن طلب المنزلة فى قلوبهم فان قلت من بلغ هذه الرتبة فى الخلق اعز من الكبريت الاحمر فاذا منع الناس عن الوعظ لانسد باب النصح قلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذم باب الدنيا ولم يمتنع الناس عنها لشدة الدنيا فى قلوبهم محبة و ميلا وكذا رياسة الوعظ ليست امرا يتركها الناس بهذا القدر من التقبيح فان الله عزوجل يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر و باقوام لاخلاق لهم ، فان قلت اذا فعل ما ذكرت من الامور وترك النصح او فعله وراعى طريق الصدق والاخلاص يبقى بين يديه اخطار الاغترار؟ قلت نعم قول الشيطان قد اعجزتني وافلت مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما اعظم عند الله محلك اذ قواك على قهرى فعند ذلك يعجب بنفسه من فراره من الغرور كله والعجب اعظم من كل ذنب ، فان قلت فاذا خلص من العجب المذكور فاى شي يخاف عليه ؟ قلت يخاف عليه من الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة فى المستقبل ويأمن مكر الله والامن من مكره تعالى خسران عظيم بل اللائق ان يرى الكل من فضل الله ولا يأمن من مكر الله ولا يغفل عن خطر الخاتمة وهذا خطر (لا) محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط فنسأل الله حسن الخاتمة فان الامور بخواتمها والسلام ــ

الشعبة الرابعة

فى ربع المنجيات وفيها عشرة اصول ايضا

الاصل

الاصل الاول

في التوبة وفيه مطالب

المطلب الاول

في التوبة ووجوبها

اعلم ان التوبة مجموع امور ثلاثة احدها معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب ، وثانيها الحال وذلك معرفة فوات المحبوب تورث الما للقلب والالم على الماضي يسمى ندما ثم ينبعث منه حالة أخرى تسمى ارادة وقصدا ، وثالثها الفعل وذلك لأن الندم المثمر للارادة على الفعل اما في الحال فبترك الذنب او بالاستقبال فبالعزم على الترك او بالماضي فبتلافي ما فات ، ثم هذه الامور الثلاثة اعنى المعرفة والندم والعزم تسمى توبة ثم ما ذكر في حد التوبة اكثرها قاصر عن الاشارة الى هذه الامور فالحد الجامع ما يجمع هذه الامور ثم فضيلة التوبة لا تخفى على احد وما ذكر في فضلها من الاخبار والآثار فاكثر من ان يحصى واشهر من ان يخفى ـ واما كيفية وجوبها فهي انه لا مبعد عن الله الا اتباع الشهوات ولا مقرب اليه تعالى الا الانقطاع عن الذنوب ولا يمكن الانقطاع عنه(١) الا بالمعرفة والندم والعزم المعبر عن مجموعها بالتوبة فان قلت مرجع التوبة الى الالم وهو لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب قلت سبب الالم الحاصل من الندم وهو المعرفة التي لها اسباب اختيارية فان قلت أليس للعبد اختيار في الفعل والترك قلت نعم للعبد اختيار مع ان الكل مخلوق له تعالى وذلك لان الله تعالى لا يخلق حركة اليد بكتابة ما لم يخلق فيها صفة القدرة والحياة والارادة والارادة المجزومة متفرعة على الداعية وهي على العلم وله ايضا اسباب اخر مترتبة وكل هذا من اختراع الله تعالى ولكن بعض هذه الشرط (١) للبعض والعبد يجرى تحت هذه الحوادث المترتبة في قضاء الله الذي

---

(١) كذا ـ

هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لايتغير انما ظهورها على التفصيل مقدرة بقدر فاذا ظهرت من باطن الملكوت الامور المذكورة على جسم عبد مسخر تحت قهر التدبير سبق اهل عالم الملك والشهادة الى ان العبد قد تحرك فحينئذ ينادى من وراء سرادقات الملكوت ايها العبد(ما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وعند هذا تحير عقولهم فمن واحد قال بالجبر ومن آخر قال بالاختراع ومن متوسط بينهما مائل الى الكسب الا انهم لو نظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد من الطرائق المذكورة صادق فى مذهبه الا انه لم يحط علمه بجوانبه الا ان القاصرين يفهمون من هذا الكلام صدق الاقوال المتضادة ويقولون انه باطل جزما الا ان تحقيق هذا المقام يناطح علوم المكاشفة ويحرك امواجها ولسنا نتكلم فيها ههنا -

المطلب الثانى

فى وجوب التوبة على الفور

واعلم ان الايمان اما بعلوم المكاشفة كمعرفة الله تعالى وصفاته وكتبه ورسله او بعلوم المعاملة كمعرفة الطاعات والمعاصي فمن فقد هذا الايمان ربما ينفى عنه اسم الايمان كقوله صلى الله عليه وسلم لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن اى ينفى عنه الايمان بكون الزنا مبعدا عن الله تعالى والا لما فعله العاقل لا ان الايمان بعلوم المكاشفة منفي عنه فالعاصي بالضرورة ناقص الايمان بمعنى عدم التصديق بعلوم المعاملة والالما فعل ذلك الفعل ومع ذلك فهو قريب من ان تنقلع شجرة ايمانه عند مقدمة قدوم ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة - واذا كانت المعاصى بمنزلة السموم المهلكة وكان العاقل يتجنبها فى الحال كذلك يجب على العاقل ان يتجنب عن المعاصي على الفور بل ذلك اولى لانها هلاك الابد - ولايخفى ان وجود الاصل وان لم يتوقف على وجود الفرع لكن ربما يتوقف بقاؤه عليه فلاينبغى الاهمال فى شان الاعمال ايضا - ثم ان عموم الناس محتاجون الى التوبة اذ الشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة وبينهما قتال دائما

الا

الا ان قوة جنود العقل بعد الاربعين والى زمان قوته تقوى جنود الشياطين واذا قوى جنود العقل يكون اول عملهم قمع الجنود الشيطانية وليس ذلك الا بالتوبة الواجبة لكل آدمى نبيا كان اوغبيا بل هو حكم ازلى مكتوب على جنس الانس لايمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الالهية التى لامطمع فى تبديلها ولما لم يخل كل انسان عن الخطأ والنسيان فى كل وقت وان وجبت عليه المواظبة على التوبة فى كل زمان اذلا يتم حاله بعدم الذنب فى الاستقبال بل عليه ان يزيل آثار المعاصى فى الزمان الماضى فليس ذلك الا بالمواظبة على التوبة ، واما وجوبها فليس بمعنى الوجوب الشرعى اى الواجب فى فتوى الشرع بل الوصول الى المقام المحمود فى جوار رب العالمين واجب لكل عاقل بحكم التقوى والتوبة فما لا يتم ذلك الابه فيكون واجبا نظير ذلك وجوب الطهارة لمن يريد صلاة التطوع فانه لايوصل اليها الابها ، واما من رضى بالنقصان والحرمان فلايجب عليه لاجلها فمن يريد التوبة فعليه بأمرين احدهما ان يعجل حتى لاتصير المعاصى دينا وطبعا لايقبل المحو والثانى يعاجله قبل مبادرة الموت اوالمرض ـ

المطلب الثالث

فى ان التوبة المستجمعة لشرائطها مقبولة لامحالة

لا يشك فيه ارباب البصائر لانهم علموا بنور البصيرة ان كل قلب خلق سليما ثم اغبر بالذنوب وعلموا ايضا ان ماء الدموع وحرقة الندم يزيل وسخ القلب وان كل قلب طاهر زكى مقبول لامحالة ، فمن توهم ان التوبة تصح ولا تقبل كمن توهم ان الشمس تطلع والظلام لايزول ـ وهذا كلام مقبول عند ذوى البصائر مع مايعضده من الآيات والاخبار والآثار مابلغت كلها حد الشهرة ولكن ليس هـذا الوجوب ما يقوله المعتزلة من الوجوب عـلى الله بل ما ذكرناه وجوب بموجب ارادته ومقتضى تقديره واما الشك فى قبول التوبة فلا ينافى وجوب القبول لان ذلك شك فى استجماعه الشرائط ـ

المطلب الرابع

فى اقسام الذنوب

وتنحصر اصولها فى اربع صفات ربوبية وشيطانية وبهيمية وسبعية وقدمر تفصيلها وايضا الذنوب اما بين العبد وبين الله اوبين العباد - والاول اما شرك اوغيره والشرك لايغفر وكذا ما بين العباد وا ما غيره فيرجى ان يغفر - وايضا الذنوب اما كبائر او صغائر واختلف فى حدودها وعدد الكبائر اختلافا شديدا والحق ان ذلك مما لا يعلم الا من جهة الشرع ولم يردفيه حد الكبيرة وعددها فلامطمع فى معرفتها وربما قصد الشرع ابهامه لتكون العباد منه على وجل كما ابهم ليلة القدر ليعظم جد الناس فى طلبها سيما اذا لم يتعلق به حكم الدنيا بل يعلم حكمها فى الآخرى فيجوز أن يتطرق اليه الابهام الاحدودا عينها بأساميها من الزنا والسرقة وشرب الخمر ونحو ذلك من الحدود -

المطلب الخامس

فى كيفية توزع الدركات والدرجات فى الآخرة الى السيآت والحسنات فى الدنيا واعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الملكوت والغيب وعالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك لم يتكلم الانبياء مع الخلق الابضرب الامثال اذ النائم لاينكشف له امر الابمثل ومن التكلم بطريق المثل اصابع الرحمن وصورته وامثال ذلك فيوصلون المعانى الى افهامهم بالامثلة حكمة من الله ولطفا لعباده وتيسيرا لادراكه واذا عرفت هذا فاعلم ان تعريف توزيع الدرجات والدركات على الحسنات والسيآت لا يمكن الابضرب مثال وذلك ان الملك اذا استولى على اقليم يقتل من يجحد فى اصل ملكه ويخلى من لايجحده ولا يخدم ويخلع من ينصره ويخدمه - والنعم ايضا متفاوتة بتفاوت درجات خدمتهم فكذلك الناس فى الآخرة اما هالكون اومعذبون اما سنة اوالف سنة الى سبعة آلاف سنة وذلك آخرمن يخرج من النار اوناجون منها اوفائزون اما الى جنات عدن

عدن اوجنات المأوى اوجنات الفردوس وهذه اربع رتب - اولها الهالكون وهم الآئسون من رحمة الله كالجاحدين والمكذبين بالله ورسوله وكتبه والمتجردين للدنيا واعظم العذاب عند اهل البصائر نار الحجاب من الله تعالى وهى احر من نار الجحيم ولابعد فى ذلك اذالصبي ربما يعد البعد عن السلطان اهون من البعد عن الكرة والصولجان - وثانيتها رتبة المعذبين وهم الموحدون القاصرون فلهم نار ان نار الفراق عن الكمال الذى قصروا عنه ونار جهنم ويتفاوت لهم العذاب شدة وخفة وطولا وقصرا بحسب قوة الايمان وضعفه وكثرة اتباع الهوى وقلته - واضعف درجات العذاب المناقشة فى الحساب وفوقه الورود على النار كبرق خاطف ثم اللحظة الى ان يبلغ سبعة آلاف سنة وههنا درجات لا تتناهى ولايخرج من النار الاموحد وهو من لايرى الامور كلها الامن الله وعلامته ان لايغضب على احد من الخلق اذ لايرى الوسائط وانما يرى مسبب الاسباب - وهذا التوحيدله مراتب امثال الجبال والمثقال والخردلة والذرة - وثالثتها رتبة الناجين من العذاب فقط كالصبيان والمجانين والبله ومن ليس لهم معرفة ولاجحود ولاطاعة ولامعصية فهم ينزلون فى منزلة بين المنزلتين وهى الاعراف الا ان كون الصبيان من اهلها شك ولا يعلم يقينا الامن مشكاة النبوة والاخبار فيهم متعارضة - ورابعتها الفائزون وهم المقربون السابقون ولايمكن التعبير عن حالهم ومقامهم قال تعالى (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين) وقوله اعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر - وهم لايقنعون بالحور والقصور واللبن والعسل ونحو ذلك ولايطلبون الالذة النظر الى وجهه الكريم فهى غاية السعادة ونهاية اللذات -

المطلب السادس

فيما تعظم من الصغائر، منها الاصرار والمواظبة كالقطرة تؤثر فى الحجر إن دام ولا يؤثر السيل كما ان خير الاعمال ادومها وان قل - وايضا الكبائر قلما تقع من غير سوابق ومقدمات من الصغائر مثلا الزانى يقدم على الزنا المراودة والقبلة

والمس ونحوها ولو وقعت الكبيرة بغتة لربما يرجى عفوه اذ هو حينئذ بالخطأ اشبه - ومنها ان يستصغر الذنب اذ الذنب كلما استعظم اصغر عند الله - وكلما استصغر عظم عند الله لان استعظامه لنفور القلب واستصغاره لالف القلب به - ومنها السرور بالصغيرة وذلك كثير كقول بعضهم اما رأيتني كيف مزقت عرضه وكيف فضحته ونحو ذلك - ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله له ولا يدرى انه يمهل مقتا ليزداد اثما فيأمن مكر الله ويجهل مكان الغرور بالله - ومنها ان يظهره بان يذكره بعد اتيانه او يأتيه بمشهد غيره فان ذلك جناية على ستر الله الذى اسبله عليه وتحريك للشر فيمن اسمعه او اشهده سيما اذا رغب الغير فيه - ومنها ان يكون المذنب عالما يقتدى به كلبس العالم الابريسم ودخوله على السلاطين واشتغاله بعلوم يقصد بها الجاه كالجدل والمناظرة فاذا ذنب العالم ضعف كما ان عبادتهم ضعف بسبب اقتداء الغير بهم -

المطلب السابع

فى تمام التوبة وشروطها وآدابها

اما العلم فمن اسباب التوبة وستعرفه واما الندم فعلامته طول الحسرة والحزن والدمع الدائم وان تتمكن مرارة الذنب من قلبه بدلا عن حلاوتها(١) كمن علم ان عسلا فيه سم كيف يكرهه بعد أن كان مشتهى عنده بل يكره كل عسل بعد ذلك فكذا التائب يدوم ندمه على كل ذنب - واما القصد الذى ينبعث منه فيوجبه ترك كل محظور هو ملابس له واداء كل فرض هو متوجه عليه فى الحال ويتدارك ما فرط بالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت - وشرط صحته فى الماضى ان يتأمل فى كل طاعة تركها او قصر فيها فيقضيها فى الحال وان شك فى قدره فيأخذ بغالب ظنه وكذا يتأمل فى كل معصية فعلها فى ساعات عمره فيتوب عنها بالندم والتحسر عليها ويحسب عددها ويعمل مكان كل سيئة حسنة لتمحوها لكن حسنة من جنسها وتضادها - وكذا فى مظالم العباد يفعل فى مكان ظلم منها حسنة لصاحبها كالاعتاق مكان القتل والغيبة بالثناء له ونحو ذلك - واما

(١) كذا -

القصاص وحد القذف فيعمل فيهما بحكومة عدل وان كان مظلمة مالى يرده على صاحبه وان لم يمكن وجدانه يستكثر من الحسنات حتى يقتص منه او يتصدق مقدار ذلك المال ويستحل من مظالم العرض صاحبه وان لم يجد فيكثر من الحسنات لتكون عوضا ومن وجده فليذكر خصوص جنايته ولا يبهم لان الابهام لا يكفى وان لم يقدر على بيانه كزناه بجاريته اواهله فليستحله مبهما ثم يجبر بالحسنات. واما العزم بان لا يعود اصلا الى الذنوب ولا الى امثالها ولا يتم ذلك الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال ـ واما الندم والتوبة على بعض الذنوب وان افاد قلة الذنوب لكن لا يبلغه رتبة التائبين ما لم يتب عن جميع الذنوب ـ اما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فممكن ذلك اذ الصغائر اقرب الى العفو وكذا يمكن التوبة عن بعض الكبائر لغلظتها بالنسبة الى آخر وقد يندم على صغيرة او صغائر دون الكبائر لغلبة شهوته هناك على خوف من الله تعالى ـ فان قلت نسيان التائب ذنبه افضل ام المجاهدة فيه اوسكون نفسه عن النزوع اليه افضل ام المجاهدة فيه ؟ قلت اختلف فيه فمنهم من رجح الاولين ومنهم من رجح الآخرين الا ان الحق ان السكون والنسيان ان كانا من التأدب بادب الشرع فهما افضل وان كانا من الطبع فالمجاهدة افضل ـ

المطلب الثامن

فى طبقات التائبين وهى اربع

الاولى الذين يستقيمون على التوبة الى آخر العمر ولا تحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التى لا ينفك عنها البشر عادة سوى الانبياء ومن يقرب من رتبتهم وهذه هى التوبة النصوح وهذه النفس هى النفس المطمئنة ولهؤلاء ايضا رتب من حيث النزوع الى الشهوات كثرة وقلة وطول زمان وقصره ـ الثانية الذين سلكوا طريق الاستقامة فى امهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها الا انه لا ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وقصد وتجديد قصد بل كلما اقدم عليها لام نفسه وجدد عزمه على اسباب الاحتراز وهذه النفس اللوامة وهذه ايضا رتبة عالية وان

كانت دون الاولى وهي اغلب احوال التائبين - الثالثة ان يستمر على الاستقامة مدة ثم تختطفه الشهوة المعينة لعجزه عن قهرها الا انه مواظب على الطاعات ومجتنب عن الشهوات الباقية وهو مع ذلك يندم على فعلها ويجاهد فى قهر نفسها لكنه تسوف نفسه توبته مرة بعد اخرى ويوما بعد يوم وهذه تسمى النفس المسولة وهم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فأمره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما يتعاطاه مرجو فعسى الله ان يتوب عليه وعاقبته مخطرة لاحتمال ان يختطف بالتسويف قبل التوبة ويقع امره فى المشيئة فان تداركه الله بفضله وجبره بكسره التحق بالسابقين وان غلبت شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق عليه فى الخاتمة ماسبق عليه من القول فى الازل على ان كل نفس فهو خاتمة اذ يمكن اتصال الموت فليراقب ذلك وليداركه بالتوبة والا دامت الحسرات - الرابعة ان يستقيم مدة ثم يعود الى مقارفة الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله وهذه هي النفس الامارة بالسوء الفرارة من الخير - ويخاف عليها سوء الخاتمة وامره فى مشيئة الله فان ختم له بالسوء يشقى شقاء الابد وان ختم له بالحسنى وهو التوحيد يرجى له الخلاص ولو بعد حين ولايستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفى لا نطلع عليه الا ان اعجب كل العجب من يقول الله كريم ويتقاعد عن كسب فضائل الاعمال - ثم اذا قيل الله كريم فاقعد عن كسب المال يحمق من يقوله ويقول سنة الله تعالى ان يرزق بالكسب ولايدرى هذا الاحمق الغافل ان رب الدنيا والآخرة واحد وسنته فيهما واحدة فيا بأله يغتر بكرمه فى الآخرة دون الدنيا فما هذا الا انتكاس على ام الراس وفى ظلمات الجهل انغماس فنعوذ بالله من دواعى الجهل والارتياب الى سوء المنقلب وعسر المآب -

المطلب التاسع

فى تدارك التائب اذا جرى عليه ذنب اما عن قصد او باتفاق

واعلم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضادها فان لم تساعده نفسه على العزم على الترك فقد فاته احد الواجبين فلا ينبغى ان يفوته

الواجب

الواجب الآخر وهو محوها بالحسنة ليكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا وتلك الحسنات اما بالقلب فالتضرع الى الله تعالى وطلب العفو والمغفرة ويتذلل تذلل العبد الآبق بحيث تظهر ذلته لسائر العباد - واما باللسان وهو الاعتراف بالظلم والاستغفار لكن لاباللسان فقط فانه توبة الكذابين بل بالقلب ، وقد مر فى كتاب الدعوات كيفية الاستغفار ، واما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وانواع العبادات وذكر فى الآثار ثمانية اعمال يرجى بها العفو اربعة للقلب وهى التوبة والعزم على الترك وحب الاقلاع عنه وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له ، واربعة من اعمال الجوارح وهى ان يصلى عقب الذنب ركعتين يستغفر الله بعده سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما وفى بعض الآثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلى ركعتين وفى بعض الاخبار اربع ركعات -

المطلب العاشر

فى طريق حل الاصرار على الذنوب من القلب وله علاجان

احدها العلم بان الذنوب مضر(١) يجب تركها وذلك اربعة انواع الاول ان يذكر انذارات القرآن والاخبار للعصاة ، الثانى حكايات الانبياء والسلف وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم ، الثالث خوف تعجيل العقوبة فى الدنيا ونفوس العوام اكثر انزجارا بعقوبة الدنيا حتى ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وكذلك الفقر والمرض ، الرابع ان ينهى كل صنف من الذنب بنوع من العقوبة من العلماء اطباء الارواح فعليهم ان يخوفوا كل ذنب بنوع عقوبة ويوصيهم بنوع وصية تكون سببا لزوالها ، ثانيها الصبر وذلك لان الذنب اما بسبب الغفلة وطريق علاجه العلم وقد ذكرناه - اوبسبب غلبة الشهوة وطريق علاجه الصبر وقد ذكرناه فى رياضة النفس فترك الذنب بالصبر وهو بمعرفة الخوف والخوف لايحصل الابالعلم بضرر الذنب فاصل الكل العلم ، واعلم ان سبب وقوع الذنب امور احدها ان العقاب الموعود غيب وليس بحاضر والنفس تأثرها بالحاضر قوى

---

(١) كذا -

وبالموعود ضعيف ، الثانى ان الشهوات لذاتها ناجزة والنزوع عن لذة العاجل لخوف الآجل شديد على النفس ، الثالث انه مامن مسلم مذنب الا وهو عازم على التوبة غالبا الا ان النفس تسوف بما يغلب على طبعه من طول الامل - الرابع انه مامن مؤمن الا وهو معتقد أن الذنب لا يوجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب و ينتظر العفو اتكالا على فضل الله تعالى - و هناك قسم خامس لكنه كفر و هو الشك فى صدق الرسل ، اذا عرفت هذه الاسباب فاعلم ان علاج السبب الاول بأن يلاحظ ان كل ما هو آت آت وان الموت اقرب من شراك نعله وعلاج التسويف التذكر بان اكثر صياح اهل النار من التسويف ولعله لا يبقى الى الغد وإن بقى لعله لا يقدر اذ عجزه فى الحال لغلبة الشهوة والشهوة لا تفارقه غدا بل تتأكد بالاعتياد وان الايام متشابهة فى مشقة ترك الشهوات ، واما علاج الانتظار الى رحمة الله تعالى ان كان بعد العمل فحسن وان كان بلا عمل فحمق وهو كمن لا يلقى البذر و ينتظر الزرع وهذا وان كان ممكنا لكنه لكونه خرقا للعادة يعد حمقا وخرقا اذ الاعتماد على امر ممكن خارق للعادة فى مثل هـذا الامر الخطير العظيم الذى لا يمكن تداركه ثانيا مما لا يقبله العقلاء ، واما علاج الخامس وهو الكفر فما عرفته من اسباب صدق الرسل ولكن هذا امر الزامى يكفى فى دفعه وهو أن رجلا قد جربت كذبه مرارا اذا اخبرك بان هذا الطعام قد ولغ فيه الحية والقى فيه سمها ، فلعلك تقول هذا الرجل وان كان كاذبا اكثريا لكن الكذوب قد يصدق ، وعلى الجملة فالشك حاصل فى خبره هذا وانى ان تركت هذا الطعام ليس لى الا الصبر عن شهوة الطعام وان اكلت ذلك فالهلاك محتمل فالفرار عن الشهوة الحقيرة لاجل الهلاك الموهوم احسن ثم انك كيف لا تذهب هذا التعليل فى اخبار الأنبياء لم تجرب كذبهم بل جربت صدقهم مرارا لكن لا تدعك عصبيتك الى الاذعان بالحق والله يهدى من يشاء و يضل من يشاء انه هو القادر على كل شىء قال على بن أبى طالب فى بعض من كان شاكا ان صح ما قلت فقد تخلصنا - جميعا والا فقد تخلصنا و هلكت -

وقال

وقال ابوالعلاء المعرى

قال المنجم والطبيب كلاهما لاتحشر الموتى فقلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولى فالخسار عليكما

ثم اعلم ان ما ذكر من الامور وان كانت جلية لكن النفس لا تتفكر فيها لامرين احدهما ان فكرها يؤلم القلب وفكر الدنيا لها فتميل اليه - وثانيهما ان هذا الفكر يمنعه عن لذائد الدنيا اذ الانسان لايخلو عن شهوات الدنيا ساعة اصلا - فعلاج الامر الاول فانت تتألم من ملاحظته فكيف الالم اذا وقع وانت عاجز عن تداركه - والامر الثانى ان يتذكر عظم ثواب الآخرة وحقارة لذات الدنيا وسرعة زوالها وترك العظيم والباقى لاجل الحقير والزائل لايصدر عن عاقل -

الاصل الثانى

في الصبر والشكر وفيه مطالب

المطلب الاول

في فضيلة الصبر وحقيقته

اما فضيلته فقد وردت فى الآيات والاخبار والآثار بحيث لا يحتاج الى ذكرها واما حقيقته ومعناه فهو مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وذلك معرفة تتبعها حالة ثم تثمر كلاهما المسمى بالصبر عملا وتفصيل ذلك ان للبهائم شهوة بلاعقل وللملائكة عقل بلا شهوة وللانسان كلاهما معا والصبر مقاومة العقل الشهوة فهو مخصوص بالانسان دون البهائم لنقصانها ودون الملائكة لكمالهم فالصبر ثبات القوة المضادة للشهوة فى مقاومتها ثم ان الصبر نصف الايمان لأن التصديق بالمعارف والاعمال هو الايمان وحاصل التصديق بالمعارف اليقين وحاصل التصديق بالاعمال الصبر اذ لا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الابالصبر فهو نصف الايمان بهذا الاعتبار، ايضا ربما يطلق الايمان على الاحوال المثمرة للاعمال لاالمعارف والاعمال اما ضار فى الدنيا والآخرة او نافع فيهما وله الصبر فى الاول والشكر فى الثانى، ولهذا قال ابن مسعود الايمان نصفان

نصف صبر ونصف شكر ، وقد يرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وايضا لما كان الصبر مقاومة بواعث الهوى وكان الهوى قسمين الشهوة والغضب وصار الصوم دافعا للشهوة دون الغضب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر فيكون الصوم ربع الايمان فهكذا ينبغى ان يفهم تقديرات الشرع لحدود الاعمال والحدود ليس تلك التقديرات مما يرمى به جزافا كما توهمه الجهلة ارباب الضلال ثم ان الصبر يسمى بأسام مختلفة فيظن الجهال اشياء متغايرة مثلا الصبر عن شهوة الفرج يسمى عفة وعن مصيبة يخص باسم الصبر ويضاده الجزع والهلع وعن الغنى يسمى ضبط النفس ويضاده البطر وعن القتال والحرب يسمى شجاعة ويضاده الجبن وعن الغضب حلما ويضاده التكبر وعن افشاء الكلام يسمى كتمان السر وعن فضول العيش يسمى زهدا ويضاده الحرص وعن العيش اليسير يسمى قناعة ويضاده الشره فاكثر اخلاق الايمان داخل فى الصبر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الايمان هو الصبر وذلك لأنه اكثر اعماله واعزها ، وقد جمع الله تعالى هذه الاقسام وسماها صبرا فقال (والصابرين فى الباساء) اى المصيبة والضراء اى الفقر (وحين البأس) اى المحاربة (اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) -

المطلب الثانى

فى اقسام الصبر بحسب القوة والضعف وهى ثلاثة

احدها ان يقهر داعى الهوى ويسقط بالكلية منازعة باعث الدين فتسلم نفسه الى جند الشيطان وهؤلاء هم الغافلون وهم الذين غلبت عليهم شقوتهم واسترقتهم شهواتهم ، وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالامانى وهو غاية الحمق ، وثالثها(١) ان يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين لا من الفائزين وهم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا - واقسامه باعتبار عدد ما يصبر عنه ثلاثة ايضا لأنه اما ان يغلب جميع الشهوات اوبعضها دون بعض او لا يغلب شيئا منها وهذا كالانعام بل هم اضل - واقسامه

(١) كذا -

باعتبار اليسر والعسر الى ما يشق على النفس ولا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى تصبرا والى خلاف ماذكر يسمى صبرا ، قال بعض العارفين اهل الصبر ثلاث مقامات اولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين ، وايضا الصبر اما فرض كالصبر عن المحرم ، ونفل كالصبر عن المكاره ومكروه وهو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة فى الشرع ومحرم كالصبر على الاذى المحظور ـ

المطلب الثالث

فى ان العبد لا يستغنى عن الصبر فى كل حال

وذلك لأن الصبر اما على ما يوافق الهوى وهو الصحة والمال والجاه واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار ، ما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور اذ لو ارسل نفسه الى الملاذ المباحة اخرجه ذلك الى البطر والطغيان ، واما على ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك اما مختار للعبد كالمعاصى والطاعات او ليس مختارا له كالمصائب والنوائب او لا يكون اوله مختارا ولكن يقدر على ازالته كالتشفى بالانتقام ، والضرب الاول ان كان طاعة يحتاج العبد الى الصبر عليها لأن النفس تنفر عن العبودية وتشتهى الربوبية حتى قيل ما من نفس الا وهى مضمرة ما اظهره فرعون الاانه لايجد مجالا وقبولا ـ ثم الصبر على الطاعة اما قبلها وذلك فى تصحيح النية وتحصيل الاخلاص وذلك من اشد الصبر ، واما حالة العمل فيلازم الصبر عن دواعى الفتور وعن كونها لغير الله ، واما بعد الفراغ عن العمل بان يصبر عن افشائه والعجب ، ثم الطاعات اما فرض اونفل ويحتاج الى الصبر عليهما ، والضرب الثانى المعاصى وما احوج العبد الى الصبر عنها سيما التى صارت مألوفة بالعادة ـ والضرب الثالث مالايكون هجومه باختياره ولكن له اختيار دفعه كما لو اوذى فصبر عليه وهذا الصبر يكون واجبا تارة و فضيلة اخرى ، والضرب الرابع مالايدخل تحت الاختيار اوله وآخره مثل موت الاعزة

وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض والعمى فالصبر على هذه الامور من اعلى المقامات الا ان الصبر على المصائب بترك الجزع وشق الجيوب وضرب الخدود واظهار الكآبة والمبالغة فى الشكوى وهذه داخلة تحت اختياره ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب وفيضان العين بالدمع فان ذلك مقتضى البشرية فظهر مما ذكر أن الانسان لايخلو عن الصبر فى حال من احواله ـ

المطلب الرابع

فى معالجات مؤدية الى الصبر

ولنورد مثالين ثم قس بواقيها عليها مثلا باعث الجماع يعالج بامور ثلاثة قطع مادتها كالاغذية المهيجة لشهوة الوقاع فيتركها سيما اللحم وثانيها قلع اسبابه المهيجة له فى الحال كالنظر الى الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية وثالثها تسلية النفس بالمباح الذى تشتهيه كالنكاح وملك اليمين ـ وايضا من اشد انواع الشهوات حديث النفس ووسواس الشيطان وانما يشتد ذلك على من تفرغ لقطعه ولاعلاج له البتة الاقطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة ثم لايمكن له ذلك الا بان يجعل هومه هما واحدا وهوالله ومع ذلك اذا غلب على القلب لايكفى ماذكر ملكه الفكر والسير الباطن فى ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله وسائر ابواب معرفة الله وان لم يكن له سير فى الباطن فلاينجيه الا الاوراد المتواصلة المترتبة فى كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج الى تكلف القلب الحضور واذ انتظم كل ذلك لايسلم له من الاوقات الابعضها ـ

المطلب الخامس

فى الشكر

وفضيلته فى الآيات والاخبار والآثار لاتخفى على اولى الابصار وآما حقيقتها (١) فتعلم من علم يورث حالا وحال يورث عملا ـ اما العلم فبمعرفة النعمة والمنعم

(١) كذا ـ

والمنعم عليه، هذا فى غير الله تعالى واما فى حقه تعالى فلا يتم الا بان يعرف ان النعم كلها من الله والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة تتبع التوحيد اذ لا موجود الا منه تعالى فتنحصر النعمة فيه ايضا كما ان التوحيد يتبع التقديس اذ لا مقدس الا واحد ولا مقدس غيره - وعن هذه الامور عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرين حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة الا ان المراد تأثير هذه الكلمات بالقلب لا مجرد تحريك اللسان بها ثم ان المعرفة المذكورة تستثمر حالا وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو شكر كما ان المعرفة شكر لكن كونه شكرا مشروط بان يكون الفرح بالمنعم لا بالنعمة والاحسان والانعام وبالجملة الفرح بالنعمة من حيث انها مال ليس من الشكر اصلا والفرح بها من حيث يستدل به على عناية المنعم ونيل المحل والقبول عنده وهذا شكر الصالحين الذين يعبدون الله تعالى ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه - واما الفرح بالنعمة من حيث ان له محلا عند الملك لكن لا يقنع بهذا القدر بل يفرح من حيث يتدرج به الى القرب منه ولكون(١) محل نظر المنعم ويتوسل بذلك الى النظر الى وجه المنعم والنزول فى جواره فهى الرتبة العليا للشكر وامارته ان يفرح من الدنيا لكونها مزرعة للآخرة ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله - ثم الفرح المذكور له عمل بموجبه وذلك العمل اما بالقلب وهو قصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله فى طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان يستر كل عيب يراه لمسلم وشكر الاذنين ان يستر كل عيب يسمعه والشكر باللسان اظهار الرضا عن الله وهو مامور به وهكذا فى كل عضو فهذه هى حقيقة الشكر واما الحدود الواقعة فيه فاكثرها قاصر عن اداء مجموعه مثلا قول من قال الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه نظر الى فعل اللسان وبعض احوال القلب - وقول حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك فيها طفيليا اشارة الى ان المعرفة

---

(١) كذا -

معنى من معانى الشكر فقط - وقول الجنيد أن لا ترى نفسك اهلا للنعمة اشارة الى حال من احوال القلب على الخصوص - والحد الاقرب الى جمع اكثر المعانى قول القائل الشكر الاعتكاف على بساط الشهوة بادامة حفظ الحرمة وانما يشذ من ذلك عمل اللسان فقط -

المطلب السادس

فى الشكر فى حق الله

قال بعضهم الشكر محال فى حقه تعالى لوجهين احدهما انه منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والثناء وتكثير سواد الخدم من الراكعين والساجدين - وثانيهما ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا من جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وسائر اسباب حركاتنا من خلق الله ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة - واذا كان طريق الشكر نعمة اخرى تحتاج الى شكر آخر واذا احتاج الشكر الى شكر فى كل مرتبة تؤدى الى ان يكون الشكر محالا فى حق الله من هذين الوجهين وقد خطر هذا الخاطر لداود وموسى عليهما السلام فقال كل منهما يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفى لفظ آخر وشكرى لك نعمة اخرى منك توجب على الشكر لك فاوحى الله عزوجل اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتنى - وفى خبر آخر اذا عرفت ان النعم منى رضيت منك بذلك شكرا - اذا عرفت ذلك لعلك تفهم استحالة الشكر لله عزوجل وتعجز عن دركك كون العلم باستحالة الشكر شكرا فنقول ان من نظر بعين التوحيد المحض يعرف انه الشاكر والمشكور والمحب والمحبوب ونظر من لم يبلغ هذه الرتبة وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود انفسهم فانكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء العميان المنكوسون وهؤلاء جاحدون وقسم ليس بهم عمى ولكن بهم عور يبصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق ولا يرى بالاخرى الا ما سواه وبالحقيقة هذا مشرك اذا اثبت موجودا مماثل وجود الحق لكن لما الاول (١) بانه رب والآخر بانه عبد دخل بهذا التفاوت فى

(١) ح ؟

حد التوحيد لكن لا لخلو عينه عن عمش لكن ان تكل بصره بانوار الحق يظهر له نقصان ماعداه وهكذا تتفاوت الدرجات الى ان يرى ماسواه فانيا ولا يرى فى الوجود الا الله تعالى - ثم هذا قد يلوح لبعضهم كالبرق الخاطف ومنهم من يثبت له ذلك ولكن لايدوم والدوام فيه عزيز -

وكل الى شأو العلى حركاته ولكن عزيز فى الرجال ثباته

ولما امر صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقيل له واسجد واقترب قال فى سجوده اعوذ بعفوك من عقابك حيث لم ير الا الله وافعاله واستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب وقال اعوذ برضاك من سخطك حيث ترقى من مشاهدة الافعال الى مشاهدة الصفات ثم اقترب وقال اعوذ بك منك حيث ترقى من مشاهدة الصفات الى الفرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة لكنه رأى نفسه ثم اقترب حتى فنى عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصانا واقترب فقال لا أحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك - فقوله لا أحصى ثناء عليك تعبير عن فناء نفسه وقوله انت كما انثيت على نفسك بيان انه المثنى والمثنى عليه وان الكل منه بدأ واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه فكان اول مقامه نهاية مقامات الموحدين ومع ذلك كان يرى كل مرتبة بعدا بالقياس الى ما بعده ولذلك قال انه ليغان على قلبه وكان اول امر الله آخر مقامات الموحدين هذا نظر التوحيد - واما نظر غيره نفيه الشاكر والمشكور والشكر ثم ان نعم الله تعالى آلات ان استعملها فى الطاعة شكر لموافقته محبة مولاه وان لم يستعملها فى الطاعة واستعملها فى المعصية كفر للنعمة للتضييع وكل مافى الدنيا خلق آلة للعبد يتوصل به الى سعادة الآخرة وبيل القرب من الله فالمعصية والطاعة تشتملها المشيئة ولكن لاتشتملها المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه - واذا عرفت هذه المقامات فقد ظهر لك توجيه الاشكالين المذكورين وذلك لأن المراد بالشكر ليس الا انصراف نعمة الله فى جهة محبة الله فاذا انصرفت فى جهه المحبة بفعل العبد لفعل الله فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله - ومن حيث انه فعله فقد اثنى عليك وثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذي

اعطى وهو الذى اثنى وصار أحد فعليه سببا لانصراف فعله الثانى الى جهة محبة الله فله الشكر على كل حال - وانت موصوف بانك عالم وعارف ولا بمعنى انك خالق علم وموجد بل بمعنى انك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات مشيئة ، فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا وكل ميسر لما خلق له - يريد به ان الخلق مجارى قدر الله ومحل افعاله وان كانوا هم ايضا من افعاله ولكن بعض افعاله محل لبعض ، وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو فعل من افعال الله عز وجل وهو سبب لعلم الخلق بان العمل نافع وان عليهم فعل من افعال الله والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة الى الحركة بالطاعة وانبعاث الداعية ايضا من فعل الله وهو سبب لحركة الاعضاء وهى ايضا من افعال الله ولكن بعض افعاله كان سببا لبعض افعاله اى الاول شرط للثانى اى انه لا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض افعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق يرتقى الى درجة التوحيد الذى ذكرناه واعلم ان هذا التمهيد مما لا تجده فى كتب احد فلا تغفل عن تحصيله واذ عانه ثم انك اذا عرفت ذلك لعلك تتبع شيطان الوهم ، وتقول واذا لم يكن الينا شىء بل رجع الكل الى الله فلا نذم اصلا فلا حاجة الى الطاعة فنقول اعلم ان قول الله تعالى اعملوا سبب لحصول اعتقاد فينا بوجوب العمل وذلك سبب لهيجان الخوف وهو سبب لترك الشهوات والتجافى عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الى جوار الله والله مسبب الاسباب ومرتبها فمن سبق له فى الازل السعادة يسرت له هذه الاسباب حتى تعوده بسلسلتها الى الجنة ، ويعبر عن مثله بان كل ميسر لما خلق له ومن لم يسبق من الله له الحسنى بعد سماع كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقى فى حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين واذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فما من احد الا وهو

مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قاهر الا الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار ، وعنه معاينة هذا يسمع نداء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار و ذلك كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلون لايسمعونه الا ذلك اليوم على الخصوص نعوذ بالله من الجهل والعمى فانه اصل اسباب الهلاك والعياذ بالله -

المطلب السابع

واعلم انه لابد فى تحصيل الشكر من معرفة ما خلق كل شيء له وطريقه الآيات والاخبار وذلك ظاهر واما النظر بعين الاعتبار وهذا عسير جدا ولهذا احتيج الى ارسال الرسل مثلا كل شيء فى العالم له حكمة اما جلية كالضياء من الشمس والمطر من الغيم اودقيقة كالحكمة من الكواكب السيارة وغيرها - ثم كل ذرة لا تخلو عن حكم كثيرة من واحد الى عشر بل الى الف فمن استعمل شيئا فيما خلق له من الحكمة صار شكرا والاصار كفرا مثلااليد خلقت ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد وكذا لواستنجى باليمين فقد كفر ما خلقت له اليمين من استعمالها فى اشرف الامور وكذا البصر مثلا انها خلقت العينان لينظر بهما ما ينفعه فى دينه ودنياه ويتقى بهما ما يضره فيهما فمن نظر الى وجه غير المحرم فقدا ستعملهما فى غير ما اريدتا له فكفر نعمة الابصار وهكذا فى سائر الاعضاء - فان قلت اذا كان الكل راجعا الى فعل الله تعالى فكيف يكون العبد موصوفا بالشكر والكفران فاعلم ان تمام تحقيق هذا المقام لايعرفه الا من علم منطق الطير ولا يجهله الا من عجز عن الايضاع فى السير واجمال هذا هوان صفات الله تعالى اجل واعلى من ان يلحقها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها فانخفضت عن ذروتها ابصارهم فاستعاروا من حضيض البشرية امورا لها مناسبة معها تناسبا ضعيفا جدا فاستعاروا

لها اسم القدرة مثلا - وكذا المشيئة مع قصورا للفظين عن كنه جلال ذينك الوصفين ثم الافعال الصادرة عن القدرة اما ان ينساق الى غاية حكمتها او يقف دونها ثم ان هذين من حيث نسبة المشيئة الى الاول يسمى محبوبا والى الثانى مكروها - ثم تعلق صفة المشيئة فى الازل الى بلوغ شخص نهاية حكمته بتسليط دواعيه عليه قهرا يسمى رضى وتعلقها فى الازل الى وقوفه دون نهايتها باستيقاف دواعيه عن ذلك قهرا يسمى غضبا - ثم اذا ظهر هذا التقدير الازلى فى الشخص اما فى الاول فيسمى الشكر ويردفه بالثناء واما فى الثانى فيسمى بالكفران ويتبعه نقمة اللعن والمذمة زيادة فى النكال فحاصله ان اعطى الجمال فأثنى عليه واعطى النكال فقبحه كملك اعطى لمملوكه الثياب النفيسة وكسى هواياه ثم وصفه الملك بالجمال وكذا فى ضده فهو المثنى والمثنى عليه بكل حال فكأنه اثنى على نفسه من حيث المعنى وليس العبد الا حرف الثناء من حيث الظاهر والصورة هكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولما لم يكن ذلك عن اتفاق وبحت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم استعير له لفظ القضاء فهو كلمح البصر ثم استعير لترتيب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر فالقضاء اجمال وامر واحد كلى والقدر تفصيل ذلك - واما اذا خطر ببالك ان القسمة لماذا يكون على هذا فتلجم عنه ذلك لسانك بلجام المنع ويقال لكم اسكتوا لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون ويقال اذا ذكر القدر فامسكوا وتأدبوا بأدب الله عز وجل فان للحيطان آذانا وغاية خطائك انك تقول فعلى واضفت ذلك الى نفسك بل هو الذى صرف داعيتك ثم جعله على وجه العدل حيث خص الفعلة المحبوبة بالشخص المحبوب والمكروه بالمكروه انما مثلك مثل صبى يرى المشعوذ فيرى حركة الصور فى الليل المظلم من الصور لا من المشعوذ وظهر بما مر ان شكر العباد احبهم وذلك كالملائكة فى السماء والانبياء فى الارض واعلى الملائكة اسرافيل واعلى الانبياء محمد صلوات الله عليهم اجمعين اذ اعطى له الدين والملك والسلطنة ولم يعط هذه كلها الا له صلى الله عليه وسلم - وايضا اكمل

الله الدين به وختم به النبيين، ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء فانهم صلحوا وصلح بهم الناس، ثم يليهم السلاطين بالعدل لان صلاح الدنيا بهم كما ان صلاح الآخرة بالعلماء، ثم يليهم الذين اصلحوا انفسهم فقط من الصلحاء غير العلماء، ومن عداهؤلاء الطوائف فهمج رعاع ـ واعلم ان السلطان لكونه قوام الدين والدنيا لا ينبغي ان يستحقر وان كان ظالما فاسقا ـ وفى الحديث سيكون عليكم امراء يفسدون وما يصلح الله بهم اكثر ـ فان احسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان اساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر ـ قال سهل من انكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل ـ

المطلب الثامن

فى حقيقة النعمة واقسامها

اعلم ان كل لذة وخير وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر نعمة وسعادة وان كانت نافعة فى الدارين فهى النعمة حقيقة كالعلم وحسن الخلق وان كان ضارا فيهما فهو البلاء تحقيقا كالجهل وسوء الخلق وان (كان) نافعا فى الحال ضارا فى المآل فهو البلاء عند ذوى الابصار، والنعمة عند ذوى الجهل كالشهوات وان كان بالعكس فبالعكس كمخالفة الشهوات ثم ان الامور الدنيوية اما نفعه اكثر من ضره كقدر الكفاية من المال اوبالعكس كالمال الكثير والجاه الواسع واماضرره يكافئ نفعه وهذا يختلف بالاشخاص اذ رب انسان لايتضرر بالاموال العظيمة وبعض منهم يتضرر باقل منها واعلم ان الخيرات اما ان تؤثر لذاتها اولغيرها اولهما معا والاول النظر الى وجه الله تعالى ـ والثانى كالدراهم والدنانير فانها وسائل فقط والافهى والحصى سواء ـ الثالث كالصحة والسلامة واعلم ايضا ان الخيرات اما نافعة اوجميلة اولذيذة فاللذيذ هوالذى يستحسن فى سائر الاحوال، وكذا الشرور اما ضار اوقبيح اومؤلم ثم انه قد يجتمع هذه الاوصاف اما فى الخير فكالعلم والحكمة فانها نافعة ولذيذة وجميلة عند اهلها وكذا ضده وهو الجهل فى جميع الاوصاف الثلاثة للشر فانه ضار ومؤلم وقبيح وقد يجتمع بعض هذه مع بعض كقطع الاصبع

المتآكلة والسلعة الخارجة من البدن فان هذا نافع مؤلم - وقد يكون شيء نافعاً من وجه وضارا من وجه آخر كالقاء المال فى البحر لنجاة صاحبه وايضا النافع اما ضرورى كالايمان وحسن الخلق او غير ضرورى كالسكنجبين فى تسكين الصفراء اذ ربما يقوم غيره مقامه - ثم ان اللذة اما عقلية كلذة العلم والحكمة وهى اشرف اللذات عند من يعرفها كما عرفت عند ذكرنا فضيلة العلم والحكمة واظهر شرفها انه الباقى فى ابد الآباد ولا يمتد اليها ايدى الغاصبين ولا يتناولها السن السلاطين بالعزل واما بدنية وهى اما مشتركة مع بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود فى الاسد والنمر وغيرهما او مع جميعها كلذة البطن والفرج وهذا اكثرها واخسها ولذلك شارك الكل فيها - ثم شره البطن والفرج مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لايقوى على قهرها الصديقون حتى قيل آخر ما يخرج من قلوب الصديقين الرياسة فقمع شهوة الرياسة بالكلية لايقع وان وقع ففى بعض الاحوال عند غلبة لذة معرفة الله تعالى - ثم اعلم ان القلوب اربعة - قلب لايحب الاالله تعالى وهذا فى غاية الندرة - وقلب لايلتذ الابالرياسة والشهوات ولايدرى غيرها وهذا كثير - وقلب يغلب عليه التلذذ بالصفات البشرية ، وقلب يغلب عليه التلذذ بمعرفة الله تعالى وهذان فى غاية الندور ومع ندرتهما تتفاوت قلة وكثرة لأن ذلك يقل اذا بعدت الاعصار عن عصر النبوة ويزداد قلة الى ان تقرب الساعة ويقضى الله امرا كان مفعولا وسبب قلة هذا القلب ان عالم الشهادة مرآة لعالم القلب وتابع له كما ان الصورة فى المرآة تابعة للشخص وثانية له فى رتبة الوجود الا انها متقدمة عليه فى المعرفة كذلك عالم الشهادة متقدم على عالم الغيب فى المعرفة وان كان تابعا له فى الوجود فلذلك كان اكثر الناس مقصور النظر على ما هو مقدم فى المعرفة وقريب منه اعنى عالم الشهادة وقليل منهم يعبر منه الى عالم الغيب ويستدل بالصورة على الاصل وهذا الذى يسمى عبرة عند العلماء - واعلم ان النعمة تنقسم ايضا الى نعمة هى غاية الغايات وذلك سعادة الآخرة وهى اربعة - بقاء لافناء له ، وسرور بلا غم ، وعلم لاجهل معه ، وغنى لافقر معه ،

وهى

وهى النعمة الحقيقية والى وسائل هى اربعة انواع، احدها الاقرب والاخص كالفضائل النفسانية وهى الايمان وحسن الخلق والاول علوم المكاشفة والثانى علوم المعاملة وهى اما ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه الفقه واما مراعاة العدل فى الكف عن الشهوات حتى لايخسر الميزان ولاتطغى فيه واسمه العفة فهذه اربعة - علم مكاشفة، وعلم معاملة، وعفة، وعدالة - وثانيها الفضائل البدنية وهى متممة للنوع الاول وهى ايضا اربعة، الصحة والقوة والجمال وطول العمر، وثالثها وهى النعم الخارجة عن البدن وهى ايضا اربعة ومتممة للنوع الثانى، المال والاهل والجاه وكرم العشيرة - ورابعها الاسباب التى تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهى اربعة ايضا، هداية الله، ورشده، وتسديده، وتأييده - ثم انك قد عرفت فوائد المال والاهل فيما مر وكذا العز والجاه يمكن ان تستعان(١) به النفس الى طريق الآخرة اذ يدفع عن الانسان الظلم والضيم الشاغلين عن المعرفة ولذلك كان علماء الدين طلبوا الجاه قدر مايستعان به فى امره ومطلبه - واما ذم المال والجاه فى الاحاديث والاخبار فلا ينافى ما ذكر اذ الحية فيها ترياق وسم فكذا المال والجاه ولعلك قد نبهت على التمييز بين القدر النافع والقدر الضار فيما سبق وكذا كرم العشيرة ولذلك جعلت الائمة من قريش لكن المراد عشيرة الانبياء والعلماء والصلحاء لاعشيرة الملوك والظلمة وكذلك لاخفاء فى الحاجة الى الصحة والقوة وطول العمر - واما الجمال فانه اقرب الى الاجابة وجاهه فى الصدور اوسع فصار بمنزلة الجاه والمال وايضا الجمال فى الاكثر دال على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان وعلى هذا يبتنى علم الفراسة - واما التوفيق فلا يستغنى عنه احد لانه عبارة عن التأليف بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره من حيث وصوله الى السعادة له -

اذا لم يكن عون من الله للفتى ... فاكثر مـا يجنى عليه اجتهاده

واما الهداية فلاسبيل لأحد الى طلب السعادة الابها اذ الانسان لايقدر على تمييز الصلاح من الفساد الا بالهداية وهى ثلاث مراتب الاولى معرفة طريق الخير

---

(١) كذا -

والشر قال تعالى (وهديناه النجدين) وقد انعم الله تعالى بهذه الهداية على كافة عباده بالعقل تارة وبالسمع اخرى ـ الثانية التى يمدا لله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهى ثمرة المجاهدة قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) الثالثة التى وراء الثانية وهى النور الذى يشرق فى عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدى به الى ما يهتدى اليه بالعقل وهو الهدى المطلق ـ واما الرشد فنعنى به العناية الالهية التى تتعين للانسان عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة لكن بشرط ان تحرك داعيته اليها ولو اهتدى الى تلك الجهة ولم يتحرك اليها يسمي مهديا لارشيدا فالرشد اكمل من مجرد الهداية وذلك نعمة عظيمة ـ واما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليتسدد فى صوب الصواب فى اسرع وقت فان الرشد ايضا لا يكفى بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضاء والآلات حتى يتم المراد فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية ليتحرك والتسديد عناية ونصرة تتحرك الاعضاء فى صوب السداد ـ واما التأييد فكانه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية امره بالتبصرة من داخل وبقوة البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله عز وجل (اذ أيدتك بروح القدس) ويقرب منه العصمة وهى عبارة عن جود الهى يسنح فى الباطن يقوى به الانسان على تحرى الخير ويجتنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس وهى المراد بالبرهان فى قوله عز وجل (ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) فهذه هى مجامع النعم ـ ولن يستبد بها الا من خوله الله من الفهم الصافى الثاقب والسمع الواعى والقلب البصير المتواضع المراعى والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته، القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذى يصونه عن سفلة السفهاء وظلم الاعداء وتستدعى كل واحدة من هذه الاسباب الى ستة عشر اسبابا وتستدعى تلك الاسباب اسبابا الى ان ينتهى بالآخرة الى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين

وذلك

وذلك رب الارباب ومسبب الآسباب ولو أردت ان تستقصى اسباب نعمة واحدة من النعم كنعمة الاكل مثلا وكسرت (١) عليها المجلدات لبقى ذهنك فى حيز الحيرة حسيرا لانها تتوقف على معرفة قوة الشهوة والغضب المتوقفتين على الآلات البدنية لايفى بذكر شمة منها ومقدارما يمكن ان يحيط العقول بها كثير من المجلدات وكذا كيفية تولد البدن عن المنى فى رحم الام واطوارخلقه الجنين هناك لاتفى لذكرها المجلدات وكذا كيفية تكون الاغذية النباتية والحيوانية وترتيبها بالآباء العلوية والامهات السفلية لا تتم فى عدة مجلدات - وكذا كيفية طبعها واصلاحها واحتياجها الى آلات من الحديد والحطب والنار واحتياج هذه الآلات الى الصناع المحتاجين الى آلات اخرلاتتناهى لايمكن ذكرشمة منها الافى كثير من المجلدات، وكذا مضغ الاطعمة وكيفية تولدالريق المعين لازلاق اللقمة المتولدمن تحت اللسان وكيفية جذب المعدة ذلك ثم طبخها فى المعدة ثم فى الكبد ثم وصولها الى البدن وانقسام فضلاتها الى طريق آخرلايمكن تفصيلها فى مجلدات ولو ارتقيت الى معرفة الحواس المعينة الى معرفة مضار الاطعمة ومنافعها وكيفية تحصيلها ومن جملتها البصروان جرمها الذى هو مقدار جوزة عشر طبقات مركبة بعضها رطوبات وبعضها اغشية وبعض تلك الاغشية كالمشيمة وبعضها كأنها نسج العنكبوت وبعض تلك الرطوبات كانها بياض البيض وبعضها كأنه الجمد - وكذا احوال سائر الحواس بحيث لايمكن للعقل احاطة جملها ولا للسان بيان قدرما احاط منها كما هو حقها ولا للبنان كتابة ما جرى منها على اللسان - وهكذا يتوقف على اسباب واسباب الى حيث يعجز العقل عن ضبط انواع اسباب فعل واحد، عن الأكل فضلا عن ضبط افرادها واسباب سائر الافعال وعند ذلك تفهم معنى قوله عزوجل (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) الا انك ايها المسكين لاتعرف من النعم الانفس الأكل وهواخسها ثم لاتعرف منها انك تجوع فتأكل وتتعب وتنام ثم تشتهى وتجامع وتستريح وهذا ايضا حال الحمار وانت فى رتبتها فلاتغفل ايها المسكين عن النظر فى ملكوت الله سبحانه وعجائب صنعه وحكمة تصنيفه لأن

(١) كذا -

العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذى صنفه بواسطة قلوب عباده الا انك تغفل غفلة البهائم مع انك من زمرة الملائكة لكن القى الى هذه الرتبة جهلك وحمقك وعجزك فسبحان من ألحق ذوى الابصار بالعميان جل جلاله وعم نواله، ولنترك استقصاء هذا الباب فانه طمع فى غير طمع (١) -

المطلب التاسع

فى السبب الصارف عن الشكر وعلاجه

واعلم ان سببه الجهل والغفلة عن معرفة النعم وان عرفها فيظن ان شكرها ان تقول بلسانك الحمد لله الشكر لله، وايضا سببه بعد معرفتها غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب احدها عموم النعمة للخلق كافة كأنهم لايعدونها نعمة ألا تراهم لا يشكرون الهواء مثلا وهو من اعظم النعم اولايمكن التعيش بدونها ولو ساعة وهذا جهل عظيم حيث لا يعدون النعمة الدائمة نعمة ويعدون ماينقطع ساعة ثم يعود نعمة مع ان الدائم احق بالشكر من المنقطع احيانا وطريق معرفة النعمة فرض انقطاعها فحينئذ يظهر لاهل الغفلة حالها روى ان ابن السماك قال لبعض الخلفاء وفى يده ماء يشربه وقال عظنى، او لم تعط هذه الشربة الا بنصف ملكك فهل تبذله قال نعم قال وان لم تخرج من بدنك بعد شربها هل تترك نصفه الآخر قال نعم قال فلاتفرح بملك لايساوى شربة ماء ولا دفعها عن بدنك، وبهذا تبين ان شربة ماء عند العطش اعظم من ملك الارض كله على ان كل احد يظن انه يخص من بين الناس بعقل لايشاركه فيه الناس ويظن انه على خلق كريم لا يشوبه العيب بخلاف سائر الناس وايضا يعتقد فيه علما امتاز به عن الناس ثم ان كان هذا الظن واقعا فى نفسه يلزمه الشكر لا محالة وان لم يكن واقعا الا ان الله تعالى ستر قبيحه عن الناس واظهر لهم الجميل من العقل والخلق والعلم فكذلك يلزمه الشكر، ثم نقول ان كل احد رزقه الله تعالى امورا لو اعطى ماخصص به غيره لكان لا يرضى به من صورته او شخصه او اخلاقه او صفاته او اهله او ولده او مسكنه او بلده او رفيقه او اقاربه او عزه او جاهه او سائر محابه فاذا لله عليه نعمة ليست على

---

(١) كذا والمعروف - مطمع -

احد من عباده سواه فينبغي ان يشكرها وايضا من النعم ما فيه عموم ولكن لو تبدلت باضدادها لم يرض بها مثل ان جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا ، وايضا عدد المغبوطين عنده اقل من غيره بكثير فكيف لا ينظر من هو من دونه حتى لا يزدرى نعم الله كما انه ينظر الى من دونه فى الدين ويتعذر بكثرة الفساق مع ان دنياه لا تساوى دينه فعليك ان تتأمل كلام افصح من نطق بالضاد حيث قال صلى الله عليه وسلم - من اصبح معافى فى بدنه آمنا فى سربه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها - سيما زمرة العلماء فان نعمة العلم اعظم النعم حتى ان بعضا منهم لو بدل نصف علمه بل عشر اعشار علمه بملك الارض من الشرق الى الغرب لأنف من ذلك وانكر على قائلها ولا تظنن ان المعرض عن الدنيا فى الم الصبر عنها فان ذلك ليس باكثر من الم الصبر عليها فان آلام الاغنياء اضعاف اضعاف الم الفقراء ولكن لا يشعرون بسبب خدر حاصل فى طبيعتهم فاذا زال ذلك بالموت يشعرون ذلك لكن حين لا ينفعهم العلم - ثم ان علاج القلوب الفاقدة للشكر فان كان بصيرا فعلاجه التأمل فيما ذكرناه من اصناف النعم وان كان غير ذلك فبالنظر الى من دونه وكان بعضهم يحضر كل يوم دار المرضى ليعرف نعمة الصحة ويحضر المقابر ليعرف قدر الحياة ويحضر موضع العقوبات ليعرف قدر العصمة من الجنايات ، ومما ينبغي ان يعالج به القلوب الغير الشاكرة ان تعرف ان النعمة اذا لم تشكر زالت ولم تعد - قال عز وجل (ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وفى الخبر ماعظمت نعمة الله على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال قال الفضيل عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر -

المطلب العاشر

فيما يشترك فيه الصبر والشكر

اعلم ان الله تعالى فى كل شيء نعمة يجب عليها الشكر وكذا فى كل شيء بلاء

اذالبلاء فقد النعمة ثم ان النعمة امامطلقة وهى فى الآخرة سعادة العبد بالنزول فى جوار الله وفى الدنيا الايمان وحسن الخلق وما يعين عليهما - واما مقيدة وهى نعمة من وجه دون وجه كالفقر والخوف والمرض فأنها نعمة دينا وبلاء فى الدنيا وكذا البلاء اما مطلق كالكفر والمعاصى واما مقيد كالفقر والمرض كما ذكر فالشكر للنعم واجب - واما الصبر فعلى البلاء المقيد واما البلاء المطلق فلايجوز الصبر عليه بل يجب ازالته مهما امكن وانما الصبر على الم ليس للعبد ازالته مثلا لو تألم بطول العطش حتى عظم الله لايصبر عليها بل يزيلها ان قدر - ثم ان النعمة يجوز أن تصير بلاء وبالعكس ولهذا يمكن ان يجتمع الصبر والشكر فى مادة واحدة مثلا الفقر نعمة فى حق من اذا استغنى وكثر ماله بطر وطغى مع انه بلاء ايضاً فى نفسه فيشكر من حيث كونه نعمة ويصبر من حيث كونه بلاء - ثم ان المعرفة التى هى نعمة مطلقة يمكن ان تكون بلاء فى حق بعض الناس فتكون النعمة فى ضدها مثلا معرفة الانسان اجله بلاء ينغص عيشه ويطيل غمه فيكون جهله به نعمة وكذلك معرفة احوال قلوب الناس بلاء اذ لو رفع الستر لطال امله وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام بسبب اطلاعه على ما يضمره الخلق فيكون الجهل بها نعمة وكذلك جهله بالخصال المحمودة فى غيره نعمة اذ ربما يضطر الى ايذائه واهانته وفعل ذلك بعد المعرفة اثم عظيم - ومنها الجهل بالقيامة وليلة القدروساعة الجمعة وبعض الكبائر لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد - وهذه وجوه نعم الله فى الجهل فكيف فى العلم - وان اخطرت ببالك ان جمع الصبر والشكر جمع بين الضدين اذ الاول يستلزم الفرح والثانى الشكر(١) وهما ضدان يجوز جمع الفرح والغم من وجهين اذ فى كل فقر ومرض وخوف وبلاء فى الدنيا امور خمسة يجب الفرح بها عند العاقل عدم كونها زائدا على ماوقع وعدم كونها فى الدين وتعجيل عقوبتك فى الدنيا فلاتعاقب فى الآخرة ثانيا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا فأصابته شدة اوبلاء فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا -

(١) كذا وفى الاحياء - والصبر على البلاء يستدعى الما والشكر يستدعى فرحا -

وايضا

وايضا هذه العقوبة كانت مكتوبة فى ام الكتاب فقد وقعت وانقضت وهذه ايضا نعمة وايضا ان ثوابها فى الآخرة اكثر من هذه العقوبة فى الدنيا ثم انك بعد ما سمعت فضل البلاء فاياك ان تجوز طلب البلاء لان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك وقال سلوا الله العافية فما اعطى عبد افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب من مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية البدن - ونظير ذلك فى الاحاديث والآثار اكثر من ان يحصى اما ما صدر من اهل المحبة من طلب البلاء فانما نشأ من فرط المحبة لأن من شرب من كأس المحبة سكر ومن سكر توسع فى الكلام ولو زايله سكره علم ان ما غلب عليه كانت حالة لا حقيقة لها وكلام العشاق يستلذ سماعه ولكن لا يعول عليه ويحكى ان فاختة قالت لزوجها ما الذى يمنعك عنى ولو اردت ان اقلب قصر سليمان ظهرا لبطن لفعلته لأجلك فسمعه سليمان وعاتبه فقال يانبى الله كلام العشاق لايحكى وهو كما قال -

المطلب الحادى عشر

قال بعضهم الصبر افضل من الشكر وقال بعضهم بالعكس وقال آخرون هما سيان وقال آخرون يختلف باختلاف الاحوال واعلم ان المفهوم من الاحاديث والاخبار والآثار فضيلة الصبر على الشكر لأن الصبر حال الفقر والشكر حال الغنى وفى ذلك مقنع للناس كافة الا ان اهل التحقيق منهم ربما يكشفون حقيقة الحال بتفصيل ذلك وهو أن العلوم الظاهرة تراد للاحوال والاحوال للاعمال واما العلوم الباطنة فانما تراد الاحوال لاجلها والاعمال لأجل الاحوال فافضل الكل معرفة الله تعالى وانما يتوسل اليها باحوال القلب فى تصفيته عن المكدرات ثم الاعمال اما ان تجلب ظلمة القلب وهى المعاصى اوصفاءها وهى الطاعات ثم ان المعاصى والطاعات متفاوتة ومختلفة بحسب اختلاف الاحوال مثلا من غلبه الشح فليس له صوم النافلة بل اخراج درهم واحد له افضل من صوم النافلة وكذا من غلبه شهوة البطن فله الصوم دون اخراج المال، واما ما ورد فى الشرع من فضل الصدقة

على الاطلاق وفضل الصوم على الاطلاق فذلك لأنه لو قيل الصدقة لمن ابتلى بمرض الشح والصوم لمن ابتلى بمرض الشهوة البطنية او الفرجية لربما قالت النفس ليس فيّ هذا المرض لان شأن النفس انكار امراضها فيترك معالجتها فتهلك ، انظر الى رحمة الشارع على العباد وحذاقتها (١) فى معالجة امراض قلوبهم ثم ان الصبر والشكر قد يجتمعان فى محل واحد كما بيناه فهنالك لا يتصور فضيلة احدهما على الآخر واما اذا تغاير محلهما بان كانت النعمة ضرورية كالعينين مثلا فمن فقدهما فصبره بان لا يظهر الشكوى ويضمر الرضا بقضاء الله تعالى ـ والبصير اما ان يستعملهما فى طاعة الله تعالى فقد شكر وصبر ايضا على الطاعة وكذا ان كفهما عن الحرام فقد شكر (وصبر) ايضا عن الحرام ولا يخفى ان الاعمى فيه فضيلة الصبر فقط وفى البصير المتقى عن الحرام او المستعمل فى الطاعة فضيلة الصبر والشكر معا فالبصير المذكور افضل من الاعمى المذكور والاعمى المذكور افضل من البصير الغير الغاض بصره عن الحرام، وان كانت النعمة غير ضرورية ولم تكن فاضلة على الحاجة ففي الصبر عن الزيادة مجاهدة وهذا الصبر اتم واقوى من صبر الغنى على الاقتصار على المباح ويمسك ماله على الفقراء ، واما الغنى الذى يصرف ماله الى الخيرات ولا يستعملها فى المعصية ففيه الشكر والصبر ولا يخفى ان مجموع الامرين افضل من احدهما وان كان صبر الفقر افضل من جهة صبر هذا الغنى ايضا وبالجملة الفقير الصابر افضل من الغنى الصابر فقط ومن الغنى الشاكر فقط وان كان الغنى الصابر الشاكر افضل من الفقير الصابر فقط وما قيل الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر فذلك لعدم انفكاك الشكر عن الصبر وما ورد فى الاخبار من فضيلة الصبر على الشكر فانما فضيلته على الشكر بحسب متفاهم عرف العامة وهو أن النعمة عندهم المال فقط والمتبادر من الشكر عندهم قولهم الحمد لله الشكر لله الا ان التفصيل الكاشف للشبهة هو ما ذكرناه والله اعلم ـ

الاصل الثالث

فى الرجاء والخوف وفيه مطالب

---

(١) كذا ـ الناشر .

المطلب الاول

فى حقيقة الرجاء

واعلم ان كل ما يلاقيك من مكروه او محبوب اما موجود فى الحال اوفى الماضى اوفى الاستقبال فاذا خطر ببالك الاول سمى ذكرا واذا خطر الثانى يسمى وجدا اوذوقا اوادراكا وانما سمى وجدا لوجودها فى نفسه - واذا خطر الثالث وغلب على قلبك يسمى انتظارا اوتوقعا ثم ان كان المنتظر مكروها حصل منه الم يسمى خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل منه شوق يسمى رجاء ان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه وغرور ان كان مع انخرام اسبابه واضطرابها وان لم يعلم وجود اسبابها (١) وانتفائها يسمى تمنيا - فاسم الرجاء والخوف لايطلق الاعلى ما يتردد فيه اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس واخاف غروبها بل ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه - اذا عرفت هذا فاعلم ان انتظار المغفرة انما سمى رجاء اذا تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد من بث بذر الايمان وسقيه بماء الطاعات وتطهير القلب من شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى الثبات عليه الى الموت وحسن الخاتمة عند الموت ان كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا فى نفسه وان خالف ما ذكر من الشرائط ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور -

المطلب الثانى

فى فضيلة الرجاء - قال الله تعالى (لا تقنطوا من رحمة الله) وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عزوجل، انا عند ظن عبدى بى فليظن ماشاء، وقال ، لايموتن احدكم الاوهو يحسن الظن بالله، وغير ذلك من الآيات والاخبار والآثار - واعلم ان الرجل اما ان يغلب عليه اليأس فترك العبادة اوغلب عليه الخوف فأسرف فى المواظبة على العبادة حتى اضر نفسه فهما مائلان الى طرفى الافراط والتفريط فيحتاجان الى دواء - واما العاصى المغرور المتمنى على الله مع الاعراض عن العبادة فأدوية الرجاء فى حقه سموم مهلكة بل لايبرئه من مرضه الا ادوية الخوف - فمن كان

---

(١) كذا -

واعظا ينبغى ان يراعى الامراض المذكورة ويدبر علاجها بحسب الامراض والا يؤدى الى الاهلاك وعليه ان يقتدى كتاب الله وسنة رسوله حيث اشتملا على الرجاء والخوف جميعا ـ وبالجملة الجمع بينهما هو الوسط وهو الجادة فمن مال عنها يرد الى الجادة لا الى الطرف الآخر ـ ثم ان طريق العلاج اما استقراء الآيات والاخبار وذلك معلوم عند المسلمين كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق، ان رحمتى تغلب غضبى ـ وفى الحديث، لو لم تذنبوا لخلق الله تعالى خلقا يذنبون فيغفر لهم، وفى الخبر، ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطر قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه ونحو ذلك من الاخبار والآثار ـ وما اعتبار العقل وذلك ان من اعد الانسان كل ما هو ضرورى له فى دوام وجوده كآلات الغذاء وما هو محتاج اليه كالاظفار والاصابع وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف الوان العينين ونحو ذلك مما لا يثلم بفقده غرض مقصود وانما يفوت به مزيد جمال فما ظنك باعداد ما هو أهم الامور عنده وغاية الغايات وأصل كل السعادات اعنى سعادة الآخرة فالعناية الالهية اذا لم ترض لعباده بفوات امثال هذه فكيف ترضى بسياقتهم الى الهلاك المؤبد واذا كان حال اكثر الخلق فى الدنيا الغالب عليها الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب ان امر الآخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم ـ وايضا من نظر فى حكمة الشريعة ووجه الرحمة بها على العباد حتى انزل آية طويلة لبيان المداينة ليهتدى بها الى حفظ دينه فمن هدا هم طريق حفظ دينهم فكيف لا يحفظ لهم طريق دينهم الذى لا عوض

المطلب الثالث

فى الخوف

وقد عرفت حقيقته وهى تألم القلب بسبب توقع مكروه فى الاستقبال فالخوف من الله تارة يكون بمعرفة الله ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه

مانع

مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد وتارة يكون بهما جميعا فأخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه وكذلك قال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله وقال الله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) ثم اذا كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثره على البدن والجوارح والصفات - اما فى البدن فالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تنفتق به المرارة فيفضى الى الموت اويصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط واليأس - واما فى الجوارح فيكفها عن المعاصي ويقيدها بالطاعات - واما فى الصفات فيقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة وتتأدب الجوارح ويحصل فى القلب الذل والخشوع ويفارقه الكبر والحسد والحقد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر فى خطر عاقبته ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والضنة بالانفاس والخطوات ومؤاخذة النفس فى الخطرات والخطوات والكلمات وهذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين - واقل درجات الخوف مما يظهر اثره فى الاعمال ان يمنع من المحظورات ويسمى ورعا فان زادت قوته حتى كف عما لا يتيقن حرمته يسمى تقوى وهو ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يزاد عليه فيترك مالابأس به مخافة مابه بأس فهو الصدق فى التقوى فاذا انضم اليه التجرد فى الخدمة بان لا يصرف الى غير الله من المأكل والملبس نفسا من انفاسه بان لا يلتفت الى غير الله اصلا فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا والصديق يتضمن التقوى والورع والعفة - ثم ان الخوف ليس كلما كان اقوى كان احمد قدر ما يسوق العبد الى العلم والعمل - واما ما خرج الى حد اليأس فيسمى القنوط لا الخوف وقد يخرج الى المرض والضعف والوله والدهشة وزوال العقل بل الموت وكل ذلك مذموم - وايضا الخوف القاصر الذي يعقبه الغفلة قليل الجدوى ضعيف النفع كمن يسمع آية ويخاف منها ويرق رقة النساء ثم يعود الى الغفلة ومثل ذلك يسمى حديث النفس دون الخوف فان قلت من مات من الخوف يكون شهيدا فكيف يذم قلت محمودية الشهادة بالاضافة الى ان لو مات

بلا شهادة واما بالاضافة الى ما لو عمر ووصل بواسطة الخوف المحمود درجات الولاية فكلا بل له فى كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ـ ثم الخوف اما من المكروه لذاته كنفس النار اولغيره كالموت قبل التوبة اوخوف نقض التوبة وزوال الرقة من القلب اوخوف ان يكله الله الى حسناته اوخوف الاستدراج بتواتر النعم اوخوف الخاتمة وان كان حال العارفين خوف السابقة لان الخاتمة تبع لها وهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد منها طريق الحذر ـ وايضا الخوف اما من المعصية وهذا خوف الصالحين اومن الله تعالى وهذا خوف الموحدين والصديقين لان هذا الخوف لا يزول عند الطاعة ايضا لان من عرف ان الطاعة والمعصية كلاهما بقضاء الله وقدره وانه تعالى خالق هؤلاء للجنة ولايبالى وخلق هؤلاء للنار ولايبالى وهو الذى خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة للطيع وللعاصى ولم يعرف ما الذى اوجب تخصيص هذا بارادة الطاعات وتخصيص ذاك بتسليط دواعى المعصية عليه ولم يعرف كيفية احالة ذلك على العبد فاذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلى من غير جناية ولاوسيلة فالخوف ممن يقضى بما شاء ويحكم مايريد جزم على كل حال ووراء هذا المعنى سر القدر الذى لايجوز افشاؤه ـ ثم ان الخوائف(١) من نفس المكروه من احوال الموت والقبر واهوال المطلع والحشر والوقوف بين يدى الله والخوف من السؤال والصراط والميزان والخوف من الحرمان عن الجنان ونحو ذلك وهذا خوف العابدين والزاهدين واعلى ما ذكر من المخاوف هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين ـ

المطلب الرابع

اعلم ان فضيلة الخوف ثابتة بالنقل والعقل اما النقل فمن حيث انه تعالى جمع للخائفين مجامع مقامات اهل الجنان الهدى والرحمة والعلم والرضوان، قال عزوجل (هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) وقال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فوصفهم بالعلم لخشيتهم وقال عزوجل (رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى

(١) كذا ـ

به) وروى ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم برواية الفضيل وقيل هو موقوف على الفضيل ؟ من خاف الله خافه كل شيء ومن خاف غير الله خاف من كل شيء ، واما العقل فلأن فضيلة الشيء بقدر اعانته فى الافضاء الى سعادة لقاء الله عز وجل ولا شيء انفع فى الوصول الى هذه السعادة الابمحبته تعالى والانس به فى الدنيا ولا تحصل المحبة الابالمعرفة ولا تحصل هى الابدوام الفكر وايضا حصول الانس بالمحبة ودوام الذكر ولايمكن المواظبة على الذكر والفكر الابانقلاع حب الدنيامن القلب ولاينقلع ذلك الابترك لذات الدنيا وشهواتها ولايمكن ترك المشتهيات الابقمع الشهوات ولاتنقمع الشهوات بشيء كما تنقمع بنار الخوف فاذا هو أصل لاسباب السعادة وايضا كل ما ورد فى مذمة الأمن فهو فضيلة الخوف واعلم ان الناس اختلفوا فى ان الافضل غلبة الخوف او غلبة الرجاء او مساواتهما ؟ والجواب الحق فيه ان الخوف والرجاء دواء وفضل الدواء بحسب الداء الموجود فان كان الغالب داء الأمن فالخوف افضل فى حقه وان كان الغالب هو اليأس فالرجاء افضل ، وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل واما العبد التقى الذى ترك ظاهر الاثم وباطنه خفيه وجليه فالاصلح له ان يعتدل خوفه ورجاؤه ويمكن ان يقال الخوف افضل مطلقا لكن بتأويل ان مرض المعصية والاغترار فى ... (١) غلب فى الناس واما ان نظر الى ان مطلع الخوف بحر الغضب ومطلع الرجاء بحر الرحمة يقال الرجاء افضل لأن من نظر الى صفات الرحمة واللطف يعقبه المحبة التى هى منتهى المقامات ولا كذلك النظر الى صفات القهر والغضب ولكن لا تتوهم من ذلك ان الافضل غلبة الرجاء للعبد إذ لا يلزم من فضل الرجاء فى نفسه فضيلته للعباد المبتلين بالامراض بل اللائق بهم الخوف لئلا يقعوا فى الغرور فيهلكوا اذ الرجاء للعصاة غرور واما الصالحون وان كان ظاهر حالهم الرجاء لكن دقائق الصفات الذميمة الدفينة فى القلب وجهالة حال العاقبة يعارض ظاهر احوالهم فيتساوى لهم الخوف والرجاء فالخوف غالب للعصاة والخوف والرجاء متساويان للصالحين ولايمكن غلبة الرجاء بحال

---

(١) ا.

اصلا الاعند الموت اذ لاحاجة له الى سوط يبعثه على العمل لانقطاع احتمال العمل عنه وايضا لايطيق اسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته فاذا يضره دواء الخوف بل الدواء له الرجاء فانه يقوى قلبه ويحبب اليه ربه ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه لأن غاية السعادة ان يموت العبد وهو محب لله تعالى ـ

المطلب الخامس

فى دواء يستجلب الخوف

واعلم ان اول مقامات الدين اليقين وهذا يهيج خوف النار ورجاء الجنة وهما يقويان على الصبر فان الجنة حفت بالمكاره فلايصبر على تحملها الابقوة الرجاء والنار حفت بالشهوات فلايصبر على قمعها الابقوة الخوف ثم يؤدى الصبر المستفاد من الخوف والرجاء الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله والفكر فيه على الدوام ويؤدى دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة ويؤدى كمال المعرفة والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات ثم ان الخوف يحصل بطريقين اضعفهما الخوف من النار ورجاء الجنة بالايمان التقليدى ولايدرى وجه الخوف والرجاء واعلاهما ان يخاف البعد والحجاب عن الله عزوجل ويرجوا القرب منه وهذا الخوف هو خوف العلماء وارباب القلوب ـ وقد تقدم كيفية الخوف من الله تعالى بان الله سبحانه خلق للعذاب اسبابا وللثواب اسبابا وخلق لكل اهلا يسوقهم القدر المتفرع عن القضاء الجزم الالهى الى ماخلقوا له وسخروا لأسبابها شاؤا ام ابوا فهذه مخاوف العارفين بسر القدر وكان خوف نبينا صلى الله عليه وسلم اكثر من غيره وهو سيد الاولين والآخرين ـ وايضا حكايات الصحابة فى باب الخوف مذكورة فى كتب المناقب حتى ان بعضا منهم صاح صيحة ومرض عدة وبعضا منهم شهق شهقة حتى مات ثم ان اكثر خوف العارفين من سوء الخاتمة وان سببه امور مقدمة منها البدع ومنها المعاصى ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن جملة ذلك وان ظن انه قد خلا عن ذلك فهو نفاق اذ قيل من امن النفاق

فهو

فهو منافق - اما سوء الخاتمة فلها رتبتان احدهما وهى الاصل وهو اعظمهما ان يغلب على القلب عند سكرات الموت اما الشك واما الجحود فتقبض الروح فى تلك الحال فيكون حجابا بينه وبين الله ابدا وذلك يقتضى البعد الدائم والعذاب المخلد وثانيهما ان يغلب عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها ويستغرق قلبه ولا يبقى متسع لغيره فيتفق قبض روحه فى تلك الحالة فيكون قلبه به منكسا رأسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها فيحصل له الحجاب فينزل عليه العذاب اذلا يمكن اكتساب صفة اخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذلا تصرف فى القلوب الا باعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فلا مطمع فى عمل ولا فى رجوع الى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان اصل الايمان وحب الله اذا كان قد رسخ فى القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التى عرضت له عند الموت فان كان ايمانه قويا يخرجه من النار فى زمان اقرب وان كان اقل من ذلك طال مكثه وان كان مثقال حبة فلابد أن يخرجه ولو بعد آلاف سنين ثم ان هذا العذاب لا يؤخر الى الحشر بل يعذب فى القبر بما هو مذكور فى الاخبار ثم فى الحشر وعند السؤال وعند الصراط الى غير ذلك - واما محل الايمان فهو الروح لا يفنى فيعاد اليه الاجزاء الاصلية للبدن ثم يحشر ويعذب الى ان يغلب حكم الايمان - ثم انهم حصروا اسباب سوء الخاتمة فى نوعين احدهما الختم على الشك والجحود وان كانت اعماله صالحة وذلك نوعان احدهما اما بأن يعتقد بدعة اما بعقله القاصر واما بتقليد مبتدع فاذا وقع سكرات الموت بدا له بطلان اعتقاده وربما ظن ان جميع عقائده باطلة او مشكوك فيها فان ختم قبل ان يتثبت ويعود الى اصل الايمان ختم بالسوء العياذ بالله - ولهذا منع السلف من البحث والنظر فى علم الكلام والبله بمعزل عن هذا الخطر ولهذا قيل ان اكثر اهل الجنة البله لان البحث عن الصفات عظيم وعقباتها كؤدة ومسالكها وعرة والعقول عن درك جلال الله متحيرة - وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة سيما فى هذا الزمان

قد استرخى العنان وفشا الهذيان واكتفى كل احد بظن وحسبان و يعتقد أن ذلك علم واستيقان وانه صفوا الايمان ويظن ان ما قنع به من حدس وتخمين هو ء لم اليقين ولتعلمن نبأه بعد حين - و ينبغي ان ينشد فى هؤلاء عند كشف الغطاء قول الشاعر -

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى واغتررت بها ... وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وثانيها ضعف الايمان فى الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب اذ يورث ذلك الانهماك فى الشهوات حتى يظلم القلب ويسود ويقسو ولايزال يطفى نور الايمان حتى يصير طبعا ورينا فاذاجاء الموت واستشعر فراق الدنيا وهي المحبوب الاغلب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ماقدر عليه من الموت وكراهته من حيث انه من الله فيخشى ان يثور من باطنه بغض الله بدل الحب فان اتفق زهوق روحه فى تلك اللحظة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكاً مؤبدا فالسبب فى ذلك حب الدنيا الذى هو رأس كل خطيئة وهو الداء العضال الذى عم أصناف الخلق من الجهال -

النوع الثانى

من انواع سوء الخاتمة التى هى دون الاول وليست مقتضية للخلود فى النار فلها ايضا سببان احدها كثرة المعاصى وان قوى الايمان والآخر ضعف الايمان وان قلت المعاصى وذلك لأن القلب الى مألوفه اميل فان كان مألوفه المعاصى يتقيد بذلك ويصير محجوبا عن الله تعالى وهذا الميل يتفاوت بقلة المعاصى وكثرتها وبتواتر المعاصى ساعة فساعة وبفصلها بزمان كثير - وقد ظهر لك بهذا ان الأمن من سوء الخاتمة بان يرى الاشياء كما هى عليه من غير جهل ويزجى جميع العمر فى طاعة الله من غير معصية ومع ذلك فاعمال العمر كلها ضائعة ان لم تسلم فى النفس الاخير الذى عليه خروج الروح فان سلامته مع اضطراب امواج الخواطر مشكل جدا فاشتغل بالاستعداد لذلك وواظب على ذكر الله وأخرج من قلبك

حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز من مشاهدة المعاصي ومشاهدة اهلها جهدك واياك ان تسوف وتقول سأستعد له اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس خاتمتك يمكن ان تختطف فيه روحك فراقب قلبك فى كل تطريفة واذا نمت فاياك ان تنام الاعلى طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الابعد غلبة ذكر الله على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة الاثر واعلم انه لايغلب على قلبك عند النوم الا ماكان غالبا قبله ولا يغلب فى النوم الا ماكان غالبا عنده فالموت والبعث شبه النوم واليقظة ولايموت المرء الاعلى ما عاش عليه ولايحشر الاعلى ما مات عليه فاياك ان تغفل عن الله طرفة عين وانت اذا لم تغفل عنه ساعة ففى خطر عظيم فكيف اذا غفلت عنه يوما اوايا ما ولايمكن ذلك الابان تكتفى من الدنيا بقدر الضرورة وترك الفضول من المآكل والملابس والمساكن نسأل الله ان يتوب علينا ويختم لنا بالخير ويقينا سوء الخاتمة انه كريم رحيم -

الاصل الرابع

فى الفقر والزهد وفيه مطالب

المطلب الاول

فى حقيقة الفقر

اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ماهو محتاج اليه واما فقد ما لا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه مقدورا عليه موجودا لم يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك فى ان كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج اليه فى دوام الوجود فى ثانى الحال (والله الغنى وانتم الفقراء) الا ان المبحوث عنه فى هذا الباب هو الفقر فى المال - واعلم ان فاقة المال له خمسة احوال احدها الزهد وهو أن يتأذى بوجود المال ويهرب من اخذه يبغضه ويتحرز من شغله وثانيها الرضاء لا يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى به ولكن يزيد فيه لو اتاه وثالثها

القناعة وهى ان لاينهض لطلبه وان اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح به . ورابعها الحرص وهوان يرغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه لطلبه ولو بالتعب خامسها الاضطرار وهو ان يكون مضطرا الى ما فقده من المال كالجائع الفاقد للخبز وقلما ينفك هذا عن الرغبة اما الضعيفة اوالقوية . واعلى هذه الدرجات الزهد سيما اذا انضم اليه الاضطرار فهواقصى الدرجات ووراء هذه الدرجات مرتبة اعلى من جميعها ويخص باسم المستغنى وهوالغنى عن دخول المال فى يده وعن بقائه فى يده وعن خروجه من يده فانه ليس يتأذى به ليحتاج الى اخراجه وليس يفرح به ليحتاج الى بقائه وليس فاقدا له ليحتاج الى الدخول فى يده فهو الى الغنى الذى هووصف الله تعالى اقرب ولانسميه غنيا بل مستغنيا اذالغنى المطلق هوالغنى عن كل شيء وهويختص بالله سبحانه وتعالى واما هذا العبد فانما يستغنى عن المال وجودا وعدما ، لاعن اشياء اخرسيما توفيق الله الذى زين هذا فى قلبه وهكذا كانت حال عائشة رضى الله عنها اذ أتاها مائة الف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها فى يومها فقالت لها خادمتها لواشتريت لنا لحما بدرهم فقالت لوذكرتنى لفعلت . فمن هذا حاله لوكانت الدنيا فى يده وخزانته لم تضره اذهو يرى الاموال فى خزائن الله لافى يدنفسه فلايفرق بين ان يكون فى يدنفسه اوفى يدغيره الا انه ينبغى ان لاينظر الى الدنيا اصلا لابنظر المحبة وذلك ظاهر إذلايجتمع فى القلب محبتان ولابنظر البغض لأنذلك ايضا التفات عن المحبوب الى غيره بل الكمال ان لايلتفت الى غيره بغضا وحبافانه كمالايجتمع حبان فى قلب واحد كذلك لايجتمع حب وبغض اذا لمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله تعالى كالمشغول بحبها وانما الفرق ان الغافل بحبها سالك طريق البعد والغافل ببغضها سالك طريق القرب اذ يمكن ان يتوسل بذلك الى ان تتبدل هذه الغفلة بالشهود وانما الكمال فى امر المال ان يستوى عندك الماء والمال اذلايؤذيك كثرة الماء فى جوارك إن تكون على شاطئ البحر ولاقلته الا فى قدرالضرورة مع ان المال محتاج اليه كالماء فلايكن قلبك مشغولا بالفرارعن جوار الماء وتبغض الماء الكثيربل تقول

أشـ ـب

أشرب منه بقدر حاجتي وأسقى منه عباد الله بقدر حاجتهم ولا ابخل به على احد - واذا عرفت الله عز وجل ووثقت بتدبيره الذى دبر به العالم علمت ان قدر حاجتك من الخبز يأتيك لامحالة ما دمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء وانت لاتضطرب للماء فلاى شيء تضطرب للقوت مع ان المدبر فى كليهما واحد - ثم انك لعلك تقول ان مذمة الدنيا فى الآيات والاخبار توجب البغض والفرار لمن يخاف عليه ان يخدعه المال ويدعوه الى الشهوات كما هو حال الضعفاء وهم الاكثرون والا فالا قوياء لا يلزمهم الفرار ولا يجب عليهم البغض فمن يكون اقوى من النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضى الله عنهما فأخذوها ووضعوها فى مواضعها وما هربوا منها ولم يكن عندهم حبها ولا الاشتغال ببغضها وانما استوى عندهم الماء والمال والذهب والحجر وما ينقل من الفرار عن الاقوياء فانما ذلك لئلا يقتدى فى الاخذ المضعفاء فيهلكوا - فظهر مما سبق ان المراتب ست وان اعلاها المستغنى ثم الزاهد ثم الراضى ثم القانع ثم الحريص - واما المضطر فيتصور فى حقه ايضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته مختلفة باختلاف هذه الاحوال -

المطلب الثانى

فى فضيلة الفقر

اما بالآيات والاخبار فاكثر من ان يحصى - واما فضيلته على الغنى مطلقا فقد لايستريب فى ذلك احد ممن قرأ الاخبار والآثار لكن لابد فيه من تفصيل وهو ان الشك ههنا فى مقامين احدهما فقير صابر قانع وغنى منفق ماله فى الخيرات ليس حريصا على امساك ماله - واما الغنى المتمتع بالمباحات فلا يتصور أن يفضل على الفقير القانع اصلا - ثم الناس اختلفوا وقال بعضهم ان الغنى افضل لأنهما متساويان فى ضعف الحرص ويفضل الغنى بالخيرات - وقال آخرون الفقير افضل لأنهم لاينفكون فى القدرة على المال عن انس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة فى بذلها والعبد بقدر استئناسه بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش

من الله ومن حبه ، مهما انقطعت اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها الى محبة الله تعالى اذ لايتصور قلب فارغ وليس فى الوجود الا الله عزوجل وغيره فيكون اقبال القلب الى احدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من احدهما بحسب بعده عن الآخر - فاذا المانع عن محبة الله تعالى هو محبة الدنيا والمحبة قد تكون مع وجودها كما فى محبة الغنى الدنيا وقد تكون مع فقدها كما فى محبة الفقير الدنيا فاذا الفقر قد يكون من الشواغل اذ قد يطلبها ويشتغل بطلبها كما ان الغنى من الشواغل لأجل طلبها - فاذا ان فرضت فارغين عن حب المال احدهما فاقد والآخر واجد فهما متساويان اذ كل واحد غير ممتع الا بقدر الحاجة الا ان هذا المفروض نادر فى الوجود - وانما الاكثر افتتان الفقر بالضراء والغنى بالسراء - فقد ذكر المحققون ان الفقر ابعد عن الخطر اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء وقالوا ان من العصمة ان لايقدر ولما كان خطاب الشرع مع الكل لامع ذلك الشاذ النادر زجر عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه - فاذا عرفت ان الفضل بينهما بحسب تعلق القلب بالمال وعدمه حتى ان تساويا فيه تساوت درجتهما - فاعلم ان ههنا منزلة قدم وموضع غرور وهو أن الغنى ربما يظن انه منقطع القلب عن حب المال ويكون حبه دفينا فى باطنه وهو لايشعر به فليجرب نفسه بتفريقه اواذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا وهذا حال كل الاغنياء سوى الانبياء والاولياء فظهر منه ان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل ولهذا ورد فضل الفقر فى الاخبار والآثار وكلمات المشايخ -

المقام الثانى فى نسبة الفقير الحريص الى الغنى الحريص فان كان مطلوبهما قدر الحاجة فى ان يستعين بذلك على طريق الدين فال الواجد افضل لان الفقد يشغله بالطلب، وان كان مطلوبهما فوق الحاجة اوكان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على طريق الدين فحالة الفقر افضل واصلح لأنهما وان استويا فى الحرص وحب المال وفى عدم الاستعانة على الدين وفى عدم التعرض للمعاصى بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا فى ان الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه فى قلبه

ويطمئن

ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر يتجا فى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده مثل السجن الذى ينبغى الخلاص منه وانس الواجد اكثر من انس الفاقد وان كان حريصا فاذا الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا بمثل عائشة رضى الله عنها حيث استوى عندها الغنى والعدم والا للفقير عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد أن يكون كفرا ـ

المطلب الثالث

فى آداب الفقير فى فقره

أما باطنا فأن لا يكره الفقر من حيث انه فعل الله وان كان يكره الفقر كمن يكره الحجامة ويتقلد على الحجام منة على فعلة وارفع من هذا ان لايكره الفقر ايضا وارفع منه ان يطلبه ويفرح به لعلمه بغوائل الغنى ويتوكل فى باطنه على الله واثقا فى قدر ضرورته وأنه يأتيه لامحالة ويكره الزيادة على الكفاف ، وأما ظاهرا فأن يظهر التعفف والتجمل ولايظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر أنه يستره ـ قال تعالى (يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف) وأن لايتواضع لغنى لغناه بل يتكبر عليه ولا يخالط الاغنياء ولا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا فى العطاء وأن لا يفتر بسبب فقره عن عبادته ولايمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وهو افضل من صدقة عن ظهر غنى وأن لايدخر مالا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقى ، وفى الادخار ثلاث درجات درجة الصديقين انلايدخر الاليومه وليلته ودرجة المتقين وهى ان يدخر لاربعين يوما وما زاد عليه داخل فى طول الامل وقد فهموا ذلك من ميعاد موسى عليه السلام حيث فهموا الرخصة فى امل اصل الحياة اربعين يوما ، ودرجة الصالحين وهو أن يدخر لسنة ومن زاد فى الادخار على السنة فهو واقع فى غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية ، واما آدابه فى قبول المال بغير سؤال فاما فى نفس المال فينبغى ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات واما فى المعطى فان كان غرضه تطييب قلبه وهى الهدية اوطلب الثواب وهى الصدقة والزكاة اوالذكر والرئاء والسمعة ، اما مجردا اوممزوجا ببقية

الاغراض ، اما الهدية فلابأس بقبولها فان ذلك سنة الا ان يكون فيها اوفى بعضها منة فيترك ذلك اوقدر مافيه منة ، واما الثواب فان كان زكاة فلينظر أنه مستحق لذلك ام لا وفيه شبهة وقد مراحكامه فى كتاب الزكاة وان كان صدقة ويعطيها المتصدق لدينه فلينظر أن فيه امرخفى لوعلمه المتصدق لنفر عنه فهذ احرام اخذه ، واما الرئاء والسمعة فينبغى ان يرده عليه ـ واما آدابه فى الاخذ فبأن ينظر أنه محتاج اليه فالافضل له الاخذ ان سلم من الآفات المذكورة فى المعطى اوزائد على قدرحاجته فان كان الآخذ مشتغلا بنفسه فلاوجه لأخذه وامساكه ان كان طالبا لطريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى، ثم هوإما ان يأخذ علانية ويرد سرا وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لايطيق الامن اطمأنت نفسه بالرياضة واما ان يترك ولا يأخذ لصرفه صاحبه الى من هواحق منه ويأخذ ويوصله الى من هواحوج منه ثم هوإما انيفعل كلاهما (١) فى السرا وفى العلانية وقدذكرنا الافضل من هـذه الاقسام فى كتاب اسرار الزكاة ، فالامتناع عن القبول هوالزهد واخذه وصرفه الى محتاج هوغاية الزهد ولايقدر عليه الا الصديقون ، واما ان تعهدت جماعة من الفقراء فخذ مازاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء وبادربه الىالصرف اليهم ولا تمسكه ولوليلة واحدة اذربمانستحليهفتمسكه ازمانا كثيرة الى ان تؤدى الى فتنة عظيمة ، وقـد تصدى لخدمة الفقراء جماعة وتوسلوا بها الى التنعم فى المطاعم والمشارب وذلك هوالهلاك ويجوز لهم الاستقراضللفقراء طلبا للثواب لكن لا على اعتماد اموال السلاطين الظلمة بل على حسن الظن بالله تعالى فان مات قبل القضاء قضى عنه وارضى غرماءه ولـكن بشرط ان يكشف حاله عند المقرض لئلايغره ويخدعه بالمواعيد ودين مثل هذا الرجل يجب ان يقضى من بيت المال اومن الزكوات ـ

المطلب الرابع

فى تحريم السؤال من غير ضرورة

وقد وردت الاخبـار فى تحريمه وجوازه والتوفيق بينهما انه حرام فى الاصل

(١) كذا

مباح للضرورة او لأمر قريب منها ـ اما حرمته فلامور ، اظهار الشكوى من الله تعالى بالسؤال لأنه اظهار لقصور نعمة الله تعالى عنه وايضا هو اذلال النفس لغير الله وليس للؤمن ان يذل نفسه وذلك فى الذلة لغير مولاه واما هى فعزة حقيقة وايضا فيه ايذاء المسؤل غالبا وهو حرام اذ ربما لا تسمح نفسه بما يبذ له عن طيبة قلب وان بذله رئاء او حياء فأخذه حرام عليه واما وجه اباحته اما اضطرار كسؤال الجائع الخائف عن الموت اوالمرض وسؤال العارى وليس معه ما يوارى بدنه واما احتياجه حاجة مهمة لا تبلغ حد الاضطرار كمن له جبة لكنه يتأذى بالبرد وكمن يريد الكراء وهو قادر على المشى لكن بتعب وهذا المحتاج يحل له السؤال ايضا ولا يكره واما الحاجة الخفيفة كمن يريد ثوبا على ثيابه يريد ستر خروقها عن أعين الناس وكمن يسأل الرجل الادم وله خبز وكمن يكترى الفرس وهو واجد كراء حمار وهذه ان اظهر حاجة غير هذه فهو حرام والا فالسؤال مباح مع الكراهة بشرط ان لا يصحبه المحذورات الثلاث من الشكوى او الذل او الايذاء وان صحبه هذه الامور فيحرم لأن المصلحة المذكورة لا يباح بها هذه المحذورات فان قلت هل يمكن الخلو عن هذه المحذورات؟ قلت يمكن اما عن الشكوى بان يظهر الشكر لله ويقول انا مستغن حقيقة لكن رعونة النفس تطالبنى بثوب فوق ثيابى هذه وهو فضلة عن الحاجة واما الذل فبأن يسأل قريبه او صديقه اوكريما يفرح بمثل هذا ويتقلد منة لقبوله واما الايذاء فبأن يلقى الكلام عرضا اويسأل من لايستحيى فان الحياء مما يؤذى حتى ان علم انه اعطاه لاجل الحياء فذلك المال حرام بل بمنزلة الاخذ بالضرب لأن سوء الباطن الحياء وخوف الملام وهذا اشد نكاية من ضرب الظاهر بالسياط ورضا الظاهر وان كان عذرا فى القضاء لعدم امكان الاطلاع على البواطن واما الذى يكون القلوب عنده كالالسنة وهو احكم الحاكمين فلا يفيد الظاهر عنده شيئا ويجب رده على صاحبه عنده فلاتنظر فى مثل هذا الا الى قلبك وان افتوك وافتوك ولكن(١) حال القلب خفيا تورع عن السؤال المتقون الا اذا بلغ حدا يحل فيه الخنزير والميتة ـ ومنهم من يتق

(١) كذا ولعله ـ ولما كان ـ ح ـ

ببصيرته فى الاطلاع على قرائن الاحوال فيأخذون من بعض دون بعض ومنهم من لايأخذ الامن اصدقائه اوعندبلوغ الحال حدالاضطرار وبالجملة الاخذ بالرضا بأن يعلم ان المسؤل لوعلم لابتدأ بالعطاء فلا يكون منك الا اعلام حاجتك فهو حلال والأخذ بالحياء حرام وبينهما امور مشتبهات فاستفت فيها قلبك واعلم ان مقدار الغنى المحرم للسؤال يتوقف على تفصيل وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال لاحق لابن آدم الافى ثلاث طعام يقيم به صلبه وثوب يوارى عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب هذه اجناسها ـ واما اقدارها فالثوب مثلا يراعى فيه ما يليق بذوى الدين وهو ثوب واحد قميص ومنديل وسراويل ومداس وكذا اثاث البيت لايطلب كون الاوانى من النحاس والصفر فيما يكفى فيه الخزف فيقتصر العدد على واحد ومن النوع على اخس اجناسه مالم يكن فى غاية البعد عن العادة واما الطعام فقدره فى اليوم مدوهو ماقدره الشرع ونوعه مايقتات ولوالشعير، والادم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية اضرار وفى طلبه فى بعض الاحوال رخصة واما المسكن فأقله ما يجزى من حيث المقدار وذلك من غير زينة ثم هذه الامور مما يحتاج اليه حقيقة ثم الحاجة اليها اما فى الحال من طعام يوم وليلة او ثوب يلبسه اومأوى يكنه فلاشك فى حل السؤال له ـ واما فى المستقبل فثلاث درجات اما مايحتاج اليه فى غداوبعد اربعين يوما اوخمسين اوبعد سنة فالسائل الذى له ولعياله قوت سنة فسؤاله حرام لان ذلك غاية الغنى واما مادون السنة فلايحل له السؤال ان كان غنيا فى الحال الا ان يخاف فوت الفرصة فى الاستقبال بأن لايجد من يعطيه اذا اخر لأن البقاء سنة ممكن عادة وان كان خوف العجز فى المستقبل ضعيفا وكان مالاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهة وبالحقيقة جانب ترك السؤال اعلى لأن السؤال من ضعف اليقين والاصغاء الى تخويف الشيطان وحال من يسأل الحاجة وراء يومه وحال من ملك مالاموروثا وادخره لحاجة وراء السنة سيآن فى كونهما حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وان كانا مباحين فى الفتوى الظاهرة والله اعلم ـ

المطلب الخامس

فى حقيقة الزهد وفضيلته

وهو انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا ، فلابد فى الزهد من مرغوب عنه ومرغوب فيه ويشترط ان يكون المرغوب عنه مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فتارك التراب والحجر مثلا لايسمى زاهدا ويشرط ان يكون المرغوب فيه خيرا من المرغوب عنه عنده فالمشترى خير من المبيع عنده فكل من باع الدنيا بالآخرة وبالعكس فهو زاهد فى وضع اللسان الا ان العرف جرى بتخصيصه بالاول والذى يرغب عن كل ما سوى الله فهو زاهد مطلق والذى يرغب عن الدنيا بل طمع فى الحور والقصور فهو زاهد ايضا ولكنه دون الاول والذى يترك بعضا من حظوظ الدنيا كمن يترك المال دون الجاه فلا يستحق اسم الزهد مطلقا وان جاز اطلاقه عليه كما ان اطلاق التوبة على من يتوب عن بعض المعاصى وان كانت توبة لكن التائب مطلقا من يترك كلها ثم ان المقتصر على ترك المحظورات لايسمى زاهدا بل العرف خصه بترك المباحات فظهر من هذا كله ان الزهد رغبة عن الدنيا الى الآخرة وعن غير الله الى الله عز وجل وهى الدرجة العليا ثم انه يشترط فى المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه كما يشترط فى المرغوب فيه ان يكون خيرا عنده ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبدالعزيز اتاه الدنيا راغمة فتركها واما انا ففيما ذا زهدت ؟ هذا الذى ذكرناه هو الحال المسمى بالزهد وان هنالك علما مثمرا لهذه الحال وعملا يثمره الحال اما العلم فهو معرفة كون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ ولاشك ان ما عندالله باق وان الآخرة هى خير وابقى وهذه المعرفة وان كانت كافية فى نفسها فى كونها مثمرة للزهد لكن قد لا تثمره واما لضعف عمله وبقيته(١) اولاستيلاء الدنيا والشهوة عليه فى الحال بكونه مقهورا فى يد الشيطان واما لاغتراره بالتسويف يوما فيوما ، واما العمل الصادر عن الزهد

(١) كذا ولعله ـ علمه ويقينه ـ

فهو ترك واخذ واستبدال للذى خير بالذى هوادنى ، واما اذا لم تقدر على الدنيا لم يتصور منك الزهد لان الترك بعد القدرة الا ان الشيطان ربما يخيل اليك انك زاهد وتارك للدنيا اذا اتاك وهذا غرور باطل فلا تثق بالقدرة قبل التجربة ، ثم ان الزهد تركها لحقارتها لا لأجل السخاء واستمالة القلوب وعلى سبيل الطمع لأن هذه من محاسن العادات ولا مدخل لها فى العبادات بل الزاهد من اتته الدنيا راغمة عفوا صفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم وفوات حظ آخر للنفس فتركها خوفا من ان يأنس بها فيكون مشركا فى حب الله او تركها طمعا فى ثواب الآخرة فترك التمتع بملاذ الدنيا طمعا فى طيبات الجنة لئلا يقال له (اذهبتم طيباتكم فى حيوتكم الدنيا) الآية ، واما فضيلة الزهد فمذكورة فى الآيات والاخبار والآثار لا يحتاج الى تفصيلها بل كل فطرة سليمة تحكم بفضيلتها اذا خليت ونفسها -

المطلب السادس

فى درجات الزهد وأقسامه

اما درجاته فثلاث السفلى منها للتزهدين وهو أن يزهد فى الدنيا وقلبه مشته لها ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا على خطر اذ ربما تغلبه نفسه فيسترجع اليها فى قليل او كثير والعليا منها ان يزهد طوعا ويزهد فى زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيئا والدنيا بالاضافة الى الآخرة اخس من الخنفساء بالاضافة الى الجوهرة ومثل ذلك بان القى لقمة الى كلب منعه عن الدخول الى باب الملك وشغله بها ودخل ونال القرب عنده والدنيا اقل من لقمة عند الله فكيف لا تلقيها الى شيطان يمنعك عن القرب الى الله تعالى - واما الدرجة الوسطى فهى ان يرى الدنيا شيئا ولكن يحتقرها بالاضافة الى الآخرة ويتركها لاجلها كالذى يترك الدرهم لدرهمين وان كان منتظرا انتظارا قليلا وهذا الزاهد يرى زهده ويلتفت اليه ويظن نفسه انه ترك ماله قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان - ثم ان للزهد درجات ثلاث بالاضافة الى المرغوب فيه ايضا - الاولى وهو السفلى ان يكون المرغوب فيه

النجاة من النار وسائر الاهوال وهذا زهد الخائفين - والثانية ان يرغب في الثواب والنعيم وهذا زهد الراجين - الثالثة وهي العليا ان يرغب في الله تعالى وفي لقائه ولايلتفت الى الآلام ليقصد الخلاص منها الا الى اللذات ليقصد نيلها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذى اصبح وهمه هم واحد وهو الموحد الذى لايطلب غير الله وهذا زهد المحبين والعارفين - واما اقسامه باعتبار المرغوب عنه فاربعة احدها ان يزهد عن كل ما سوى الله حتى عن نفسه، وثانيها ان يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة من الشهوة والغضب والكبر والجاه ونحوها، وثالثها ان يزهد في المال والجاه واسبابهما لانهما مرجع جميع الحظوظ، ورابعها ان يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم لان الدينار والدرهم يجمع جميع الاموال وهذا اجمال وتفصيله ممايفوتها الحصر وقد ذكر الله تعالى سبعة منها في آية واحدة فقال (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا) ثم ردها الى خمسة في آية اخرى فقال (اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) ثم ردها الى اثنين في آية اخرى فقال (وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو) ثم رد ذلك كله الى واحد في موضع آخر فقال (ونهى النفس عن الهوى) لأن الهوى يجمع الكل - ولا يذهب عليك ان لا مخالفة بين هذه التفاصيل بل البعض داخل في البعض ولذلك اختلفت فيه عبارات السلف اذ كل منهم ذكر ما عنده في الحال ولا اجمع مما ذكره ابوسليمان الداراني اذ قال الزهد ترك كل شغل يشغلك عن الله تعالى - واما اقسام الزهد بالاضافة الى احكامه اما فرض وهو الزهد في الحرام اونفل وهو الزهد في الحلال اوسلامة وهو الزهد في الشبهات - واما درجات الزهد ظاهرا وباطنا فلاحصر لها واعلاها زهد عيسى عليه السلام حيث ترك حجرا تحت رأسه وزهد يحيى عليه السلام حيث لبس مسوحا تنقب منها جلده وجلس اويس رضي الله عنه في قوصرّة للعرى - وقال قوم الزهد لايكون الا في الحلال ولم يبق حلال

فى اموال (١) فلا يتصور الزهد فى الحال - فان قلت كيف يتصور الزهد مع انك تأكل وتشرب وتلبس وتخالط الناس؟ قلت الغرض من الزهد الانصراف الى الله بكل القلب فالاستعانة بالامور المذكورة للعبادة ليس اشتغالا بغير الله - فان قلت تتلذذ بها ؟ قلت التلذذ لايضر إن كان قصدك الاستعانة للعبادة دون التلذذ بالامور المذكورة -

المطلب السابع

فى تمييز قدر الحاجة عن الفضول ليزهد فيها

اعلم ان قدر الحاجة ستة امور - الاول المطعم وله طول وعرض فلابد من قصرهما حتى يتم به الزهد اما طوله بجملة العمر وقصره دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ولايدخر اصلا وهى الدرجة العليا او ان يدخر لشهر او لاربعين يوما وهذه اوسطها او يدخر لسنة فقط وهذه اضعفها وليس وراء السنة شيء من مراتب الزهد - واما عرضه فبالمقدار واقل درجاته فى اليوم والليلة نصف رطل واوسطها رطل واعلاها مد واحد وهو ما قدره الله تعالى فى اطعام المسكين وماوراء ذلك اشباع البطن - واما بالجنس فأقله كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة واوسطها خبز الشعير والذرة واعلاها خبز البر غير منخول والمنخول والحوارى من التنعم - واما الادم فاقله الملح والبقل والخل واوسطه الزيت ويسير من الادهان اى دهن كان واعلاها اللحم اى لحم كان وذلك فى الاسبوع مرة اومرتين فاذا صار دائما واكثر من مرتين دخل فى التنعم - واما بالاضافة الى الوقت فى اليوم والليلة مرة وهو ان يكون صائما واوسطه ان يصوم ويشرب ليلة ولايأكل اويأكل ليلة ولا يشرب واعلاه ان يطوى ثلاثة ايام اوا سبوعا وما زاد عليه - الثانى من الامور الستة الملبس واقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان - واعلاه يكون معه منديل وسراويل ومـا زاد عليه فهو خارج عن الزهد ويشترط ان لا يجد آخر اذا غسل واحدا منها فلا يكون صاحب قميصين ومنديلين - اما الجنس فأقله

(١) كذا - المسوح

المسوح الخشنة واوسطه الصوف الخشن واعلاه القطن الغليظ - واما من الوقت فاقصاه مايستر سنة واقله مايبقى يوما كرقع الثوب بورق الشجر واوسطه ما يتماسك عليه شهرا اوما يقاربه - الثالث منها المسكن اعلاها ان لايطلب لنفسه موضعا خاصا ويقنع بزوايا المساجد كاصحاب الصفة - واوسطها ان يطلب موضعا خاصا مثل كوخ مبنى من سعف اوخوص ونحوذلك - وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما بشراء اواجارة - واما التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة اذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد ، واختلاف جنسه بالجص اوالطين اوالقصب واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكا اومستأجرا اومستعارا - الرابع منها اثاث البيت واقل درجاته الخزف ولا يبالى ان يكون مكسور الطرف اذا حصل به المقصود وكان عيسى عليه السلام يصحبه مشط وكوز فرأى انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط ورأى آخر يشرب بكفيه فرمى الكوز - واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة بان يستعمل الآلة الواحدة فى مقاصد مثل ان يشرب من قصعة ويأكل الثريد منها ويحفظ المتاع فيها - واعلاها ان يكون له آلة بعدد كل حاجة من الجنس الخسيس النازل - الخامس المنكح وذلك يختلف باختلاف الاحوال والاصل الاشتغال عن الله تعالى فمنهم من تشغله المرأة عن الله تعالى فيتركها ومنهم من يشغله العزوبة فيتزوج ومنهم من لا يشغله اكثر من واحد فيجوز له كما فعله خير الزاهدين نبينا صلى الله عليه وسلم - وكان على كرم الله وجهه ازهد الاصحاب وكان له اربع نسوة بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها وبضع عشرة سرية - السادس ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهوالكمال والجاه وقيل لابد من قدر جاه لينتفع به فى عبادته كالجاه عند خادمه واقاربه وغير ذلك وليتمكن به من دفع مضاره الا ان الحق ان طلب الجاه هاوية لا قعرلها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه بل الاشتغال بالدين والعبادة يمهدله من المحل فى القلوب ما يدفع به عنه الاذى ولوكان بين الكفار فكيف بين المسلمين ، واما التوهمات والتقديرات المحوجة

الى زيادة فى الجاه فهى اوهام كاذبة ـ

الاصل الخامس

فى التوكل وفيه مطالب

المطلب الاول

ولا يخفى عليك فضيلة التوكل سيما من تتبع الآيات والاحاديث كقوله تعالى (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) وقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقوله عزوجل (ان الله يحب المتوكلين) واعظم بمقام موسوم بمحبة تعالى صاحبه ومضمون بكفايته وجاء فى الحديث لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ـ وفى الاحاديث كثرة يعرفها اهلها وكذا الآثار فى حق التوكل ـ واما حقيقته فلايذهب عليك ان التوكل حال ينبعث من علم ثم يثمر عملا اما العلم فهو التوحيد الذى هو اصل الايمان الذى ترجمته قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدر اعنى قولك له الملك وبالجود والحكمة وهو قولك وله الحمد ـ ثم ان اصل التوحيد من علم المكاشفة ولما كان بعضها يتعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولايتم علم المعاملة الابها وجب التعرض له قدر ما يتوقف عليه علم المعاملة والا فهوا لبحر الخضم الذى لا ساحل له فنقول مراتب التوحيد اربع لب ولب اللب وقشر وقشر القشر فالمرتبة الاولى قول الانسان لا اله الا الله بلسانه وقلبه عنه غافل اوجاحد وحكمه انه موحد بمجرد اللسان ويعصمه فى الدنيا عن السيف والسنان والثانية ان يصدق بقلبه معنى اللفظ وهو الاعتقاد وهذا حال عموم المسلمين ليس فيه انشراح وانفساح وحكمه انه يحفظه فى الآخرة عن عقاب ان توفى عليه ولم يضعف بالمعاصى عقدتها وتحليلها بالقصد يسمى بدعة وصاحبه مبتدعا وقصد احكامها وشدتها يسمى كلاما وصاحبه متكلما والثالث موحد بمعنى لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذا انكشف الحق على ما هو عليه اذ لافاعل بالحقيقة الا واحد الرابعة موحد بمعنى انه لم يحضر فى شهوده غير الواحد فلايرى الكل الا من حيث انه واحد وهذه هى الغاية القصوى فى التوحيد فالاول

كالقشرة

كالقشرة العليا من الجوز والثانى كالسفلى منه والثالث كاللب منه والرابع كلب اللب منه وهو الدهن من الجوز فان قلت كيف يمكن مشاهدة هذه الكثرة واحدا وهى كثيرة فى نفسها فاعلم ان هذا غاية علوم المكاشفة التى قال العارفون لعسرها وغموضها وبعدها عن مدارك الخلق افشاء سر الربوبية كفر فلايجوز أن تسطر فى كتاب الاقدرسورة استبعادك بان تلاحظ الانسان مع كثرتها من حيث بدنها وروحها وقواها (١) الظاهرة والباطنة له جهة واحدة هى الانسانية فلاتنا فى بين هاتين الجهتين وهذا المثال لأجل التنبيه على مجرد عدم التنا فى بين الجهتين لا انه يطابق الممثل من كل وجه فعليك ان تصدق بهذه الحالة وان لم تكن تشاهدها والمشاهدة ايضا لاتدوم لاهلها بل تظهر كالبرق الخاطف والدوام نادر عزيز الوجود ولما كان الرتبة الرابعة بعيدا عن الافهام لاجرم بينا التوكل على الرتبة الثالثة ولنذكر منها قدرما يرتبط التوكل به وهو أنه اذا انفتحت لك ابواب المشاهدة يتضح عندك ان لا فاعل الا الله وان كل فعل من التخليق والترزيق والمنع والاعطاء والاحياء والاماتة وغيرذلك كلها من ابداع فاعل واحد واختراعه وهو الله تعالى لاشريك له فيها وما سواه مسخرون تحت قدرته لا استقلال لهم اصلا فى ملكوت السموات والارض ولوبتحريك ذرة فعند معرفة هذا الامر لم تنظرغيره بل يصير اليه خوفك ورجاؤك وثقتك واتكالك وانما يصدك الشيطان عن هذا فى مقامين احدها الالتفات الى الجمادات كاشتراط الغيم فى المطراى بأن يؤثر فيه وهذا شرك فى التوحيد وجهل بحقائق الامور بل المؤثر واحد لاغير وثانيها الالتفات الى اختيارالحيوانات، بان هذا الشخص يقدر ان يعطى رزقك ويمنعه ايضا وعند هذا زل اقدام الاكثرين الاعباد الله المخلصين الذين لاسلطان عليهم للشيطان ومن لم ينشرح بنور الله صدره قصرت بصيرته عن ملاحظة جبارالسموات والارض ومشاهدة كونه قهارا وراء الكل والذين يسمعون من كل ذرة فى السموات والارض تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها على انفسها بالعجز بلسان ذلق يتكلم بلاحرف ولا صوت ولابالسمع الظاهر الذى

---

(١) كذا -

يشاركك فيها الحمار بل سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي يشهدون ويشاهدون من كل شيء بالعجز وان لا قدرة الا من مبدع الكل وخالقها وان لم يسمعه ولم يشاهده الذين هم عن السمع معزولون وكيفية المناجاة مع الجمادات في السر أمر لا يمكن كشفها اما لأن افشاء السر غير جائز اذ صدور الاحرار قبور الاسرار اولعدم تناهي تلك الكلمات عن حد الحصر والنهاية و (لوكان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي) ومثال ذلك ان سائلا سأل عن الكاغد ما بال وجهك اسود وقد كان ابيض قال ما فعلته عن نفسي سل عن ذلك الحبر ذلك فانه سود وجهي قهرا وعدوانا قال صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال كنت ساكنا في المحبرة وهو وطني عازما ان لا افارقها فاعتدى على القلم وفرق شملي وبددني على صفحات اوراق فالسؤال عليه لا على قال صدقت ثم سأل القلم عن ذلك فقال كنت نابتا على شاطيء الانهار ذلك وطني ومنبتي ومسقط رأسي فجاءني اليدونحاني عن وطني ثم براني وشق رأسي وغمسني في بحر الحبر وامشاني على قنة رأسي فحصل منه هذا الأمر فسل عمن قهرني فقال صدقت ثم سأل اليد عن تعديها على القلم فقالت انا مركب مسخر ركبني فارس القدرة واستخدمني كيف شاء فسل القدرة عن شأني فان بيدها عناني فقال صدقت ثم سأل القدرة عن استخدامها اليد قال دع عنك لومي وقد كنت في نومي حتى جاءني مؤكل الارادة وازعجني وارهقني الى ما تراه مني فقال صدقت ثم سأل الارادة فقالت لا تعجل على فلعل لي عذرا وانت تلوم فاني ما انبعثت ولا كنت عليه بعازم الا بحكم قاهر وامر جازم فاني مسخر تحت قهر العلم الوارد من حضرة القلب على لسان العقل فانزعجت بقهر منه فقال صدقت واقبل على العقل والعلم والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني اشتعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بسطت وقال العلم انما انا نقش في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل فسل قلما ينقشني فلما سمع السائل حديث اللوح والسراج والخط والقلم تحير اذ كان لم يعرف

هذه الامور الا في الاجسام فعند ذلك رحمه العلم وقال قد تعبت نفسك في السؤال فلا تنقلب خاسرا فألق سمعك الي وانت شهيد واعلم ان العوالم اما عالم الملك والشهادة وقد قطعتها بسهولة واما عالم الملكوت وفيها البحار المغرقة ولا يسلم منها الا الاقلون وهو ورائي - واما عالم الجبروت وهو واسطة بين هذين العالمين وذلك مثل سفينة هي بين المشي على الارض والمشي على الماء فعالم الملك من الحبر الى القدرة ومنها الى القلم الذي يكتب به العلم عالم الجبروت ومنه مبدأ عالم الملكوت ومن جاوز عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب الملكوت كوشف بالقلم ولذلك صار اول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة القلم، ثم انك السائل جمعت ضوء عينيك وحدقته نحو عالم الملكوت يرجى لك ايضا كشف ذلك واعلم ان الله تعالى كما لا يشبه ذاته سائر الذوات كذلك لا تشبه يده سائر الايدي ولا قلمه سائر الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وانما هذه امور الهية من عالم الملكوت فعند ذلك اشتعل زيت السائل بنور العلم وفتح بصره فانكشف له القلم الالهي فاذا هو لا من خشب ولا من قصب ولا له رأس ولا ذنب وله في كل قلب رأس يكتب ولا رأس له وانه العجب، وقال السائل نعم المعلم انت ايها العلم جزاك الله عني خيرا فعند هذا ودع العلم وشكره ثم سافر الى حضرة القلم وسأله عن نقشه في القلوب فقال ان عالم الملكوت موازن لعالم الملك وان في الثاني صورا دون الاول فكما ان قلم عالم الشهادة مسخرة في يمين الكاتب فكذا انا مسخر ومقهور تحت يمين الملك، قال وما هي قال اما سمعت قوله تعالى (والسموات مطويات بيمينه) فقال هي التي يردوني (١) فسافر الى حضرة اليمين ورأى فيها العجب العجاب بحيث لا تحوى عشر عشر عجائبه مجلدات ورأى انها يمين لا كالأيمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع والقلم في قبضته ثم سأل عن اليمين فاحاله على القدرة فسافر الى عالم القدرة فرأى فيها من العجائب استحقر فيها ما رأى قبلها فسأل عنها ما اشكل عليه فقالت انا صفة فاسأل القادر الموصوف وعند هذا كاد أن يزيغ ويطاق بالحيرة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي

(١) كذا -

من وراء حجاب سرادقات الحضرة (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب فى غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شانك تبت اليك و توكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ومالى الا ان أسالك وأتضرع اليك وأبتهل بين يديك فاقول اشرح لى صدرى لأعرفك واحلل عقدة من لسانى لأثنى عليك فنودى من وراء حجاب العزة اياك ان تطمع فى الثناء وقد قال سيد الانبياء سبحانك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فارجع وما آتاك فخذه وما نهاك عنه فانته عنه وما قاله فقله ثم قال السالك الهى ان لم يكن للسانى جرأة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع فى معرفتك فنودى اياك ان تتخطى رقاب الصديقين وقد قال الصديق الاكبر العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند ذلك رجع السالك واعتذر عن اسولته ومعاتباته للقلم والقدرة والعلم بانى كنت غريبا ولكل غريب دهشة وما كان انكارى الا عن قصور وجهل والآن قد اتضح عندى عذركم وان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار وهو الاول والآخر والظاهر والباطن اى اول فى الوجود وآخر فى المشاهدة وباطن للساكنين تحت حجب عالم الشهادة وظاهر لمن تنور بصيرته بانوار عالم الملكوت - اذا عرفت هذا فلعلك التوكل (١) مخصوص فمن (١) يفهم حقيقة التوحيد ولا يوجد فى غيره المتوكل - واعلم ان من لا يفهم التوحيد لما جاحد فلا يقبل العلاج وهؤلاء فى انكار عالم الملكوت بمنزلة الحشوية المنكرين لعالم الجبروت ايضا حيث حصروا العلم فى الحواس الخمس، وانكروا العلم والقدرة والارادة كما انكر السوفسطائية الحواس ايضا - واما جاهل غير جاحد فينظر إن كان عين بصيرته صحيحة يعالجون مرضها والا يتكلمون معهم بقدر عقولهم لأنهم يعرفون ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين فيقال لهم على حد عقلهم اله العالم ومدبره واحد لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا

(١) كذا -

فيكون

فيكون ذلك على وفق مارآه فى عالم الشهادة فينغرس فى قلبه اعتقاد التوحيد بهذا الطريق اللائق بقدر قلبه - ثم ان هذا الاعتقاد اذا قوى عمل عمل الكشف فى اثارة التوكل وسائر الاحوال الا انه فى الغالب يضعف ويسارع اليه الاضطراب والتزلزل ولهذا احتيج الى علم الكلام ليحرس به العقيدة التى تلقفها من ابويه اواستاذه اواهل بلده - فان قلت كون الاسباب مسخرات ظاهر الافى حركات الانسان فانه يتحرك او يترك ان شاء قلت نعم الحركة لازمة للقدرة والقدرة للمشيئة لكن المشيئة تحدث ضرورة فى القلب (وما تشاؤن الا ان يشاء الله) - فالمشيئة ان كانت ضرورية فما بعدها من القدرة والحركة مترتبة عليها ضرورة فهو مضطر فى الجميع ويسمى هذا جبرا لا جبرا محضا كالجمادات بل جبرا فى غير اختيار(١) وتفصيل ذلك ان للانسان فعلا طبيعيا كخرق الماء اذا وقف عليه فانه ينزل بثقله الى قعره فيخرقه وفعلا اراديا كتنفسه وفعلا اختياريا ككتابته ثم ان الاختيارى ربما يكون اضطراريا لبعض الاسباب مثلا طبق الاجفان ارادى ولو قصد عين الانسان بابرة يكون اضطراريا اذلا يقدر على فتحه فى تلك الحال فيلتحق بالطبيعى فى تلك الحال وانما موضع الالتباس الفعل الاختيارى كالكتابة والنطق اذ يظن انه ان شاء فعل وان شاء ترك وتارة يشاء وتارة لايشاء لكن هذا الظن من الجهل بمعنى الاختيار وبيانه ان القدرة تبع للارادة وهى تبع للعلم الذى يحكم بان الشيء موافق لك ثم ان الخيرية قد تعلم بتردد وتوقف كمن اراد سفرا مثلا وقد تعلم بلا تردد كما فى حركة الاجفان عند القصد بالابرة وحركة اليد بدفع السيف اذ تظهر خيرية الحركتين دفعة وهوعين الاختيار المشتق من الخير الا انه ظهر على البديهة لثبوت خيريته بتجارب كثيرة ومشاهدات دائمة ولذلك قيل العقل يحتاج الى التميز بين خير الخيرين وشر الشرين والاول كمن يتردد بين كتابة كتابين كلاهما خير له والثانى كمن يرمى نفسه من السطح هربا من السيف واما بين الخير والشر فلايتردد اصلا كمن غمض عينيه للابرة فالحركة فى الانسان مسخرة لقدرته وقدرته لارادته وارادته لداعيته وهى الامر الحاصل من

---

(١) كذا -

العلم بكون شيء خيرا فاذا معنى كونه مجبورا ان جميع هذا الامور حاصلة فيه من غيره لامنه اذ الخالق للكل هو الله عز وجل ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا وحدث الحكم جبرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار فى الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض بشرط ان لا يفهم منه ارادة بعد تحير و تردد وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار - فطلب اهل الحق لهذا عبارة ثالثة فسموه كسبا وهو جامع بين الجبر والاختيار عند من فهمه ثم ان ترتب الامور المذكورة بعضها على بعض ليس بأن المتأخر حدث عن المتقدم بالتوليد لان ذلك جهل محض بل حوالة جميع ذلك على القدرة الازلية التى لم يقف على حقيقة معناها الاالراسخون وانمايقف من يقف على مجردلفظها مع قياسها على قدرتنا القاصرة وهو بعيد عن الحق ولايمكن تفهيم ذلك على وجه الصواب والقدر الممكن من ذلك هو ترتب بعض المقدورات على البعض فى الحدوث انما هو ترتب المشروط على الشرط ودرجات ترتيب الشروط كثيرة لاتظهر للعوام وبعضها لا يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق - وبالجملة فلايتقدم متقدم ولايتأخر متأخر عبثا واتفاقا بل ذلك بطريق الحق واللزوم وكذلك جميع افعاله تعالى كما قال عزوجل (وماخلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق) فكل ما بين السماء والارض حادث عن ترتيب واجب وحق لازم لايتصور أن يكون الا كما حدث وعلى الترتيب الذى وجدفماتأخر متأخرالا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لايوصف بكونه مقدورا فاذا لابدمن بيان كونه موقوفا على الشرط مع كونه مقدورا وأن القدرة موجودة ولا يمكن تفهيم ذلك لذوى الافهام الضعيفة الا بمثال وهوأن نقدر انسانا محدثا منغمسا فى الماء الى رقبته فان الحدث لايرتفع عنه الا عند غسل الوجه فقبل غسله نقول لم يرتفع الحدث عن يده ورجله مثلا لتوقفه على غسل الوجه على ملاقاة الماء الذى هو السبب الحقيقى فى رفع الحدث فاذا الماء بمنزلة القدرة الازلية المتعلقة للاشياء ولكن تأثيره فى المقدور متوقف

على

على شرط وهو غسل الوجه فعند حصول الشرط يكون رفع الحدث عن اليد بالماء لا بغسل الوجه - الا ان الجاهل لترتب رفع الحدث عن اليد على غسل الوجه ربما يتوهم ان المؤثر فيه غسل الوجه لا الماء. كذلك يتوهم القاصرون من ترتب الافعال الالهية بالشروط تأثير الشروط فيها دون القدرة وليس كذلك كما لا يخفى على ذى خبرة تامة واولى بصيرة نافذة ناقدة فهكذا ينبغى ان يفهم صدور المقدورات عن القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع لباب عالم الملكوت - وهذا من علوم المكاشفات لا يمكن التعبير عنها فلنتركها اذ لا يفى باستيفاء قدر ما امكن منها عمر نوح عليه السلام ولنقتصر على ما هو المقصود وهو التنبيه على طريق التوحيد فى الفعل وهو المقام الثالث من مقامات التوحيد وان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو، عليه التوكل والاعتماد وهذه المعانى كلها منطوية تحت قولك لا اله الا الله وهو خفيف على اللسان سهل اعتقاد مفهومه فى الجنان - واما حقيقته فأعز على العلماء الراسخين اولى الكشف والعيان - فان قلت اذا كانت الافعال مخلوقة لله عزوجل فاما ان يقال انها ليس فعلا للعبد اصلا فيبطل الشرع او يقال انه فعل للعبد ايضا فيلزم مفعول بين فاعلين وانه محال فأقول المفعول بين فاعلين جائز اذا كان للفاعل معنيان كما يقال قتل فلانا الامير والجلاد اذ الجلاد فاعل صورة والامير معنى وكذا الخالق تعالى فاعل لافعال العباد بمعنى انه مخترع وموجد والعبد فاعلها بمعنى انه محل لخلق الله تعالى فيه القدرة بعد أن خلق فيه الارادة بعدأن خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتباط المعلول بالعلة اوارتباط المخترع بالمخترع وكل ماله ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيف ما كان الارتباط ولاجل تطابق ذلك وتوافقه نسب الله تعالى الافعال فى القرآن الى الملائكة مرة ومرة الى العباد ونسبها بعينها مرة أخرى الى نفسه كما قال تعالى فى الموت (قل يتوفاكم ملك الموت) - وقال (الله يتوفى الانفس) واما واضع اللغة

فقدوضع اسم الفاعل للمخترع فمن ان المخترع هو العبد يجعله حقيقة فى العبد ويلزمه ان يكون مجازا فى من له الاقدار والتمكين مثل نسبة القتل الى الامير فانه حقيقة فى الجلاد عندهم - واما الذين انكشف الحق لهم عرفوا ان الامر بالعكس وان الصيغة حقيقة فى حقه تعالى لأنه المخترع حقيقة فلا فاعل الاهو فيكون مجازا فى العبد بمعنى انه كاسب ومحل للفعل كما ان من عرف ان حقيقة القتل من الامير يجعل نسبته الى الجلاد مجازا لكونه مظهرا له كما تقرر تحقيق هذا المقام فى علم المعانى ولهذا عرفوا المجاز الحكمى بغير ما هو له عند المتكلم لا مطلقا ، فان قلت فاذا ظهر أن الكل فعل نفسه فكيف يغضب عليه ويرضى له فاعلم ان سر ذلك قد مرفى كتاب الشكر فارجع اليه فهذا الذى ذكرناه من بحر التوحيد هو الذى يورث حال التوكل لكنه لايتم الابالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذى يورث الثقة بمسبب الاسباب ولايتم حال التوكل كما سيأتى الابالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه طويل ، وحاصله ان الله تعالى لو خلق آحادا مشتملين على جميع انواع الكمال واصناف القدرة التامة ومع ذلك لوتظاهروا على زيادة ذرة واحدة اونقصها فى العالم لما قدروا على ذلك ولما وجدوا فى خلقه تعالى من قصور وان أمعنوا فى ذلك انظارهم ورجعوا فيها ابصارهم، وايضا كل ما قسم الله بين عباده من كمال وفتور وعجز وسرور ورزق واجل وافدام ووجل وطاعة وعصيان وكفر وايمان كله عدل محض لاجور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب والاسلوب الحق والقدر اللائق وليس فى الامكان اصلا احسن منه ولا اتم واكمل ولوكان وادخره مع القدرة لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولولم يكن قادرا لكان عجزا يضاد الالوهية بل كل ضرر وفقر هونقصان فى الدنيا وزيادة فى الآخرة وكل نقص فى الآخرة بالاضافة الى الشخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل لما عرف

قدر النهار ولولا النار لم يعرف اهل الجنة قدر النعمة ، وايضا فداء ارواح الانس بارواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل ، وكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على اهل النيران فداء لأهل الايمان باهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص كالبهائم لم يعرف الكامل كالانسان وكذلك الامر فى التفاوت فى القسمة بين الخلق فى الدنيا والآخرة وكل ذلك عدل لاجور فيه وحق لاعبث فيه ، وهذا الآن بحر آخر عظيم غرق فيه الاكثرون قريب فى السعة من بحر التوحيد ولا يعقلها الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذى تحير فيه الاكثرون ومنع من افشاء سره المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضى به وما قضى الله واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وامره وما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك وانما اطنبنا فى هذا المطلب لان هذا الباب غاية كل العلوم واليه ينتهى اصل كل سعادة فلا تغفل ـ

المطلب الثانى

فى بيان حال التوكل

وما ذكرناه اصل التوكل وهو العلم وهذا حاله وحقيقته ثم نذكر ثمرته وهو العمل فنقول التوكل مشتق من الوكالة وهي تفويض الامر الى الغير والاعتماد عليه فيه ويسمى الموكل اليه وكيلا والمفوض متكلا ومتوكلا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ثم ان التوكل لايتم فى الانسان الا بأن يعتقد فى وكيله اربعة امور منتهى الهداية الى المصالح والمفاسد ومنتهى القدرة بان لا يخاف ولا يجبن ولا يستحيي ومنتهى الفصاحة بان لا يكل من الكلام ومنتهى الشفقة اذ الامور المذكورة لا تفيد الا اذا قارنت الشفقة ، ثم الموكل ان كان شاكا فى هذه الاربعة او فى واحد منها اوجوز أن يكون خصمه اكمل فى هذه الاربعة منه لم تطمئن نفسه الى وكيله وعلى هذا القياس لابد لمن يتوكل على الله ان يعتقد اعتقادا جازما انه لا فاعل غيره واعتقد معه تمام العلم والقدرة

ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد ، فان لم يعتقد بأحد هذه الامور لم يتم توكله وذلك امالضعف يقينه اوضعف القلب واستيلاء الجبن عليه بسبب الاوهام الغالبة عليه لأن للوهم تأثيرا قويا كما يخاف الانسان من ان يبيت مع الميت فى قبر اوفراش مع انه لايشك انه جماد ولا يحشر الآن علی ما جرت عادة الله عليه وانما يتم التوكل بقوة اليقين وقوة القلب معا- ثم ان للتوكل بحسب القوة والضعف ثلاث درجات ، الاولى ان يكون حاله مع الله كحال الطفل فى حق امه اذلا يعرف غيرها ولايفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها وان نابه امر فى غيبتها لايسبق الى لسانه الايا اماه وان غضبت عليه امه لايفزع الااليها ، الثانية ان يكون حاله كصبى مميز وثق بكفالة امه وشفقتها ولا يطلب منها شيئا ولا يخطر فى قلبه الا امه دون ضمانها وكفالتها عليه ، الثالثة وهى اعلاها ان يكون بين يدى الله فى حركاته وسكناته مثل الميت بين يدى الغاسل مثاله صبى علم ان امه يتكفلها (١) ولم يطالب منها وهذا المقام يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وينفى التدبير رأسا بل يبقى صاحبه كالمبهوت كما ان المقام (الثانى) يثمر ترك السؤال دون الدعاء وينفى كل تدبير الامن حيث الفزع الى الله بالدعاء والاول يثمر ترك السؤال من غيره فقط ولاينفى اصل التدبير بل بعض التدبيرات والمقام الاول يمكن وجوده والثانى والثالث نادر الوجود وان وجد فلا يدوم فظهر من ذلك ان ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل بل يظهر أن ملابسته كل تدبير وعمل ينافى التوكل من حيث انه حول المتوكل وقوته واما مباشرة التدبير بحول الوكيل وقوته وأمره بالتدبير فلا يخل بالتوكل اصلا-

المطلب الثالث

فى بيان اعمال المتوكلين

وقد عرفت العلم المثمر لحال التوكل ثم عرفت حال التوكل والآن نذكر عملا يثمره حال التوكل وهو أن عمل العبد اما جلب نافع مفقود أوحفظ نافع موجود اودفع ضارلم ينزل فلنذكر شرط التوكل ودرجاته فى كل من هذه الامور الاربعة،

(١) كذا- الاءل

الاول جلب النافع واسبابه ثلاث درجات الدرجة الاولى المقطوع كمد اليد الى الطعام الموضوع بين يديك فانه من الاسباب المقطوع بها بتقدير الله ومشيئته فترك مثل هذه الاسباب منتظر حصول المطلوب جهل وحمق وليس من التوكل فى شيء لكن عند مباشرة الاسباب تعلم ان الحول والقوة من الله تعالى لا من يدك واسنانك ، الدرجة الثانية الاسباب المظنون بها كمن سافر فى البوادى فان الغالب فيها عدم وجود الطعام وان احتمل احتمالا بعيدا فليس ترك حمل الزاد فيها من التوكل المقبول عند المتوسطين وان كان جائزا عند الخواص وحمل الزاد ينبغى أن يعتمد على فضل الله تعالى لا على الزاد فان قلت فكيف يجوزه الخواص وهو القاء النفس فى التهلكة قلت ذلك ليس بالقاء النفس فى التهلكة لأحد شخصين احدهما ان يعتاد ترك الطعام مقدار اسبوع من غير ضيق قلب وتشويش خاطر وجاهد نفسه عليه وان تطيب نفسه بالموت ان لم يأته رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا فى الدنيا فهو زيادة فى الآخرة وثانيهما ان يقدر على التقوت بالحشائش والاشياء الخسيسة اذ لا تخلو البوادى من ان يلقاه آدمى او حشيش يتقوت به اوينتهى الى قرية فى كل اسبوع حتى انهم قالوا الحبل والركوة والابرة والمقراض لا يمنع التوكل اذ يندر وجود هذه فى البرارى ولايقوم شيء مقامها مع انها من الضروريات ، الدرجة الثالثة الاسباب الموهومة كالتدبيرات الدقيقة فى الاكتساب وان كان بطريق مباح اذ الطريق التى فيها شبهة فذلك داخل فى حد الحرص ولايخفى ان مباشرة مثل هذه الاسباب يخل بالتوكل كالرقية والطيرة والكى وامثال ذلك. ثم المتوكلون اما خواص فهم يتركون اكثر الاسباب المقطوعة كما يدورون فى البوادى مع ان عدم الزاد مقطوع فيها الامثل مد الايدى الى طعام عنده ليس من التوكل كما عرفت واما المتوسطون وهم القاعدون فى الامصار المتقاعدون عن الكسب والاسباب الظاهرة ثقة بكفالة الله عزوجل واما عوام يكتسبون ولكن لا يعتمدون على الكسب بل على الله فيكون مكتسبا ببدنه ومنقطعا الى الله بقلبه حتى قالوا ان المعيل

يترجح له هذا القسم من التوكل عـلى القسم الذى فوقه كما اكتسب الصديق رضى الله عنه بعد ما بويع الخلافة وايضا المتجرد عن العيال ان استشرف نفسه على ما فى ايدى الناس فالكسب افضل ثم ان النفس له موضع غرور اذ يظن انه من المتوكلين ولا اتكال له على بضاعته (١) وامتحان ذلك انه اذا سرق متاعه اوضاع هل يتأسف ام لا فان تأسف فليس له توكل اصلا اذ الرازق كثيرا ما يرزق لعباده بغير بضاعة وان ابتلى احد با تكال عـلى متاعه فعلاجه ان يعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الرحمن واعلم ان توكل المعيل يخالف توكل المنفرد اذ دخول البوادى وترك العيال والقعود عن الاهتمام بأمرهم توكلا فى حقهم حرام وقد يفضى الى هلاكهم فيؤاخذ بهم الا أن التحقيق ان عياله ان ساعدوه على الصبر عـلى الجوع وعلى الموت بالجوع فعليه التوكل وكذا نفسه وعياله واذا نازعه نفسه ولم تساعده على الامور المذكورة فهو حكم المعيل الذى لا يصبر عياله فيجب له الكسب فلا فرق بين المنفرد والمعيل فى وجوب التوكل -

المطلب الرابع
فى مراتب الادخار

فمن حصل له مال بارث اوكسب اوغير ذلك فله احوال ثلاثة اما ان يأخذ قدر الحاجة من المأكل والملبس والمسكن ويفرق الباقى فى الحال ولايدخره الالمحتاج واما ان يدخر لسنة فما فوقها وهذا خارج عن حد التوكل واما ان يدخر لاربعين يوما فما دونها قيل انه خارج عن التوكل وقيل لاوالحق ان اصل الادخار مناف للتوكل واما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له والتقدير با ربعين لميعاد موسى عليه السلام لم يكن لطول الامل او قصره بل لسر جرت به وبامثاله سنة الله تعالى فى تدريج الامور - فالتوكل ترك الادخار وذلك لايتم الابقصر الامل واقل درجاته يوم وليلة فما دونه واكثره ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها وكل أمر له مراتب له بداية ونهاية وأصحاب النهايات تسمى السابقين

(١) كذا -

واصحاب

وأصحاب البدايات تسمى أصحاب اليمين - وأصحاب اليمين ايضا على درجات فلايتصور التقدير فوق هذا فى امثال هذه المراتب فالافضل ان لايدخر اصلا - ثم كل ما قل ادخاره كان فضله اكثر ولكن هذا فى حق من لاينزع قلبه بترك الادخار بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق والافالادخار له اولى لان المقصود تجرد القلوب بذكر الله ورب شخص شغله وجود الدنيا ورب شخص شغله عدمها ولذلك لم يمنع النبى صلى الله عليه وسلم التجار عن تجارتهم بل دعا الكل الى الله فقط هذا حكم المنفرد - واما المعيل فله ادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وما فوق ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرر السنين فادخار ما يزيد عليه سببه ضعف القلب والمتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس الى فضل الله واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ليبين ذلك لضعفاء امته وكيف لا وقد نهى بلالا عن الادخار فى كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اخبر أن الله تعالى يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه تطييبا لقلوب الضعفاء لئلايتركوا الميسور عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات - ثم ان الناس يختلف حالهم فمن واحد يليق بحاله الرخصة ومن آخر يتضرر بالرخصة وبالجملة الغرض فراغ القلب عما سوى الله تعالى سواء امكن ذلك بالعزيمة اوبالرخصة - واعلم ان الاسباب الدافعة للضرر تجب المباشرة بها ان كانت مقطوعا بها والاحتراز عنها ان كانت موهومة والمظنونة ربما تكون فى حكم المقطوع بها بالتجارب وان لم تكن كذلك فالاحتراز عنها ايضا افضل مثلا الصبر على اذى السباع والحيات ليس من التوكل اذلافائدة فيه فعليك الاحتراز عن امثالها ولا تغتر بمن وضع يده على الاسد ولم يضربه لان ذلك خرق العادة ولكل مقام رجال وان ظن ذلك المقام احد فليجرب بان الكلب الذى فى بدنه اعنى القوة الغضبية هل تطاوعه ام لافان سخر ذلك ترتقى منه الى ان يسخر لك كلب دارك ثم ترتقى الى تسخير كلب البوادى وايضا

لا تظن ان أخذ السلاح وغلق الباب ينا فى التوكل اذا أخذ السلاح وعرف الدفع من الله تعالى واغلق الباب وعرف الحفظ من الله عزوجل اذكم من صاحب سلاح يقتل وكم من باب مغلق يفتح وينهب ما فى داخله ثم بعد ذلك يكون راضيا بما يقضى الله فى نفسه من القتل والجرح وفى بيته من السرقة والغصب فلا يكون تحصنه وتحفظه الا للجرى على سنة الله تعالى فى ترتيب الاسباب مع الثقة بمسبب الاسباب ولا تتوهم ان ليس للتوكل مال اذ هو لا يستغنى عن ضروريات الانسان من القصعة والكوز والعصا وقد يجد مالا ويحفظه ليدفع الى المحتاج ولا تتوهم ان الضروريات يجب ان يتألم بفقدها فكيف يمكن عدم التألم لان الاسباب لتيسير خدمة الحق تعالى وانما يمسكه طلبا لرضاه واذا فقد ينبغى ان يقول الخير لولم يكن فى فقده لما سلط الله عليه اللص فلى عوض ثواب من ذلك فينبغى ان يفرح بفقدها فضلا عن التألم اذ الخير ما اختاره الله ولا يدرى الانسان الخير لنفسه فى اى شيء حاصل اذكم من غنى يبتلى بماله بلاء يكون سببا لهلاكه حتى يقول ياليتنى كنت فقيرا وذلك يقع كثيرا -

المطلب الخامس

فى آداب المتوكلين

اما فى متاع بيته فانه يغلق الباب ولا يستقصى مثل ان يوصى جاره بالحفظ وان يجمع اغلاقا كثيرة وكان مالك بن دينار يشد بابه بشريط ويقول لولا الكلاب ما شددته ، وان لايترك فى بيته متاعا يحرص عليه السراق فيكون سبب معصيتهم كذا قال مالك بن دينار - وقال أبوسليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هو قد زهد فى الدنيا فما عليه من اخذها ، وايضا انما يضطر الى تركه فى البيت ينبغى ان ينوى عند خروجه الرضا بما يقضى الله فيه من تسليط سارق ويقول ما يأخذه سارق فهو فى حل منه وهو فى سبيل الله وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى اذ ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه بجعله فى حل ، وايضا يفدى بماله مال مسلم آخر فنيته دفع المعصية عن

مسلم

مسلم او فداء مال مسلم بمال نفسه نصح للسلمين ثم انه اذا وجد المال مسروقا ينبغى ان لا يحزن بل يفرح ان امكنه و يقول لعل الخير فى تلفه ثم انه اذا وجد ماله الذى جعله فى سبيل الله يترك طلبه فانه قدمه ذخيرة لنفسه الى الآخرة وان قبله جاز فى ظاهر العلم لكنه غير مستحب عند المتوكلين ، وايضا ينبغى ان لايدعو على السارق والابطل توكله وزهده وايضا يبطل اجره بالدعاء عليه ، وايضا ينبغى ان يغتم لعصيان السارق لا لماله وان يشكر الله عز وجل اذ جعله مظلوما لاظالما وجعل النقصان فى دنياه لافى دينه ـ

المطلب السادس

فى الاسباب المزيلة

وهى اما مقطوع بها كالماء فى دفع العطش والخبز فى دفع الجوع وترك هذه الاسباب حرام فضلا عن كونه توكلا ، اومظنون بها كالفصد والحجامة وسائر اسباب الطب وهذا لا يناقض التوكل ، اوموهومة كالكى والرقية والطيرة فشرط التوكل تركه لان ذلك من غاية التعمق فى ملاحظة الاسباب ، وقد وصف صلى الله عليه وسلم المتوكلين بها ، واما التداوى بالادوية الطبية فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن سائر الانبياء عليهم السلام الا ان بعضا من الادوية الطبية قد يلتحق بالمقطوع بها كالسكنجبين فى دفع الصفراء فحكمها حكمها فى التجربة الا انه لا يحرم تركها اما لان معرفته تختص ببعض الناس وليس مما تدركه الكافة كالخبز فى دفع الجوع والماء فى ازالة العطش اولان لذلك اسبابا باطنة يمكن تخلفها ولا كذلك الخبز والماء ، فان قلت الكى ايضا من الاسباب الظاهرة النفع قلت ليس كذلك والالعرفه فى كل بلدة وذلك لايعهد الافى الاتراك والاعراب مع ان الكى جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه اذ ما من وجع يعالج بالكى الا وله دواء يغنى عنه بخلاف الفصد والحجامة ، روى ان عمران بن الحصين كان يرى نورا ويسمع صوتا يسلم عليه الملائكة ولما اكتوى زال عنه ما رآه وسمعه ثم تاب منه واناب الى الله عز وجل وقال بعد ذلك فردتعالى على ما كنت اجده من امر

الملائكة، واعلم ان التداوى نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن سائر الانبياء ايضا عليهم السلام وأمروا ايضا بالتداوى، وكذا نقل ترك التداوى عن الصحابة والسلف والتوفيق بين هذه الامور هو أن لترك التداوى اسبابا ولعل من تركه انما تركه لأجلها ولا يلزم من ذلك أفضلية الترك بل الافضل الفعل لما فعله النبي صلى [الله] عليه وسلم، وتلك الاسباب ستة احدها ان المريض قد كوشف له دنو أجله وان الدواء لا ينفعه ولعل ما قال أبوبكر رضي الله عنه حين قيل له لو دعونا لك طبيبا الطبيب قد نظر الى وقال انى فعال لما اريد من هذا القبيل وكذا قول أبي الدرداء اذ قيل فى مرضه ما تشتكى قال ذنوبى قيل فما تشتهى قال مغفرة ربى قالوا ألا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضنى، وثانيها ان يشتغل المريض بحال عاقبته فلا يتفرغ قلبه للتداوى وعليه يدل كلام أبى ذر وقد رمدت عيناه وقيل له لو داويتهما فقال إنى عنهما مشغول فقيل لو سألت الله ان يعافيك فقال أسأله فيما هو أهم على منهما ثالثها ان تكون العلة مزمنة والدواء موهوم النفع جاريا مجرى الكى والرقية فيتركه المتوكل واليه يشير قول الربيع بن خثيم اذ قال ذكرت عادا وثمود وفيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى اى ان الدواء غير موثوق به، ورابعها ان يترك لبيان ثواب المرض بحسن الصبر وقد ورد فى ثواب المرض ما يكثر ذكره - وخامسها ان تكون له ذنوب فيرجو تكفيرها بالمرض - وفى الحديث حمى يوم كفارة سنة قيل لأنها تهدم قوة سنة - وسادسها ان يستشعر من نفسه مبادى البطر والطغيان بطول الصحة فيترك التداوى لئلا يزول المرض قبل استئصال البطر والغفلة وطول الامل من نفسه واذا ظهر لك ان ترك التداوى لهذه الاسباب فلا يخفى عليه انه لا يلزم منه عدم فضيلة التداوى عند انتفاء هذه الاسباب كما فى تداوى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وايضا لو كان ترك التداوى من شرط التوكل لما فعله صلى الله عليه وسلم وهو سيد المتوكلين وايضا ان فضل ترك التداوى ان كان فيمن كثرت ذنوبه ليكفرها اوخاف على نفسه الطغيان من العافية واحتاج الى نيل ثواب الصبر وامثال ذلك، وهذه الامور

وان كانت كما لا بالاضافة الى بعض الخلق فهى نقصان بالاضافة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان اعلى من هذه المقامات كلها فلهذا لم تضره مباشرة اسباب التداوى ولهذا فعله - وايضا رجوع عمر رضى الله عنه من الطاعون وعدم دخوله الى الشام واتفاق الصحابة عليه وقوله نفر من قدر الله الى قدر الله فى جواب من قال أتفر من قدر الله دليل قوى على ان التداوى لايخل بالتوكل وكيف لا والصحابة لايسامحون فى امر التوكل اصلا سيما عمر وهو فى باب التوكل آية سيما وقد روى عبد الرحمن بن عوف فى هذا الامر حديثا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الوباء فى ارض فلا تقدموا عليه وان وقع فى ارض وانتم بها فلاتخرجوا فرارا منه ثم ان نهى الدخول فى بلد الطاعون فسببه ظاهر وهو القاء النفس فى التهلكة مع اسباب مظنون بها واما نهى الخروج للخلاص فلعله لكونه سببا وهميا اذ ربما يستحكم ضرر استنشاق الهواء المتعفن فى بدنه قبل ذلك يكون الخروج الى الهواء الصحيح علاجا وهميا يسبق تأثير الهواء العفن فى البدن سيما وقد انضم الى ذلك امور يكره معها الخروج وهى خروج الاصحاء وفقد المتعهدين للمرضى ممن يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام ويظهر من ذلك انه لودخل موضع الطاعون لتعهد المسلمين لايأثم لأن الضرر فى حق نفسه موهوم ورجاء دفع الضرر عن بقية المسلمين امر محقق وتسمية الفرار من الطاعون فى بعض الاخبار بالفرار من الزحف لما فيه كسرا لقلوب بقية المسلمين وسعيا فى اهلاكهم وغلط الزهاد والعباد فى ظواهر الاخبار والآثار كثير وانما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك حيث يحملها على محامل لطيفة دقيقة ويستخرج فى كل منها سبب النهى وعلة الامر ومراتب كل منهما فى الحرمة والوجوب فيرتفع التناقض المتوهم فى ظواهر الاخبار والله اعلم بحقيقة الحال - واعلم ان كتمان المرض والفقر وانواع البلاء من كنوز البر وهو من اعلى المقامات ومع ذلك فالاظهار لابأس به اذا صحت فيه النية والمقصد، وذلك فى ثلاثة احوال، احدها ان يصف للطبيب حكاية لاشكاية وثانيها ان يذكره لمن يتعلم منه حسن الصبر بل الشكر بان

يراه نعمة وثالثها ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك ممن يرجو منه القوة والشجاعة و يستبعد منه العجز فيذكره دفعا لاحتمال التجلد واظهارا لعجزه وافتقاره -

الاصل السادس

في المحبة والشوق والانس والرضا وفيه مطالب

المطلب الاول

في المحبة لله عز وجل

وهي من اعلى المقامات وكل مقام يتقدمها فهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وكل مقام بعدها من ثمراتها كالشوق والانس والرضا واخواتها وما سوى المقامات وان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها - واما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى انكر بعضهم امكانها وقال لامعنى لها الا المواظبة على طاعة الله - واما حقيقة المحبة فمحال الامع الجنس والمثل فانكروا لوازم الحب من الانس والشوق ولذة المناجاة الا ان الامة مجمعون على ان الحب لله ولرسوله فرض فيكون وجودها مجمعا عليه وجعلها مجازا عن الطاعة لاحاجة اليه وكيف لاوالطاعة ثمرة المحبة والقول بالطاعة يستلزم وجود المحبة-وايضا محبة الله تعالى في الكتاب والسنة كثير الذكر وكذا في الآثار وكلمات المشايخ بحيث لايمكن الانكار عليها وحمل كلها على المجاز يؤدي الى اللجاج والعناد - واعلم ان الحب فرع المعرفة والادراك ولهذا لايتصف الجماد بالحب ثم المدرك ان كان ملذا فهو محبوب وان كان مؤلما فهو مبغوض ومالا يكون مؤلما ولا ملذا فهو لايكون محبوبا ولا مكروها - فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوي يسمى عشقا، والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوي سمي مقتا - ثم لما كان الحب تابعا للادراك وكان ذلك منقسما الى الحواس صارت لكل منها لذة مخصوصة فلذة العين في الصور الجميلة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة وهكذا لايخفى ان البصيرة الباطنة اقوى من البصر

الظاهر والقلب اشد إدراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار فاذا لذة القلوب في ادراك الامور الالهية اتم وابلغ ويكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما فى ادراكه لذة كما عرفت فاذا لاينكر حب الله الا من لم يتجاوز ادراكه رتبة البهائم وقعد فى رتبة الحواس ـ

المطلب الثانى

فى اقسام المحبة واسبابها

واعلم ان كل حي يحب دوام وجوده ويكره الموت والقتل ويحب ايضا كمال وجوده ويكره نقصه ولما توقف كمال الوجود ودوامه على سلامة الاعضاء يحبها ايضا ولما كان المال آلة فى دوام وجوده يحبه ايضا وكذلك لما كان الولد يخلفه فى الوجود يحبه ايضا وذلك لفرط حبه لبقاء نفسه لما عجز أن يطمع فى بقاء نفسه طمع فى ان يبقي بجزء منه ، وكذلك الاقارب والعشائر لما كانوا وسائل الى كماله يحبهم ، فاذا المحبوب عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك كله فهذا هو اول الاسباب ـ والسبب الثاني الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وهذا بالحقيقة يندرج فى حب دوام الوجود او كماله بالمال الا انه سبب بعيد والمال قريب ـ الثالث ان يحب الشيء لذاته لالحظ ينال منه بل يكون ذاته عين حظه كحب الجمال والحسن من حيث انه كذلك لا لأن ينتفع بصاحبه بقضاء الشهوات ـ السبب الرابع ان الحسن والجمال غير منحصر فى المحسوسات بل هو فى المحسوسات (١) اعظم واقوي كما يقال هذا خلق حسن وعلم حسن وهذه سيرة حسنة واخلاق جميلة ألا تري ان الانبياء صلوات الله عليهم محبوبون بالطبع عند المؤمنين وكذا الناس يحبون ابا حنيفة والشافعي ومالكا مع انهم لم يروهم وانما حبهم لصفاتهم الباطنة من العلم والدين والتقوى ـ السبب الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذرب شخص (٢) يتأكد المحبة بينهما لابسبب جمال

---

(١) كذا ـ (٢) كذا ولعله شخصين ـ ح ـ

اوحظ بل بمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتنا كر منها اختلف - ثم ان هذه الاسباب اذا اجتمعت فى شخص كان حبه اشد واقوى واكمل - وايضا يتفاوت بحسب قوة هذه الخصال وضعفها فيه ثم ان هذه الاسباب كلها مجتمعة فى حق الله تعالى على وجه القوة والكمال فلامحبة فوق محبته عزوجل - وتفصيل ذلك ان الحب لاجل دوام الوجود وكماله وبقائه موجود فى حق الله تعالى على وجه الكمال اذليس وجوده ولادوام وجوده الامن الله وبالله والى الله فهو المخترع والمبقى والمكمل اذ العبد عدم صرف لولا ايجاده تعالى وهالك محض لولا ابقاؤه تعالى وناقص لولا تكميله تعالى وكذا الحب للاحسان فليس الاالله تعالى فانه الذى انعم بخلقك وخلق مالك وخلق قدرتك وارادتك وداعيتك وكذا كل مال يصل اليك فانما هو من الله تعالى بالذات واليد الظاهرة وسيلة مضطرة اضطرار مجرى الماء فى جريان الماء فيه فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان وكذاحب الشخص لذاته واحسانه مثل ان تسمع فى الشرق ملكا عالما عابدا عادلا متلطفا بالناس فانك تميل اليه وهو الحب مع انك آيس من خيره وكذا اذاسمعت ملكا بضد ذلك فانك تنفر عنه وهو البغض مع انك آمن من شره ولايخفى ان المستحق لمثل هذه المحبة ليس الاالله تعالى اذهو المحسن الى الكافة المتفضل على اصناف الخلائق اولا بايجادهم ثم بتكميلهم بالاعضاء والاسباب الضرورية ثم بتنعيمهم بخلق الاسباب المحتاج اليها وان لم تكن ضرورية ثم بتجميلهم بالمزايا والزوائد التى هى مظنة زينتهم كالثياب الجميلة والمراكب الحسنة واما محبة شخص لجماله المعنوى من العلم والقدرة فليس احق بتلك المحبة من الله اما العلم فأين علم الاولين والآخرين من الله الذى يحيط بالكل حتى لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات والارض بل نسبة علم الله تعالى الى اعلم اهل الارض اكثر من نسبة اعلم اهل الارض الى اجهل اهل الارض لأن زيادته بقدر متناه وزيادة علم الله غير متناهية واما القدرة فلا قدرة ولا قدر الا وهو أثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور أن

يحب قادرا لكمال قدرته فلا يستحق ذلك احد سواه، واما التنزه عن العيوب الذى هو أحد موجبات الحب فلا يتصور على وجه الكمال الا للواحد الحق الملك القدوس ذى الجلال والاكرام اذ كل مخلوق وان كان منزها عن النقائص والعيوب فلا يخلو عن نقص من وجه آخر بل عن نقائص ولا اقل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا ولا كمال الا لله وحده - واما المحبة لأجل المناسبة والمشاكلة لان شبه الشيء منجذب اليه والشكل الى الشكل اميل والمناسبة اما فى معنى ظاهر وذلك لا يخفى وقد يكون لأمر باطن وذلك فى حق الله تعالى اما ممكن التعبير بان يقرب من الله تعالى فى الصفات التى أمرنا بان نتخلق بها حتى قيل تخلقوا باخلاق الله وذلك مثل العلم والاحسان والبر والرحمة على الخلق وافاضة الخير وارشادهم الى الحق ونحو ذلك، واما غير ممكن التعبير بل يشار اليه بالرمز فقط مثل قوله تعالى (قل الروح من أمر ربى) وقوله (انا جعلناك خليفة فى الأرض) اذ لم يستحق آدم خلافة الله الا بتلك المناسبة - واليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته، ومن تلك المناسبة ما سموه قرب النوافل بعد كمال الفرائض كما قال النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه عزوجل لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به، وهذا موضع يجب كف عنان القلم فيه اذ الناس تحزبوا حزبين قاصرون مائلون الى التشبيه الظاهر وغالون مسرفون متجاوزون حد المناسبة الى الاتحاد والحلول حتى ضل النصارى وقالوا عيسى عليه السلام هو الاله وقال بعضهم تدرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به وقال بعض الناس انا الحق، واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح مع ذلك حقيقة السر فهم الاقلون وهذه المناسبة هى اقوى اسباب الحب واعظمها وابعدها واعزها واقلها وجودا -

المطلب الثالث

واعلم ان كل قوة فى الانسان لم تخلق عبثا بل لأجل ادراك ملائمها وانما لذتها

فى الوصول الى مدركها ـ ثم ان فى الانسان قوة ربانية هي العقل ولذتها ادراك العلوم ولايخفى ان اللذة العلمية اقوى من اللذة الحسية اذ الانسان لايصبر عن العلم والتمدح به ولو فى الشيء الحقير كالشطرنج مثلا ولو ذكر احدا فى مقابلته لذة الاكل لربما نسب اهله الى البهيمية وعابوه ـ ثم لايخفى ان لذة العلم بحسب شرف المعلوم فمعرفة الله تعالى الذ من جميع المعارف اذلامعلوم اشرف من ذلك وايضا هي ابدية سرمدية لايقطعها الموت اذمحلها الامر الربانى الذى هو باق لايفني ولعمرى طلاب العلوم يجدون عند انكشاف المشكلات لذة عظيمة يعرفها اهلها ـ فكيف حالها اذا كان الانكشاف فى جمال الله وجلاله اذيعرض له حينئذ من الفرح ما يكاد يطير به حتى يتعجب من نفسه فى ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدركه الا من ذاقه ولعل من لم يذقها ينكر ذلك كما ينكر الصبي لذة السلطنة وليت شعرى من لايفهم الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وليس له صورة ولاشكل مع ان الرؤية اكمل الانكشافات وذلك لان المدركات المتخيلة ادراكها حال الرؤية اتم من ادراكها حال التخيل والدنيا بالنسبة الى الآخرة بمنزلة الخيال ، فاذا ارتفع حجاب البدن فان لم يبق فى النفس كدورات الدنيا يشاهدر به فى الحال ، وان بقي فيه كدورات لا ينفك عنها اصلا فهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابدا لآباد نعوذبالله منه ، ومنهم من يبقى فيه اثر ضعيف فيعرض على النار لتزكيتها بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة واقصاها فى حق المؤمنين سبعة آلاف سنة ، فاذا تطهرت النفس عن الكدورات يتجلى له الحق تجليا يكون تجليه بالاضافة الى علمه كانكشاف المرئيات بالاضافة الى المتخيلات وهذه المشاهدة والتجلي يسمى رؤية لكن (لا) بصورة مخصوصة ولابجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب ولايكون بين المشاهدة فى الآخرة والمعلوم فى الدنيا فرق الامن حيث زيادة الكشف والوضوح فيظهر منه ان من لم يعرف الله فى الدنيا كيف يراه فى الآخرة ـ ولما كانت المعرفة على درجات كان التجلي ايضا على درجات متفاوتة اذ تختلف بقلتها وكثرتها وقوتها وضعفها وجنسها

ولذلك

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يتجلى للناس عامة ولأبى بكر خاصة وذلك لانه لما فضل الناس فى الدنيا بسر وقر فى صدره فضل لامحالة بتجل انفرد به ، فان قلت كيف يقاس لذة النظر الى وجه الله تعالى بلذة المعرفة فى الدنيا وهى ضعيفة فاعلم ان استحقار لذة المعرفة للخلو عن المعرفة والا فلذتها فوق سائر اللذائذ بل للعارفين لذائذ لم يستبدلوا بها فى الدنيا الجنة مع ان هذه اللذة لانسبة لها اصلا الى لذة اللقاء والمشاهدة ، فان قلت فهل محل الرؤية فى الآخرة القلب او العين فاعلم ان ارباب البصائر مطمح نظرهم الرؤية بأى آلة وقعت واما اهل النظر فقد اختلفوا والحق انها بالعين كما هو مذهب اهل السنة والجماعة ليكون لفظ الرؤية والنظر وامثال ذلك مما ورد فى الشرع مجرى على ظاهره اذ لايجوز صرف الالفاظ عن الظواهر الا لضرورة ـ

المطلب الرابع

فى اسباب محبة العبد لله تعالى

اعلم ان اسعد الناس حالا واكملهم لذة فى فى الآخرة اقواهم حبا لله تعالى وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن اذ لاينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب المنتهى رتبة العشق فذلك ينفك عنه الاكثرون وانما طريق تحصيله قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب وكمال الحب فى ان يحبه بكل قلبه فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه ـ ومنه حب المال والاهل والولد والاقارب والعقار والدواب ونحو ذلك ومن جملة طرقه قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلائها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من شواغل الدنيا وعلائقها وهى الكلمة الطيبة التى اصلها ثابت وفرعها فى السماء ولايوصل هذه المعرفة الا الفكر الصافى والذكر الدائم والواصلون الى هذه المعرفة اما اقوياء يعرفون الله اولا ثم يعرفون غيره به واما ضعفاء يعرفون الافعال اولا ثم يترقون منها الى الفاعل وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثر والاوسع على السالك وذلك يحصل بالتفكر فى عجائب الآفاق والانفس وملكوت السموات والارض اذ لا يبلغ فهمنا الى استقصائها وما بلغ

اليه فهمنا بالنسبة الى ما فى علم الانبياء والاولياء كقطرة من بحر وكذا لا نسبة لعلومهم الى ما استأثر الله تعالى بعلمه فاذا استغرقت فى هذا الفكر ازداد محبتك جدا ثم ان تفاوت الناس فى المحبة لتفاوتهم فى المعرفة واكثر الناس ما يعرفون الله تعالى الا بالصفات والاسماء ، ثم ان بعضا منهم آمنوا بها ايمان تسليم وتركوا البحث وهم اهل السلامة ، ومنهم من يتخيل لها معانى يتعالى عنها رب الارباب وهم الضالون ، والعارفون بحقائقها هم المقربون وحبهم حب لذاته تعالى فلا يتغير فى السراء والضراء ، واما من أحبه تعالى لانعامه واحسانه فربما يتغير حبه عند البلاء اوينقص واما من احبه لعجائب صنعه واستدل به على عظمته وجلاله فذلك لايتغير بل يزداد متى ازداد مطالعته صنع الله تعالى وعجائب قدرته واما قصور الناس فى معرفة الله تعالى فأمران احدهما الانهماك فى الشهوات والاشتغال باحوال نفوسنا اذ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه فمهما اشتغل بذلك غفل عن معرفة الله تعالى ، وثانيهما شدة ظهوره تعالى وتناهيه فى وضوحه فيصير ظهوره سبب خفائه وتفصيل ذلك هوأن الادراك وصول المدرك بالمدرك واحاطته به فلابد فى الوصول من غير المدرك عن غيره عنده(١) فمن كان وجوده اخفى يكون تمييزه عسيرا فيتعسر ادراكه كاحوال الزمان مثلا ، فان حقيقة الزمان لكون وجوده اخفى بسبب كونه عرضا وغير قار يعسر ادراكه وكذا من كان وجوده اظهر واشد واقوى لايمكن تمييزه عن غيره ولا احاطة المدرك به فيتعذر ادراكه كالنور مثلا فانه لظهوره عند الحس يعسر ادراكه حتى لولم يعقب ضده اعنى الظلمة لم يمكن تمييزه اصلا فحينئذ حقيقة الواجب تعالى لما كان فى العقل بمنزلة النور بالقياس الى البصر ولم يمكن له ضد يتبين بسببه لم يمكن للعقل تمييزه عن غيره وايضا لقوته واحاطته بالكل تعذر للعقل احاطته ومعرفته فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره ، وقيل ـ

لقد ظهرت فلا تخفى على احد الا على اكمه لا يعرف القمرا

لكن بطنت فما اظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعزة استترا

(١) كذا ـ

فهذا هو السبب فى قصور الافهام عن معرفة ذى الجلال والاكرام الا ان من قويت بصيرته ولم تضعف منته فى حال اعتدال امره لا يرى الا الله ولا يعرف غير الله ويعرف انه ليس فى الوجود الا الله وافعاله اثر من آثار قدرته فهى تابعة له ولا وجود لها بالحقيقة وانما الوجود للواحد الحق فقط - فعند ذلك لا تحتاج معرفته الى تمييزه عن غيره اذلا غيرله فلايكون ناظرا الا فى الله ولاعارفا الا بالله ولامحبا الالله ولاينظر الى نفسه ايضا بل من حيث انه عبدالله فهذا هو الذى فنى فى التوحيد عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن .

واذا عرفت محبة الله تعالى فاعلم ان المحبة مستتبعة للشوق فلعل من انكرها ينكره ايضا واعلم ان المدرك من كل وجه لا يشتاق اليه وكذا ما لم يدرك اصلا وانما الشوق لمن ادرك من وجه ولم يدرك من وجه آخر فالله تعالى وان كان مدركا للعارفين لكنه غير مدرك لهم من وجهين احدهما ان الخيال فى هذا العالم لايفترعن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهى مكدرات للعارف فلاتتضح المعلومات لأجلها غاية الاتضاح - ثانيهما ان ما انكشف لكل عبد بعض من الامور والا فالأمور الالهية لانهاية لها فعند ذلك تشتاق كل نفس الى معرفة الله تعالى من جهة الاتضاح ومن جهة الزيادة والشوق الاول يندفع فى الدار الآخرة بالمعنى الذى يسمى رؤية ومشاهدة ولقاء - واما الشوق الثانى فيشبه ان لاينتهى فى الآخرة ايضا اذ الامور الالهية لاتتناهى الا ان هذا الشوق لما كان فى عين الوصال لايظهر فيه الم والآيات والاخبار فى اثبات الشوق اكثر واشهر -

المطلب الخامس

فى محبة الله تعالى للعبد

وقد ورد ذلك فى الشرع الا ان المحبة فى حق الله تعالى معنى مجازى لها لان المحبة ميل للنفس الى ما يوافقها فلابد فيها من عدم ما يوافقها وذلك محال فى حق الله تعالى اذ كل جمال وكمال له تعالى بالفعل بل محبته(١) الا الى ذاته تعالى وافعاله وليس فى الوجود شيء غير ذاته وافعاله فهو لا يحب الا ذاته وما ورد من حبه لعباده

---

(١) كذا -

فتؤول او يرجع معناه الى كشفه الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به فى الازل فحبه لمن احبه ازلى ان نسب الى قدرته الازلية وحادث بحدوث السبب المقتضى له اذا اضيف الى فعله كما قال ولايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه الا انه قرب بالصفة لا بالمكان الا ان هذا التغير على العبد لاعلى الرب والعبد يتقرب بقدر قربه وكماله وان لا نهاية للكمال فلانهاية فى درجات القرب ثم ان لمحبة الله للعبد علامات قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناؤه قال لم يترك ما لا ولا اهلا فعلامة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه فأخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو أن يتولى الله امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما واحدا والمبغض الدنيا فى قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة فى خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته واما علامات محبة العبد لله تعالى فهى كثيرة الا أن وجودها اعز من الكبريت الاحمر وان كثر مدعيها ، منها حب لقائه فى دار السلام واذا علم انه لايمكن بدون الموت فيحب الموت لاجله ومنها حب القتل فى سبيل الله واما من لايحب الموت كما هو حال اكثر الناس فاما لمحبة الاهل والاولاد والمال فذلك القلب خال لامحالة عن محبة الله واما لانه يحب هؤلاء حبا مالا بكل قلبه فمحبة الله فيه ضعيفة واما لانه لايحبه لعدم استعداده الآن للقاء الله فذلك من امارت المحبة ومنها ان يؤثر ما احبه الله على ما يحبه فى ظاهره وباطنه فيتجنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولايزال مواظبا على طاعة الله ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات ـ واما العصيان فان لم يضر اصل المحبة اذقديأكل المريض ما يضره وان علم ضرره لكن تضعف معرفته فيعجز عن القيام بحق المحبة

المحبة - ومنها حب ذكره لان من احب شيئا اكثر ذكره وحب كلامه وهو القرآن وحب رسوله وكل ما ينسب اليه بل عباد الله الصالحين لأتم حبيبه(١) بل حب كل الخلق لانهم خلقه ومن احب احدا يحب كل ما فى محلته وحب الاشياء المذكورة من حيث نسبتهم الى الله تعالى ليس محبة لغير الله تعالى بل محبة له تعالى - ومنها ان يتلذذ بالخلوة معه وبمناجاته فى الليالى وبتلاوة كتابه ويغتنم بالتهجد وهدوء الليل وصفاء الوقت - ومنها ان لا يأسف على ما يفوته مما سوى الله ويعظم تأسفه على فوت ساعة خلت عن ذكر الله وطاعته - ومنها ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ولا يسقط عند تعبها (٢) ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله شديدا على جميع اعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكره الله ولا يصرفه عن الغضب لله صارف ومنها ان يكون فى حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم، وادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان الجمال يوجب المحبة - وللمحبين مخاوف فى مقام المحبة فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه الابعاد الا انه انما تعظم فى قلب الف القرب وذاقه وتنعم به - ثم اهل الخصوص ربما يحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادى اللطف وذلك هو المكر الخفى الذى لا يقدر على الاحتراز عنه الا ذووا الاقدام الراسخة - ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقى من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولانه قد يدخل فى الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه فى العقبى ويتعجل عليه البلوى فى الدنيا الا ان يغلب عليه سكر اضطره الى اظهاره فيعذر وانما يقبح التظاهر بالحب لا اظهاره لما فى التظاهر من الدعاوى والاستكبار - وحق الحب (٣) ان تنم على حبه الخفى اعماله واحواله دون اقواله وافعاله بل ينبغي ان يظهر حبه عن غير قصد الى الاظهار وينبغى ان يكون قصده اطلاع الحبيب فقط، اما ارادة اطلاع غيره فشرك فى الحب وقادح فيه الا

(١) كذا ولعله - لأنهم احبته - ح (٢) كذا (٣) لعله - المحب - ح

اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه -

المطلب السادس

فى الانس والرضا والشوق

واعلم ان هذه الامور كلها من ثمرات المحبة الا ان المحب اذا تطلع الى منتهى الجمال من وراء حجاب الغيب واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انزعج قلبه للطلب وهاج اليه فسمى هذه الحالة فى الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وغير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العجز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفا واما علامة الانس فضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر حتى انه ان خالط الخلق يكون كمنفرد فى جماعة ومجتمع فى خلوة وغريب فى حضر وحاضر فى سفر وشاهد فى غيبة وغائب فى حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب وبعض المتكلمين انكروا الانس والحب والشوق وظنوا ان هذه تشبيه وذلك لجهلهم ان جمال المدركات بالبصائر اكمل من جمال المبصرات وانكار ذلك من القصور وانكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر وهذا ايضا كلام قاصر يقتصر من المقامات على القشور وهؤلاء معذورون الا ان عذرهم غير مقبول واعلم ان الانس اذا دام غلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط فى الاقوال والافعال مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم فى مقام الانس ومن لم يقم فيه وتشبه به فى الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر يحكى ان موسى عليه السلام خرج يستسقى فى سبعين الفا من بنى اسرائيل فأوحى الله عليه كيف استجيب لهم وهم يدعوننى على غير يقين ويأمنون مكرى لارجع الى عبدى برخ وهو عبد اسود حتى أستجيب لهم فسأل عنه موسى عليه السلام

فلم يعرف وقد استقبله عبد اسود وبين عينيه تراب من آثر السجود فى شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور النبوة فسلم عليه وطلب منه الدعاء فقال فى كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذى بدا لك أنقصت عليك عيونك ام عاندتك الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين ألست كنت غفارا قبل خلق الخطائين، وامثال ذلك فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالمطر وانبت الله تعالى العشب فى نصف يوم حتى بلغ الركب - قال برخ كيف رأيت ياموسى حين خاصمت ربى كيف انصفنى فهم به موسى عليه السلام فأوحى الله اليه ان برخا يضحكنى كل يوم ثلاث مرات وامثال ذلك من المحبين كثيرة -

المطلب السابع

فى الرضا

وهى من اعلى المقامات وقد انكرها طائفة لغموضها (١) وقالوا ان امكن الرضا بكل شىء من افعال الله عزوجل فينبغى ان يرضى بالكفر والمعاصى وانخدع قوم فرأوا التسليم بالفجور والفسق وترك الانكار من باب الرضا وليس كذلك وبيان الحق فيه ان فضيلة الرضا ثابتة بالآيات نحو قوله تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقوله (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) ومنتهى الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عنه ونحو ذلك فى الآيات والاخبار الكثيرة واما حقيقته فان الرضا مما يثمر المحبة وذلك اوجهين اما ان لا يحس الألم ولا يدركه لاستغراقه بمشاهدة محبوبه واما ان يحس به ويدرك الألم ولكن يرضى به بل يرغب فيه مريدا بعقله وان كان كارها بطبعه كمن يجد الم الفصد ويرضى به بل يشكر الفصّاد وقد يكون ذلك لطلب الاجر والثواب وقد يكون لكون رضا حبيبه مطلوبا ومرادا عنده - واما الفسق والفجور والمعاصى فلها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث ان فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى ملكه ورضا بما يفعله ووجه الى العبد من حيث انه كسبه

---

(١) كذا -

ووصفه وعلامة كونه ممقوتا وبغيضا عند الله تعالى فهو من هذا الوجه منكر ومذموم فالسكوت عنه وتسميته حسن خلق جهل محض ولا يخفى ان الرضا والكراهة ضدان لا يجتمعان من جهة واحدة ولكن من جهتين بجائز وبهذا يتقرر كيفية الجمع بين الرضا بالقضاء وبين البغض فى الله والحب فى الله والتشديد والتغليظ على الكفار والمبالغة فى مقتهم وبالجملة الخير والشر كلاهما من الله ومن قال الشر ليس منه فهو جاهل وكذا من قال ان كلاهما منه بوجه واحد بل الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى ووراء هذا سر القدر الذى منع عن افشائه ـ واما الدعاء للبلاء مع وجوب الرضا بالقضاء فلأن الدعاء يستخرج منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف فيكون الدعاء من قبيل مباشرة الاسباب ولا يخفى ان الرضا من باب التوكل وقد عرفت ان لا منافاة بين مباشرة الاسباب والتوكل ـ واما الفرار من بلاد تكثر فيها المعاصى فلا يخالف الرضا وليس ذلك فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لابد من الفرار منه ـ واما نهى الفرار عن بلد الطاعون فذلك ليس لحرمة الخروج بل لئلا يهمل امر المرضى فيهلكون هزلا وضرا وقد عرفت تفصيل ذلك ـ

الاصل السابع

في النية والاخلاص والصدق وفيه مطالب

المطلب الاول

في النية

اما فضيلتها فبقوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) والمراد بالارادة النية وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات، ونحو ذلك واما حقيقتها فاعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو صفة للقلب واعلم ان الانسان يوافقه بعض الامور ويخالفه بعضها فافتقر اولا الى معرفة الملائم اى النافع والضار أى المنافر فخلق الله فيه الهداية والمعرفة

لاجل،

لاجل ذلك وجعل لها اسبابا وهى الحواس الظاهرة والباطنة ، ثم هذه المعرفة فى حصول امر إن لم يشتبه ذلك الامر فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة اعنى نزوعا فى نفسه اليه وتوجها فى قلبه اليه ثم ذلك لايكفيه انعجز عن تحصيله فخلق الله له القدرة والاعضاء للحركة فالعضو لايتحرك الا بالقدرة وهى تنتظر الداعية الباعثة وهى تنتظر العلم والمعرفة اوالظن والاعتقاد فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهى ارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما فى الحال اوفى المآل ، ثم ان انتهاض القدرة للعمل قديكون بباعث واحد وقديكون بباعثين اما بالاجتماع فى التأثير اوتأكيد التأثير فههنا اقسام اربعة ، الاول ان ينفرد الباعث الواحد كهجوم السبع فى الهرب فلا نية له غيره وهذه تسمى خالصة والعمل بموجبها اخلاصا ، الثانى ان يجتمع باعثان كل منهما كاف بالانتهاض لوانفرد كأن يتصدق لقريبه الفقير لفقره وقرابته ويسمى هذا مرافقة البواعث ، الثالث ان يقوى مجموعها على الانتهاض دون كل واحد منهما كالتصدق عندالناس لغرض الثواب والثناء معا حتى لوكان الطالب فاسقا لكان لايعطيه اوكان صالحا وطلبه فى الخلوة لايعطيه ايضا ويسمى هـذا الجنس مشاركة ، الرابع ان يستقل احدها لوانفرد والآخر لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسهيل مثل ان يتصدق عند الناس ولكن علم انه لوكان خاليا لم يفتر عن عمله ولكن صار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم ويسمى هذا الجنس المعاونة ، واعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم نية المرء خير من عمله قيل معناه ان النية سر والعمل السر فضل وهـذا صحيح الا انه ليس بمراد اذيقتضى عموم الحديث ان يكون نية ذكر الله خيرا من ذكره بقلبه وقيل ان النية تدوم الى آخرالعمر دون العمل وهوضعيف اذمعناه ان العمل الكثير خير من القليل مع ان النية لم تكن الا فى لحظات فلايكون خيرا وقد دل عموم الحديث على خيريته ، وقد يقال ان جهة النية فقط خير من جهة العمل فقط وهو كذلك لكنه بعيد أن يكون مرادا اذالعمل بلا نية لا خير فيه اصلا مع ان المفهوم من الحديث اشتراكهما فى اصل الخيرية

والحق ان المراد ان لكل من النية والعمل اثرا فى الخيرية لكن اثر النية اكثر من اثر العمل -

المطلب الثانى

فى تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية

والاعمال ثلاثة - احدها المعاصى وهى لاتتغير عن موضوعها بالنية بل النية بهاشر آخر فالقائل به اما معاند الشرع واما جاهل عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم مثال ذلك من بنى مسجدا اومدرسة بمال حرام وقصده الخير اوعلم علما لمن يجعله آلة شر وفساد وقصد بذلك نشر العلم فان استعمله هو فى الفساد فهو المعاتب لاانا الا انه تلبيس ابليس - وثانيها الطاعات وهى بالنيات فى اصل صحتها وفضل طاعتها فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوى بها خيرات كثيرة مثل ان يقعد فى المسجد للاعتكاف ولانتظار الصلاة ولكف الحواس عن المعاصى ولزوم السر للفكر ودفع الشواغل الدنيوية وللتجرد لذكر الله اواستماعه ولافادة علم ولأن يستفيد اخا لله ولأن يترك الذنوب حياء من الله تعالى فى ان يفعل المعاصى فى بيته - وثالثها المباحات وتصير بالنية من القربات فما اعظم خسران من يغفل عنها مثلا ان يطيب يوم الجمعة للتلذذ فهو حلال الا انه يحاسب عليه وينقص من نعيم الآخرة بقدره واما اذا تطيب لدفع النتن عن عباد الله فتكون عبادة وان تطيب للتفاخر اوللتمكين فى قلوبهم اوتودد الى النساء الاجنبيات يكون معصية فاياك واياك ان تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من شرورها وغرورها وتعد الجواب يوم الحساب فان الله مطلع عليك وشهيد (ما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد) ثم ان النية غير داخلة تحت الاختيار فلاتظن ان قولك نويت ادرس لله اواتجر لله نية بل ذلك حديث نفس ولسان اوفكر اوانتقال من خاطر الى خاطر وانما النية انبعاث النفس وتوجيهها وميلها الى ماظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا او آجلا والميل اذا لم يكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقولك نويت ان اشتهى الطعام واميل اليه بل لاطريق الى اكتسابه الا باكتساب اسبابه وذلك مما

يقدر عليه وقد لا يقدر وذلك يجرى مجرى الفتوح من الله تعالى نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين يتيسر عليه احضار النية فى اكثر الاحوال وذلك اما للخوف اوللرجاء اولذاته تعالى وجلاله لا لأمر سواه -

المطلب الثالث

فى الاخلاص

وفضيلته كثيرة مذكورة فى الآيات والاخبار- قال الله تعالى (مخلصين له الدين) وقال (الالله الدين الخالص) وقال (ولايشرك بعبادة ربه احدا) والاحاديث والآثار فى هذا الباب كثيرة- واما حقيقة الاخلاص فكل من خلص عن شوب غيره سمى خالصا والفعل اخلاصا ويضاده الاشراك فكما ان الشرك جلى وخفى كذا الاخلاص ثم ان الاخلاص هو النية بشرط كون الباعث واحدا فقط فمن تصدق وغرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص وكذا من تصدق وغرضه محض الرثاء فهو مخلص ايضا لغة الا ان العرف يخصص الاخلاص بالاول- كما ان الالحاد هو الميل مطلقا والعرف خصصه بالميل عن الحق ثم ان من انبعث لقصد القربة ولكن امتزج بخاطر آخر من حظوظ النفس كمن صام للقربة وقصد معه الحمية اوحج للقربة مع قصد صحة المزاج بحركة السفر او تعلم العلم لله مع قصد العز بين العشيرة او كتب مصحفا للقربة وقصد أن يجود خطه بالمواظبة ونحو ذلك من امثال هذه الخطرات التى يخف معها العمل فقد خرج بهذه عن الاخلاص وتطرق اليه الشرك ولما كان الانسان قلما ينفك عن امثال هذه الحظوظ قيل من سلم له فى عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا- ثم ان هذه البواعث اما ان تكون مثل القربة او اقوى منه او اضعف والاخلاص تجرد النية عن هذه البواعث كلها حتى يتجرد فيه قصد القربة عن باعث غيره- وهذا لايتصور الا من محب لله تعالى حتى لايحب الاكل والشرب (الا) ليتقوى بهما على عبادة الله تعالى فلايكون له هم الا الله ومن لم يكن كذلك فباب الاخلاص كالمسدود عليه الا على الندور فعلاج ذلك كسر حظوظ النفس والتجرد للآخرة وغاب(١) ذلك على القلب- ثم ان الانسان ربما يتعب فى

---

(١) كذا -

الاعمال و يظنها خالصة و ليس كذلك فههنا موضع غرور وقلما يسلم منه احد وقلما يتنبه له سيما العلماء اذ الباعث للاكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والاستبشار بالحمد والثناء وهو يظن انه غرضه نشر دين الله والنضال عن شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا الحال فى الوعظ ـ وربما يظن العالم ان نشره للعلم لوجه الله حتى يظن من نفسه انه لو قام احد مقامه فيه لفرح به ولم يغتم الا انه غرور باطل اذ لا عبرة بوعد النفس قبل نزول الامر فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الاكثرون الا الشاذ النادر والفرد الفذ والكلام فى تفسير الاخلاص كثير الا ان البيان الشافى ما وقع عن سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال ان تقول ربى الله ثم تستقيم كما امرت اى لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم فى عبادتك كما امرت وهذه اشارة الى قطع كل ما سوى الله عن النظر وهو الاخلاص حقا ثم بيان درجات الشوائب المكدرة للاخلاص على مراتب جلى وخفى ضعيف مع الجلاء و قوى مع الخفاء واظهر مشوشاتها الرئاء مثل ان يدخل داخل وهو يصلى فحسن صلاته لاجل ان يقول له انه صالح اولا يتبع الشيطان فى ذلك الا انه يحسن ليقتدى به ويتأسى غيره به فيكون له مثل ثواب اعمالهم اولا يتبع الشيطان فى ذلك ايضا فيحسن فى الخلوة والملأ معا وهذا ايضا مكر لان هذه التسوية من النظر الى الخلق اولا يتبع الشيطان فى ذلك ايضا الا انه اذا حضر احد وهو فى صلاته يقول له الشيطان تفكر فى عظمة الله وجلاله واستحى من ان ينظر الله الى قلبك وانت غافل عنه فيظنه المسكين اخلاصا فيتبعه وهو عين المكر والخدع فانه لو كان اخلاصا لكانت هذه الخطرة تلازمه فى الخلوة والفرق بين الخلوة والملأ من شوب الرئاء الخفى ـ واعلم ان العمل اذا كان محض رئاء يستحق صاحبه المقت والعقاب واذا كان خالصا لوجه الله يستحق الثواب وانما الخلاف فى العمل المشوب المفهوم من ظواهر الاخبار ان لا ثواب له اصلا وقد يعارض فيه بعض الاخبار بعضا فالذى ينقدح لنا فيه والعلم عندالله ان ننظر الى قدر الباعث الدينى والباعث

النفسي فان تساويا تساقطا فالعمل لاله ولاعليه وان قوى الباعث النفسي فالعمل غير نافع بل مقتض للعقاب وان كان اخف من عقاب رئاء لم يمتزج فيه جهة قرب اصلاوان قوى الباعث الديني فله ثواب بقدر زيادته لقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ولقوله تعالى (ان الله لايظلم مثقال ذرة)فلاينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على الرئاء حبط منه القدر الذي يساويه ويبقى له الفضل ثوابا وان كان مغلوبا محى من الوزرما كان يساويه ويبقى له الباقي وزرا فكما لايضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والدواء عن اثر في الجسد بحكم سنةالله تعالى فكذلك لايضيع مثقال ذرة من الخير والشر عن تأثير في انارة القلب وتسويده وفي تقريبه من الله تعالى وتبعيده ـ واما ما ورد في الاخبار من ان الرئاء محبط للعمل مطلقا فالمراد به الرئاء المحض اوالغالب على الخير فلاتناقض اصلا ـ

المطلب الرابع

في الصدق

وفضيلته مركوزة في كل طبع ولا حاجة الى التنبيه عليها واما حقيقته ومراتبه فاعلم ان الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وفي النية وفي الارادة وفي العزم وفي الوفاء بالعزم وفي العمل وفي تحقيق مقامات الدين كلها والمتصف بالصدق في جميع ذلك يسمى صديقا لانه مبالغة في الصدق ، الاول اعني صدق اللسان لا يكون الا في الاخبار اوفيما يتضمنها فالخبرا ما ماض اومستقبل ويدخل فيه الوفاء بالوعد والخلف فيه وهذا الصدق الواقع في اللسان واجب على كل احد وله كمالان احدهما الاحتراز عن المعاريض لانه في حكم الكذب من حيث انه تفهيم الشيء على خلاف ما هوعليه وان صلح لغيره ايضا الا انه قديترجح على الصدق في بعض المواضع في تأديب الصبيان والنسوان ومن يجرى مجرى هؤلاء وفي الحذر من الظلمة وفي قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الغزاة والصدق ههنا يتحول الى النية ـ والكمال الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كما في قولك اني وجهت

وجهى للذى فطر السموات والارض فينبغى ان يكون قلبه متوجها اليه عند كلامه وكذا اذا قلت اياك نعبد ينبغى ان لا تشرك احدا فى عبادته - الصدق الثانى فى النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص فكل صادق لا بدأن يكون مخلصا - الصدق الثالث صدق العزم مثل ان تقول ان رزقنى الله مالا تصدقت بجميعه اوشطره اوان اعطانى الله ولاية عدلت فيها ولم اظلم احدا فصدقها بانه لا يكون تردد عنده هذا القول فى عزمه بل يكون عزمه جزما صادقا وان كان مع ميل وتردد وضعف لا يكون عزمه صادقا قطعا - الصدق الرابع فى الوفاء بالعزم اذ النفس قد تسخو فى العزم والوعد اذ لا مؤنة فيه لكن اذا آن اوان تحقيقه قد ينحل عزمه فيكذب او يحقق فيصدق - الصدق الخامس فى الاعمال وهو أن لا تدل اعماله الظاهرة على امر فى باطنه لا يتصف هو به لا بأن يترك الاعمال ولكن بأن يستجر الباطن الى تصديق الظاهر مثلا يتخشع فى الاعمال وقلبه فى السوق وان لم يقصد الرثاء فهذا هو الفرق بينه وبين الرثاء وبالجملة مساواة السر والعلانية من احد انواع الصدق - الصدق السادس وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق فى مقامات الدين والخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل ونحو ذلك فان لهذه الامور مبادى هى ظهورها وغايات هى حقائقها واذا غلب الشيء وتمت(١) يسمى صاحبه صادقا فيه كما يقال الخوف الصادق والشهوة الصادقة مثلا كل مؤمن يخاف من النار ولكن صدق ذلك ان يصفر لونه و يتنغص عليه عيشه ويستبدل بالانس وحشة وبالراحة تعبا فالصادق فى جميع المقامات عزيز جدا - ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق فى بعض الامور دون بعض الامور دون آخر(١) فان كان صادقا فى الجميع فصاحبه يسمى صديقا وذلك نادر عزيز الوجود جدا

الأصل الثامن

فى المحاسبة والمراقبة

واعلم ان التاجر يستعين بشريكه فيشارطه اولا ثم يراقبه ثم يحاسبه ثالثا ثم يعاتبه رابعا كذلك العقل هو التاجر فى متاع الآخرة وشريكه النفس فعليه ان يحاسبها

(١) كذا -

لأن كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لاعوض لها يمكن ان يشترى بها كنوز لاتتناهى ابد الآباد فيقول للنفس فى صبيحة كل يوم مالى بضاعة الاالعمر فمهما فنى فقد فنى رأس المال ووقع اليأس عن التجارة.وهذا اليوم الجديد قد مهلنى الله تعالى فيه وانشأنى اجلى وانعم علىّ به ولو توفانى لكنت اتمنى ان يرجعنى الى الدنيا يوما واحدا اعمل فيه صالحا واحسبى أنى توفيت ثم رددت فاياك ان يضيع هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لاقيمة لهافهذه وصيته لنفسه فى اوقاته ثم يستأنف لها وصيته فى اعضائه السبعة ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لها هذه التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة وان لم يحفظ هذه الاعضاء صارت ابوابا سبعة لجهنم اما العين فيحفظها عن المحرمات بل عن الفضول فانها مسؤولة عن الفضول كالكلام ثم يأمر بصرفها الى ما خلقت هى له وكذا اللسان يحفظه عن الغيبة والنميمة والكذب والبهتان وعن فضول الكلام ويأمر له العلم والاذكار وسائر الخيرات وكذا الأذن والبطن واليدوالرجل والفرج ثم ان العقل بعد ما شرط للنفس هذه الامور ينبغى ان يراقبها عند العمل ولايخفى ان المراقبة من مبادى مرتبة الاحسان ففضلها ظاهر واما حقيقتها فهى مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه ولايتم هذا الابمعرفة وهى ان الله تعالى مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد(إن ربك لبالمرصاد) واذا استولت على القلب هذه المعرفة لاجرم امالت القلب الى جانب ملاحظة الرقيب والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون المنقسمون الى الصديقين والى صاحب اليمين واما مراقبة الصديقين فهو مراقبة التعظيم والاجلال بأن يستغرق قلبه فى ملاحظة ذى الجلال ويصير منكسرا تحت الهيبة فلا يبقى معه متسع للضر اصلا وتبقى جوارحه متعطلة عن التلفت الى المناجاة فضلا عن الحظورات (١) فلا يحتاج الى مدبر فى حفظها على سنن السداد وهذا هو الذى صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم ومثل هذا يغفل من الخلق كلهم حتى لا يبصر من عنده وعينه ناظرة اليه ولا يسمع الكلام وليس به صمم وقد يمر على ابنه فلا يكلمه - وقال بعضهم لمن عاتبه على عدم

(١) كذا - ولعله - عن المباحات فضلا عن المحظورات

الا لتفات اذا مررت فحركني - ومثل هذا لايحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه اذ لايتحرك الا بما هو فيه - واما مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب مطالعة جمال الله على قلوبهم وبواطنهم وظوا هرهم ولكن لم يدهشهم ذلك بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال وهم يجمعون بين ممارسة الاعمال والمراقبة بغلبة الحياء من الله تعالى فيتثبت فيه ويفر من الفضاحة فى القيامة فينظر قبل العمل انه لله تعالى فيمضيه اولغير الله فيستحي من الله فيكف عنه ثم يلوم نفسه على رغبتها فيه وهمها به وميلها اليه وعرفها سوء فعلها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمة وعند الشروع فى العمل فى كيفية العمل ليقضى حق الله فيه ويحسن النية فى اتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا ملازم له فى جميع احواله من حركة وسكون - فاذا راقب الله فى جميع ذلك قدر على عبادة الله فيها بالنية ومراعاة الادب وحسن الفعل ، فمراقبته فى الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الآداب وحراستها عن الآفات ، وان كان فى معصية فمراقبته بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتفكير - وان فى مباح فمراقبته بمراعاة الادب ثم شهود المنعم فى النعمة وبالشكر عليها - ثم الناس فى حق المطاعم والمشارب على اربع مراتب، قسم ينظرون اليها بعين الاعتبار فينظرون فى عجائب صنعتها وكيفية ارتباط قوام الحيوانات بها وكيفية تقدير الله لأسبابها وخلق الشهوة الباعثة عليها وخلق الآلات المسخرة للشهوة وهذا مقام ذوى الالباب، وقسم ينظرون بعين المقت والكراهة ويودون لواشتغلوا عنها الاانهم مضطرون اليها وهذا مقام الزاهدين ، وقسم يرون فى الصنعة الصانع وصفاته فتنفتح له ابواب الفكر وهواعلى المقامات وهومن مقام العارفين والمحبين وذلك عزيز جداء، وقسم ينظرون اليها بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على مافاتهم منها ويفرحون بما حضرهم من جملتها ويذمون ما لايوافق طبعهم ويعيبون الطبيخ والطباخ مع ان من ذم شيئا من خلق الله بغير اذنه فقد ذم الله تعالى ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسبوا الدهر فان الله هوالدهر واذا عرفت محاسبة

النفس

النفس ومراقبتها عند العمل فاعلم ان مراقبتها محاسبتها بعد العمل وهى النظر فى رأس المال وفى الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان فضل حاصله شكره والاطالبه بضمانه وكلفه تداركه فى المستقبل ثم ان رأس مال السالك فى دينه الفرائض وربحه النوافل وخسرانه المعاصى وموسم التجارة جملة النهار فليطالب نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرائض ان اداها على وجهها شكر الله عليه ورغبها فى مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفى منها مايتدارك به مافرط ثم انه يحاسبها عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لم سكت وعن سكونه لم سكن ثم انه بعد محاسبتها ينبغى ان لايهمل تقصيرها والاعسر فطامها بعد ذلك وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغى ان يعاقبها على ذلك مثلا اذا اكل لقمة بشبهة يعاقبها بالجوع واذا نظر الى غير محرم يعاقب العين بمنع النظر وهكذا واذا كنت عاقبت اهلك وعبدك وامتك وولدك على تقصيرهم فى امر يؤدى الى ضرر فى الدنيا فلاى شىء لاتعاقب جوارحك وهى اخص بك مما ذكر مع ان ضررها فى الآخرة - ثم اذا اتممت امر المحاسبة فعليك بالمجاهدة بان تعاقبها بالعقوبات مثلا ان رآها تتنادى(١) فى ورد من اورادها يعاقبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لمافات وتداركا لما فرط ولعمرى ما اعظم حسرة من لايمنع نفسه اياما قلائل عن شهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين مايشتهيه ابد الآباد نعوذ بالله من ذلك - ثم اعلم ان اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء وامرت بمنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها شردت وجمحت وان عاتبتها كانت نفسك هى النفس اللوامة ورجوت ان تصير مطمئنة فلاتغفل عن وعظها ساعة وقل لها انت تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت احمق واجهل اما تعرفين الجنة والنار وانك صائرة الى احداهما فما لك تشتغلين باللهو أما تعلم ان كل آت قريب وايضا انه يأتى بغتة ولا اقل من ان المرض يأتى بغتة فعند

---

(١) كذا -

ذلك لا ينفعك الندم ، وايضا ما اجرأك على المعاصي ان قلت ان الله لايراك فما اعظم كفرك وان قلت انه يراك فما اشد وقاحتك وان اغتررت بكرمه وفضله فمالك لا تغترين بهما في أمر الدنيا وان رب الدنيا والآخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى ولا تظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت هيهات هيهات كيف تكذبين انبياء الله فان صدقتهم فمالك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد فماذا أمنت استعجال الاجل وما الباعث لك على التسويف فتنظرين يوما لا يعسر فيه مخالفة الشهوات فهذا من اقبح الجهالات اذ الجنة حفت بالمكاره والنار بالشهوات مع ان شجرة الشهوة تقوى وترسخ مهما طال الزمان سيما والقوة مهما تأخرت تكون في النقصان اذ رياضة الهرم من العناء والقضيب اذا غلظ لا يقبل الانحناء وان لم تصبرى عن مقارفة الشهوات فتأملي ان الم الصبر عنها اعظم ام الم الصبر على النار فاذا عرفت هذا فلعلك لاتتوانين عن النظر لنفسك الالضعف يقينك بيوم الحساب وهو الكفر الخفي اواعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفاتك الى استدراجه ومكره واستغنائه عن عبادتك وهذا هو الحمق الجلي وانما كرم الله تعالى في تعريف اسباب الخلاص لافي ان يدفع عنك العقاب بدون التحصن بحصنه اعني التوحيد والطاعات - ويحك فاحسبي انك غافلة عن عذاب الله وثوابه اما تعلمين انك تفارق الدنيا بالموت فلا يبقى لك الاحسرة مفارقتها تعمرها وانت ترتحل عنها وتخربين آخرتك وانت تصير اليها ولعلك اسكرك حب الجاه وحاصله ميل قلوب الناس اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجد والك واطاعوك فما تعرف انه بعد خمسين سنة لايبقى الساجد ولا المسجود فأف لدنيا ربما يفضلك فيها المجوس واليهود فيا حسرة عليك ان الموتى يتمنون الرجعة الى الدنيا ليشتغلوا بتدارك مافرط منهم وانت في امنيتهم غافل عنها ذاهل - افتظنين انهم دعوا الى الآخرة وانت من الخالدين هيهات هيهات ساء ما تظنين ما انت الا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك اما تخافين اذا بلغت النفس منك على التراق وتبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم اويقبل منك الحزن اويرحم

منك

منك البكاء فانظرى بأى قلب تقفين بين يدى الله وبأى لسان تجيبين واعدى للسؤال جوابا وللجواب صوابا فلامذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولامنجى الا اليه ولا مقول الا عليه قد ضاقت بك السبل وانقطعت منك الحيل ولايجيب دعوة المضطر الاهو ولا يغيث الطالب الملتهف الاهو فقولى يا رحمن يا رحيم ياعظيم يا كريم انا البائس الفقير والضعيف الحقير هنا مقام المتضرع المسكين والذليل المهين فعجل اغاثتى وفرجى وارنى آثار رحمتك واذقنى برد عفوك وشراب مغفرتك وارزقنى قوة عصمتك ولذة النظر الى وجهك الكريم يا ارحم الراحمين ـ

الاصل التاسع

فى التفكر وفيه مطلبان

المطلب الاول

فى فضيلة التفكر

وذلك شائع فى كتاب الله تعالى والاخبار بحيث لاحاجة الى تفصيل ذلك واما حقيقته فهى اختصار معرفتين فى القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة وهذا امابالتقليد اوبالفكر من عند نفسه اما بالتعلم والممارسة وهو الاكثر اوبنور الهى فى الفطرة كما كان للأنبياء عليهم السلام وذلك عزيز جدا ، وقديسمى تفكرا واعتباراوتذكرا ونظرا وتأملا وتدبرا وقديخص اسم الاعتبار للعبور عن المعرفتين الى معرفة ثالثة ، واسم التذكر بالعثور على معرفتين فقط وكل متفكر متذكر بدون عكس كلى ، ثم ان ثمرة الفكر العلم ويحصل منه فى القلب تغيريسمى حالا ويلزم هذا الحال تغير فى الجوارح يسمى عملا فالفكر هو مفتاح الخيرات كلها ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة ، فههنا خمس درجات اولها التذكر وهوا حضار المعرفتين فى القلب مثل ان تعرف ان الابقى اولى بالايثار وان الآخرة ابقى ، وثانيها التفكر وهو طلب المعرفة الثالثة منهما ، الثالث حصول المعرفة المطلوبة

واستنارة القلب بها وهى قولك الآخرة اولى بالايثار، الرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول المعرفة مثل تغير القلب الى الرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا، والخامسة خدمة الجوارح للقلب ما تجدد له من الحال، وذلك مثل تغير اعمال الجوارح فى اطراح الدنيا والاقبال على الآخرة ـ

المطلب الثانى

فى مجارى الفكر

اعلم ان الفكر اما فى امر الدين اوفى غيره وانما غرضنا هو الاول والمراد منه المعاملة بين العبد والرب بجميع افكار العبد اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله اوبالمعبود وصفاته وافعاله سبحانه وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب اوفيما هو مكروه ولاحاجة الى الفكر فى غيرهما ـ وما يتعلق بالمعبود واما ان يكون نظرا فى ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان يكون نظرا فى افعاله وملكه وملكوته وجميع ما فى السموات والارض ومابينهما وانما انحصر الفكر فيما ذكر لان المحب اذا استغرق فى حبه لم يتسع فكره الالملاحظة محبوبه وملاحظة احوال من نفسه يرضى محبوبه اويسخطه عليه ولامتسع لغيرهما فصار محل التفكر اربعة اقسام ـ القسم الاول التفكر فى صفات نفسه وافعاله ليميز المحبوب منها عن المكروه وطريق الفكر فى امور ثلاثة الاول انه هل هو مكروه عندالله ام لااذ ربما يشتبه جهة الكراهة ـ الثانى جهة الاحتراز عن المكروه ـ الثالث ان المكروه اما فى الحال فيتركه اوفى الاستقبال فيحترز عنه اوفارقه فيما مضى من الاحوال فيتداركه ـ وقسم المحبوب ايضا ينقسم الى هذه الامور ثم هذه الامور اما طاعات اومعاص ظاهرة اما فى الاعضاء السبعة اوغيرها اوصفات منجيات ومهلكات باطنة ـ النوع الاول المعاصى فيحاسبها صبيحة كل يوم اعضاءه السبعة بل جميع بدنه فان كان ملابسا فى الحال يتركها اولابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم اوهو متعرض لها فى نهاره فيستعد لها بالاحتراز والتباعد فيمتش كل عضو عضوعلى الانفراد ـ النوع الثانى الطاعات فينظر اولا فى الفرائض

كيف

كيف اكملها او جبر نقصانها بالنوافل ثم يفتش كل عضو فيتفكر فى صرفه فيما يحبه الله ـ النوع الثالث فى الصفات المهلكة التى محلها القلب من الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب فيتأمل فى كل ما ذكرنا فى المهلكات فيمتحن قلبه ويستشهد بالعلامات ولا يلتفت الى ادعاء النفس التنزه عنها ثم يباشر علاجه وقد ذكرناه فى موضعه ـ النوع الرابع فى الصفات المنجيات من التوبة والندم والصبر والشكر ونحو ذلك وليتفكر كل يوم فى قلبه وما الذى يعوزه من هذه الصفات المقربة الى الله فاذا افتقر الى شىء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الاعلام وان العلوم لايثمرها الا الافكار وانفع الامور فى هذا اقراء القرآن بالتدبر والتفكر ويردد الآية التى هو محتاج الى التفكر فيها من بعد اخرى ولو مائة مرة ويتوقف فى التأمل ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة من القرآن اسرار لا تحصى وكذلك مطالعة الاحاديث لانه صلى الله عليه وسلم قد اوتى جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحار الحكمة ولو تأمله العالم حق تأمله لم ينقطع فيه نظره طول عمره فهذا هو طريق التفكر وينبغى ان يكون المبتدئ مستغرق الوقت فى هذه الافكار حتى يصل الى المقامات الشريفة وهذا التفكر مع انه افضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل هو محجوب عن مطلب الصديقين وهو التفكر فى جلال الله وجماله واستغراقه فيه بحيث يفنى عن نفسه والفناء فى الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين والذى ذكرناه هو عمارة الباطن وهو وسيلة الى الفناء ويروى ان الحسين بن منصور لقى الخواص وهو يدور فى البوادى فقال فيما انت فقال اصحح حالى فى التوكل فقال افنيت عمرك فى عمران باطنك فأين الفناء فى التوحيد وبالجملة تعمير الظاهر بالعبادات لايثمر الا الجنة دون المجالسة وتعمير الباطن بالصفات المنجيات يثمر الاستعداد للقاء واصل السعادة هو الفناء لانه يثمر اللقاء واعلم ان كل مريد ينبغى ان يكتب الصفات المهلكات والمنجيات فى جريدة فمهما كفى واحدة من المهلكات خط عليها ويدع التفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيه قلبه منها وهكذا حتى يفعل على الجميع ، وكذا يفعل بالمنجيات

والمهلكات والمنجيات وان كانت لا تقبل الاحصاء الا انه يكفى من كل منها عشرة وهى الاصول وهى التى ذكرناها فى هذا الكتاب فتدبر فيها ، وهكذا حال المعاصى والطاعات الظاهرة الا ان كل صنف من الناس مبتلون بنوع من المعاصى فيكفى فى حقهم التفكر فى ذلك النوع ـ

القسم الثانى ـ الفكر فى جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان ـ الاول الفكر فى ذاته وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر الممكن من معرفته انه تعالى مقدس عن الزمان والمكان وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه قد حير عقول اقوام حتى انكروه وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم انهم لا يطيقون نور الشمس اصلا وعقول الصديقين كابصار الانسان حتى يطيقون النظر ولا يطيقون دوامه ولذلك قيل تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته ـ المقام الثانى ـ وهو النظر الى افعاله وعجائب صنعه وبدائع امره فى خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وعلى كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فننظر الى صفاته من آثار صفاته فالنظر اليها فى مصنوعاته كالنظر الى الشمس فى الطست فالافعال واسطة فى مشاهدة الفاعل فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله ، فالتفكر فى خلق الله اما فيما نعرف اصلها فلا يمكن اصلا قال تعالى (سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون) واما فيما نعرف اصلها وجملتها ولا نعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر فى تفصيلها ثم هو اما غير مدرك بالبصر كالملائكة والجن والشياطين فمجال الفكر فيه مما يغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهى المدركات بالبصر كالسموات السبع والارضين ومابينهما وكذا الموجودات فى السموات والموجودات على الارض ولكل هذه الاجناس انواع ولكل نوع منها اقسام وللاقسام اصناف ولكل منها صفات وهيآت ومعان ظاهرة وباطنة وجميع ذلك مجال للفكر فلا تتحرك ذرة فى السموات والارض الا وفى حركتها حكمة اوحكمتان اوعشر اوألف حكمة كل ذلك شاهد

لله تعالى بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وقد ورد القرآن بالحث على التفكر في هذه الآيات كما قال تعالى (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) وقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى كثير من المواضع فى القرآن قوله(ومن آياته) كل ذلك مشتمل على العبر الكثيرة للتفكرين ولنضرب لك مثالا امكنك ان تحذو البواقى حذوه وهو ان اقرب الاشياء اليك نفسك وهى مخلوقة من نطفة هى قطرة من الماء اخرجها رب الارباب من بين الصلب والترائب ولاخراجها من صلب الرجل الى رحم المرأة ألقى الالفة والمحبة بينهما وقادهما بسلسلة الشهوة الى الاجتماع ثم خلق من النطفة مولودا بان جعلها علقة وهى بيضاء مشرقة ثم جعلها مضغة ثم مع تشابه اجزائها قسمها الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم ركب من هذه الاعضاء الظاهرة والباطنة فقدر الرأس ومشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤوسها بالاصابع وقسمها بالانامل ووضع فيها الاظفار ثم ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص بعمل مخصوص ثم لو ذهبنا نفصل احوال كل منها لفنيت القوى وتحيرت النهى مثلا ابصار العين وطبقاتها وكذلك كيفية السمع والذوق لدهش من عجائبها العقول فانظر الى الحدقة وهى مقدار عدسة كيف تحيط بنصف السماء دفعة مع عظمها وانظر الى السمع كيف يدرك الاصوات ويميز بين الحروف ويفرق بين جهات الصوت مع ان المدخل واحد الى غير ذلك من العجائب مثلا مجموع عظام البدن مائتا عظم وثمانية واربعون عظما سوى العظام الصغار ولو تكلمنا فى كل واحد منها لم نقض من حكمة واحدا منها عشر أعشارها فضلا عن سائر حكمها الا ان الذى ذكرناه من النظر فى الحكم لسنا نريد به نظر الطبيب فى حكم خواص هذه الاجزاء لينكشف وجه العلاج فيها ان زال عن مزاجها الطبيعى بل نريد به نظر اهل البصائر الذى يستدلون بحكمها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين فسبحانه سبحانه ما اعظم شأنه واظهر برهانه

فهذه نبذ من عجائب بدنك التى لايمكن لستقصاؤها وانت غافل عنها مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتأكل وتشبع فتنام وتشتهى فتجامع وتغضب فتقاتل ويشاركك فى ذلك البهائم والسباع كلهم وانما خاصية الانسان معرفة الله تعالى بالنظر فى ملكوت السموات والارض وعجائب الآفاق والانفس اذبها يدخل العبد فى زمرة الملائكة المقربين ويحشر فى زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين نسأل الله ان يجنبنا منزلة اقدام الجهال -

الاصل العاشر

فى ذكر الموت والبعث والنشور

وفيه مطالب

المطلب الاول

فى ذكر الموت والترغيب فيه

اعلم ان المنهمك فى الدنيا والمحب لشهواتها يغفل قلبه لامحالة عن ذكر الموت وان ذكربه كرهه ونفر منه - ثم الناس اما منهمك فلايذكر الموت وان ذكره فيذكره لتأسف على دنياه واما تائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف فيفى بتمام التوبة وربما يكرهه خيفة من ان يختطفه قبل تمام توبته وقبل اصلاح الزاد ولايدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره لقاءه فان هذا لايكره لقاء الله بل يكره فوت لقائه - واما عارف يذكر الموت دائما لانه موعد لقائه لحبيبه وهذا فى الاكثر يستبطئ الموت ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين - وههنا درجة هى مقام التسليم والرضاء وهى اعلى من الكل وصاحبها يفوض امره الى مولاه فلايختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون الأحب اليه ما هو الأحب لمولاه وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثواب حتى ان المنهمك ربما يستفيد به التجافى عن الدنيا لانه يكدر عليه اللذات والشهوات فيكون من اسباب النجاة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هاذم

اللذات - اى نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلون على الله وما ورد فى فضيلة الموت من الاخبار والآثار كثيرة جدا فلا نطول بذكرها الكلام الا ان ذكر الموت انما يؤثر فى القلوب لذكرهم اياه بظاهر قلوبهم وعذبة ألسنتهم والا فلو ذكروه بقلب فارغ عن الشهوات واذعان لحال الاموات والى ماصار حاله بعد طول فرحهم وسرورهم بالدنيا وغرورهم بالجاه والمال والاعوان والانصار حتى ايتموا اولادهم وارملوا نساءهم وتصرف باموالهم اعدى الناس بل ايدى اعدائهم وكيف خلت منهم مجالسهم وبيوتهم وانقطعت آثارهم ونسيت اسماؤهم لاثر ذكر الموت فى قلوبهم وجعلوه نصب اعينهم - ثم ان قصر الامل ديدن العلماء وارباب القلوب وفضيلته مذكورة فى الاخبار والآثار وانه اصل كل سعادة الا ان القلوب مبتلون بطول الامل وعمت هذه البلية الكافة - وله سببان احدهما الجهل حيث يستبعد الموت مع الصحة والشباب ولا يدرى ان مشائخ البلد اقل من شبانه وليس ذلك الا لكثرة الموت فى الشبان والصبيان اكثر فالى ان يموت شيخ يموت الف صبى وخمسمائة شاب وايضا لايدرى ان الموت وان لم يكن بغاءة لكن المرض بغاءة غير بعيد وذلك لان الوهم يعرف مالم يألفه فالانسان الف موت غيره ولم يرموت نفسه اصلا فلذلك يستبعده الا ان من له عقل يعرف ان الاجل قدر والانسان كل يوم وساعة فى القرب اليه وكل آت قريب - وثانيهما حب الدنيا فانه انس بشهواتها فيشق عليه مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه ويتمنى مايوافق هواه فلا يزال يتوهم البقاء فى الدنيا واسبابه الى ان يتقرر عنده ذلك ولايخطر بباله الموت واذا خطر بباله الموت يسوفه الى الكهولة ثم الى الشيخوخة ثم الى الرجوع من سفره اوالى الفراغ من تدبير ولده اوجهاز ابنته اوقهر عدوه الى غير ذلك من الامانى الباطلة - وهكذا يفضى به شغل الى شغل آخر اوالى اشغال الى ان تختطفه المنية فى وقت لايحبه فعند ذلك تعظم حسرته وندمه حين لاينفعه الندم والمسكين يقدر انه سيفرغ من امور الدنيا وهيهات مافرغ منها الا من اطرحها ولا يزيد التسويف الا قوة

ورسوخا واكثر حزن اهل النار وصياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف ونعم ما قيل ـ

ولست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لوأني

اذا عرفت ان طول الامل التسويف وسببه الجهل المحض اوحب الدنيا فاعلم ان علاجه ان كان من الجهل يندفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة وان كان من حب الدنيا فعلاجه شديد وهو الداء العضال الذي اعي الاولين والآخرين علاجه ولاعلاج له الا الايمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير يمحو عن القلب حب الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطى ملك الارض من المشرق الى المغرب فمن كان مستعدا الى الآخرة فقد فاز فوزا عظيما ومن كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا هذا ثم ان الناس متفاوتون في طول الامل منهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك ابدا ، قال الله تعالى (يود احدهم لو يعمر الف سنة) ومنهم من يأمل البقاء الى الهرم وهو اقصى العمر وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا ومنهم من يأمل الى سنة وانما يستعد في الشتاء للصيف وفي الصيف للشتاء واذا جمع مايكفي لسنة اشتغل بالعبادة ، ومنهم من يأمل الصيف فقط اوالشتاء فقط فلا يستعد في احدهما للاخر ـ ومنهم من يرجع امله الى يوم وليلة فلا يستعد لغد ـ قال عيسى عليه السلام لا تهموا(١) برزق غد فان يكن غدا من آجالكم فيأتي فيه ارزاقكم مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلاتهتموا لارزاق غيركم ـ ومنهم من يجاوز امله ساعته كما قال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ـ ومنهم من لايقدر البقاء ايضا ساعة ـ كان صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعلي لا ابلغه ـ ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به وهو ينتظره ويصلي صلاته صلاة مودع كما روى انه صلى الله عليه وسلم

(١) كذا ـ

سأل معاذا عن حقيقة ايمانه قال ما خطوت خطوة الا ظننت انى لا اتبعها اخرى - وهذه مراتب الناس فى الامل وليس من امله مقصور على شهر كمن امله شهر ويوم ودرجاتهما عندالله تعالى ايضا متفاوتة فان الله لا يظلم مثقال ذرة (ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ثم ان علامة قصر الامل المبادرة فى العمل قبل حلول الاجل ومن ادعى قصر الامل وهو يعتنى بالدنيا فهو كاذب فى دعواه فالتوفيق علامة ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت الذى يرد عليه فى الوقت فان عاش الى المساء شكر الله على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن قلبه فرغ عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد -

المطلب الثانى

دواهى الموت وهى اربع

الاولى شدة النزاع واعلم ان الألم المصيب للبدن انما يدرك بواسطة الروح واذا وصل الألم الى نفس الروح فلا تسل عن كربه وألمه حتى قالوا انه اشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وانما لا يقدر على الصياح مع شدة ألمه لزيادة الكرب حيث قهر كل قوة وضعف كل جارحة فلم يبق له قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها حتى ان بقيت فيه قوة سمعت له خوارا وغرغرة من صدره وحلقه حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها وتغلق دونه ابواب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال صلى الله عليه وسلم تقبل توبة العبد مالم يغرغر فلا تسل عن عظم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به حتى ان الانبياء لمعرفتهم به يخافون من

ذلك خوفا شديدا - الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته الا ان المطيع يراه في احسن صورة واجملها - الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار ولن تخرج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشريين اما ابشر ياعدو الله بالنار او ابشر ياولى الله بالجنة - الرابعة خوف سوء الخاتمة وقد مر ذكره في الخوف والرجاء فلا نعيده - ثم المستحب للمحتضر عند الموت هو صوت الهدو والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادتين ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله - قال النبي صلى الله عليه وسلم ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه وازبدت شفتاه فهي من عذاب الله قد نطق به واما انطلاق لسانه بالشهادة فهي من علامة الخير الا ان الملقن لايلح عليه اذ ربما يستثقله لشدة حاله ويخشى ان يفضي الى سوء الخاتمة - واما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل وليس في قلبه غير الله فان لم يبق غير الله تعالى فهو في النعيم الدائم وان كان مشغوفا بالدنيا ومتأسفا على لذاتها كان امره الى خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله بالقبول وانما الواجب على العبد حسن الظن في ذلك الوقت -

المطلب الثالث

في حقيقة الموت واحوال الميت

اعلم ان للناس في احوال الموت ظنونا فاسدة ظن بعضهم انه هو العدم ولا حشر ولا نشر بل الموتى كالنبات وجفافها ، هذا رأى الملاحدة وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر - وظن بعضهم انه ينعدم بالموت ولا يتنعم ولا يتألم الى ان يعاد في وقت الحشر - وقال آخرون الارواح باقية وهي المثاب والمعاقب دون الاجساد وانها لا تبعث ولا تحشر اصلا - وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق والحق الذي نطق به الآيات والاخبار أن الموت تغير حال لا عدم وان الروح

باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة او متنعمة و معنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها في الجسد ولا يبعد أن تعاد الى الجسد في القبر قدرما يدرك اللذة والالم ولا يبعد أن يؤخر الى يوم البعث والله اعلم بما حكم به على عباده ، واما نفسه وروحه فهي باقية ، نعم تغير حالها من وجهين احدهما انه بالموت سلب عن امواله واهله وسائر احواله الى عالم آخر لايناسب هذا العالم اما سعيد الحال او شقي البال - وثانيهما انه ينكشف له ما يضره او ما ينفعه حسناته وسيئاته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا - فاما يتنعم او يتألم وهذه احوال تهجم عليه قبل الدفن واما بعد الدفن فقد ترد روحه اما لنوع آخر من العذاب اولنوع آخر من الثواب ولو لم يكن له الا الخزى والافتضاح وهتك السر عند الموت لكفاه ولكن وراءه امور اخر لايكاد يعبر عنه الألسنة واما ان كان من اهل التنعيم ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لايبلغ طرف لقصاه فيه انواع الاشجار والازهار والطيور والثمار فلا يشتهي العودة الى السجن المظلم - وفي احوال القبر ثلاث مقامات احدها وهو الاسلم ان يصدق بوجودها ولايفتش عن كيفيتها - وثانيها ان يفتش عن احواله ويقيس ذلك الى نائم يرى في نومه ما يخافه اويتنعم منه ولايقف عليه من يجاوره ولو في فراش واحد ولا يخفي ان النوم اخو الموت - وثالثها ان الحية لاتعذب بل السم وكذا السم لايعذب بل المؤلم اثره وخلق للامور بدون اسبابها العادية جائزة في قدرة الله تعالى وكذا الحال في اللذة ثم اهل البصائر قد حكموا بامكان هذه الطرق الثلاث فصدق بهم تقليد (١) واما من يعرف ذلك تحقيقا فيعز على بسيطة الارض وعليك ان لا تشتغل بمعرفة تفاصيل العذاب بل اللائق بك الاشتغال بالتدبير في دفع العذاب - وان اردت معرفة كيفيات العذاب فعليك بمطالعة الاخبار والآثار اذ معرفة ذلك في هذا العالم لايمكن الا بمشاهدة بعين اخرى غير عين تشاهد بها عالم الملك والشهادة ولكن الانسان جعل غشاوة على عينه التي يشاهد بها عالم

---

(١) كذا -

الغيب من شهواته واشغاله الدنيوية قصارلايبصر بها ولما كانت اعين الانبياء منقشعة عن الغشاوة شاهدوا تلك الاحوال وأخبروا بها فتتبع ذلك من اخبارهم ومن هذه المشاهدة حال الرؤيا التى نراها فى المنام اذ كثير منها توجد صحيحة - والقول فى حقيقة الرؤيا من دقائق علم المكاشفة وهى أمر عظيم لكن الناس غافلون عنها واجمال القول فيها ان النفس كالمرآة ولوح الله تعالى مكتوب فيها جميع ماكان وماسيكون لاعلى لوح من خشب اوحديد بل على شيء مجرد لابكتابة معهودة بل بنقش معنوى ثم الحواس اذا تعطلت بالنوم ارتفع حجاب النفس اذلا حجاب لها غير الالتفات الى المحسوسات فحينئذ يتقابل اللوح ومرآة النفس فتنتقش فيها صور اللوح الا ان النوم لايمنع الخيال عن عمله فيحاكى المعانى بمثال يقارب ذلك المعنى فالمعبر انما يعبر عن الصورة الخيالية الى المعنى المأخوذ من اللوح فيحكم بجلية الحال - ولنذكر مثالا من التعبير وهو ان رجلا ذكر لابن سيرين رأيت كأن بيدى خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انت مؤذن تؤذن قبل الصبح فى رمضان فقال صدقت - فانظر ان روح الختم المنع والنفس لما انتقش حاله من اللوح بانه يمنع الناس من الأكل والشرب والجماع ولكن الخيال الف المنع عند الختم بالخاتم مثله به فى الصورة الخيالية ثم لا يبقى فى الحفظ الا هذه الصورة فالمعبر اذا سمعها يعرف المناسبة بين هذه الصورة ومعناها فيعبر عن الصورة الى المعنى فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا التى لاتنحصر عجائبه ثم ان الانسان عند موته ينكشف له الحجاب فيرى نفسه اما محفوفة بالمخازى والانكال والفضائح نعوذ بالله من ذلك اومكنوفا بنعيم مقيم اوبملك كبير لا آخر له فاعلم العلماء واحكى الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات مالم يخطر بباله قط ولااختلج به ضميره ولولم يكن للعاقل هم ولاغم الا التفكر فى خطر تلك الحالة لكان ذلك كافيا فى استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا واسبابنا ودوابنا بل باعضائنا واسماعنا وابصارنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك ولكن اين من ينفث

روح

بروح القدس فى روعه فيقول له ما قال لسيد البشر صلى الله عليه وسلم احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ماشئت فانك مجزى به - فلاجرم لما كان ذلك مكشوفا له صلى الله عليه وسلم بعين اليقين كان فى الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال لو كنت متخذا خليلا لا تخذت ابا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وان حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا حبيب - وقد قال صلى الله عليه وسلم لأمته ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله - وانما امته من اتبعه وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة فانه مادعا الا الى الله واليوم الآخر وماصرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله وبقدر ما سلكت سبيله اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله فيهم (فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى) ولو انصفت من نفسك وانت من حين تصبح الى حين تمسى لا تسعى الا فى الحظوظ العاجلة لم تطمع ان تكون غدا من امته واتباعه فان ظننت هذا وانت مصر على ما فعلت فما أبعد ظنك وما ابرد طمعك (افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) فنرجوا الله تعالى ان لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو اهله بمنه وسعة جوده انه جواد كريم رؤف رحيم -

الحمدلله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وتبع التابعين ورضى الله عنا وعن آبائنا واستاذينا وعن اصحاب الحقوق علينا وعن اقاربنا وعشائرنا وعن جميع المسلمين اجمعين آمين -

مشقه افقر عباد الله الصمد خصالى حسين بن احمد بن محمد البودينى فى ليلة البراءة من شهور سنة احدى وثلاثين والف -

خاتمة الطبع

الحمد لله الذى خلق لعبادته عباده ، والصلاة والسلام على خاتم انبيائه سيدنا محمد الذى فتح به ابواب السعادة ، وعلى آله واصحابه اولى الفضل والسيادة ـ

وبعد فقد تم طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة للولى احمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده المتوفى سنة (٩٦٢) وذلك فى شهر شعبان المكرم سنة ١٣٥٦ﻫ بمطبعة الجمعية العلمية الشهيرة (دائرة المعارف العثمانية) بحيدرآباد الدكن ادامها الله تعالى مصونة عن الفتن والمحن فى ظل الملك المؤيد المعان الذى اشتهر فضله فى كل مكان ، السلطان بن السلطان ، سلطان العلوم مظفر الممالك آصف جاه السابع مير عثمان على خان بهادر لازالت مملكته بالعز والبقاء ، دائمة التقدم والارتقاء ـ

وهذه الجمعية تحت صدارة ذى الفضائل السنية ، والمفاخر العلية ، النواب السير حيدر نواز جنگ بهادر رئيس الجمعية ورئيس الوزراء فى الدولة الآصفية والعالم العامل ، بقية الأفاضل ، النواب محمد يار جنگ بهادر نائب الرئيس ، وتحت اعتماد الماجد الاريب ، الشريف النسيب ، النواب مهدى يار جنگ بهادر عميد الجمعية ووزير المعارف والسياسة فى الدولة الآصفية ومعين امير الجامعة العثمانية ، والماجد الهام النواب ناظر يار جنگ بهادر شريك العميد للجمعية وركن العدلية ، وضمن ادارة العالم المحقق والفاضل المدقق مولانا السيد هاشم الندوى معين عميد الجمعية ومدير دائرة المعارف ادام الله تعالى درجاتهم سامية ومحاسنهم زاكية ـ

وعنى بتصحيحه من افاضل دائرة المعارف وعلمائها مولانا محمد طه الندوى ومولانا محمد عادل القدوسى ومولانا الطبيب السيد احمد الله والحقير عبدالرحمن اليمانى غفر الله ذنوبهم وستر عيوبهم ـ

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين الى يوم الدين ـ

النسخة

النسخة الخطية لهذا الجزء

هى النسخة الوحيدة المحفوظة فى خزانة دار حكومة الهند بلندره وقد كان طبع الجزءان الأولان من هذا الكتاب فى جمعيتنا هذه (دائرة المعارف العثمانية) وتم ذلك فى سنة ١٣٢٩ - وهما المحتويان على الطرف الأول من الكتاب فان المؤلف ذكر فى المقدمة انحصار تحصيل السعادة فى طريقين طريق النظر وطريق التصفية ثم قال « ولما انحصر كسب السعادة فى طريقين رتبت الرسالة على طرفين الطرف الأول من الرسالة فى الارشاد الى كيفية تحصيل طريق النظر ....» مفتاح السعادة ج ١ ص ٢٧ - ثم بسط الكلام على ذلك الطرف مفصلا فى دوحات وشعب وعلوم يذكر فى كل علم المؤلفات المشهورة وأسماء مؤلفيها وشيئا من تراجمهم ، ولم تظفر الجمعية حينئذ بالطرف الثانى ثم وقف الاستاذ الفاضل امتياز على عرشى مدير الخزانة الرامفورية على كتاب ظنه الجزء الباقى من مفتاح السعادة فنبهنا على ذلك لكى نتمم طبعه ولكن عند التحقيق تبين ان ذلك الكتاب هو (مدينة العلوم للارنيقى) وهو ملخص من الجزء الأخير من مفتاح السعادة ثم عثر المستشرق الفاضل سالم الكرنكوى على النسخة المذكورة المكتوبة سنة احدى و ثلاثين الف فكتب الى ولاة أمر الجمعية فاستحسنوا استنساخ الطرف الثانى من الكتاب وطبعه فانتسخه المستشرق المذكور بقلمه وقد واجهنا فى النقل شيئا من الخلل كالتصحيف والسقط فأصلحنا الواضح ثم تنبهنا اخيرا الى مراجعة احياء العلوم للامام الغزالى رحمه الله تعالى فاذا بهذا الجزء ملخص منه فاستفدنا من ذلك اصلاح كثير من الخلل ولله الحمد -

الصفحة	الابواب
١٦٢	المطلب الاول فى الترغيب فيه وعنه
١٦٣	المطلب الثانى فى فوائد النكاح
١٦٥	المطلب الثالث فى آفات النكاح
١٦٧	المطلب الرابع فى شروط العقد
»	المطلب الخامس فى احكام المنكوحة
١٦٨	المطلب السادس فى آداب المعاشرة
١٧٣	الاصل الثالث فى آداب الكسب والمعاش
»	المطلب الاول فى فضل الكسب
»	المطلب الثامن فى بيان احوال العقود الاربعة
١٧٦	المطلب الثالث فى العدل فى المعاملة
١٧٧	المطلب الرابع فى الاحسان فى المعاملة
١٧٨	المطلب الخامس فى شفقة التاجر على دينه
١٨٠	الاصل الرابع فى الحلال والحرام
»	المطلب الاول فى فضيلة الحلال
١٨١	المطلب الثانى فى درجات الحلال والحرام
»	المطلب الثالث فى مراتب الشبهات
١٩٠	المطلب الرابع فى البحث والسؤال
١٩٣	المطلب الخامس فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية
١٩٥	المطلب السادس فى ادرارات السلاطين
١٩٨	المطلب السابع فى حكم مخالطة السلاطين
١٩٩	المطلب الثامن
٢٠٠	الاصل الخامس فى آداب الصحبة والمعاشرة
٢٠١	المطلب الاول فى فضيلة الاخوة

المطلب

الابواب	الصحيفة

الاصل

الصفحة	الابواب
٣١٢	الاصل الثامن فى ذم الجاه والرئاء
«	المطلب الاول
٣١٤	المطلب الثانى ما يحمد من حب الجاه وما يذم منه
٣١٥	المطلب الثالث فى اسباب حب المدح والثناء
٣١٦	المطلب الرابع فى علاج حب الجاه
«	المطلب الخامس فى وجه العلاج لحب المدح وبغض الذم
٣١٧	المطلب السادس فى احوال الناس فى المدح والذم
٣١٨	المطلب السابع فى الرئاء
٣٢٠	المطلب الثامن فى درجات الرئاء
٣٢١	المطلب التاسع فى الرئاء باصول العبادات
٣٢٢	المطلب العاشر فى المرايا لاجله
«	المطلب الحادى عشر فى بيان الرئاء الذى هو اخفى من دبيب النمل
٣٢٣	المطلب الثانى عشر فى بيان مايحبط العمل من الرئاء الخفى والجلى
٣٢٥	المطلب الثالث عشر فى بيان دواء الرئاء
٣٢٧	المطلب الرابع عشر فى الرخصة فى اظهار الطاعات
٣٢٨	المطلب الخامس عشر فى الرخصة فى كتمان الذنوب
٣٢٩	المطلب السادس عشر فى ترك الطاعات خوفا من الآفات
٣٣٢	الاصل التاسع فى ذم الكبر والعجب
«	المطلب الاول فى ذم الكبر والاختيال وفضيلة التواضع
«	المطلب الثانى فى اقسام الكبر باعتبار المتكبر عليه
٣٣٣	المطلب الثالث فى اقسام ما به الكبر
٣٣٤	المطلب الرابع فى اسباب الكبر
٣٣٥	المطلب الخامس فى طريق معالجة الكبر

الصفحة	الابواب
٣٣٧	المطلب السادس فى العجب وذمه
٣٣٨	المطلب السابع فى علاج العجب
٣٣٩	الاصل العاشر فى ذم الغرور
»	المطلب الاول فى التحقيق فيه
٣٤٠	المطلب الثانى فى اصناف المغترين
٣٤٦	المطلب الثالث فى مداخل الغرور
٣٤٨	الشعبة الرابعة فى ربع المنجيات
٣٤٩	الاصل الاول فى التوبة
»	المطلب الاول فى التوبة وجوبها
٣٥٠	المطلب الثانى فى وجوب التوبة على الفور
٣٥١	المطلب الثالث
٣٥٢	المطلب الرابع فى اقسام الذنوب
»	المطلب الخامس فى كيفية توزع الدركات والدرجات
٣٥٣	المطلب السادس فيما تعظم من الصغائر
٣٥٤	المطلب السابع فى تمام التوبة وشروطها وآدابها
٣٥٥	المطلب الثامن فى طبقات التائبين
٣٥٦	المطلب التاسع فى تدارك التائب اذا جرى عليه ذنب اما عن قصد اوباتفاق
٣٥٧	المطلب العاشر فى طريق حل الاصرار على الذنوب من القلب
٣٥٩	الاصل الثانى فى الصبر والشكر
»	المطلب الاول فى فضيلة الصبر وحقيقته
٣٦٠	المطلب الثانى فى اقسام الصبر بحسب القوة والضعف وهى ثلاثة
٣٦١	المطلب الثالث فى ان العبد لايستغنى عن الصبر فى كل حال

المطالب

الصفحة	الابواب

الاصل

الصفحة	الابواب
٤٤٦	الاصل العاشر فى ذكر الموت والبعث والنشور
»	المطلب الاول فى ذكر الموت والترغيب فيه
٤٤٩	المطلب الثانى دواهى الموت
٤٥٠	المطلب الثالث فى حقيقة الموت واحوال الميت

تصحيح ما وقع من الخطأ فى طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦	٢٣	التذكير	والتذكير
٨	١٠	بالحلف	بالخلف
٩	٣	للاستقضاء	للاستقصاء
١٠	٢٢	عل	على
١١	٦	كالمشرق	وكالمشرق
١٢	١٧	وان	ان
١٤	٣	لا تقع	ولاتقع
»	٢١	حروف	وحروف
١٥	١٤	تنصف	تتصف
١٧	١٧	قادرأ	قادرا
»	٢٢-٢٣	وانه الا	وانه لاواجب الا
»	٢٤	لاواجب مؤيدة	مؤيدة
١٩	٢٠	سوء	سوءا
٢٠	٤	زين	وزين
٢٧	٧	لاظاهره	الاظاهره
٣١	٥	متقدرا	متقلدا
»	٧	ويصفو	ويصفر
»	٢٠	فانه على	فانه اعلى
٣٦	٢١	الاقدام	الاقلام
٤٦	٦	اردأن	ارادأن

تصحيح ما وقع من الخطأ فى طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٧	٢٤	٣٠ ٣١	٣٠ – ٣١
٥١	٢٠	القفير	الفقير
»	٢٤	داخل	داخله
٥٣	٢	مقيد	مقيدو
٥٥	١٧	لايؤجد	لايوجد
٥٩	٨	اذا الغرض	اذ الغرض
٦٠	٧	صالح	صلح
٦٣	٣	كتب الله (لأعلبن	(كتب الله لأعلبن
»	١١	احرام	الاحرام
٦٤	٢٣	وزده من حجه	وزد من حجه
٧٤	٢١	لوليكثر	وليكثر
»	٢٣	وجدوا	لوجدوا
٧٥	٧	الصلاة	لصلاة
٧٦	١	وتجعله	ولا تجعله
٧٩	١١	معتاه	معناه
»	١٣	تفصد	تقصد
٨٠	١٨	فكما ان القلب	وكما ان القلب
٨٣	٧	تعظم	نعظم
٩٠	٢٤	والكلام	فى الكلام
١٠٤	٢١	بانجمة	بالجمة

وثمرما

تصحيح ماوقع من الخطأ فى طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة

صحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠٦	٢٤	وشرما	وشر
١٣٢	٢٣	ينتهن	لينتهين
١٣٤	٦	انخروج	لخروج
»	١٠	تقاصيل	تفاصيل
١٤٢	٢٠	والدعاه	والدعاء
١٥٢	١٦	وبعد	وبعده
١٥٣	١٧	والا	ولا
»	١٣	اخذا الكوز	اخذ الكوز
١٥٥	١٨	الواحدة	الوحدة
١٥٦	٦	يجمع	يجمع
١٥٧	٢٣	ودد	ورد
١٦٢	٩	المطب	المطلب
»	٢٠	لمتأهل	المتأهل
١٦٥	٤	فان	فان فى
»	٨	تعال	تعالى
١٦٦	٢٠	والنكاح	اوالنكاح
١٨٣	٣	لمن	لكن
»	١٨	عند الشك	عندك الشك
١٨٤	١٨	علاقة	علامة
١٨٥	١٥	انوع	انواع

تصحيح ما وقع من الخطأ فى طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٨٨	٩	الآ خذ	الأ خذ
١٩٥	١٢	مصا رف	ثم مصا رف
١٩٦	١٣	الصحا نة	الصحا بة
٢٠٥	٢	فا لا ستجا ب	فالاستـ '
٢٠٩	١٧	و مرأ ىء	و مرأ ى
٢١٤	١٣	قو يث	قو يت
٢١٥	١٠	حا جته	حا جة
٢١٨	٧	و يهنيئه	و يهنئه
٢٢١	٢٤	وا طهـا د	وا طها ر
٢٢٢	٢١	من ا لصبر و الصبرا و	من الصبرا و
٢٢٨	٩	و ريـا ة	و لز يار ه
٢٢٩	١٢	فمن	فمن
٢٣٠	٤	ا د ب	آ داب
٢٣١	١٤	(فليفل ا الهم	(فليقل) ا اللهم
٢٥٨	١٤	اذا الحسبه	ادالحسبة
٢٥٣	٥	التا ئمة	التا ئبة
٢٥٥	٦	تضيق	تضييق
٢٥٦	١٥	ولا .	ولو
٢٦٥	٢١	ونخقير	وتحقير
٢٨٣	٤	قا نه	فا نه

وثا ا

تصحيح ما وقع من الخطأ فى طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
»	٨	وثالثها	ونالتها
»	٩	النجرد	التجرد
٢٨٧	١٤	همته التمتع	همته الى التمتع
٢٨٩	١٣	دراء	وراء
٣٠٠	٦	ايذاؤ	ايذاؤه
٣٠١	٤	يجب	يحب
»	٢٠	عنه	عند
٣٢٣	٢٢	تشوبه	تشربه
٣٣٤	٨	ظاهرا ويظهر	ظاهرا او يظهر
٣٥١	٥	وقت وان	وقت وآن
٣٥٨	٧	بآن	بأن
٣٥٩	٦	لذائد	لذائذ
٣٦٠	١٤	والضراء	(والضراء)
٣٦٥	٨	سخنك	سخطك
٣٦٧	٤	وعنه	وعند
»	١٨	نطر	نظر
٣٦٨	٢٠	والمكروة	والمكروه
٣٨٠	٩	ومما	واما
٣٨٤	٢٢	عدة	مدة

تصحيح ما وقع من الخطأ في طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٩٠	٢٠	فمال	فخال
٣٩١	٩	فعلة	فعله
٣٩٤	٢٣	سيآن	سيان
٣٩٥	١٨	واما	وما
٣٩٥	١٩	الشيطن	الشيطان
٣٩٦	٢٤	وهو	وهي
٤٠٠	٧	بمحبة	بمحبته
٤٠٢	١٠	اوراق	الاوراق
»	١٧	مؤكل	موكل
٤٢٢	٧	لنكشاق	انكشاف
٤٣٦	٢٤	القل	العقل
٤٤٢	٢٤	فيتداركها	فيتداركها
٤٤٦	١٦	كره لقاءه	كره الله لقاءه
»	١٩	والرضاء	والرضا
٤٤٧	١٤	يعرف	لايعرف
٤٤٨	٧	اعي	اعيا
٤٤٩	١٦	الصباح	الصياح
٤٥٢	٢٠	واحكى	واحكم

اصلاح مواضع وقعت خطأ في النقل الذى طبع عنه الجزء الثالث من مفتاح السعادة وبقيت في الطبع علي حالها آثرنا التنبيه عليها واقتصرنا علي الواضح منها

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	٧	الحضورى	الحصولى
٦	٢١	العلماء	الكلام
١٥	٢٥	مجرى الشجر من الثمر	مجرى الثمر من الشجر
٢٧	٧	الأدب تعود	الأدب في تعود
٣٥	٥	واوله	واقله
٥٤	١٤	مستأ هلون	متساهلون
٥٥	١٣	الملاء	الملأ
٥٧	١٢	على الحلال	على الحرام
٥٨	١٣	فاولئك	فاليك
٦١	١٦	اليدين	الدين
٦٢	١٦	بكلمات التامات	بكلمات الله التامات
٦٣	٦	وامانك	واماثك
٦٤	١٣	اغتسال	أغسال
٧٥	١١	الحسن	الحسين
١١٥	١٧	فوقاه سيئات	فوقاه الله سيئات
١٨٠	٢٠	وكذا الحلال	وكذا الحال
«	٢٤	وجهة	من جهة

اصلاح الخطأ الواقع فى اصل الجزء الثالث من مفتاح السعادة

صحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٨٢	١٠	يحرم	
١٨٥	١٢	الاحتمال ـ الرابع	الاحتمال الرابع
«	١٣	الاحتمال ـ الخامس	الاحتمال الخامس
١٨٨	٢٤	لا تحكم	لايحكم
١٩٠	١٨	له يدله	لابدله
١٩٢	٤	القيمة	الغنيمة
٢٠٤	١١	التكلف	التكليف
٢١٨	١٠	اذا انابته	اذا نابته
٢٢٣	١٧	وغيمة	وغيبة
٢٣٧	٢١	واشتغاله	واشتعاله
٢٣٨	١٧	على التأسف	عن التأسف
٢٤٨	٨	وجد	ذ وجد
٢٦٨	٢٠	الروح	الروع
٢٧١	٩	وهوانه	وهو يرى انه
٢٧٦	١٥	الضعف	الغضب
٢٧٧	٢٤	اذا	اذ
٢٧٨	٥	التعذيب وتهذيب	التعذيب تهذيب
٢٨٧	٥	لمتقين	لمقتين
«	٦	كفرا	كفر
٢٨٨	٢	يحصل الفرق	يحصل عدم الفرق

قد

اصلاح الخطأ الواقع فى اصل الجزء الثالث من مفتاح السعادة

صحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢٩	٧—٨	قد يمد اذا	قد يمد .... اذا
٣٣٣	٢٣	عالم	عالما
٣٣٦	٢١	الاستعاذة	الاستفادة
٣٥١	٢٢	دينا	وينا
٣٦٤	٣	الشهوة	الشهود
٣٦٦	٨	عليهم	علمهم
»	٢٥	ونقولة	ونقول
»	٣٠	تعوده	تعوده
٣٦٨	٢٣	شكر	الشكر
٣٧٠	٨	جمعها	جميعها
»	١٨	القلب	الغيب
٣٧٤	١٠	اولا	الاولا
٣٩٧	٣	منها الا	منهاولا
٤١٠	٢٤	ضار لم ينزلة	ضار نزل اودفع ضار لم ينزل
٤٢٦	٢٣	فان لم يعضر	فانه لايعضر
٤٣١	٩	المعرفة فى	المعرفة لا تكفى فى
٤٣٧	٢٠	الضر	للغير
٤٤١	٣	مقول	معول
»	١٤	اختصار	احضار
٤٤٣	٧	الاعلام	الاعلوم

اصلاح الخطأ الواقع فى اصل الجزء الثالث من مفتاح السعادة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٢٣	٨	اقراء	قراءة
٤٤٤	١٦	فيما نعرف	فيما لانعرف
٤٤٥	٢٠	واحدا	واحد
٤٤٧	٦	اعدى	ايدى
»	١١	مشائخ	مشايخ
٤٤٨	١٨	غدا	غد
»	٢٠	من يجاوز	من لايجاوز